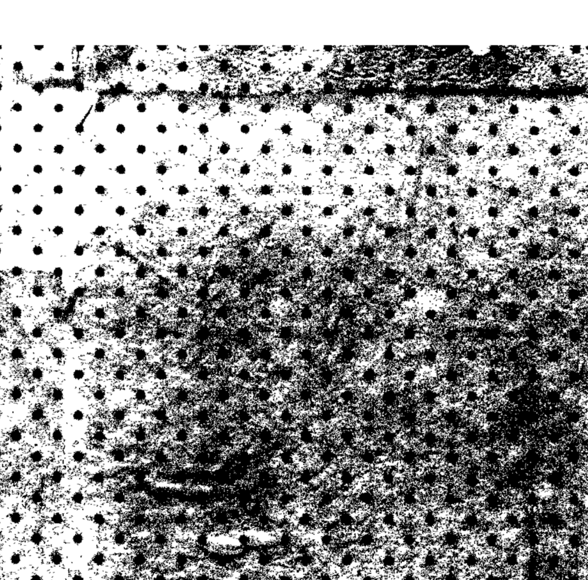
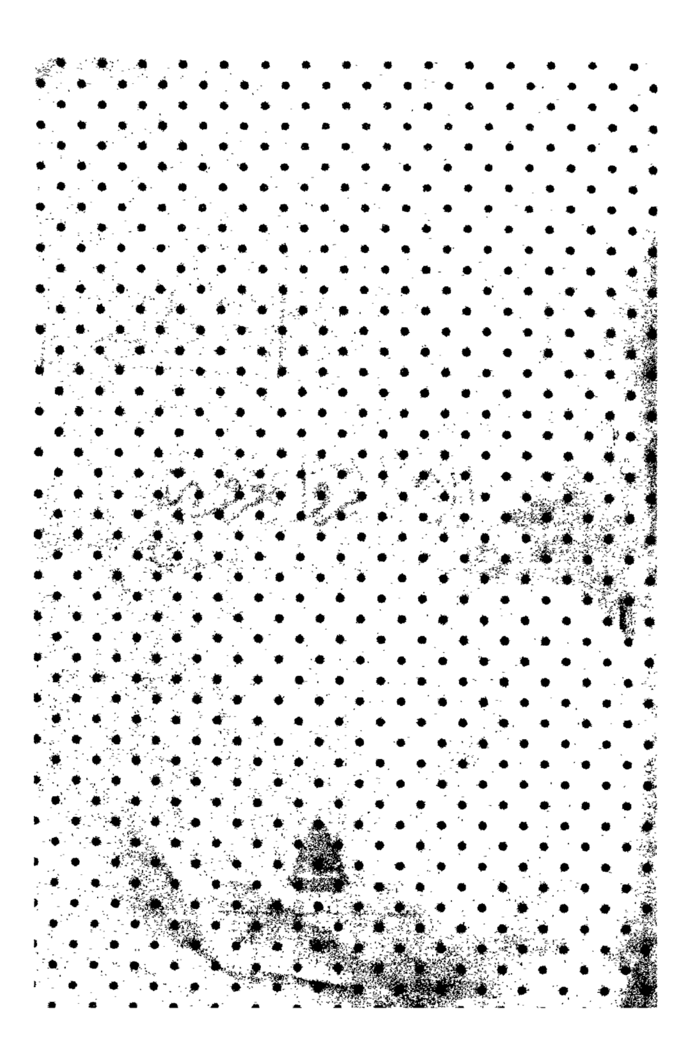

Bibliotheca Alexandrina
0095484





د. محمود كامل





١٩٧٦

فهرس

مقدمة ١٥

العرب فى تاريخ العالم ــ الهيئات التى تباشر نشاطا خارج نشاط الدول متسما بطابع العروبة ــ الدول تعترف بالأمة العربية فى عام ١٩١٨ ــ جامعة الدول العربية ، ١٩٤٥ · منبر للعروبة ــ الوحدة العربية قاعدة قانون عام عربى ــ العروبة قاعدة من قواعد العلاقات الوحدوية بين الدول العربية ــ مذهب الوحدة العربية فى نظر المستشرقين ورجال القانون الأوروبيين ــ الوعى القانونى الخاص بمنطقة معينة ــ الجماعة الدولية وجماعة الدول ــ مكان النظام القانونى الاسلامى والحضارة الاسلامية بين الأشكال الكبرى للحضارة والنظم القانونية الرئيسية فى العالم ــ ميثاق الأمم المتحدة يقر القانون الدولى الاقليمى الخاص بمنطقة معينة ــ مقومات العلاقات بين الدول العربية ·

القسم الأول ٣٧

التضامن الاسلامى

مصدر العلاقات الوحدوية بين الدول العربية

● **الفصل الأول** ٣٩

ابن تيمية (١٢٦٢ ــ ١٣٢٨) ·

المعنى العام للوحدة الاسلامية ــ الطابع الاجتماعى السياسى للوحدة الاسلامية ــ تضامن العالم الاسلامى ــ ابن تيمية فى نظر المفكرين العرب ــ التضامن الاسلامى عند ابن تيمية ــ مذاهب ابن تيمية الاجتماعية والسياسية ·

● الفصل الثانى ٤٩

الوحدة الاسلامية الحديثة

ـ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢) ٠

ـ محمد بن سعود (١٧٣٥ ـ ١٧٦٦) ٠

الاصلاح الدينى عند الوهابيين ـ الاجتماع السياسى عند الوهابيين ـ استعمار الشرق وطابع مقاومة الغرب الذى اتسمت به حركة الوحدة الاسلامية ٠

● الفصل الثالث ٥٦

الوحدة الاسلامية المنظمة

(أ) محمد بن على السنوسى (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩) ٠

معاهدة أوشى بين تركيا وايطاليا ـ حكومة البارونى الطرابلسية ، ١٩١٢ ٠

ـ عمر المختار يتولى قيادة المجاهدين ١٩١٣

معاهدة عكرمة بين السنوسية وايطاليا عام ١٩١٧ ، معاهدة بين الجمهورية الطرابلسية وايطاليا عام ١٩١٩ ، اتفاق الرجمة والاعتراف بالامارة السنوسية ٠ عام ١٩٢٠ ٠

مؤتمر غريان عام ١٩٢١ ، ميثاق زعماء طرابلس عام ١٩٢٢ ٠

ـ جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧) ٠

المركز الأصلى الثانى للوحدة الاسلامية ـ صحيفة العروة الوثقى فى باريس وحركة الوحدة الاسلامية فى الأراضى الاسلامية التى تحت النفوذ البريطانى ٠

الأفغانى والشكل الدستورى للدولة ٠

ـ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) ٠

ـ دور العرب فى قيادة الشعوب الاسلامية ٠

ـ عبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٨ ـ ١٩٠٢) ٠

« أم القرى » وتخيل مؤتمر يقظة الاسلام ١٨٩٨ ـ طليعة العروبة السياسية ٠

● الفصل الرابع ٨٢

تطور الفكرة « الاتحادية » فى الخلافة

الى تضامن اسلامى دولى

خصائص الخلافة الاسلامية ـ الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق: ١٩٢٥ ـ الرد على « الاسلام وأصول الحكم » ـ حركة فى مصر لاعادة نظام الخلافة : ١٩٢٤ ـ الخلافة واقتراح « عصبة الأمم الشرقية » ـ نظام الخلافة العصرية المقترح ـ العالم الاسلامى بعد عام ١٩١٩ ـ فضل الاسلام على القانون الدولى الأوروبى ٠

● الفصل الخامس ٩٧

الوحدة الشرقية

الرابطة الشرقية ـ التفرقة بين « الوحدة الاسلامية » و « الوحدة الشرقية » ـ الافرو ـ آسيوية : مؤتمر باندونج ، ١٩٥٥ ـ وحدة معينة من طنجة الى جاكارتا ـ الاسلام والافرو ـ آسيوية ٠

القسم الثانى ١٠٥

التضامن العربى

طليعة العلاقات الوحدوية بين الدول العربية

● الفصل الأول ١٠٧

وحدة عربية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة عاصمة الشرق العربى

مصر فى أعالى النيل ١٨٢٠ ـ ١٨٩٠ ـ جبال طوروس فى سوريا ، حدود الدولة العربية الطبيعية ـ وحدة عربية ومشروع امبراطورية عربية، ١٨٣٧ ـ الجنسية العربية ووجودها السياسى ، ١٨٣٢ ـ معاهدة كوتاهية والمسألة المصرية : ١٨٣٢ ـ التدخل الأوروبى ومعاهدة لندن ١٨٤٠ ـ المذهب العقلى عند رفاعة الطهطاوى ١٧٩١ ـ ١٨٧٢ ـ مصر فى الصومال ١٨٦٦ ـ ١٨٨٤ : الخلفية الحضارية العربية المشتركة ٠

● الفصل الثانى ١٣٤

هيئـــات عربية ـ تركية « فيديرالية »
تزاول نشاطا منفصلا عن نشاط الدول

الجمعيات الثقافيةفى سوريا : طليعة العروبة السياسية

جمعية الفنون والعلوم : ١٨٤٧ ، والجمعيـــة العلمية الســـورية : ١٨٥٧ ـ المطالبة باستقلال سوريا مع لبنان ١٨٨٠ ـ الحزب الوطنى فى مصر : ١٨٧٩ ـ عرابى ويوم عابدين : ٩ من سبتمبر ١٨٨١ ـ فرنســـا والوطنيـــة المصرية ـ مصطفى كامل وبرنامج تحرير مصر من الاحتـــلال البريطانى : ١٨٩٥ ـ ١٩٠٨ ـ « رابطة الوطن العربى » : ١٩٠٤ ، « يقظة الأمة العربية » : ١٩٠٦ ـ مصر موطن العـــروبة الرئيسى فى العـــالم الاسلامى ـ « الدول الكبرى أمام الثورة العربية ، أمة عربية وامبراطورية عربيـــة ـ جمعية الاخاء العـــربى ـ العثمانى ١٩٠٨ ـ « المنتدى الأدبى » : المطالبة بحكومة عربية محلية على نسق الحكومة النمساوية / المجرية ـ الجمعية القحطانية ١٩٠٩ ـ المطالبة بتحويل الامبراطورية العثمانيـــة الى مملكة مزدوجة ـ الجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ ـ حزب اللامركزية العثمانى ١٩١٢ ـ لجنة الاصلاح : بيروت ١٩١٢ ـ جمعية العهد ١٩١٢/١٩١٤ ٠

● الفصل الثالث ١٦٠

المرحلة العرقية للحركة العربية

أساس المرحلة الثانيـــة للقوميـــة العربيـــة ـ الروح العربية فى المغرب ـ مراسلات كيتشنر ـ مكماهون ـ حسين ، والأمة العربيـــة ، ١٩١٥ ـ ١٩١٦ ـ الثـــورة العربيـــة ، ١٩١٦ ـ المذكرة الفرنســـية ـ البريطانية ، ١٩١٨ والجنس العربى ـ مشروع توصيات أمريكية بشأن العراق وســـوريا وفلسطين والحجاز ، يناير ١٩١٩ ـ الصراع الفرنسى / البريطانى فى مجلس الحلفاء الأعلى ، مارس ١٩١٩ ـ تقرير لجنة « كنج ـ كرين » الأمريكية الى مؤتمر الصلح ، أغسطس ١٩١٩ ـ الولايات المتحدة والبلاد العربية التى تحت انتداب عصبة الأمم ، ٢٠ مايو ١٩٢٠ ـ نهاية المرحلة العرقية للحركة العربية وتصويبها ٠ معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا : غسطس ١٩٣٦ ـ القومية العربية والوحدة العربية ٠

● الفصل الرابع ١٨٠

العلاقات الدولية والمعاهدات والدساتير المتسمة بالعروبة

الدول العربية منذ استقلالها حتى الاتفاقيات
المنبثقة من ميثاق جامعة الدول العربية

تقسيم البلاد العربية الآسيوية الخاضعة للسيادة التركية ، الاتفاق السرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، مارس ١٩١٥ ــ الانتداب على لبنان وسوريا وشرق الاردن والعراق وفلسطين ــ معاهدة لوزان ، ١٩٢٣ : فصل الأقطار العربية عن تركيا ٠

المملكة العربية السعودية

معاهدة بين بريطانيا والعسير ، ٣٠ ابزيل ١٩١٥ ــ معاهدة العقير بين بريطانيا ونجد ، ٢٦ من ديسمبر ١٩١٥ وقيود على السيادة السعودية ــ ضم حائل الى نجد ، عبد العزيز آل سعود سلطان هذه الدولة العربية ، ١٩٢١ ــ أول معاهدة متسمة بالعروبة بين الحجاز وشرقى الاردن ، ١٩٢٥ بيان عن انقاذ «الشرق العربى» ــ عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد ، ٨ يناير ١٩٢٦ ، الدستور ، ٣١ أغسطس ١٩٢٦ ــ ثانى معاهدة متسمة بالعروبة بين الحجاز ونجد من جانب والعسير من جانب آخر ، ١٩٢٦ ــ معاهدة الصداقة بين دولة الحجاز ــ نجد والعراق ، ٢٣ من فبراير ١٩٣٠ ــ ثالث معاهدة متسمة بالعروبة : الحجاز ونجد ــ العراق ١٩٣١ ، اعادة وحدة الأمة العربية والتوفيق بين أبنائها ٠

تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٨ من سبتمبر ١٩٣٢ ــ رابع معاهدة متسمة بالعروبة ، العربية السعودية ــ اليمن ١٩٣٤ ، الجمع بين التضامن الاسلامى والعروبة ٠

خامس معاهدة مُتسمة بالعروبة ، العربية السعودية ــ العراق ١٩٣٧ ٠

ــ الجمهورية العربية اليمنية

معاهدة دعان مع تركيا ، ١٩١١ ــ معاهدة مع ايطاليا ، ١٩٢٦ ، ٫الامام ملك اليمن ــ المعاهدة الانجليزية اليمنية ، ١١ من فبراير ١٩٣٤ ــ

معاهدة الطائف ، ٢٠ من مايو ١٩٣٩ اليمن ـ العربية السعودية ، بيان صريح عن روابط الاخوة والجنس العربى التى تربط الدولتين ٠

ـ الجمهورية العراقية

المؤتمر العراقى بدمشـــق ، مارس ١٩٢٠ ، الاتحـــاد السياسى والاقتصادى بين العراق والشام ٠

معاهدة التحالف مع بريطانيا ، ١٩٢٢ ٠

معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا ، الاعتراف بسيادة العراق وتأييد طلبها الانضمام الى عصبة الأمم ٠

ـ جمهورية مصر العربية

الثورة المصرية : ١٩١٩ ، الوفاق بين المسلمين والأقباط ـ تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ : السـيادة المصرية ـ معاهدة الصداقة بين مصر والعربيـة السعودية ١٩٣٦ ، عودة الى التضـامن الاسلامى ـ معاهدة التحالف مع بريطانيا ، ٢٦ من أغسطس ١٩٣٦ ٠

ـ الجمهورية العربية السورية

فيصل يكون حكومة تضم كل سوريا ١٩١٨ ، لجنة كنج ـ كرين ترى توحيد ســوريا ١٩١٩ ـ المؤتمر الســورى ٢ من يوليو ١٩١٩ ، استقلال سوريا ـ المؤتمر العربى بجنيف : أغسطس ١٩٢١ ، نداء الى عصبة الأمم بالاعتراف باستقلال ســـوريا ولبنان وفلسطين وحقها فى الاتحاد ـ وفدا سوريا ولبنان يطلبـان وحـدة الأرض السورية ، ثورة جبل الدروز ١٩٢٥ ـ الثورة الســورية العامة : ١٩٢٩ ، ـ الدستور : استقلال وسيادة ســـوريا ، ١٩٣٠ ـ مؤتمر دمشـــق يطالب بالوحدة العربية ، الثورة الســورية الثانية ، ١٩٣٦ ـ معاهدة حسن جوار بين سوريا والعراق ، ٢٣ من ابريل ١٩٣٧ ٠

ـ الجمهورية اللبنانية

اتفاق القسطنطينية بشـأن حكومة لبنان ، ٩ من يونيو ١٨٦١ ـ اعلان الجمهـورية اللبنانيـة والدسـتور ، ٢٣ من مايو ١٩٢٦ ـ تعديل الدستور ، شعب لبنان شعب عربى وتربطه بالعروبة صلات قوية ٠

ـ فلسطين

مراسلات حسين ـ « ستورس » ـ « مكماهون ، ١٩١٥/١٩١٦ ـ تصريح « بلفور » ٢ من نوفمبر ١٩١٧ ، وطن قومي يهودي بفلسطين ـ التصريح الفرنسي / البريطاني ٧ من نوفمبر ١٩١٨ وضمان استقلال الشعوب العربية ـ لجنة « كنج ـ كرين » الأمريكية ١٩١٩ : البرنامج الصهيوني نقض شائن لحق شعب فلسطين ـ المؤتمر الفلسطيني الأول : القدس ١٩١٩ ، المؤتمر الفلسطيني الثالث : حيفا ١٩٢٠ ، معارضة الهجرة اليهودية والانتداب ـ المؤتمر الفلسطيني الرابع ، ١٩٢١ : تأكيد الوحدة السورية ـ المؤتمر العربي بنابلس والمؤتمر الاسلامي العام بالقدس ، ١٩٣١ ـ انشاء « اللجنة العربية العليا » ، الثورة العربية ١٩٣٦ والتضامن العربي ـ المؤتمر العربي ببلودان سبتمبر ١٩٣٧ ، « أول مؤتمر للوحدة العربية » ـ المؤتمر البرلماني الدولي العربي ـ الاسلامي بالقاهرة ، ١٩٣٨ ـ مؤتمر لندن ١٩٣٩ ، اشتراك الدول العربية اشتراكا متسما بطابع الوحدة العربية ٠

ـ المملكة الاردنية الهاشمية

القدس التابعة لولاية سوريا والبلقاء وعكا التابعتان لولاية بيروت في العهد التركي تلحقان بحكومة دمشق العربية ١٩١٩/١٩٢٠ ـ الانتداب البريطاني وخلق دولة « فاصلة » ، ١٩٢٢ ـ الاعتراف بالاستقلال ، ٢٥ من مايو ١٩٢٣ : سيادة داخلية محدودة دون أية سيادة خارجية ٠

● الفصل الخامس ٢٣٧

مذهب « العروبة » بين « الوحدة العربية »

و « الدولة المتحدة فيدراليا »

و « اتحاد الدول العربية كونفيدراليا »

الاتحاد العربي ١٩٤٢ : القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت ، وحدة اللغة أساس العروبة ، اغفال موضوع الخلافة ـ المبررات الاجتماعية / السياسية للتجمع العربي خلال المشاورات السابقة على بروتوكول الاسكندرية التي مهدت لانشاء « جامعة الدول العربية » ـ مشاورات بين رئيس الوزارة المصرية ورئيس الوزارة الاردنية ـ مشاورات بين رئيس

الوزارة ووفد العربية السعودية ـ مشاورات بين رئيس الوزارتين المصرية والسورية ـ ملخص البيان الذى قدمه الوفد اللبنانى ـ ملخص المشاورات مع اليمن ـ الكتاب الأزرق العراقى ١٩٤٣ : سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن دولة واحدة ـ مقارنة بين مذهب الوحدة العربية ومذهب الوحدة الأمريكية ـ أثر الوعى الاجتماعى ـ السياسى العربى ـ التضامن العربى فى ضوء وعى المجتمع للطبيعة الملزمة للقاعدة القانونية وللجزاء المترتب على مخالفتها ـ بروتوكول الاسكندرية ، ٧ من أكتوبر ١٩٤٤ ـ جامعة الدول العربية ٠

القسم الثالث ٢٦٩

ارساء قواعد العلاقات الدولية التى تستهدف الوحدة العربية

● **الفصل الأول** ٢٧١

ميثاق جامعة الدول العربية

الفرق بين البروتوكول والميثاق (أ) اختصاص الجامعة الدولى وطبيعته القانونية (ب) حق المزايا والحصانات (ج) حق التمثيل الخارجى ـ الجامعة واستقلال ليبيا ، سبتمبر ١٩٤٥ ـ روح الجماعة من خلال «الميثاق» ـ الميثاق أنشأ اتحاد دول عربية ، اتحادا « كونفيديراليا » ـ الخلاصة ٠

● **الفصل الثانى** ٢٨٩

الاثر الاجتماعى ـ السياسى فى الاتفاقات المعقودة فى نطاق الجامعة

معاهدة الصداقة بين مصر واليمن ، ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٥ ـ المعاهدة الثقافية العربية ، ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٥ ـ معهد الوثائق العربية ، ١٩٤٦ ـ المؤتمر العربى الثقافى ومؤتمر الآثار ، سبتمبر ١٩٤٧ ، العروبة ليست مقتصرة على دين معين ـ الجامعة وعروبة فلسطين ، مايو ١٩٤٨ ـ مشروع تعاون عربى مع الهيئات الدولية غير الحكومية ، ابريل /| مايو ١٩٤٩ ـ معاهدة الدفاع الجماعى والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة ١٧ من يونيو ١٩٥٠ وانضمام العراق فى ٢ من فبراير سنة ١٩٥١ ـ دعوة بريطانية / فرنسية / تركية / أمريكية لاشتراك عربى فى هيئة قيادة الشرق الأوسط ، ١٣ من أكتوبر ١٩٥١ ـ مذكرة سورية تهدف الى اتحاد

« فيديرالى » بين الدول العربية ، ١٩٥١ ـ مؤتمر وزراء المال والاقتصاد العرب ، بيروت ، مايو ١٩٥٣ ـ اتفاقية تسهيل التبادل التجـــارى بين دول الجامعة العربية . سبتمبر ١٩٥٣ ـ مذكرة عراقية الى الجامعة العربية تقر بأن اتحاد الشعوب العربية ضرورة للشـــعب العربى ، يناير ١٩٥٤ ـ موقف موحد فى مواجهة مشاكل معينة ـ الخلاصة .

● الفصل الثالث ٣٠٦

كفاح الجامعة « الكونفيديرالى » فى سبيل استقلال المغرب العربى

(أ) الجامعة واستقلال مراكش

تصريح لبنان أمام الأمم المتحدة ، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٢ ـ تصريح مصر أمام الأمم المتحدة ، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٢ ـ تصريحا العراق أمام الأمم المتحدة ، ١٥ ، ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ ـ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ١٩ من ديسمبر ١٩٥٢ ، وتصريحا العراق واليمن ـ تصريحا مصر وسوريا ، ٨ من أكتوبر ١٩٥٣ ـ تصريح العربية السعودية أمام الأمم المتحدة ، ١٣ من أكتوبر ١٩٥٣ ـ تصريح لبنان ، ١٥ من أكتوبر ١٩٥٣ : الحركة الوطنيـــة فى مراكش تحظى بتأييد الحركات الوطنيـــة العربية ـ استقلال مراكش ، ٢ من مارس ، ٧ من ابريل ١٩٥٦ ، الانضمام الى الجامعة العربية ، أول أكتوبر ١٩٥٨ .

(ب) الجامعة واستقلال تونس ، ١٩٥٢ .

رسالة مصر والعراق والسعودية واليمن الى مجلس الأمن ، ٢ من أبريل ١٩٥٢ ـ تصريح مصر أمام الأمم المتحدة ، ٦ من ديسمبر ١٩٥٢ ـ تصريح العراق أمام الأمم المتحدة ، ١١ من ديسمبر ١٩٥٢ ـ تصريح لبنان أمام الأمم المتحدة ، ٢١ من أكتوبر ١٩٥٢ ـ تصريح العربية السعودية أمام الأمم المتحدة ، ٢٢ من أكتوبر ١٩٥٣ ـ تصريح العراق أمام الأمم المتحـــدة ، ١١ من نوفمبر ١٩٥٣ ـ اســـتقلال تونس ، ٢٠ من مارس ١٩٥٦ ، الانضمام الى الجامعة العربية ، أول أكتوبر ١٩٥٨ .

(ج) الجامعـــة واســـتقلال الجزائر ، القاهرة مقر « جبهـــة التحرير الوطنى » ، ١٩٥٧ ، انضمام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للجامعة العربية ، ١٩٥٩ .

(د) استقلال موريتانيا فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٦٠ ٠
الاتجاهات الاندماجيــة العربية : تطلع الى « الجامعــة الاسلامية » أم بالاحرى دعوة الى « الأمة العربيــة » ؟ ــ اســتجابة الجماعة لمواجهة التدخل الأجنبى ٠

● الفصل الرابع ٣٣٦
تأثير العروبة على الدساتير وبرامج الأحزاب السياسية العربية
(أ) تأكيد دستورى لانتماء الشعوب العربية الى « الأمة العربية » (ب) الأحزاب السياسية ــ الأحزاب الســورية ــ الأحزاب العراقيــة ــ الأحزاب اللبنانية (ج) اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى الشعبى العام : القاهرة ، ١٩٥٠ ــ الخلاصة ٠

● الفصل الخامس ٣٥٣
نضوج مذهب العروبة الاتحادى
العمل العربى المشترك فى عشرة أعوام : ١٩٥٥ ــ ١٩٦٤
التطلع الى تكتل الدول العربية فى « اتحاد فيدرالى » ، دعوة الى أن تحقق مصر هذه الرســالة التاريخية ، يناير ١٩٥٦ ــ مؤتمر الخريجين العرب ، ٢٧ من يناير ١٩٥٦ ــ مؤتمر المحامين العرب : توصية باقرار مبدأ « الأمة العربية » و « الوطن العربى » ، ١٩٥٦ ــ مشروع محكمة عدل عربية اقليمية ، ١٩٥٥ ــ اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا، ٢٠ من أكتوبر ١٩٥٥ ــ وبين مصر والعربية السعودية ٢٧ من أكتوبر ١٩٥٥ ــ الانفــاق الخاص بمجلس الوحدة الاقتصــادية العربية ، ١٩٥٦ ، انشــاء ســوق عربية مشــتركة ، ١٩٦٤ ــ اتفاقيــة الدفاع المشترك بين مصر والعربية السعودية واليمن ، ٢١ من ابريل ١٩٥٦ ــ الاتفاق الخاص بالتضامن العربى ، التأكيد على « الوطن العربى » و « الوحــدة العربية » : ١٩ من يناير ١٩٥٧ ــ جمهورية مصــر العربية: بـاب الوحدة مفتــوح لكل بلد عربى ، اول فبراير ١٩٥٨ ــ الاتحاد « الفيديرالى » بين العراق والاردن ، ١٤ من فبراير ١٩٥٨ ــ الدول العربية المتحدة ــ الميثاق ، ٨ من مارس ١٩٥٨ ــ الكتلة العربية : خطة موحدة فى مؤتمر باندونيج ــ ١٩٥٥ ــ الكتلة العربية : خطة موحدة فى مؤتمر الشعوب الاسيوية ــ الافريقية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ ــ

الكتلة العربية : خطة موحدة ازاء الترشيحات لمناصب الامم المتحدة ، وازاء القضايا الافريقية ــ بريطانيا وايطاليا تحاولان فصل الصومال عن العالم العربى منذ عام ١٨٨٤ كفاح الشعب الصومالى فى سبيل التحرر والوحدة ، جمهورية الصـــومال الديمقراطية : يوليو ١٩٦٠ ــ الكتلة العربية : خطة موحـــدة أمام الأمم المتحدة أغسطس ١٩٥٨ ــ مؤتمرات القمة : الاجتماع التحضيرى لمؤتمر الدول غير المنحازة : ١٩٦١ ــ الكويت: تآزر على تحقيق أمانى الأمة العربية وانتماء الى الجامعة العربية ، تشكيل قوات الأمن العربية ، ١٩٦١ ــ الكتلة العربية : خطة موحدة فى مؤتمر الدول غير المنحازة ، بلجراد ، ١٩٦١ ــ الجمهورية العربية المتحدة الثانية: دولة « فيديرالية » صميمة ، أبريل ١٩٦٣ ــ الخلاصة ٠

● **الفصل السادس** ٣٨٧

القوى الاجتماعية ــ السياسية العربية تتكتل لاقامة جهاز مؤتمرات القمة ولتصفية الاستعمار فى المنطقة العربية ولارساء قواعد الاتحادات « الكونفيديرالية » و « الفيديرالية » والاندماجيـة بين الدول العربية ، ١٩٦٤ ــ ١٩٧٤

مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : القاهرة يناير ١٩٦٤ ــ « القيادة السياسية الموحدة » بين الـ ج ٠ ع ٠ م والعراق ١٩٦٤ ــ مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الافريقية : القاهرة : يوليو ١٩٦٤ الاجتماع الثانى لملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : الاسكندرية ، سبتمبر ١٩٦٤ ــ مؤتمر الدول غير المنحازة ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٦٤ ــ الاجتماعان الثالث والرابع لملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : الدار البيضاء ، ســبتمبر ١٩٦٥ ، والخرطوم ، أغســـطس ١٩٦٧ ــ جمهـورية اليمن الديموقراطية الشعبية : ديسمبر ١٩٦٧ ، الدولة الرابعة عشرة من دول الجامعة العربية ، جزء من الوطن العربى وشعبها جزء من الامة العربية ٠ ــ اتحاد الجمهوريات العربية : الشعب فى الاتحاد جزء من الأمة العربية ، أغسطس ١٩٦٩ ــ ديسمبر ١٩٧١ ــ بيان طرابلس : لرؤساء السودان وليبيا والـ ج ٠ ع ٠ م ، ديسمبر ١٩٦٩ ــ بيان القـــاهرة عن اجتماع رؤساء دول ميثاق طرابلس : قيادة موحدة ، نوفمبر ١٩٧٠ ــ اعلان بنغازى : « اتحاد الجمهوريات العربية » ، ابريل ١٩٧١ ــ اعلان دمشق: دستور اتحاد الجمهوريات العربية ، أغســـطس ١٩٧١ ــ البحرين : الدولة الخامسة عشرة من دول الجامعة العربية : سبتمبر ١٩٧١ ــ شعب

البحرين جزء من الأمة العربية ـ البترول : ١٩١٤ ، وزخم القـومية العربية ـ قطر : الدولة السـادسة عشرة من دول الجامعة العربية ، سبتمبر ١٩٧١ ، شعب قطر يشترك مع الاشقاء العرب فى كل المسئوليات والمصالح ـ امتياز البترول : ١٩٣٥ ـ قطر فى رئاسة المجلس الاتحادى المؤقت ـ سلطنة عمان (مسقط وعمان) : الدولة السابعة عشرة من دول الجامعة العربية ، أكتوبر ١٩٧١ ـ الامارات العربية المتحدة : الدولة الثامنة عشرة من دول الجامعة العربية ، ديسمبر ١٩٧١ : جزء من الوطن العربى الكبير ، وشعبها جزء من الأمة العربية ـ معاهدة الهـدنة البحرية مع انجلترا : ١٨٥٣ ـ أ ـ أبو ظبى ـ ب ـ دبى ـ ج ـ الشـارقة وكلبة د ـ رأس الخيمة ـ هـ ـ أم القيوين ـ و ـ عجمان ـ ز ـ الفجيرة ـ القومية العربية ودور القوى الاجتماعية السياسية فى الخليج ـ الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيـا : أغسطس ١٩٧٢ ـ الوحدة الاندماجيـة بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية : نوفمبر ١٩٧٢ ـ بعض ثمار العمل العربى المشترك ـ الاجتماع السادس للملوك والرؤساء العرب: الجزائر ، نوفمبر ١٩٧٣ ، موريتانيا : الدولة التاسعة عشرة من دول الجامعة العربية الاجتماع السابع للملوك ورؤساء عشرين دولة عربية ، الرباط ، أكتوبر ١٩٧٤ ، الصومال : الدولة العشرون من دول الجامعة العربية ـ منظمة التحرير الفلسطينية تحصل على صفة المراقب من الأمم المتحدة : ٢٢ من نوفمبر ١٩٧٤ ـ الجمعية العامة للأمم المتحدة تطالب بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشـتراك فى جميع الجهود والمؤتمرات الخاصـة بالشرق الأوسط : ١٠ من نوفمبر ١٩٧٥ ـ الخلاصة .

المراجع العربية ٤٣٧

المراجع الأجنبية ٤٤١

مقدمة

العرب فى تاريخ العالم :

العرب ــ بعد التطور التاريخى الطويل فى الآلاف السبعة الأخيرة من تاريخ العالم أى منذ عصر ما قبل الاسرات ــ هم المجموعة البشرية التى تشغل حيزا من الكرة الارضية يقع بين المحيط الهندى وخط الاستواء جنوبا والخليج العربى وايران شرقا وجبال طوروس وساحل البحر الابيض المتوسط شمالا والمحيط الاطلسى غربا . وهى مساحة شاسعة تزيد على ثمانية ملايين من الكيلومترات المربعة أى أنها توازى مساحة الولايات المتحدة الأمريكية والاسكا والمكسيك مجتمعة أو ثمانين فى المائة من مجموع مساحة أوربا ، ويزيد مجموع تعدادها عن مائة وأربعين مليونا أى أكثر من سكان انجلترا وفرنسا وأسبانيا مجتمعة وهى الدول الأوروبية التى كانت تستعمر العالم العربى ولكن هؤلاء العرب موزعون على ممالك وجمهوريات وسلطنات وامارات بلغ عددها عشرين دولة أعضاء فى الأمم المتحدة وفى جامعة الدول العربية ، ومع ذلك فهى جميعا متجاورة متلاصقة لا تكاد تفصل بين الواحدة والاخرى حواجز جغرافية . وتربط بين رعاياها منذ عصور ما قبل التاريخ وشائج من المصالح الاقتصادية ، والوحدة الثقافية ، وتجمع بين حكوماتها منذ فجر التاريخ فى فترات متلاحقة ، أشكال مختلفة من الوحدة السياسية ، بل انها فى أكثر من عهد بدت جميعا دولة واحدة . وقد تكلم هؤلاء العرب ــ فى شبه الجزيرة العربية ــ لغة سامية تنبع من أصل واحد وأن اختلفت بعض لهجاتها ، وهذه المجموعة البشرية قد اتبعت أبجدية تنبع من أصل واحد ، اذ أن مارتن سبرنجلنج يرى ــ ويجاريه فى ذلك كثيرون ــ أن الابجدية السينائية ، وهى أبجدية نقلت

فكرة التدوين من الهيروغليفية ، قد انتقلت الى سوريا وشبه جزيرة العرب ، ومنها نشأت الابجدية الفينيقية الهسامية ، التى هى أصل الابجديات السامية ومنها العربية ، وكان ذلك منذ أوائل الالف الثانية قبل الميلاد (حوالى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد) ٠

وأقدم ذكر للعرب ـ اكتشف حتى الآن ـ ثابت فى نقش يعود الى الملك الأشورى شلمنصر الثالث الذى أراد فى عام ٨٥٤ ق٠م أن يضم منطقة دمشق الى دولته ، أى الى العراق ، اذ أشير فى بيان تفصيل هذه الحملة الى الشيخ «العربى» الذى كان حليفا لملك «أرام» أى دمشق ٠ (١)

وهؤلاء العرب قد عرفوا بهذا الاسم فى الأدب الأغريقى ، على أنهم أهل شبه جزيرة العرب والجزء الشرقى من وادى النيل فى مصر ، اذ ذكرهم هيرودتس (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق٠م) بهذا الاسم وبهذه الصفة أى منذ نحو ألفين وخمسمائة عام ٠ (٢)

وهؤلاء العرب اتخذوا فى الكتابة خطا واحدا ثبت علميا أنه يعود ، على الاقل ، الى القرن الخامس قبل الميلاد ، و « المسند » وهو خط الحميريين فى جنوب شبه الجزيرة العربية الذين نشأت دولتهم فى عام ١١٥ قبل الميلاد قد استعمله من قبلهم السبئيون الذين نشأت دولتهم عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ٠ وقد تجاوز هذا الخط شبه الجزيرة العربية الى مصر فعثر فى قنا على كتابة بهذا القلم كما عثر فى الجيزة على كتابة أخرى تعود الى عهد بطليموس بن بطليموس أى الى القرن الثالث قبل الميلاد ، هؤلاء العرب هم الذين ينتمون الى :

١ ـ جمهورية مصر العربية	(ثمانية وثلاثون مليون نسمة)
٢ ـ الجمهورية العربية السورية	(سبعة ملايين)
٣ ـ الجمهورية العراقية	(أحد عشر مليونا)
٤ ـ المملكة العربية السعودية	(تسعة ملايين)
٥ ـ المملكة الاردنية الهاشمية	(مليونان ونصف مليون)
٦ ـ جمهورية لبنان	(ثلاثة ملايين)

---

(١) فيليب حتى ، لندن ، ١٩٥٣ ، ص ١٧

The Arabs : A Short History, Macmillan.

(٢) ١٩٤٧ ، ص ١٨٥ G. Rawlinson : The History of Herodotus.

وقد جاء فى وصف هيرودتس « ان العربية هى أقصى الاراضى المسكونة جنوبا وهى البلاد الوحيدة التى تنتج العطر والمر واللبخ والقرفة » .

٧ ـ الجمهورية العربية اليمنية (ستة ملايين ونصف مليون)
٨ ـ الجمهورية العربية الليبية (مليونان ونصف مليون)
٩ ـ جمهورية السودان الديموقراطية الشعبية
(سبعة عشر مليوناً)
١٠ ـ مملكة المغرب (ستة عشر مليونا ونصف مليون)
١١ ـ الجمهورية التونسية (خمسة ملايين ونصف مليون)
١٢ ـ دولة الكويت (مليون)
١٣ ـ الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
(ستة عشر مليونا)
١٤ ـ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية
(مليون ونصف مليون)
١٥ ـ دولة البحرين (ربع مليون)
١٦ ـ دولة قطر (خمس مليون)
١٧ ـ سلطنة عمان (مليون)
١٨ ـ دولة الامارات العربية المتحدة (ثلث مليون)
١٩ ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية (مليون وربع مليون)
٢٠ جمهورية الصومال الديموقراطية الشعبية (ثلاثة ملايين)

الى جانب « فلسطين » ، اغتصبت اسرائيل أراضيها في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وتمثلها منظمة التحرير الفلسطينية (ثلاثة ملايين وربع مليون)

هؤلاء هم العرب الذين وصفهم بعض المؤرخين الامريكيين المحدثين بأنهم « سبق لهم أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني طوال ألفي سنة على الاقل قبل أيام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريبا وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم في المستقبل القريب أو البعيد » (١)

---

(١) « جورج سارتون » ، « حضانة الشرق الاوسط للثقافة الغربية » من كتاب « الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين » ، ترجمة عمر فروخ ـ ص ٥٥ .

الهيئات التي تباشر نشـــاطا خارج نشاط الدول متسما بطابع العروبة :

وهؤلاء العـرب الذين انتفض احساسهم بكيانهم القومي وماضيهم التاريخ في فترات متعاقبة من فترات هذا التاريخ تبينوا أن هناك أكثر من عامل واحد يسوغ وحدتهم ـ بشكل أو بآخر ـ ويفرض حتمية هذه الوحدة • وهداهم وعيهم القومي في بادئ الامر الى أن تتخذ هذه الوحدة شكل وحدة اسلامية أو حركة من حركات التحرر الاسلامي ، وقد نشأت مبادئ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن علي السنوسي على أساس الدعوة الى تنقيـة الدين الاســلامي من العناصر الأجنبية الدخيلة • ولم تلبث هذه الحركة الدينية ان تحولت الى تيار سياسي يهدف الى تحرير العرب من ربقة الحكم الأجنبي • وشهد العالم في نهاية القرن التاسع عشر آثار هذه « الوطنية » الناشئة في شكل حركة تدعو الى انشــاء « رابطـة اسلامية » لم يشك أحد في سمتها السياسية • ويكفي ـ في هذا الصدد ـ الرجوع الى كتابات جمـال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي •

وكانت الدولة العثمانية في فجر القرن العشرين تتحكم ـ من وجهة النظر الدولية على الأقل ـ في معظم الاقطار العربية •

فلما انتقضت دولة الخلافة وهي تركيا على فكرة التضامن الاسلامي في أوائل القرن العشرين بالترويج لفكرة الوحدة الطورانية أي الفكرة التي تستند الى « العرق » أو « العنصر » كاساس للوحدة دون النظر الى أي اعتبار اتخـذت فكرة الوحدة عند العـرب اتجاها آخر فتحولت حركة الوحدة الاسلامية الى حركة تدعو الى الوحدة العربية • وقد بذل الضباط العرب في الجيش التركي والطلبة العرب في الجامعات والمعاهد الاجنبية نشاطا كبيرا لدعم هذه « القومية » الشابة التي تهدف الى تحرير العرب ـ دون تمييز بسبب العقيدة الدينية ـ من الســيطرة العثمانية رغم أن سلطان تركيا ظل خليفة المسلمين الذين يكونون الغالبية العظمى من المنادين بالوحدة العربية •

وقد لعبت الهيئات التي تباشر نشاطا خارج نشاط الدول متسما بطابع العروبة سواء كانت هيئات علنية أو سرية دورا هاما في الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى مســتهدفة تحرير الوطن العربي من السيطرة الاجنبية وداعية العرب الى الوحدة •

الدول تعترف بالامة العربية فى عام ١٩١٨ :

وعند اعلان الحرب العالمية الاولى اعترف ـ لاول مرة ـ بحق العرب فى الاستقلال والوحدة خلال المراسلات التى تبودلت من ١٤ من يوليو سنة ١٩١٥ الى ١٠ من مارس ١٩١٦ بين الحكومة البريطانية يمثلها سير هنرى مكماهون ، وحسين بن على شريف مكة . وقد أيدت هذه المراسلات بالرسالة التى وجهتها الحكومتان البريطانية والفرنسية الى الشريف حسين بواسطة الكوماندر « هوجارت » بالمكتب العربى فى القاهرة فى يناير ١٩١٨ وهى الرسالة التى جاء فيها :

« ان دول الحلفاء مصممة على أن تتاح للشعب العربى فرصة كاملة لاستعادة كيانه كأمة فى العالم وهذا لا يتيسر تحقيقه الا بوساطة العرب أنفسهم باتحادهم ، وستتبع بريطانيا العظمى وحلفاؤها سياسة ترمى الى تحقيق هذه الوحدة » (١)

وقد قرر مستشرق فرنسى انه منذ عام ١٩٣٣ لاحظ روبير مونتانى ، الذى كان اذ ذاك مديرا للمعهد الفرنسى بدمشق ، فى الشرق العربى وحدة عميقة فى الآمال والاتجاهات وتجاوبا وثيقا فى الحركات كما انه قد ولدت فكرة مجد توسعى عربى يلتمس الوحى من الماضى ... أو تعمل جاهدة على أن تربط فى الحاضر كل الحركات الوطنية التى انبثقت متفرقة فى مختلف البلاد الشرقية » (٢) .

كما ان أحد رجال السياسة الانجليز أراد ان يتابع الاحداث السياسية فى الشرق العربى فذهب الى ان « الثقافة العالمية التى تألق فيها مجد الحضارة العربية ثم هجرت فى قرون الضعف الأخيرة قد عادت الى تبوء مكانتها القديمة ، فعن طريق السينما العالمية والصحافة العالمية تكونت صورة جديدة فى عقول الشبان بينما عملت حركة التصنيع على تغيير نمط الحياة التى يحياها من هم أكبر سنا .. ان العرب قد تحرروا تاريخيا من السيطرة العثمانية وقد تبلور وعيهم عن مصير جديد على أرضهم التى تكون جسر الطريق البرى القديم الذى كان يربط بين الشرق والغرب والذى أصبح الآن مفرق الطرق الجوية وطرق الزيت مما

---

(١) الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ، ١٩٥٧ ، ص ٧٧ .

(٢) Pierre Rondot : Destin du Proche-Orient, Centurion. باريس ، ١٩٥٩ ، ص ١١٧ — ١١٨ .

اكسبه أهمية عالمية جديدة · والدول العربية العديدة تنتهج ـ سياسياًـ سبلا منفصلة ولكن خلف الواجهة الفسيفسائية المختلفة الالوان تكمن روابط الدم المشترك واللغة المشتركة وسيطرة وجهة نظر تاريخية ودينية مشتركة · ان العرب المثقفين يشتاقون بطبيعة الحال الى تحقيق الأمل فى اتحاد سياسى كامل بين الدول العربية وهم يدركون أنهم ليسوا ورثة امبراطورية عربية فحسب بل ورثة الامبراطورية التى سيطرت ذات يوم على كل العالم المتحضر » (١) ·

وقد دعم التصريح البريطانى ـ الفرنسى الصادر فى يناير ١٩١٨ مرة أخرى فى ٩ من يونيو ١٩٣٩ عندما دعا وزير الخارجية البريطانية الدول العربية المستقلة للاشتراك فى مؤتمر لندن الذى عقد لبحث المسألة الفلسطينية (٢) ·

وعندما أعلنت الحكومة البريطانية تصريحها فى ٢٩ من مايو ١٩٤١ الذى اعترفت فيه بأن « الكثيرين من المفكرين العرب يرغبون فى أن يتحقق للشعوب العربية قدر من الوحدة أعظم من القدر الذى تتمتع به الآن ولا يجب ألا يجد مثل هذا النداء من أصدقائنا جوابا ويبدو طبيعيا وحقا ان الصلات الثقافية والاقتصادية بين البـــلاد العربية والصـــلات السياسية أيضا يجب أن تتقوى » (٣) · وقد اتخذت هــذه الاتجاهات السياسية شكل اقتراح عملى تقدمت به الحكومة العراقية يقضى بمـــا يلى :

١ ـ أن يعاد توحيد سوريا ولبنان وفلســطين وشرق الاردن فى دولة واحدة ·

٢ ـ أن يبت سكان هذه الدولة أنفسهم فى نوع الحكومة التى تتخذها هذه الدولة سواء كانت ملكية أم جمهورية وأيضا سواء كانت وحدة أم اتحادا « فيديراسيون » ·

٣ ـ ان تنشأ عصبة عربية تنضم اليها العراق وسوريا فورا على

---

(١) Bertram Thomas : The Arabs. لندن ، ١٩٣٧ ، ص ٢٣٧ ـ ٨ ·

(٢) S.C. Hurewitz : Diplomacy in the Near and Middle East. برنستون ، ١٩٥٦ ، ص ٢٣٦ ·

(٣) N. Barbour : Nisi Dominus : A Survey of the Palestine Controversy, Harrap and Co.
لندن ، ١٩٤٦ ، ص ٢١٢ ·

ان يباح للدول العربية الاخرى الانضمام اليها متى شاءت . (١)

جامعة الدول العربية ، ١٩٤٥ : منبر للعروبة

وبرزت « العروبة » - كقاعدة من القواعد التى تنظم العلاقات الدولية العربية - بوضوح عندما تطورت تطورا جديدا شاملا بتوقيع مصر واليمن وسوريا والاردن والعراق والعربية السعودية ولبنان لبروتوكول الاسكندرية فى ٧ من أكتوبر ١٩٤٤ الذى أعدته اللجنة التحضيرية لجامعة الدول العربية والذى نص على أنه :

« اثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها ، وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الاقطار العربية ، قد اجتمعوا فى الاسكندرية فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتى :

أولا - جامعة الدول العربية :

تؤلف جامعة الدول العربية المستقلة من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة ، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات ، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها ، وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها » .

وفى ٢٢ من مارس ١٩٤٥ وقعت الدول العربية المستقلة السبع : مصر والسعودية وسوريا ولبنان والعراق والاردن واليمن ميثاق جامعة الدول العربية الذى نصت المادة الثانية منه على أن :

« الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها »

(١) الكتاب الازرق ، الاتحاد العربى ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

وقد قررت الدول الموقعة على الميثاق فى ملحق خاص بفلسطين أنه :

« الى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله » .

وفى ١١ من مايو ١٩٤٥ دخل ميثاق جامعة الدول العربية فى دور التنفيذ ، وقد ذهب بعض المستشرقين الفرنسيين فى أول الامر الى أن الجامعة تبدو كمنبر مقدم للعروبة يتيح لها تنمية نفوذها فى الشرق ووزنها السياسى فى الخارج أكثر منها كمجموعة قوى متحالفة تخضع لتوجيه موحد (١) ، ولكن مستشرقا ألمانيا قرر وهو يستعرض الخطوات السابقة على توقيع ميثاق جامعة الدول العربية أن الوطنيين العرب كانوا يرغبون فى جمع كل الشعوب التى تتكلم العربية فى ظل نظام يحقق وحدتهم تحت مختلف اشكال هذه الوحدة وعلى الاخص الوحدة السياسية فلم يوفقوا فى تحقيق هذا المثل الاعلى فى نهاية الحرب العالمية الاولى لان البلاد العربية كانت اذ ذاك ممزقة كما كانت تعوزها روح الوحدة التى تجمع شملها ، ولكن هذا المثل الاعلى المتعلق بالوحدة قد غذته الاتصالات الادبية والاتصالات الشخصية بين المثقفين ورجال السياسة بفضل الاتجاهات والمشاكل المشتركة التى تعانيها كل البلاد العربية كالكفاح ضد السيطرة الاجنبية ..وكانت المفاوضات التى طالت مدتها سرية .. ومصر التى كانت بمعزل عن حركة الوحدة العربية أصبحت نصل الرمح فى طليعة هذه الحركة (٢) .

وبين ٣١ من أكتوبر ١٩٥١ و ١١ من أكتوبر ١٩٥٣ صدقت الدول العربية السبع المستقلة على ميثاق الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى الذى نصت مقدمته على ان الدول الموقعة « رغبة منها فى تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية حرصا على استقلالها ومحافظة على تراثها المشترك ، واستجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولأهدافها » كما نصت مقدمة الميثاق .

---

(١) روندو ، نفس المرجع ، ص ١٤١ .

(٢) C. Brockelmann : Histoire des Peuples et des Etats Islamiques, Payot.

باريس ، ١٩٤٩ ، ص ٤٢٤ .

الوحدة العربية قاعدة قانون عام عربي :

وقد تجاوزت فكرة الوحدة العربية مرحلة العقيدة المذهبية والدعوة المثالية الى طور التبلور كقاعدة من قواعد القـــانون العـــام الداخلي في الدول العربية منذ عام ١٩٥٠ ٠

ففي ٥ من سبتمبر ١٩٥٠ صدر الدستور السوري الذي نصت مقدمته على أن « الشعب السوري الذي هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله ، يتطلع الى اليوم الذي تجتمع فيه أمتنا العربية في دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة » ٠

وهذه القاعدة من قواعد القانون العام التي طبقت دســـتوريا في الشرق العربي دعمت بصدور الدستور الاردني الثالث في أول يناير سنة ١٩٥٣ الذي نص على أن :

« المملكة الاردنية الهاشمية دولة عربية ٠٠ والشعب الاردني جزء من الامة العربية » ٠

ثم رسخت هذه القاعدة من قواعد القانون العام العربي في الدستور المصري الذي صدر في ١٦ من يناير ١٩٥٦ والذي نصت مقدمته على ما يلي :

« نحن الشعب المصري الذي يشـــعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربي الكبير ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الامة العربية ومجدها » وقد قرر رئيس الجمهورية في الخطاب الذي قدم به مشروع الدستور :

« ان الكيان العربي يمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، كلنا شعب واحد ٠٠ نكافح جميعا متحدين متكاتفين ٠٠ من أجل حقنا في الحرية ومن أجل حقنا في الحياة ، نكافح جميعا ضد الاستعمار وضد اعوان الاستعمار ٠

نحن نعلن عروبتنا الحقيقية وتعلن تماسكنا مع العرب جميعا ٠٠ »

العروبة قاعدة من قواعد العلاقات
الدولية الوحدوية بين الدول العربية

وقد دخلت هذه القاعدة من قواعد العلاقات الدولية العربية دور التنفيذ ـ بعد تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا على أساس الاســتفتاء

الذى تم فى ٢١ من فبراير ١٩٥٨ ـ بتـوقيع جمهورية مصر العربيـــة لميثاق « الدول العربية المتحـــدة » بالقـاهرة مع اليمن فى ٨ من مارس ١٩٥٨ اذ نص هذا الميثاق على أن :

« ينشأ اتحاد يســـمى الدول العربية المتحدة يتكون من الجمهورية العربية المتحـــدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التى تقبـل الانضمام الى هذا الاتحاد » ·

وقد عقب الشراح العرب على هذا الميثاق بأن التاريخ يعلمنا أن الاتحـــاد « الكونفيدرالى » بين الدول الذى على نمط « الدول العربية المتحدة » قد تطور فى كثير من الحالات الى شكل من أشكال الوحدة أكثر اندماجا كشـــكل الدولة الاتحادية « الفيديرالية » بل تطور فى حالات معينة الى شـــكل الدول المتحدة ، فالولايات المتحدة فى « هولندا » بين ١٥٨٠ ، ١٧٨٥ قد أصبحت دولة متحدة ، وسويسرا التى كانت مجموعة دول يجمعها اتحاد « كونفيديرالى » طبقا لمعاهدة « وســـتفالى » ثم طبقا لقرارات مؤتمر فيينا قد تحولت الى دولة اتحادية « فيديرالية » رغـم أنها ظلت تحتفظ باسم « الكونفيديراسيون » طبقا لدستورى ١٨٤٨ ، ١٨٧٤ ، والولايات المتحـــــدة الأمريـكية التى عاشـــت فى ظـــل « كونفيديراسيون » من ١٧٧٦ ، الى ١٧٨٧ أقـــرت فى « فيلادلفيا » دستورا اتحاديا « فيديراليا » ، وهذا التطور للاتحاد « الكونفيديرالى » بين الدول الى شكل الدولة « الفيديرالية » كثيرا ما شجعه تحقق شروط معينة للتجانس والتشابه » (١) ·

ونرى هنا ان نضيف ان العلامة « ســـيل » يذهب الى ان الدولة ليست اطلاقا ظاهرة قانونية من نوع خاص وانما هى لا تعدو ان تكون فترة فى تطور الجماعة الانسانية · درجة من درجات سلم النظم القانونية التى بدأت من الأسرة البربرية وانتهت الى الجمـــاعة العالمية التى ينظم القانون الدولى العلاقات بينها مارة بالمدينـة فالولاية فالدولة التى كانت تتبع الى حد كبير نظام اللامركزية ، فالدولة « الكونفيديرالية » فالدولة الاتحادية الفيدرالية « فعصبة الأمم » (٢) ·

---

(١) د · خيرت سعيد ـ المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٢ ·

(٢) Scelle : Le Droit Constitutionnel International, Mélanges R. Carré de Malberg.

باريس ، ١٩٣٣ ، ص ٥١٠ ·

وقد لاحظ مستعرب بلجيكي ان هناك شيئا أهمل الغرب أدراكه في الشرق الأوسط ، فحتى نهاية الحــرب العالمية الثانية كانت كلمتا « الاستقلال » و « الحرية » تؤديان هناك معنى « محليا » بحتا ، أى معنى خاصا بالمنطقة التى تتردد فيها هاتان الكلمتان لأن العرب كان يعنيهم تحرير منطقة معينة من غاز معين ، ولكن منذ ذلك الوقت ، ودون أن يود الغربيون أن يدركوا ، تطور مفهوم الحرية لأنه كلما نما هــذا المفهوم امتزجت به أولا أفكار الوحدة التى كانت تقوى وتشـتد تدريجيا حتى انتهى الأمر الى المناداة بحرية الشعب العربى بأجمعه ، سواء أراد الغرب أو لم يرد فان هذه الحرية تتقدم وهذه الوحدة فى طريق التحقق مسجلة نهاية الأشكال القديمة لسيطرة الغرب (١) •

مـذهب الوحـدة العربيـة فى نظـر المستعربين ورجال القانون الأوروبيين :

ذهب مستعرب سويسرى ، بعد أن استعرض تاريخ الوحدة العربية وميثاق جامعة الدول العربية ونزول الرســالات الالهية فى الشرق العربى ، الى أننا « اذا درسنا بلا تحيز هذه الثورات الدينية الكبرى فى التاريخ فاننا نذهل أمام الصلابة الثابتة التى تبدو عبر هذه الثورات فى الروح النبوية سجية هذه الأسر الشرقية التى حملت أعباء الرســالات الروحية • والعرب يستطيعون على أية حال أن يستمدوا من هذا التاريخ ما يزهون به عن جدارة فى الماضى وما يؤكد لهم شرعية كفــاحهم فى المستقبل ، وتاريخ الخمسين عاما الأخيرة على الأخص يبرز لنا هــذه الشعوب من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى فى مرحلة انطلاقها التام ونهضتها العظيمة التى تسير قدما مع الزيادة الكبيرة فى عدد السكان ، وعلى أية حال ففى خلال الأربعين عاما الأخيرة انطلقت القومية العربية انطلاقا عظيما وهى تكون ــ مع الشعور الدينى ــ القوة الايجابية والطاقة الجديدة للروح الشرقية ، وهنا تكمن حقيقة يجب ادراكها ، ان القومية العربية فى صميمها روحية صوفية » (٢) •

ولاحظ مستعربان فرنســيان أخيرا أنه اذا صادف عــدد كبير من

(١) Jean Wolf : La Résurrection du Monde Arabe. بروكسل ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧١ •

(٢) Jean Lugol : Le Panarabisme. القاهرة ، الكاتب المصرى ١٩٤٦ ، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٦ •

الدول التى تكونت تكونا ارتجاليا صعوبات ناشئة من عدم تجانس شعوبها وبسبب افتقارها الى تقاليد سياسية تدعم كيانها فان هذه الصعوبات لا وجود لها فى العالم العربى الذى يتكون من « أمة » والذى له ماض سياسى مجيد . فالبلاد العربية تكون أسرة سياسية معينة تتغلب فيها عناصر التجمع على عوامل الفرقة ، وهذا التجمع تبرره بوضوح حضارة شاملة تسم هذه البلاد بنفس « الطابع العربى » أكثر مما تبررها الاعتبارات الجغرافية ، وفى حالة هذه الدول العربية يبدو حتميا ان يجمعها نطاق دولى واحد لأن فكرة الوحدة والادراك المشترك للعلاقات الدولية يتسلطان عليها ، وهى لذلك تجاهد للتجمع بجهود جماعية لا تتوقف عن القيام بها وتكرار محاولة تحقيقها . فى انتظار ساعة « الوحدة العربية » (١) .

وقد حلل بعض كبار أساتذة العلوم السياسية القومية العربية خلال الأعوام الأخيرة فاستندوا الى رأى « بييروندو » فى أنها مقسمة بين العروبة الموحدة التى تدعو الى الوحدة العربية الشاملة والوطنيات المحلية الخاصة بمناطق معينة ، والى هذه القومية تنضم قومية اسلامية ترمى اما الى انشاء دولة اسلامية واحدة أو عدة دول اسلامية تدين بالاسلام ، وهذه القومية تمتد فى كل المنطقة العربية وفى العالم الاسلامى وفى معظم القارة الأفريقية ، وأشاروا الى أن مصر قد أكدت وحدة وسيادة الشعب العربى وأن العرب أمة واحدة وان المصريين جزء من الوطن العربى الكبير الذى يمتد من شواطىء الأطلسى الى جبال الموصل ، وليس ضروريا أن تكون عقيدة ما جديدة أو ثورية حقا لكى تترك طابعا عميقا فان حوادث السويس (١٩٥٦) قد أثبتت كل قوة المشاعر الوطنية فى جماهير العمال والبورجوازيين المتطورين على السواء » . (٢)

الوعى القانونى الخاص بمنطقة معينة :

وأما بشأن وجود علاقات دولية عربية وحدوية فمن الأفضل ان نبدأ باستعراض القاعدة التى تقرر أنه ما من وعى قانونى بدون قانون وما من قانون بدون وعى قانونى .

---

(١) Flory et Mantran : Les régimes politiques des pays arabes, Presses Universitaires.

باريس ، ١٩٦٨ ، ص ٦ — ٨ .

(٢) Touchard, Bodin, Jeannin, Laveau et Sirinelli : Histoire des Idées Politiques, Presses Universitaires.

باريس ، ١٩٥٩ ، ص ٨٣٧ — ٨ .

والواقع المشاهد فى حياة الشعوب ان الوعى القانونى لكل شعب هو الذى يتولد عنه القانون الوطنى كما ان الواقع المشاهد فى الحياة الدولية أنه اذا اشتركت كل الدول فى وعى قانونى فأنه يتولد عنه « قانون الأمم » droit des gens ، واذا وجد وعى قانونى خاص بمنطقة معينة أو بمجموعة معينة من الدول فان هذا الوعى يتولد عنه قانون خاص بهذه المنطقة أو بهذه المجموعة وهو قانون يجب ان يحسب القانون الدولى العالمى حسابه (١) ·

الجماعة الدولية وجماعة الدول :

ويرى « سيل » ان الأفراد وحدهم هم « موضوعات » القانون · وقد قاده الى هذه النظرية ان نفس طابع القاعدة القانونية التى لا يمكن أن تكون الا أمرا أو نهيا موجهين الى أشخاص ذوى وعى لهم ارادة ذاتية وأن الجماعة الدولية مكونة من أفراد فحسب وأن مما يميز الجماعة الدولية société internationale عن جماعة الدول société étatique أن الأفراد الذين تضمهم الجماعة الدولية ينتمون الى جماعات دول مختلفة · ويستبعد « سيل » الرأى السائد القائل بأن « الجماعة الدولية » مكونة بواسطة الدول باعتبار أن هذا الرأى خطأ مبنى على فكرة تشبيه الشخصية المعنوية للدولة تشبيها خياليا بالانسان (٢) ·

وتسرى فى الجماعات الدولية الجزئية المختلفة اى التى تضم أجزاء من الجماعة العالمية نظم قانونية ملائمة · ويلاحظ فى الواقع داخل الجماعة الدولية العالمية أو المسيحية بل وقبل أن تبرز هذه الجماعات الى عالم الوجود أنه قد تكونت مجموعات من الشعوب أو الدول تحقق التقارب بينها لظواهر تضامن أكثر توثقا مما بينها وبين مجموعات أخرى بسبب الاشتراك فى الأصل أو فى الجنس ، أو بسبب التجاور الجغرافى وعلى الأخص بسبب كثافة حجم التبادل التجارى الدولى وهو ما يعبر عنه فى القانون الدولى الأوروبى أو الأمريكى بالاتفاقات الاقليمية داخل النظام القانونى الدولى الشامل (٣) ·

---

(١) A. Alvarez : Le Droit International Nouveau, Pédone. باريس ، ١٩٥٩ ، ص ٩٩ ·

(٢) M.N.L. Savelberg : Le Problème du Droit Int. Américain Stols, Vitgever. لاهاى ، ١٩٤٦ ، ص ٣٢ ، وقد استند على « سيل » : القانون الدستورى الدولى .

(٣) Scelle : Cours de Droit International Public. باريس ، ١٩٤٨ ، ص ١٩ ·

وقبل أن نبحث العلاقات بين الدول العربية : أسـاسها والوقائع التى تنطوى عليها والمبادىء التى تحكمها يحسن أن نحاول ـ قبل كل شىء آخر ـ تصويب ما يذهب اليه الكثيرون عند دراسة العلاقات الدولية من الجزم باطلاق وعالمية جميع القواعد التى يتضمنها القانون الدولى (١) ٠

مكان النظام القانونى الاسلامى والحضارة الاسلامية بين الأشكال الكبرى للحضـــارة والنظم القانونية الرئيسية فى العالم :

وقد قدمت وفود الدول الاسلامية فى الشرق الأوسط مذكرة عن المادة ٩ من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية والمكان الذى يشغله النظام القانونى الاسلامى وتشغله الحضارة الاسلامية بين الأشكال الكبرى للحضـــارات والنظم القـانونية الرئيسية فى العالم وجاء فى هـــذه المذكرة :

١ ـ ان النظام القانونى الاســـلامى نظام لاشك فى أصـــالته واستقلاله واضح سواء كنظام قانونى تحكمه بصفة رئيسية عبقرية خاصة بجماعة انسانية تتميز تميزا تاما عن تلك الجماعات التى بلغت فيها نظم قانونية أخرى مرحلة نضوج قواعدها ٠ وقد قدم الأساتذة الذين مثلوا مصر فى المؤتمر الثانى للقانون المقارن مذكرة أوضحوا فيها هذه النقطة المسلم بها علميا وتاريخيا عن طريق دراســـة لنطاق نشـــاط العناصر التى يتكون منها النظام الاسلامى والتطور الذى أنشـأ النظام القانونى الاسلامى ٠

ولا نجد خيرا من ايجاز هذه المذكرة التى تقرر أنه لا يجب قط خلط الدين الاسلامى والقانون الاســـلامى ، اذ أنه لم يكد ينقضى عصر الاسلام الأول حتى ساهم تقدم علم القانون كما ساهمت تنمية العلاقات القانونية فى حل العناصر المعقدة التى تكون منها النظام الاسلامى العام وبذلك انفصل الاحساس بالايمان عن القواعد القانونية ٠ فالايمان وهو موضوع علم قائم بذاته هو علم « الكلام » أصبح متميزا عن علم القانون وهو « الفقه » الذى يضم قواعد المعاملات والتصرفات ٠ حقا ان القانون قد تطور فى النطاق العام الذى رسمه الدين ولكن مهما كان أثر الدين

---

(١) Alvarez : Le Droit Intl. Américain. باريس ، ١٩١٠ ، ص ٢٦٥ ٠

فان القانون قد احتفظ فى نفوس الجميع بنظام مستقل ذى طابع دنيوى على الأقل فيما انتهى اليه من احكام ٠

ان المادة ٩ من لائحة محكمة العدل الدولية الدائمة تنص على أنه :

« فى كل انتخاب ، على الناخبين أن يراعوا ألا تتوافر فى الأشخاص الذين سيدعون للاشـــتراك فى المحكمة ، منفردين ، الشروط المطلوبة فحسب بل انهم يكفلون ، مجتمعين ، تمثيل الأشكال الكبرى للحضارة ولنظم العالم القانونية الرئيسية » ٠

ان واضعى اللائحة فى صياغة هذه المادة قد قصدوا بالتأكيد بين ما قصدوه تمثيل الحضارة الاسلامية والنظام القانونى الاسلامى ، وبهذا المعنى وجهت حكومات الدول الاسلامية فى الشرق الأوسط الى أمين عام عصبة الأمم رسائل فى سبتمبر ١٩٣٩ جاء فيها أنه لا يمكن الجدل فى ان الحضارة الاسلامية بما لها من ماض مجيد وحاضر مشرق تكون شكلا من الأشكال الكبرى للحضارة ٠ ومن جهة أخرى فان القانون الاسلامى الذى يحكم جزءا هاما من سكان الكرة الأرضية نظام قانونى مستقل له مصادره الخاصة كما ان له كيانه وادراكاته الخاصة ٠ (١)

ميثاق الأمم المتحدة يقر القانون الدولى الاقليمى الخـــاص بمنطقـــة معينـــــة :

ويسير ميثاق الأمم المتحدة فى الفصل الثانى الخاص بالتنظيمات الاقليمية فى المواد من ٥٢ الى ٥٤ شوطا أبعد من الشوط الذى ســـاره ميثاق عصبة الأمم فى الاعتراف بضرورة قانون دولى خاص بمنطقة معينة لحل المنازعات الاقليمية كما ان هذا الميثاق يقبل اســـتقلال التنظيمات الاقليمية بتدبير الحل السلمى للمنازعات المحلية (المادة ٥٢) ويجعل — الى حـد ما — الالتجاء الى هـذه التنظيمات الاقليمية الزاميا قبل الالتجاء الى الهيئات العالمية التى نص عليها الميثاق ، والواقع ان الفقرة الثانية من المادة ٥٢ من الميثاق تنص على أن :

« يبذل أعضاء الأمم المتحدة الداخلون فى مثل هذه التنظيمات أو الذين تتألف منهم تلك الوكالات كل جهدهم لتدبير الحل الســـلمى للمنازعات المحلية عن طريق هذه التنظيمات الاقليمية أو بواسطة هـذه الوكالات الاقليمية وذلك قبل عرضها على مجلس الأمن » ٠

(١) المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٥ ، ص ٢٤٨ — ٢٥٢ ٠

واذا كان لهذه الكلمات معنى فانها تعنى ان ميثاق الامم المتحدة يقر وجود قانون أو عدة قوانين دولية ذات طابع خاص أو اقليمى تكون لاحكامه أسبقية على أحكام الأجهزة التى نص عليها القانون الدولى العالمى لتدبير الحل السلمى للمنازعات المحلية أى أن الميثاق يقر بوجود القانون الدولى الأمريكى (أو العربى) بكل النتائج القانونية التى ينطـوى عليها . (١)

مقومات العلاقات بين الدول العربية

(أ) الوقائع :

الوقائع التى تنطوى عليها العلاقات بين الدول العربية هى :

١ ــ من أسبانيا الى حدود ايران نشر هذا العالم العربى خيرات وعظمة حضـارة متميزة عن الحضـارة الأخرى التى انبثقت من الشـعوب الاسلامية الأخرى . (٢)

٢ ــ اللغات المتعاقبة التى تحدثت بها شعوب هذه المناطق العربية قد اختفى بعضها ومات البعض الآخر ولم تبق الا اللغة العربية وحدها وهى وحدها التى تعكس الروح السـامية بافكارها وأحلامهـا وانفعالاتها ، ولم تعد هذه اللغة ملكا لجماعة انسانية معينة تعتنق دينا معينا أو لغة دين معين بل أصبحت ذمة مشتركة يستطيع كل عربى أن يكون له فيهـا نصيب مسـاو لنصـيب أى عـربى آخر . (٣)

٣ ــ اللغـة العربية وهى لغة الرسالة الالهية يجب أن تستخدم لانقاذ العالم (٤) وقد آمنت الأمة العربية بضرورة أن تعيش موحدة فى وطن واحد متحررة من كل سيطرة أجنبية صهيونية أو استعمارية

---

(١) M. Yepes : Introduction à l'Etude du Droit Intl. Américain, Extrait de la Rev. Générale de Droit Intl. Public.
باريس ، اكتوبر ــ ديسمبر ، ١٩٥٢ ؛ ص ٨ .

(٢) « وولف » ؛ نفس المرجع ، ص ١٦ .

(٣) ك . ت . خير الله
Le Problème du Levant, Les Régions Arabes Libérées.
باريس ، ١٩١٩ ، ص ١٥ .

(٤) « وولف » ، نفس المرجع ، ص ٢٣ مستندا على L. Massignon

سيدة مواردها الطبيعية للمساهمة ايجابيا فى تحقيق السلم العالمى .

٤ ـ ان الأمة العربية قد حققت فعلا وحدتها السياسية مرتين خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة احداها وحدة كاملة بين عامى ٦٨٠ ، ٩٧٠ والأخرى جزئية بين عامى ١٨٢١ ، ١٨٤١ .

٥ ـ كان الشرق العربى كله ـ ماعدا مراكش فى أقصى الشمال الغربى وعمان فى أقصى الجنوب الشرقى ـ خاضعا للسيطرة العثمانية منذ القرن السادس عشر ولما كان حرصه على استقلاله قد دفعه الى التخلص من السيطرة العثمانية فانه لا يقبل اطلاقا أية سيطرة أجنبية أخرى (١) .

٦ ـ ان جميع الشعوب العربية تتطلع الى الوحدة والى استعادة كيان الأمة العربية وقد أصبح تضامن الدول العربية محسوسا بمجرد الاطلاع على الصحف المحلية العربية التى يمتد دائما أفقها الاعلامى الى نطاق واسع ، ويبرز هذا التضامن بانتقال العرب الذى لا ينقطع بين البلاد العربية ويسر استيطانهم فى بلد أو آخر ، وتعبر عن هذا التضامن فكرة عقائدية مشتركة تعمل على أن تثير فى كل مكان بالوطن العربى رد فعل موحدا ومتبادلا فى النطاق السياسى والثقافى والدينى (٢) .

٧ ـ ان البلاد العربية ترغب الآن فى أن تنشىء دولة واحدة أو عدة دول ذات جنسية عربية تربط بينها علاقات وثيقة ، والمجموعة العربية تمارس فى الحياة الدولية نفوذا متزايدا (٣) .

٨ ـ ان الاسلام قد جاء بحضارة وثقافة اعتنقها المسلم وغير المسلم على السواء فصبغت حياتهم بصبغة واحدة وقربت بين قلوبهم ووحدت بين أهدافهم وأوجدت بينهم هذه القومية المشتركة التى يدينون بها بالولاء لوطنهم الأصغر والأكبر ، وأوجدت ذلك التفاعل العقلى والنفسى والبيئى بين مجموعة من الشعوب انتظمتهم فكرة واحدة

---

(١) L. Stoddard : Le Nouveau Monde de l'Islam, Payot. باريس ، ١٩٢٣ ، مستندا على Henri de Chambon مدير « المجلة البرلمانية » الذى اشير اليه فى كتابه Beckles Wilson الذى سماه Our Amazing Syrian Adventure

(٢) « روندو » ؛ نفس المرجع ، ص ١١٧ ، مستندا على : Robert Montagne

(٣) باريس ، ١٩٥٩ ؛ ص ١٨ Alvarez : Le Droit Intl. Nouveau, Pédone.

وهدف واحد وأوجدت ذلك التشابه بينهم فى الأوضاع الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية والثقـافية على السواء وأبرزت تلك الملامح المتقاربة والسمات المتشابهة أو المتماثلة (١) ٠

٩ ـ ان الحث على الوحدة العربية انمـــا هو فى جوهره حث على اعادة تكوين دولة عربية متحدة ، فقبل انشاء الجامعة العربية ومنذ انشائها اختلفت الاقتراحات الخاصة بكيان مثل هذه الدولة المتحدة ، ومن هذه الاقتراحات شكل الدولة الاتحادية « الفيديرالية » (٢) ٠

١٠ـ سواء فى الشرق أو الغرب ٠ أى فى الشرق الأدنى أو الأوسط أو فى المغرب فان الجميع متفقون على انتمائهم الى شـكل من أشـكال الوحدة ٠ ليست اسلامية فحسب ٠ بل عربية ٠٠٠٠٠ فالعروبة قد أصبحت حقيقة حية وشعبية ٠ والمنجزات السياسية المنشودة يمكن أن تختلف صورها اختلافا كبيرا بين وحدة شاملة ٠ أو اتحاد فيدرالى بين دولة مستقلة تتجمع فى ظل سيادة تعلو تلك الدول ، أو عدة اتحادات فيديرالية مستقلة فى ظل « جامعة » تمثلها فى المجتمع الدولى ٠ ولكن وحدة المصير العربى المشترك تظل أمنيـــة الجميع العميقة (٣) ٠

ان العروبة تلفت المغرب الى المشرق لتذيبه فى الأمـة العربية على حساب انتماء هذا المغرب العربى الى أفريقيا ٠ لقـد تحقق استقلال المغرب بتأكيد شخصيته ٠ وبالاسلام وبالعروبة ٠ وباشتراكية معينة ، وانفتاح المغرب واضح ومحدد وهو انفتاح يؤكد فى كل مناســـبة تمســكه بالعروبة (٤) ٠

---

(١) م٠ح٠ المشماوى ، الروابط بين البلاد العربية ؛ المجلة المصرية للقانون الدولى ١٩٤٦ ، ص ٢ ٠

(٢) حسن صعب
The Arab Federalists of the Ottoman Empire, Djambatan.
أمستردام ، ١٩٥٨ ؛ المقدمة ٠

(٣) Louis Gardet : La Cité Musulmane, Vrin.
باريس ١٩٧٢ ، ص ١٠٥ ــ ٦ ٠

(٤) Bruno Etienne : L'Unité maghrébine à l'épreuve des politiques étrangères nationales, C.R.E.S.M., Centre National de la Recherche Scientifique.
باريس ، ١٩٦٩ ، ص ٤

(ب) المبادىء :

المبادىء الكبرى للعلاقات الوحدوية بين الدول العربية التى تستند الى العروبة كأساس سياسى اجتماعى والتى تنبثق من الوقائع السابقة هى على الأخص :

١ ـ شعوب جميع البلاد العربية أجزاء من الأمة العربية (١) ٠

٢ ـ الوحدة العربية تحت شكل دولة عربية واحدة هى المثل الأعلى للأمة العربية وهذا المثل الأعلى يوحى بتطوير اتحاد الدول العربية « الكونفيديرالى » المتمثل فى جامعة الدول العربية الى دولة اتحادية « فيديرالية » كخطوة أولى ٠

٣ ـ ان الاتجاه « الفيديرالى » يسيطر على النشاط الأدبى للمفكرين العرب كما أن المبدأ « الفيديرالى » يؤثر فى انتاج معظم المشرعين ورجال السياسة الذين يوجهون الحياة السياسية الدستورية والدولية للبلاد العربية ، وتعبير « احترام استقلال الدول العربية وسيادتها » الذى استخدمه ميثاق جامعة الدول العربية لايبرز بوضوح فى تطلعات فقه القانون الدولى العربى ولا فى الأدب السياسى العربى (٢) ٠

٤ ـ كل تدخل أجنبى فى شئون الدول أو البلاد العربية يعد باطلا حتى لو حدث برضاء صريح أو ضمنى من الدولة أو البلد التى حدث التدخل فيها ، والتدخل من جانب واحد ينطوى بلا شك على حد من سيادة الدولة التى وقع عليها التدخل حتى لو قبلت هذه الدولة مقدما هذا التدخل ، فمن المعروف ان المعاهدات التى تقر هذا التدخل أو معظمها على الأقل غير متكافئة أى لم تعقد بمحض حرية الطرفين (٣) ٠

---

(١) المادة الأولى من الدستور السورى (١٩٥٠) ومن الدستور الأردنى (١٩٥٢) ومن الدستور المصرى (١٩٥٦) ومن اتفاقية الجنسية التى أقرها مجلس جامعة الدول العربية فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٥٢ ٠

(٢) هذا عكس مبدأ سيادة الدولة الذى هو أساس كل القانون الدولى الامريكى ، (بوبج) ، نفس المرجع ، ص ٣١ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ ؛ وهذا المبدأ يطابق نفس المبدأ فى القانون الدولى الاميركى ـ وقد استند « بوبج » على
Silbert : Traitt de Droit International Public.
باريس ، ١٩٥١ ، جزء ١ ص ٣٥٨ ، اذ قرر ان معظم كتابات المؤلفين الاوربيين والكثير من المعاهدات التى وقعتها الدول الاوربية ووقائع سياستها الدولية تدل فى الواقع على أن التدخل يعد شرعيا اذا حدث برضاء الدولة التى يفرض ان التدخل أضر بها ٠

ومن مبادىء التعـــاون بين أسرة الدول العربيـــة وأسرة الدول الافرو ــ آسيوية :

٥ ــ ان السلم العالمى يتحقق على الأسس الآتية :

(أ) الاعتراف بالمســـاواة بين جميع الأجناس وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها •

(ب) الامتنـــاع عن أى تدخـل فى الشئون الداخلية لبلد آخر •

(جـ) الامتناع عن اســـتخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى •

٦ ــ (أ) الاستعمار فى جميع مظاهره شر يجب وضع نهاية عاجلة له •

(ب) تأكيد أن خضوع الشعوب للاستعباد والسيطرة والاستغلال الأجنبى أنكار لحقوق الانسان •

(جـ) تأييد قضية الحرية والاستقلال لجميع الشعوب •

٧ ــ حق تقرير المصير حق أساسى بطبيعته والالتجاء الى القوة لممارسته شرعى • (١)

٨ ــ نزع الســـلاح وتحريم انتاج الأســـلحة الذرية والهيدروجينية وتجربتها واستخدامها باعتبار أن هــذا التحريم ضرورى لانقـــاذ

(1) B.V.A. Roling : International Law in an Expanded World, Djambatan.

امستردام ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٨ • وقد أشـار الى قرارات مؤتمر القـانونيين الافرو ــ آسيويين الذى عقد بدمشق فى عام ١٩٥٦ ، وعقب على ذلك بالاستناد الى المادتين ٢ ، ٥١ من ميثاق الامم المتحدة وأضاف بأنه لرفع صوت العالم الافرو ــ آسيوى والاعلام عن آرائه ومذاهبه قد أنشئت اللجنة القانونية الاســـتشارية الأفرو ــ آســـيوية فى عام ١٩٥٦ وان أول اختصـاص لها كما جاء فى المادة ٣ من نظامها الأساسى هو دراسـة المسائل المعروضة على لجنة القانون الدولى واعداد وجهات النظر التى ترغب تقديمها الى تلك اللجنة ولذلك ستتلقى كل الوثائق من لجنة القانون الدولى لكى تبدى رأيها فى المسائل التى تتـولى تلك اللجنة دراستها • وبعد ان اســتعرض « رولنج » مختلف قرارات مؤتمر القانونيين الافرو ــ آسيويين فى دمشق انتهى الى أن هذه الموضوعات نمط واضح لاتجاه المصالح • (ص ١٠٢ ــ ١٠٣) •

البشرية والحضارة من هول الدمار الشامل ومغبته ، ونزع السلاح الشامل ضرورة مطلقة لحفظ السلم ٠

٩ ـ اتخاذ عمل جماعي بغية اقرار الأسعار الدولية والطلب على السلع الأولية وتنويع تجارة الصادر عن طريق تحويل المواد الأولية الى مواد نصف مصنوعة وتنمية التبادل التجارى داخل المنطقة ٠

١٠ـ تنمية التعاون الثقافى الدولى ٠

ويجدر ، فى هذه المقدمة ، أن يذكر المؤلف أن هذا الكتاب كان قد وضع فى الأصـل ـ قبل ايجـاز بعض فصوله والافاضـة فى البعض الآخر واضافة ما استجد من أوضـاع دولية فى ضوء التطور التاريخى المعاصر ـ كرسـالة علمية ، باللغة الفرنسية ، لنيل درجـة دكتوراه التخصص فى « تاريخ المذاهب السياسية » من جامعة « اكس ـ آن ـ بروفانس » بفرنسا منذ أعوام عديدة ، ولذلك بذل المؤلف ما وسـعه من جهد لكى يستعرض ويناقش ما نشره المسلمون والعرب بصفة خاصة ، بالفرنسـية والانجليزية من كتب أو ما قدموه من أبحاث علميـة الى الجامعات الأوروبية والأمريكية عن الموضوع : نظم الحكم فى الاسلام وعلى رأسها نظام الخلافة ، والعلاقات الدولية بين البلاد الاسـلامية ثم فكرة التضامن العربى ونضوج مذهب القومية العربية بانشـاء جامعة الدول العربية ، وما طرأ على هذا المذهب ، عقب انشاء « الجامعة » ، من تطور هام ، ولكى يناقش ويرد ، كلما أقتضى الأمر ، على ما نشره المستعربون من كتب أو دراسات عن هذا الموضوع المتشعب ، ولذلك يلاحظ القارىء كثرة المراجع الفرنسية والانجليزية التى نوقشت فى هـذا الكتاب ، وهى أو غيرها مما لم يقع بين يدى المؤلف أو لم يتسع له نطاق الرسالة ، المراجع الوحيدة المتاحة ، بهاتين اللغتين أو بما ترجم اليهمـا من لغـات أخرى ، لمن يهتمون بدراسة هذه الموضـوعات داخل العالم العربى أو خارجه ، ولمن يعملون فى حقل الاعلام على المستوى المحلى فى نطاق الدول العربيـة أو على المسـتوى الدولى فى صـلاتهم المسـتمرة بمن يـود الوقوف على الحقـائق من الأجانب بصـفة عامة أو من الافريقيين أو الآسـيويين ممن لا يسـتطيعون قراءة العربية ويودون الاهتداء الى مراجع باحدى تينك اللغتين عن مذهب « العروبة » أو عن وجه معين أو فترة معينة من فترات تطور هذا المذهب وخاصة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى على امتداد الأعوام الخمسين الأخيرة ٠ وقد تبين المؤلف ، فى

ضوء اتصالاته بأعضاء السلك السياسى العربى خلال عمله كمستشار للأمم المتحدة فى اثنتى عشرة دولة أفريقية وآسيوية على امتداد الأعوام الثمانية الأخيرة ، وفى ضـــوء مهمة اعلامية كلفته بها « جامعة الدول العربية » فى انجلترا وفرنسا وبلجيكا وسويسرا ، قبيل اجتماع الملوك والرؤساء العرب السابع بالرباط فى أكتوبر عام ١٩٧٤ ــ تبين أن الحاجة قد تكون ماسة الى مرجع يعرض فيه مذهب « العروبة » عرضا موضوعيا عن طريق تحليل أسسه الاجتماعية ــ السياسية تحليلا مستندا الى المراجع العربية العلمية، والى المراجع الأجنبية مع تفنيد ما يحتاج الى تفنيد مما ورد فيها ، ومتابعة أحداث العالم العربى فى الأعوام العشرة بين ١٩٦٤ و ١٩٧٤ ، وهى الفترة التى تحقق فيها انشاء جهاز يعلو مستوى الدول العربية هو جهاز « القمة العربية » الذى اجتمع فى هذه الفترة سبعة اجتماعات أصـــدرت أخطر قرارات فى تاريخ العرب ، كما تحقق فيها ضم سبع دول الى جامعة الدول العربية فارتفع عدد أعضاء هذه الجامعة الى عشرين دولة ، واستكملت فيها « الجامعة » سماتها « الكونفيدرالية » بالعمل العربى المشترك الذى ظهرت آثاره فى التكتل العربى مع دول المواجهة ضد اسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهى الحرب التى أحدثت متغيرات مجزية هامة فى علاقات العرب الدولية وعززت مكانة العرب فى الأسرة الدولية •

هذا الكتاب ، اذن ، مقدم الى القراء الذين يعرفون اللغتين الفرنسية والانجليزية ولا يتسع وقتهم لمتابعة أهم ما نشر عن « الاسلام والعروبة » بتينك اللغتين فى الأعوام الخمسين الأخيرة مع رغبتهم فى هذه المتابعة ، والى الذين يفضلون قراءة ما نشر عن هذا الموضوع باحدى اللغتين ويرغبون فى الاطلاع على ملخص عما نشر عنه باللغة الأخرى ، والذين يودون أن يضيفوا الى مالديهم من مراجع مرجعا عربيا ركزت فيه وجهـــات النظر الخاصة بالعروبة المنشورة بغير العربية الى جانب وجهة النظر العربية •

وغاية الرجاء أن يحقق هذا الجهد المتواضع بعض رغبات هذه الطوائف من القراء •

القِسم الأول

التضامن الإسلامى

مَصدر العلاقات الوحدوية بين الدّول العربيّة

الفصل الأول

ابن تيمية (١٢٦٢ ـ ١٣٢٨)

المعنى العام للوحدة الاسلامية :

يكاد المؤرخون الغربيون والعرب الذين توفروا على دراسة الوعي القومي في الشرق العربي يجمعون على أن وعي الوحدة العربية قد بدأ يستيقظ في منتصف القرن الثامن عشر ، وان اتخذ في هذه اليقظة أشكالا مختلفة ، ومر في مراحل متعددة ، حتى انتهى الى ما نراه اليوم من وعي ، محدد الأصول ، واضح المعالم ، صريح الاتجاهات ·

ويركز هؤلاء المؤرخون أيضا على أن هذا الوعي قد بدأ في شكل تحرير الاسلام من البدع ـ باعتبار أنه دين الغالبية العظمى من العرب وباعتبار ان العوامل الدينية قبل القرن الثامن عشر كان لها الأثر الغالب ـ وهي البدع التي أدخلتها عليه الفرق التي انتسبت الى الاسلام ظلما ، ثم تطورت الجهود التي بذلت لتحرير الاسلام من البدع الى جهود تبلورت في شكل « مذهب التحرر الاسلامي » ·

والوحدة الاسلامية هي في معناها الواسع شعور بالتضامن بين المسلمين تعود الى عهد النبي (ص) فالذين آمنوا بالله وبرسالته جمعتهم رابطة الايمان ضد الوثنيين الذين لم يؤمنوا معهم والذين كانوا

يحاولون مقاومة رسالة الدين الجديد • ومبدأ التضامن الأخوى فى الاسلام اكتسب أهمية قصوى وقد رسخت جذوره عميقة فى قلوب المسلمين فلم تقو أحداث ثلاثة عشر قرنا على أضعافه • وقد لاحظ المفكرون الغربيون المسيحيون ان صلة المسلم بالمسلم أقوى بكثير من صلة المسيحى بالمسيحى • وبطبيعة الحال ينشأ ما يستدعى أن يختلف المسلمون بعضهم مع البعض الآخر خلافا عنيفا ولكن هذه الخلافات لا تفقد ابدا مظهر المعارك العائلية وهى تميل الى الارجاء كلما لاح خطر اعتداء أجنبى • وهذا المعنى العميق للتضامن فى الاسلام هو الذى يفسر الى حد كبير الأثر العظيم الذى يطبع به المسلمين • فليس هناك دين آخر يضم معتنقيه بمثل هذه القوة • فالاسلام قد غزا أراضى واسعة كانت فى حوزة المسيحية والبرهمانية كما طرد المجوسية من سطح الكرة الأرضية ، ومع ذلك ظل فذا فى طرازه : اذ لم يحدث قط أن اعتنق شعب الاسلام ثم هجره فيما بعد ، وقد أخرج المسلمون من أراض احتلوها كما حدث فى أسبانيا ، ولكن شتان بين ذلك وبين العدول عدولا جماعيا عن دين الى دين آخر • (١)

الطابع الاجتماعى ـ السياسى للوحدة الاسلامية :

ومما يلاحظ ان الطابع الدينى فى مذهب التضامن الاسلامى للحركات القومية فى الشرق العربى هى التى أثارت اهتمام المستشرقين الأوروبيين والأميركيين ، ولكن هناك طابعا دوليا ، طابعا سياسيا واجتماعيا اهتم به رجال القانون العرب ، فهذا التضامن عندهم حركة تستند الى أساس دينى وسياسى معا ، فعن طريق طابعه السياسى يتخذ مكانه بين الحركات العصرية الكبرى فى التفكير الاجتماعى ، وتحت هذا الشكل يبرز على الأخص كمذهب دفاعى يستمد مقومات وجوده وقوته من الوضع الراهن للعالم الاسلامى ، فالداعون الى الوحدة الاسلامية يريدون أن يخرجوا من التضامن الاسلامى تعاونا سياسيا بين جميع الشعوب السلامية يتيح لها أن تعمل عملا مشتركا لتحريرها ولتنظيمها فى المستقبل • فما هو شكل هذا التنظيم على وجه الدقة ؟ اتحاد « كونفيديرالى » اسلامى ؟ أيجب أن يسبق التحرير انشاء ذلك التنظيم أم أنه يجب البدء بتنظيم البلاد الاسلامية التى استعادت حريتها ؟ هذه

---

(١) «ستودارد» ، نفس المرجع ، ترجمة ا•س• العمرى : الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين ؛ القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٤٧ ـ ٤٨•

هى المشاكل الرئيسية التى لم يجب الدعاة الى الوحدة الاسلامية عنها الا اجابات مبهمة • (١)

تضامن العالم الاسلامى :

وهذا التضامن الاسلامى الذى لم تنل منه الخلافات بل الحروب بين الوحدات السياسية المستقلة التى نشأت داخل الأمة الاسلامية قد أثار انتباه المستشرقين الذين توفروا على دراسة هذه الظاهرة فذهب « لوشاتلييه » الى أن العالم الاسلامى داخل مجموعة الجنس الانسانى يدعو الى عقد المقارنة بينه وبين الحضارة الانجلو ـ سكسونية ، فالمسلم من أية بلد كانت يشعر فى أية بلد اسلامية أخرى من التركستان الى المغرب ومن الترنسفال الى سيبيريا بأنه فى بيته كما يشعر الانجليزى وهو فى البلاد المتأثرة بالحضارة الانجلو ـ ساكسونية ، وهذه المقارنة ليس لها الافائدة تقريبية الا أنها تلقى الضوء على رأى البعض فى العالم الاسلامى الذى يحتفظ ـ رغم اختلاف المدارس الفكرية والانقسامات وتعارض الاتجاهات الفقهية ـ برابطة وحدة يتجه التطور العصرى الى تغليب طابعها الاجتماعى على طابعها الدينى ، واذا تذكرنا أن اللغة العربية هى لغة خمسين مليونا (كان ذلك قبل أن يبلغ عدد العرب نحو مائة وأربعين مليونا) وأنها الى جانب كونها لغة دينية فانها تدرس فى كل مكان يضم أصغر مسجد لادركنا ان للوحدة الاسلامية قيمة ايجابية لا يمكن التهوين من شأنها (٢) • ولكن مستشرقا أمريكيا يذهب الى أبعد من هذا المدى فيقطع بأن روح المساواة الأخوية بين جميع المسلمين التى سادت فى الاسلام ورسخت فى تعاليمه غريبة عن نمط الحياة فى المسيحية ، فالزهو العرقى لم يكن معروفا فى الاسلام اذ ان كل من آمن بالله قبل كأخ له نفس الحقوق سواء كان زنجيا أو من الملايو أو أوروبيا ، ونجاح الاسلام العظيم فى أفريقيا الى اليوم يعود الفضل فيه الى حد كبير الى هذا الوضع (٣) •

---

(1) Le Califat, son évolution vers une Société des Nations Orientales. Travaux du Séminaire Oriental d'Etudes Juridiques et Sociales, Geuthner.
عبد الرزاق السنهورى ، باريس ؛ ١٩٢٦ ، ص ٥٠٩ ـ ٥١١ •

(٢) السنهورى ؛ نفس المرجع ، ص ٥١١ • وقد استند على Magali Boisnard فى كتابه « الاسلام وسياسة الحلفاء » •

(٣) Hans Kohn : Western Civilisation in the Near East.
١٩٣٦ ، ص ٤٥ •

أو ــ كما ورد فى عبارة أحدث ــ « الاسلام وطن المسلم • ووطن المســـلم ليست له حدود جغرافية • فهو يمتد الى حيث تمتد عقيدته الدينية » (١) •

وقد التمس دعاة الوحدة الاســـلامية • اذن • الدعم والتبرير لدعوتهم فى التضامن الاسلامى والأخوة الاسلامية • ويذهب « جارديه » الى تعبير آخر يرى أنه أكثر تعبيرا عن التضامن والأخوة • هو « الصحبة الوثقى » أى شعور المسلمين بأن كلا منهم يعتمد على الآخر اعتمادا متبادلا وثيقا • ورغبتهم فى أن يعيشوا ســـويا فى ظل قاعدة تنبع ــ كمـــا يعتقدون ــ من مصدر روحى •• فهذا التضامن بين المؤمنين مؤسس على عقد • أو عهد • يلتزمون به • أكثر من استناده الى الروح القبلية أو الى رابطة الدم والقرابة (٢) •

ابن تيمية فى نظر المفكرين العرب :

ويعـــود بعض المؤرخين العرب المحدثين ــ متأثرين فى ذلك بعض المستعربين الأوروبيين ــ الى تاريخ أقـــدم من منتصف القرن الثامن عشر بكثير ، الى الربع الأول من القـــرن الرابع عشر ، فيقررون أن المحاولة الاصلاحية الأولى بدأت على يدى تقى الدين أبى العباس ابن تيمية الذى ولد فى ٢٢ من يناير عام ١٢٦٣ بحران على مقربة من دمشق ، ثم فر الى دمشق حيث تلقى دروسه وحج الى مكة عام ١٢٩٢ ثم زار القاهرة عام ١٢٩٩ وتردد عليها بعد ذلك مرارا ، وان ابن تيمية قد استعرض عوامل انحلال العرب بعد أن درس الفلسفة اليونانية و « مزجها بما درســـه من أصول التشريع والفقه الاسلامى ••• وكان يغمره شعور بالحـــزن عميق على ما وصلت اليه الأمة من الضلالة والهوان وعز عليه أن يرى عقيدة التوحيد تتأرجح بين الشك والوهم بما أصابها وانحدر اليها من مبادىء الباطنية وأفعال القرامطة وآراء مزدك ومانى وابن سبأ ••• فان الاشراق الالهى الذى كان ركنا ركينا فى مبادىء الباطنيـــة والذى فيه تشرق المعرفة على الأئمـــة فتسمو بهم الى مرتبة لا ينالها غيرهم • كان

---

(١) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة ؛ القـاهرة ، ١٩٤٦ ؛ وقد استشـهد بها : زين ن•زين
Arab-Turkish Relations and the Emergency of Arab Nationalism.
بيروت ، خياط ، ١٩٥٨ •

(٢) « جارديه » ، نفس المرجع ؛ ص ٦١ •

سببا لتأويل الشريعة حسب أهواء هذه الفرقة ووفق ميولها » (١) ٠

وقد رسم ابن تيمية الى جانب جهوده فى تحرير الاسلام من البدع الخطوط الرئيسية لسياسة الحكم العربى الصـالح ٠ وهو ما يعنينا فى هذا البحث ٠ فوضع رسالته « السـياسية الشرعية فى اصـلاح الراعى والرعية » [illegible]

وقد ذهب ابن تيمية فى هذه الرسالة الى « ان الامارة دين وقربة يتقرب بها الى الله ،وان حال أكثر الناس يفسد فيها لابتغاء الرياسة أو المال بها ٠ وافتتح هذه الرسالة بأداء الامانات التى قسمها قسمين : يدبر بأحدهما للولاية والثانى الامانات فى الأموال ٠ وقد بدأها بالحديث » من ولى من أمر المؤمنين شيئا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » ٠ ثم استند الى قول عمر بن الخطاب » من ولى من أمـر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين » (٢) ٠

التضامن الاسلامى عند ابن تيمية :

والتضامن الاسلامى ـ عند ابن تيمية ـ هو شعور الوحدة والاخوة الذى يجمع شمل المؤمنين ، والوحدة فى رأيه كانت قائمة فى الاصـــل ولو ان الصحابة اختلفوا على بعض مسائل الفقه ، والخلافات الحالية بين المذاهب تعود الى عدم وقوف العلماء وقوفا كاملا على النصوص واتجاههم الى الغلو فى بعض التفسيرات أو بوجه عام الى أخطاء فى الاجتهاد ٠

وقد ذهب أحد المستعربين الذين تخصصوا فى الكتابة عن ابن تيمية الى ان ابن تيمية لم يدع قط الى توحيد الاحكام بين مذاهب السنة الاربعة لاستعادة الوحدة التى كانت قائمة فى الاصل كما يفعل الان المحدثون ممن يتولون شرح آرائه ، بل انه اقتصر على الدعوة الى تبادل التســامح بين مذاهب السنة تسامحا مستندا الى وحدة الاصل والى الاهمية النســبية للخلافات بين المذاهب الاربعة ، كما تساءل عما اذا كانت وحدة الجماعة الاسلامية تستدعى استخدام لغة واحدة أى العربية ؟ وأجاب بأنه يبدو

---

(١) محمد بديع شريف ، « الصراع بين الموالى والعـرب » ؛ القاهرة ، ١٩٥٤ ؛ ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ ـ ٨ ٠

احيانا فى هذا الصدد أن ابن تيمية قد أبدى تسامحا كبيرا ، ولكن قليلين من الفقهاء هم الذين دافعوا بحرارة كما دافع ابن تيمية عن وضع سياسة مخططة للاستعراب فهو يعد العربية اللغة الوحيدة التى اعتمدها الدين ، وقد اعترض على استخدام لغة أخرى فى العلاقات التى تستدعيها الحياة اليومية وأنه مادامت العربية هى اللغة التى اختارها الله فمن العسير فهم العقيدة والشرع فهما تاما دون معرفة العربية معرفة وافية ، وان القرآن لا يمكن ترجمته الى لغة أخرى ، وأن العربية شعار من شعارات الأمة يميز شخصية الجماعة فاذا عدل عن العربية واهملت فان الجماعة تتخلى عن شخصيتها مع أن أول واجب على كل فرد وعلى كل جماعة هو تنمية اصالة الشخصية ، وأشار الى ما قرره ابن تيمية من أن هذا ما فعله السلف من المسلمين الأوائل عندما غزوا سوريا ومصر حيث كانوا يتكلمون اليونانية، والعراق وخراسان حيث كانوا يتكلمون الفارسية ، والمغرب حيث كانوا يتكلمون البربرية ، اذ نشروا العربية فى كل مكان وانتهى الأمر باندثار اللغات الأخرى. وأن اهمال مسلمى الأجيال اللاحقة وتسامحهم فى استخدام الفارسية بخراسان لم يترتب عليه الا اندثار العربية ، وأن هذا الخطر نفسه يهدد سوريا ومصر من التركية ، ولدرء هذا الخطر طالب ملحا بسياسة مخططة للاستعراب (١) .

وقد عبر الفيلسوف الفرنسى «جوستاف لوبون» عن هذه الظاهرة التاريخية الفريدة أدق تعبير عندما قرر أنه :

« قد اتصلت بالعرب أمم قديمة ، كشعوب مصر والهند ، فاعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم وفن عمارتهم ، واستولت بعد ذلك الدور أمم كثيرة على الاقطار التى فتحها العرب فظل نفوذ اتباع النبى فيها ثابتا ، ويلوح لنا رسوخ هذا النفوذ الى الابد فى جميع البقاع الآسيوية والافريقية التى دخلوها والتى تمتد من مراكش الى الهند ، وقد أتى فاتحون جدد ليحلوا محل العرب ، فلم يستطع أحد منهم أن يقضى على دينهم وعلى لغتهم » (٢) .

---

(1) Henri Laoust : Essai sur les doctrines sociales et politiques de Takei-d-Din Ahmed B. Taimiya. Institut Français d'Archéologie Orientale.

القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٩ .

(٢) جوستاف لوبون : « حضارة العرب » ؛ من كتاب حيدر بامات : مجالى الاسلام ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٦ ، ص ٦١

والتضامن الاسلامى عند ابن تيمية ليس تضامنا آليا فحسب مستندا الى الاشتراك فى الأرض والعقيدة واللغة وانما هو تضامن أساسى مستند الى مقصد مشترك والى اسهام كل فرد فى تحقيق هذا المقصـــد فى حدود طاقته وطبقا لاختلاف الاعمال التى يزاولها كل فرد ، والدولة كما تبدو من كتابات ابن تيمية دولة تعاونية تستكمل قوتها وتحقق الشرعية التى تتطلع اليها بمطالبة كل فرد فيها لا بالطاعة السلبية فحسب بل بالاسهام الايجابى فى الحياة العامة ، فعقد البيعة المعقود بين الحاكمين والمحكومين لا يمكن أن ينطوى الا على عهد بطاعة كلمة الله والاتفاق على « شركة » ميثاقها وهدفها الأعلى حكم الشرع ، والتضامن الذى تقود اليه هـــذه النظرية لا يقتصر فحسب على فرض واجب على المؤمنين يقتضى فهما متبادلا وتسامحا متبادلا باسم وحدة الأصل التى لا يجب أن تفصمها الخلافات الثانوية بين المدارس الفقهية وانما يتعدى الى تفكير الجميع أفرادا ودولا وكل من عهد اليه بوظيفة عامة أو خاصة فى أن يعدوا أنفسهم بناة مصير واحد وفى انهم يعملون جميعا كل فى حدود طاقته على تحقيق نفس العمل المشترك فالجماعة الاســلامية كما تفهمها « السياسة الشرعية » لابن تيمية لا يمكن أن يستوعبها القانون الحديث الا على أنها اتحاد « كونفيديرالى » طبيعى بين الدول .

مذاهب ابن تيمية الإجتماعية والسياسية :

وقـد عقب « لاأوســـت » على آثار ما نادى به ابن تيمية من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى الاثار التى تبرز ـ بصفة خاصة ـ مذهب التضامن الجماعى ، فقرر أن هذه الآثار الاجتماعية تبدو فى حق كل فرد فى الجماعة الاسلامية فى الحياة فاذا لم تكف موارده الخاصة فواجب الجماعة الحتمى ـ سواء عن طريق الدولة أو القطاع الخاص ـ أن تكفل له الامكانيات المادية لهذه الحياة ، فترك أى فرد من المؤمنين على هذا الحرمان اخلال بحقوق الله ، ومن الوجهة السياسية لا يرى ابن تيمية فرقا بين الوظائف التى يباشرها افراد الجماعة الا فى الدرجة والمســتوى لا فى طبيعة الوظيفة ، والجماعة الاسلامية مع ذلك كأية جماعة أخرى لا يسعها ـ منذ تفرقت بسبب الجهل والظلم ـ البقاء الا بتنظيم تسلسل الوظائف تنظيما يحدد عملا لكل فرد ، وباعطاء سلطة لرئيس يسهر على اقرار النظام ، وهذه السلطة وان كانت معطاة الى رجل واحد الا انها لايتحتم ان تقتصر على تركيزها كلها فى يد واحدة ، وفى هذا يختلف ابن تيمية اختلافا كبيرا عن تفكير غيره ، فالعالمية السياسية للاســلام التى يؤكدها الفارابى والتى نعثر بها عند الجوينى

والغزالي وفخر الدين الرازي كانت تنادي دائما بأن الدولة الكاملة يجب أن تشمل كل الانسانية فجاء فقه ابن تيمية ــ للمرة الاولى فى تاريخ علم الاجتماع السني ــ مجتهدا في ايجاد تبرير شرعي لتوزيع السلطة ، فالجماعة التى كانت واحدة فى عهد السلف لا يتحتم ان تبقى واحدة ، فأحداث التاريخ المتقلبة قد جزأتها الى عدد من الامارات المستقلة ، ووحدتها الحقيقية تكمن في التضامن العقائدى الذى يبعث فى كل دولة ــ مع شعورها باستقلالها الخاص ــ وعيا بأنها عضو فى مجموع رئيسى اكثر شمولا ٠ (١)

ويبرز « جارديه » هذا المذهب الذى شرحه ابن تيمية والذى يقرر أنه اذا وجب أن يكون العالم الاسلامى ٠ أرض العدالة فان جماعة المؤمنين يجب أن تكون جماعة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٠ وهو يؤكد أن هذا هو واجب الامام أو الخليفة فى رأى ابن تيمية ٠ بل ان تولى الامر بالمعروف انما هو تكليف عام ملقى على عاتق كل مسلم أيا كان ٠ وفى حدود طاقته وعبر دراسته نظام مزاولة السلطات لاعمالها فى الجماعة الاسلامية المثلى يستشهد « جارديه » بما قرره ابن تيمية فى هذا الحقل الاجتماعى ــ السياسى : فالاسهام فى ممارسة السلطة ــ مهما كان شكل هذه السلطة ــ واجب يلتزم المسلم بادائه فى الجماعة الاسلامية ٠ فابن تيمية يقرر أنه لواجب ان تعد ممارسة السلطة شكلا من أشكال الشعائر الدينية أو عملا من الأعمال التى يتقرب بها الانسان الى الله ٠ كما يقرر ابن تيمية ان بين كل الشروط الممكنة التى يجب توافرها فيمن يعهد اليه بعمل من أعمال السلطة العامة أن يكون اجدر المسلمين بتولى هذا العمل » (٢) ٠

وهذا التضامن الاسلامى الذى عنى « لاأوست » عناية خاصة بابرازه فى كتابات « ابن تيمية » كطليعة لحركة الوحدة الاسلامية والذى عنينا نحن فى هذا الكتاب به باعتباره أساسا للقانون الدولى الاسلامى ، ــ بعد التسليم بانقسام الدولة الاسلامية الى عدة وحدات سياسية مستقلة تنظم العلاقات الدولية بينها قواعد قانونية معينة ــ هو الذى وصفه « لامارتين » فى ايجاز وصفا رائعا وهو يحلل حياة محمد (ص) وفلسفة الاسلام اذ قرر أنه « هز سلاحا وأزاح شرائع وزعزع دولا وشعوبا وبيوتا مالكة وملايين من الآدميين فى ثلث الكرة المعمورة ، غير

---

(١) « لا أوست » ، المذاهب الاجتماعية والسياسية لابن تيمية ٠

(٢) « جارديه » ، نفس المرجع ، ص ٩٢ ، ١٠٧ ٠

أنه قلقل أفكارا ومعتقدات ونفوسا زيادة على ذلك ، وهو قد أقام على كتاب أصبح كل حرف منه شريعة ، جنسية روحية لأمم من جميع اللغات وجميع العروق ، وهو قد طبع هذه الجنسية الاسلامية بسمة لا تمحى » (١) ·

وقد أضاف مستشرق آخر تخصص فى تاريخ الشرق العربى :

« الأثر الثقافى العظيم الذى أحدثه العالم الاسلامى فى المسيحية لا يزال يبدو الى اليوم فى الكلمات التى لا حصر لها ذات الأصل العربى التى توجد فى لغاتنا الأوروبية · ولم يقف ذلك الأثر على المنتجات المادية التى انتقلت الينا من الشرق بل الى الخطوط العريضة لحياتنا الاقتصادية· والمثل العليا لفروسية القرون الوسطى بما فيها شعر الحب الذى كان يتغنى به النبلاء الألمان قد انتقلت الينا أيضا من ذلك الشرق واتخذت مظهرا أوروبيا · كما أن أساس كل تعليمنا فى العلوم الطبيعية ، حتى الآراء الجديدة فى الفلسفة وعلم الأديان التى أحدثت أثرا كبيرا أتت الينا خلال ذلك العصر من الاسلام · ولم يكن تغلب الغرب على الشرق راجعا الى تفوق الغرب وانما الى تفكك وحدة العرب واتساع امبراطوريتهم اتساعا كبيرا » (٢) ·

وقد أبرز نفس المستشرق فى كتاب آخر له تطور القومية فى الشرق العربى فقرر أنه قبل أن يشق مبدأ القومية طريقه فى الشرق كانت قد بذلت جهود للتشدد فى الحياة الدينية والتزمت فى تطبيق مبادئها كما حدث فى الغرب ، وعقب ذلك أصبحت المبادىء الدينية مرة أخرى قوة تمثل جسرا يعلو الحدود السياسية والوطنية ، وشهدت نهاية القرن التاسع عشر حركة وحدة اسلامية امتدت بعض جذورها الى حاجات الامبراطورية التركية ، وبعضها الآخر الى حركة احياء مجد الاسلام التى قام بها الوهابيون ، وبعضها على نمط ما حدث فى الغرب ، ولكنها تتفق فى الاندفاع المتجاوب بين الجميع لمقاومة هجمات الدول الغربية ومطاردتها ، وقد أحس الاسلام بالخطر منذ بدء القرن التاسع عشر ، فقد سقطت ولاية أثر ولاية من ولايات الاسلام فى قبضة الغير وبدا كما لو ان كل الدول الاسلامية قد قدر عليها أن تسقط فى بطء وانما بالتأكيد

---

(١) حيدر بامات ، نفس المرجع ، ص ٢٢ ــ ٢٣ ؛ مستندا على « لامارتين » فى كتابه تاريخ تركيا » ·

(٢) هانس كون ، المدنية الغربية فى الشرق الادنى ، ص ٣٨ ·

تحت سيطرة غير المؤمنين ، وعاد عهد الصليبيين ، وكررت الدول الأوربية نفسها تذكير العالم بأولئك الصليبيين وكان بعض السياسيين الانجليز وخاصة جلادستون تقوده نفس الفكرة الصليبية ، وحتى حرب البلقان فى عام ١٩١٢ قد اندلعت بهذه الروح الصليبية (١) ٠

وقد توفى ابن تيمية فى ٢٧ من سبتمبر عام ١٣٢٨ وذهبت بعض الروايات الى أنه وضع خمسمائة مؤلف لم يصل منها الى المحدثين الا نحو ستين كتابا ، وقد حمل رسالته الاصلاحية من بعده ابن القيم الجوزية الى أن تبلورت حركة الوحدة الاسلامية ، فالوحدة العربية كما سوف نحاول دراستها فى هذا الكتاب ٠ ومن ذلك ندرك أن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية لم يستند اليهما الداعون الى توحيد المذاهب فحسب بل استند اليهما جميع الذين عملوا جاهدين على ابراز حـــركة التجمع المنبثق من الايمان بوحدة الأصل وبالاشتراك فى المصير بين مختلف اتجاهات الآراء الأخرى (٢) ٠

---

(1) Hans Kohn : A History of Nationalism in the East, Harcourt, Brace and Co.
نيويورك ، ١٩٢٩ ، ص ٣٨ ٠

(٢) H. Laoust : Le Traité de Droit Public d'Ibn Taimiya. بيروت ، المعهد الفرنسى فى دمشق ، ١٩٤٨ ، المقدمه .

الفصل الثانى

الوحدة الاسلامية الحديثة

محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢)
و
محمد بن سعود (١٧٣٥ ـ ١٧٦٦)

الاصلاح الدينى عند الوهابيين :

كان انشاء الدولة الوهابية التى تنتسب الى محمد بن عبد الوهاب هو أول خطـــوة عملية نحو أخراج مذهب التحرر الاســـلامى الى حيز التنفيذ ، وقد شرح المستشرقون الذين ينظرون الى هذه المســـائل من حيث أثرها الدولى ، الوهابية فقرروا أنها « القضاء على البدع والمفاسد التى أدخلت على الاسلام ظلما والعودة به الى نقاوته الأولى وعدم الاعتراف بما تركه المفسرون مما يتعارض مع أصول الدين فى بساطته وسماحته · وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس المشايخ وأولياء الله وكل ما لايمت الى الأصول الأولى للدين بصـــلة ، وقصر العبادة على التوحيد بالله وفق ماكان يتبعه الرسول وينادى به وفق تعاليم القرآن بالحرف · ووجوب ان يتبع هـــذا الطريق كالوســـيلة المثلى والوحيدة للاسلام ، ويتعين فى هذه الحالة اتباع تعاليم خلقية معينة ، منها وجوب الصلاة والصوم بلا تهرب منهما البته ، ويجب ان يتقشف المســـلم فى حياته الدنيا وفى طرق معيشته ، فلا يقدم على لبس الحرير أو الترف ، ولا تعترف الوهابية بالقباب والاضرحة والمآذن وتحرمها وتأمر بوجوب ازالتها ··· ان الفساد فى تطبيق ديانة ما يؤدى الى رد فعل تقشفى والى

الالتجاء الى التعاليم الأولى وبذا يمكن مواصلة الاصلاح والنهوض بالشعب والتخلص من البدع » (١) ٠

الاجتماع السياسى عند الوهابيين :

« والاجتماع السياسى عند الوهابيين مع أنه هو الآخر قد استوحى من نظريات ابن تيمية الا أنه قد ابتعد عنها فى بعض المسائل ، فجماعة المؤمنين وحدها دون أى تمييز بسبب العرف أو الأمة أو الطبقة هى الطراز الفذ للجماعة المعترف بها شرعا عندهم ، والجماعة الاسلامية هى خـــير الجماعات الانسانية وهى الجماعة التى ترسى أسس العدل والتى تستهدف تطبيق الشرع والأمر بالمعروف ، وفكرة التضامن الاسلامى نادى بهـــا الوهابيون مسايرة للسلف الا أنهم مالوا الى تنمية الوحدة العربية العرقية ولم يعتنقوا الا مؤخرا المثل الأعلى العقائدى الذى دعا اليه ابن تيمية بشأن التعـــاون الدولى الاســـلامى : فان محمـــد بن عبد الوهاب العـــربى الذى كان يتجه بدعوته الى عرب آخرين ٠ قد سار شوطا أبعد من ابن تيمية فى الدعوة الى المساواة بين المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم ٠ مع ادراكه أن الجماعة الاســـلامية ككل جماعة أخرى تنطوى بالضرورة على خلاف سياسى بين فرقها وطوائفها ٠

فابن تيمية ٠ وقد جاراه فى ذلك محمد بن عبد الوهاب وخلفاؤه — كما يتضح مما تركوه من وثائق متاحة — لم يثيروا مباشرة مشـــكلة الخلافة ، فالعالمية النظرية لنظام الخلافة كانت تتعارض مع الوحدة العربية العرقية التى نادى بها الوهابيون فى نطاق الجماعة العربية ٠ ومن المعقول اذن الاعتقاد ان الوهابيين عدوا السلاطين العثمانيين دائما كمغتصبين ولو أنهم لم يستطيعوا — بسبب الولاء الذى كان من بين تعاليم مذهبهم — أن ينادوا علنا بالتمرد على سلطة أولئك العثمانيين كما أنهم لم يتمكنوا قط من التفكير تفكيرا جديا فى احتمال استعادة الخلافة ، فالخلافة التى تقوم على أساس الانتخاب من أصل قرشى لم تستطع منطقيا أن تغرى منهبا كمذهب الوهابيين عارضت تعاليمه تحكم الطبقات أو رجـال الدين أو الملوك الذين يدعون السلطات الروحيـــة ٠ ولم تكن الدولة طبقا لتلك التعاليم الا مجرد ولاية كل ما يطلب منها ان تضع فى خدمة الشرع أكثر

---

(١) « ستوادارد » ؛ نفس المرجع ، ص ٣٤ — ٣٥ ، من ترجمة ا ٠ س ٠ العمرى ، نفس المرجع ، هامش ص ٨٤ ٠

القوى الرادعة تأثيرا ، واذا كانت الدولة عند ابن تيمية دولة تعاونية تدعم الى حد بعيد حقوق كل مواطن فى الاسهام فى حياة الجماعة السياسية فان المذاهب الوهابية لم تجهل هذا التضامن الذى كان قاعدة أساسية ، فالامام يجب أن يستشير رعاياه ، وكل واحد منهم يلتزم ـ حتى بالنسبة للأمير ـ بتقديم المشورة لاصلاح اخطاء أخوانه فى الوطن الواحد ولتحسين حالة الجماعة ، وأصبح واجب طاعة الامام أحد المبادىء الجوهرية فى الاجتماع السياسى عند الوهابيين ٠ (١)

وأما بشأن الاجماع ٠ الذى يقتضى تحديد الشخصيات التى يمكن أن تقرره ٠ فقد تبادر بشأنه هذا السؤال : كيف يمكن تحديد من يقرر الاجماع ؟ فابن تيمية ويجاريه دعاة الاصلاح الوهابى يكتفون بفكرة محدودة عن الاجماع ٠ اذ يقصرون من يحق لهم تقرير قواعد الاجماع على صحابة النبى « صلعم » ، ومعهم ٠ وبعدهم الجيل التالى لهم فحسب الذين عرفوا الصحابة معرفة مباشرة ٠ باعتبار ان ما يقررونه هو ـ وحده ـ ما يمكن أن ترتضيه الجماعة الاسلامية دون احتمال خلاف على ما يقررونه ٠ وهنا ـ مرة أخرى ـ يبتعد دعاة الاصلاح الوهابيون عن فقهاء السنة مع حرصهم على التمسك بمنطق المبادىء نفسها التى أرساها هؤلاء الفقهاء ٠

واستطرادا من فكرة الاجماع فى ضوء الشرح السالف تبادر الى ذهن بعض المستعربين أن انهيار الخلافة العثمانية حدث بضغط المطالبين باصلاحات تأثر الداعون اليها بمبادىء دستورية أوروبية أكثر من تأثرهم بالمبادىء الدينية والنظم السياسية التى أرساها الاسلام ٠ باعتبار ان الحركة الاصلاحية التى قضت على الخلافة العثمانية لم ينعقد عليها الاجماع ، كما تبادر الى ذهنهم أن الوضع الحالى للعالم الاسلامى وتقسيمه الى دولة مستقلة انما هى ظاهرة تسم الشعوب الاسلامية بطابع غربى وعصرى ٠ ومع ذلك يلاحظ المستعربون المتوفرون على دراسة الشئون الاسلامية أنه ـ رغم الاتفاق على هذا التقسيم ، بل رغم الارتياح اليه أحيانا ـ فان الرأى العام الاسلامى لا ينقطع عن تأكيد أن حركة الاصلاح مستوحاة هذه المرة من الاسلام نفسه وهو طابع الحركة الوهابية الجديدة فى الجزيرة العربية ٠ (٢)

وقد ذهب أحد المؤرخين الأوروبيين الى أن أول يقظة للروح العربية

(١) «لا اوست» المذاهب الاجتماعية والسياسية لابن تيمية ، ص ٥٢٤ ـ ٥٣٠ ٠
(٢) « جارديه » ، نفس المرجع ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ٠

كانت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قبل الحروب والثورات التى انتزعت من تركيا كل ممتلكاتها الأفريقية وأربعة أخماس ولاياتها الأوروبية وجزءا من أراضيها الآسيوية • فقد فجع محمد بن عبد الوهاب أثناء رحلاته فى العراق وسوريا من استبداد بضعة حكـام من الترك والشراكسة بالعرب أهل هذه الولايات وتبين أن أولئك الحكام لم يكونوا يستندون الى قوة حقيقية فاختمرت لديه فكرة انقاذ اخوانه من ذلك الاستبداد واعادة انشاء امبراطورية الأمويين القديمة التى كانت دمشق عاصمتها وهى المدينة التى تلقى فيها دروسه الدينية • (١)

وكان الفضل الأول فى انشـاء الدولة الوهابية التى قامت على أساس هذا المذهب لمحمد بن سعود • ويقسم المؤرخون الأوربيون هـذه الدولة الى ثلاثة عهود أولها ينتهى بتوغل المصريين فى قلب شبه الجزيرة العربية عام ١٨٢٠ وكانت الدرعية عاصمة ذلك العهد • وثانيها يبدأ بأستعادة تركى وفيصل لنفوذ أسرة سعود وينتهى بتغلب أبن رشـيد حاكم حائل عليها ، وكانت الرياض عاصمة ذلك العهد • وثالثها يبدأ باسترداد عبد العزيز بن عبد الرحمن لنفوذ الأسرة عام ١٩٠٢ ولا يزال هذا العهد مستمرا الى اليوم • (٢)

أما العهد الأول فقد بدأ بابعاد محمد بن عبد الوهاب من « العينية » بسبب الدعوة التى كان يبثها والتجائه الى صديقه محمد بن سـعود • واشترك الاثنان — من الدرعية — فى نشر المذهب الجديد • وقد تطورت الدعوة الوهابية فاتخذت شكل توسع سياسى بالاغارة على المناطق المجاورة فى ٢٤ من يناير سنة ١٧٤٦ وهو موقف لم يرض به بنو خالد من الأحساء وآل المكرمى من نجران • ولما قوى ساعد الدعوة الوهابية أخذ اشراف مكة يتهمون الوهابيين السعوديين بالمروق • واسـتنجدوا بحكومة الاستانة عام ١٧٤٨ • وتوفى محمد بن سعود عام ١٧٦٦ بعد أن حكم الدولة التى انشـأها ثلاثين عاما • فخلفه ابنه عبد العزيز الذى قضى الثلاثين عاما الاولى من حكمه فى محاربة خصـوم أبيه بنى خالد وآل المكرمى • حتى تمكن عام ١٧٩٥ من دخول الاحساء وقطيف • وثبت أقدام الدولة الناشئة على الخليج العربى الى حد ان ولاة الدولة العلية

(١) Eugène Jung : Les puissances devant la Révolte Arabe, Hachette.

باريس ، ١٩٠٦ ، ص ٤٤ .

(٢) J.H. Mordtmann دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، الترجمة العربية ، المجلد الاول ، ص ١٩١ وما بعدها .

فى البصرة وبغداد الذين تعاونوا مع خصوم أسرة سعود من العرب قد خابت جهودهم فى وقف نمو تلك الدولة العربية السعودية ·

وفى ٢١ من ابريل عام ١٨٠٢ هاجم سعود كربلاء للثأر من قبيلة خزاعة الشيعية التى كانت قد اعتدت على قافلة وهابيـة وهدم أماكن العبادة الشيعية فيها · وفى ١٨ من فبراير عام ١٨٠٣ ضم السعوديون مدينة الطائف الى دولتهم · كما دخل ســعود مكة فى ٢٠ من ابريل من نفس العام ·

وبذلك برزت الى الوجود دولة اسلامية من طراز الدول الاسلامية التاريخية ولكن ذات قدرة ضخمة على الغزو ·· فمن حلب الى اليمن ·· كان يثير اسم آل سعود الخوف · وقد كفتهم الوحدة الوثيقة بين قبائل نجد العريقة ورجال الدين فى الواحات المؤنة لاخضاع مئات من الامارات الصغيرة فى داخل الجزيرة العربية وولايات شاسعة الارجاء على حدودها· وفى بدء القرن التالى أى القرن التاسع عشر عادت مذاهبهم الى الانتشار فى بورما وجزر الهند الهولاندية (اندونيسيا) ، بل انها بفضل الانتشار المدهش للتحمس لفكرة الاصلاح قد أثرت فى حياة الاهالى السود فى نيجيريا (١) · وقد قرر « جان ريمون » الذى كان اذ ذاك قنصلا لفرنسا فى بغداد ان روح الغزو انتشرت فى كل الأوساط ، ويبدو ان ذكرى مجد العرب القديم قد أحيى فى اضعف القلوب الامل العذب فى ان يعود الحكام العرب الى حكم العرب · وقد سمعت وهابيا يقول فى نغمة كأنها تنبىء بالمستقبل : ان اليوم الذى ســترى فيه عربيا يجلس على عرش الخلافة ليس ببعيد فقد طال خضوعنا لظلم المغتصب · (٢) وقد حلل « لاأوست » هذه الفترة بأنه سرعان ما اصطدم توسع الوهابيين بالدول الثلاث التى كان ذلك التوسع يهدد مصالحها فى الجزيرة العربية : ايران التى اشتركت فى قتل عبد العزيز بوساطة شيعى فى عام ١٨٠٣ وانجلترا التى أرسلت قوة بحرية قذفت رأس الخيمة بالقنابل والباب العالى الذى لعجزه دفع والى مصر الى محاربة نجد · (٣)

---

(١) Robert Montagne : La Civilisation du Désert, Hachette. باريس ، ١٩٢٧ ، ص ١٦٤ — ١٦٦ ·

(٢) زين ؛ نفس المرجع ؛ ص ٣٧ — ٣٨، وقــد اســتند عـلى « جان ريمـون » فى « مذكرة عن أصل الوهابيين وعن مولد حركتهم وعن أثرهم كشـعب » التى نشرتهــا الجمعية الجغرافية المصرية ، عام ١٩٠٦ ·

(٣) «لا أوست » ؛ المذاهب الاجتماعية والسياسية لابن تيمية ، ص ٥١٠ — ٥١١

وقد ذكر مفكر عربى أنه : « من الصحيح منطقيا أن نقرر أن محمد بن عبد الوهاب هو مصدر الاتجاه التقليدى المعاصر فى الاسلام • وهو الاتجاه الذى تمثله العربية السعودية خير تمثيل • وان محمد على (حاكم مصر) والسلاطين هم مصدر الاتجاه الاسلامى فى التاريخ الحديث المتسم بالطابع الغربى والمتأثر بالظواهر الوضعية • وهو الاتجاه الذى تمثله الجمهورية التركية خير تمثيل ، وان دعاة الأخذ بالنظم الغربية والاتجاه الوهابى معا هم مصدر الاتجاه الوسط • وهو الاتجاه الذى تمثله بقية الدول العربية خارج شبه الجزيرة العربية •

وذهب الى أننا قد نعد الوهابية أكثر من أنها أول تعبير عن الفكرة العربية وأكثر من أنها أول محاولة جدية فى الزمن الحاضر لتحقيق وحدة العرب فى ظل دولة واحدة عظيمة لان الوهابية قد قدمت قوة دافعة جديدة للاتجاه العربى الاسلامى التقليدى وارتباطه بالقمع والسيف • (١)

استعمار الشرق وطابع مقاومة الغرب الذى اتسمت به حركة الوحدة الاسلامية :

وقد وصف « ستودارد » الحركة الوهابية بأنها دون شك أول لبنة فى صرح الوحدة الاسلامية الحديثة وان الدولة الوهابية التى انشأها ابن عبد الوهاب فى نجد قد استوحت من ديموقراطية خلفاء مكة الدينية ، ولما وجه سعود — تلميذ ابن عبد الوهاب — جيوشه الى المدن المقدسة كان يحلم بأن تكون تلك أول خطوة نحو الغزو الدينى وتقوية العالم الاسلامى كله ، ومع أنه لم يتيسر له تحقيق هذا المصير الضخم الا أن الوهابية لم تتخلف عن اثارة الأحداث السياسية فى أقطار نائية كشمال الهند وافغانستان • وقد تعلقت هذه الاحداث بالحركة الوهابية تعلقا تاما لانها ما ثارت اصلا الا للاحتجاج على التدهور السياسى فى الدول الاسلامية والتدهور الخلقى لزعماء هذه الدول • ولم تكن هذه الاحداث — فى بادىء الأمر — مدفوعة بالخوف من الغرب أو الحقد عليه لان أوروبا وقتئذ لم تكن قد أمعنت فى محاربة الاسلام الا فى بعض المناطق المنعزلة كتركيا

---

(١) صعب : نفس المرجع ، ص ١٥٤ — ١٥٧ ، وقد استند على كتاب « جيب » عن الدين الاسلامى ، وعلى كتاب « كون » : القومية والامبريالية .

(٢) « ستودارد » : نفس المرجع ، ص ٥٠ — ١ •

الأوروبية والهند ولان المسلمين لم يكونوا قد تبينوا بعد الخطر الذى كان يدنو منهم .

ومع ذلك ففى منتصف القرن التاسع عشر تغير الموقف تغيرا تاما اذ انه ـ بعد غزو الفرنسيين للجزائر واستيلاء الروس على جنوب القوقاز وسيطرة الانجليز على كل الهند تقريبا ـ اقتنع المسلمون الواعون فى كل مكان بالتعرض لخطر داهم ، خطر الوقوع تحت وصاية الغرب . وفى تلك الفترة اتسمت حركة الوحدة الاسلامية بذلك الطابع المقاوم للغرب الذى احتفظت به ، وفى بادىء الامر كانت مقاومة اغتصاب الاوروبيين لاراضى المسلمين متقطعة ودون تنسيق . اذ حاربت بعض الشخصيات البطولية ببسالة الغزاة الاوروبيين كما فعل عبد القادر فى الجزائر . ورغم ان المسلمين قد أبدوا عطفا عاما على أولئك المجاهدين المؤمنين الأبطال الا انهم لم يتلقوا اى عون مادى وسقطوا منعزلين أمام الغزاة ، ومع ذلك فقد تزايد الخوف من الغرب والحقد عليه . وحوالى عام ١٨٧٠ اثارت العالم الاسلامى من طرف الى آخر موجه عاتية من الكفاح المسلح ، ففى الجزائر نشبت ثورة القبائل عام ١٨٧١ ، وانتشرت فى شمال افريقيا الحركات الدينية التى كان من أهمها ثورة المهدى فى السودان التى تحدت الجهود الضخمة التى بذلتها انجلترا حتى سقطت الخرطوم فى نهاية القرن التاسع عشر (١) .

وقد حاول آخر أن يقارن الحركة الوهابية بحركة الاصلاح الدينى فى أوروبا فذهب الى ان الاسلام فى القرن التاسع عشر يقدم نموذجا مشابها مذهلا . ففى القرن الثامن عشر بدأ الاسلام فى اليقظة واهتز العالم الاسلامى طولا وعرضا هزة الطموح الى بعث الاسلام كقوة حية ، وخلال القرن التاسع عشر تقدم الاسلام منتصرا فى جميع الاتجاهات وأثبت مناعته الحيوية ، فحاولت الحركة الوهابية استعادة تعاليم الدين القديمة فى بساطتها المتطهرة من الفساد ، وتولد عن الحركة الوهابية عدد من الحركات الأخرى بينها الحركة السنوسية . ثم انتهى المقارن الى أن الحركة الوهابية وان استهدفت ببساطة الاصلاح الدينى الا أنها كانت طليعة القومية العربية (٢) .

---

(١) « ستودارد » ، نفس المرجع ، ص ٥٠ ـ ١ .
(٢) « هانس كون » ؛ تاريخ القومية ؛ ص ١٤ ـ ١٥ ، ٢٢ .

الفصل الثالث

الوحدة الاسلامية المنظمة

محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩)

كانت الدعوة السنوسـيـة هي الخطوة الثـانية نحو اخراج مذهب التحرر الاسـلامي الى حيز التنفيذ . وقد شرح المستشرقون هذه الطريقة الصوفية الاسلامية من الزاوية السياسية الدولية التي تهمهم فقرروا « ان برامج السنوسية هي جمع صفوف المسلمين في افريقيا أولا ثم بعد ذلك في مختلف أنحاء العالم تحت لواء امامة الاسلام في نقاوته الأولى ليضم الى اعطافه المؤمنين عن عقيدة صـافية باسم الجامعـة الاسـلامية . وترى السنوسية ان تحرير الاسلام سياسيا من النشاط المسيحي يجب أن يسبقه انعاش روحي ومعنوي عميق لشعوبه . ولتحقيق هذه الغاية يتعين تحسين أحوال وخلق الذين يتبعون المذهب . وكذلك يجب بذل الجهود الجدية لرفع مستواهم المادي بتشجيع وسائل زراعتهم الواحات في ظروف أفضل وحفر آبار جديدة وبناء مساكن لايوائهم على طول خطوط القوافل وتشجيع التجارة وانماء حركتها » (١) .

وقرر بعض المؤرخين العرب المحدثين ان هذه الطريقة تختلف عن

---

(١) « ستودارد » نفس المرجع ، ص ٨٥ ، ترجمة العمري .

الطرائق السابقة « فى أن أتباعها ما كانوا ينشدون العزلة فقط لكى يتفرغوا للعبادة وذكر الله واحياء الدين والملة بالدعوة والارشاد بل أنهم كانوا يحرصون على العناية بأمر دنياهم أيضا على اعتبار ان الحياة الدنيا الرشيدة وفق تعاليم القرآن الكريم وهديه وارشاد السنة واقتفاء أثر السلف الصالح من شأنها التمهيد لحياة باقية سعيدة ، ولذلك فقد عنى السنوسيون لصالح احياء العالم الاسلامى وعلى الخصوص فى المجاهل الافريقية العربية بانشاء الامارة وتدعيم أركانها الى جانب نشر الدعوة الى الدين الصحيح على أساس العمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور » (١) .

وقد وضع أسس الطريقة السنوسية محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى الذى ينتمى الى الحسن السبط بن الامام على بن أبى طالب . وقد ولد فى بلدة مستغانم بالجزائر فى ٢٢ من ديسمبر عام ١٧٨٧ . وشهد فى شبابه كيف اعدم أستاذه محمد بن الكندوز عام ١٨٢٩ لأن حاكم الجزائر التركى لم يرقه اعتداد ابن الكندوز برأيه . وقد تنقل محمد بن على السنوسى فى شمال افريقيا العربى فقضى فى « فاس » بمراكش سبع سنوات (١٨٢٢ – ١٨٢٩) ثم سافر الى مصر بعد أن استولت فرنسا على الجزائر . وكان لزيارته لمصر أثر فى توجيه حياته اذ « أحدثت هذه الزيارة فى نفسه تبدلا عظيما ، وانتعش فى ذهنه ان الدولة العثمانية فى طريق الانحطاط والاضمحلال » (٢) وآثاره ان تركيا – دولة الخلافة الاسلامية اذ ذاك – قد عجزت عن رد العدوان الفرنسى على الأرض العربية الاسلامية فى الجزائر . واتجه الى الأخذ بفكرة لزوم الخلافة الاسلامية بيد شريف قرشى . ولو ان بعض المستشرقين يذهبون الى ان الامامة كانت هدف السنوسية . أى تشييد صرح الدولة الثيوقراطية التى يدير رجال الدين شئونها دون التجاء الى العنف ودون

---

(١) محمد فؤاد شكرى « السنوسية دين ودولة » القاهرة ، ص١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧ ، وقد استند على كتاب المؤرخ التركى شهبندر زاده احمد على وقد أضاف « قاموس لاروس » – ابريل ١٧١١ – فى مادة « السنوسية » ص ٩٦ انه عندما تولى التدريس فى القاهرة اتضح أن « مبادئه التى لم يتزحزح عنها قد جعلت منه مجددا ومصلحا دينيا . وانه اذا كان قد غادر القاهرة ثم مكة فيما بعد فلم يكن ذلك لأنه عجز عن مكافحة خصومه ولكن لانه كان متأثرا بتلك الفكرة التى سيطرت دائما على أصحاب الرسالات العظيمة وهى الدعوة الى دين محمد والى التوحيد لدى غير المؤمنين ، وضمهم الى هذا الدين وتكوين امبراطورية روحية واسعة الارجاء يتولى هو زعامتها » .

التجاء الى التآمر مع الدول الأجنبية لتحقيق هذا الهدف (١) ٠

وهذا الهـــدف هو توحيد أفريقيا الاســـلامية أولا وتوحيد العالم الاسلامى ثانيا ، وذلك فى امبراطورية اسلامية جديدة قوية مجيدة مطهرة من العيوب التى أصيبت بها دولة الاسلام واضعفتها لابتعادها طوال قرون عن تعاليم النبى الصحيحة وانما كان يقدر ان ذلك يتم مع الزمن على ان يبدأ باصلاح للأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى الشعوب الاسلامية ٠

وما اتصفت به حركة السنوسيين من روح السلام لم يقهم اضطهاد السلطات العثمانية التى اعتراها غم من استفحال أمر المنظمة ، فاضطرت هذه المنظمة الى نقل مقرها الى واحـة جغبوب فى البـداءة ، ثم الى واحة الكفرة الواقعة فى قلب صحراء ليبيا والبعيدة من نطاق السلطة الفعلية لحكومة الاســتانة ٠ فمن هذا المركز الحافل بالاسرار تقريبـــا ، ألقت السنوسية أشـعتها على معظم أفريقيا الشـمالية وأرسـلت روادها حتى جزيرة العـرب وحتى جزر الملايو ٠ وكان ممثلو المنظمة فى كل مكان اســتقروا به يجلبون معهم خميرة النهضة الأدبية والذهنيـــة ويقيمون مراكز للمعارضة والمقاومة السلبية حيال ســيطرة القوات الغربية عن الاســلام ٠ وقد أثبتت المنظمة فى الوقت نفســه قدرتهـا على التوسع الدينى (٢) ٠

وقد قرر بعض المؤرخين العرب الذين توفروا على دراسة السنوسية فى تلك الفترة بعد أن انتشرت تعاليمها فى برقة وطرابلس اللتين كانتا تابعتين لتركيا منذ منتصف القرن السادس عشر ٠ ان سلطان العثمانيين ما كان يتعدى المنطقة الساحلية بمدنها الكبيرة ذات العدد القليل من السكان وان الدولة كانت فى حاجة واضحة الى يد قوية تستعين بها فى ضبط الأمور على أساس اســتتباب الأمن واخماد الفتن والمصــادمات فى داخل البلاد وما كان لأحد غير السيد السنوسى الكبير بما ظهر من تعلق العـــرب به واصغائهم لنصحه وارشاده ، ان يتمكن من اسداء هذا المعروف لمصـلحة السلم والطمأنينة واجتماع الكلمة ونبذ التنافر والخصام بين جميع المسلمين وشعوبهم ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ وقد استند على كتاب Louis Rinn الذى سـماه Marabouts et Khouans, Etude sur l'Islam en Algérie.

(٢) بامات ، نفس المرجع ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ ٠

ولم يكن السيد الا داعيــة عظيما للاتحاد ويقظة العالم الاسلامى • وقد أثمر اعتراف الدولة العثمانيــة ـ عن طريق واليها فى طـرابلس ـ بالامارة الواقعية للسيد السنوسى الكبير خير ثمرة فكان العرب يحترمون أوامره ويطيعون الأتراك بنــاء على نصائحــه • والسيد كان يرى فى هذه الطاعة فائدة وقوة للمسلمين • ومن جهة أخرى ترك العثمانيون من ذلك الحين حكومة داخل البلاد فى يد السيادة السنوسية ، وهكذا شهد تاريخ السيد الكبير بداية هذه الحركة العظيمة تنتقل من مجــرد دعوة الى الدين الصحيح وارشاد لاتباع أثر السلف الصالح الى دعامة من دعامات الحكم فى العالم الاسلامى وامارة منضوية تحت لواء الخلافة العثمانية (١) •

وقد بلغ من نجاح السنوسية فى هذه المنطقة العربية من افريقيا ان اتخذها سلطان « واداى » بالسودان أساســا روحيــا للمنطقة التى كان يحكمها • وهى منطقة متاخمــة من الغــرب لمديرية دارفور العربيـــــة السودانية • وفى ايجاز نستطيع أن نقرر ـ مع مؤرخى السنوسية ـ ان هذه الامارة العربية قد قامت على ثلاثة أصول : أولها الأصل الدينى وقد ســبق أن لخصــناه • وثانيها الأصل الاجتماعى وكان أهم مظهر له انشاء الزوايا • وثالثها الأصــل الســياسى وكان يهدف الى جمع كلمة المسلمين فى أفريقيا داخل نطاق وحدة سياسية كبرى •

وقد توفى السيد محمد بن على السنوسى الكبير فى ٧ من سبتمبر عام ١٨٥٩ ودفن بجغبوب بعد أن بلغ عــدد الزوايا التى أنشــأها اثنتين وعشرين زاوية •

وقد خلفه ابنه السيد محمد المهــدى فزاد فى عهده عــدد الزوايا السنوســية اذ بلغ هذا العــدد عام ١٨٨٤ نحو المائة منتشرة ، بين برقة وطرابلس وفزان وطريق ليبيا ـ مصر ، وطريق ليبيا ـ واداى ، وشــبه الجزيرةالعربية والجريد بتونس ومراكش •

وقوى نفوذ السنوســية فى أفريقيــا العربية • ودعم ذلك النفوذ

---

(١) م • ف • شكرى ، نفس المرجع ، ص ٣٠ ـ ٣١ وقد أشار فى ص ٥١ الى ان اعتراف الاتراك بهذه الامارة الســنوسية لم يكن امرا غريبا • فقد وجدت تركيا من الخير للمحافظة على كيانها أن تكون عــلى وفاق مع الامارات العربيـــــة التى لم يكن فى استطاعتها القضاء عليهــا • ولذلك اعترفت بامارات آل سعود على نجد وآل رشيد على حائل وآل صباح على الكويت • ومجمل الحقيقة أن السنوسية قد بدأت طريقة ثم اشتد أزرها فقويت دعوتها الى احياء العالم الاسلامى •• ولم تلبث أن احتلت مكان الامارة والصدارة•

في عهد محمد المهدى السنوسى تعليم السنوسيين استعمال الأسلحة التى كانت تهرب من ميناء طبرق ·

وأخذ نجاح السنوسية وتغلغلها فى أفريقيا العربية يقض مضاجع السياسة الاستعمارية الأوروبية · وخاصة السياسة الفرنسية التى كان سباقها الاستعمارى مع بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد بلغ أقصى حدته · ولذلك نبه المؤرخون الفرنسيون الى ان الفكرة الأساسية للسنوسية تمثل احتجاجا مثلثا ضد التنازل عن القيم الاسلامية لصالح الحضارة الغربية ، وضد البدع التى أدخلها الحكام الذين تولوا أمر البلاد الاسلامية فى العصور الأخيرة بحجة تحقيق التقدم وأخيرا ضد المحاولات الجديدة لنشر النفوذ الأجنبى ··· وخلاصة ما تقدم أنه يجب مراقبة هذه الطريقة من الطرق الدينية ومعارضة نموها فى أى مكان بكل مافى الامكان (١) ·

وقد دعم نفوذ السنوسية ان اتجهت ـ بعد انتقال مقر قيادتها الى الكفرة فى قلب الصحراء ـ اتجاها سياسيا لم يكن خاضعا على الاطلاق الى أى تدخل سواء من الحكومة التركية صاحبة السيادة على ليبيا أو من أية حكومة أجنبية أخرى · وقد وصف بعض المؤرخين الايطاليين هذه الفترة من تاريخ السنوسية أى الفترة التى أعقبت انتقال محمد المهدى ابن مؤسس السنوسية الى الكفرة بأن هذا الانتقال « قد كشف عن نواياه الصحيحة أو بالأحرى عن الأهداف الزمنية أو الدنيوية السياسية التى صارت الطريقة تبغى تحقيقها · وهى انشاء ملك مستقل كامل السيادة يمتد عبر القارة الافريقية من الحدود المصرية شرقا الى شواطىء الاطلنطى غربا فيضم بين جوانبه الأقطار الليبية وبرقة وطرابلس والفزان ثم صحراء الجزائر ومنطقة تشاد ويسيطر على كل طرق التجارة من ساحل البحر الأبيض شمالا الى السودان جنوبا » (٢) ·

وتبين محمد المهدى السنوسى ان على دينار سلطان دارفور يشاركه عداوة فرنسا التى كانت اذ ذاك تتسابق مع بريطانيا على اغتصاب الأراضى السودانية · فاتفق الاثنان على العمل سويا ضد الخصم المشترك

---

(1) H. Duveyrier : Exploration du Sahara, les Touâreg du Nord. باريس ، ١٨٦٤ ، ص ٣٠٢ ـ ٦ ·

(٢) شكرى ، نفس المرجع ، ص ٨٩ ، مشيرا الى كتاب « ده سيرا » : « ايطاليا والسنوسية ».

الى ديسمبر عام ١٩٠١ عندما اتفقت الحكومتان الفرنسية والايطالية على تحديد منطقتى النفوذ في افريقيا ، وهو الاتفاق الذى اختصت ايطاليا فيه بمنطقة برقة وطرابلس · وكانت ايطاليا قد سبق أن حصلت من بريطانيا عام ١٨٩٥ ومن فرنسا عام ١٨٩٩ على الحق فى اطلاق يدها فى منطقة شاطىء البحر الأبيض المتوسط القريبة من شواطىء ايطاليا · وفى ٣ من أكتوبر عام ١٩١١ اطلقت السفن الحربية الايطالية مدافعها على قلعة العثمانية عند مدخل ميناء طرابلس وعلى قلعة حميدية عند أقصى شرقى طرابلس وعلى قلعة سلطانة فى غرب الميناء · وقد ظل اطلاق قذائف المدافع مستمرا حتى ٥ من أكتوبر عندما انزلت القوات الايطالية الى هذه الأرض العربية وتم احتلالها ·

وفى ١٩ من أكتوبر أطلقت السفن الايطالية قنابلها على بنغازى وتم احتلالها فى اليوم التالى ، كما تم احتلال درنة فى يومى ١٨ ــ ١٩ من أكتوبر ·

وكان الوعى فى الدول العربية الاسلامية قد سار شوطا بعيدا نحو النضوج ··· وأعلن أمام اليمن استعداده لارسال مائة ألف جندى تحت قيادته لمقاومة العدوان على هذه الأرض العربية الاسلامية · ووجه أمير نجد برقية أعلن فيها انه « فخور اليوم بانتمائه للدولة العثمانية · وأن قبائل نجد على أهبة السير فى ظل العلم التركى لترد هذا العدوان » ، وتقدم الكثيرون من المتطوعين لمقاومة العدوان على طرابلس ، وبلغ عدد المتطوعين فى بدء العام التالى لذلك الاعتداء الآثم ستة عشر ألفا ، وسارعت مصر بتشكيل لجنة عليا فى ١٤ من أكتوبر عام ١٩١١ ، أى عقب الاعتداء ببضعة أيام ، لجمع التبرعات ، كما شكلت جمعية الهلال الأحمر المصرية برئاسة المرحوم الشيخ على يوسف صاحب صحيفة « المؤيد » وأوفدت بعثتها الطبية الأولى فى ٧ من نوفمبر عامئذ مزودة بمعدات مستشفيات الميدان · وكان ذلك فى اليوم التالى لاعلان ايطاليا وضع طرابلس وبرقة تحت سيادتها ·

وذلك الوعى الاسلامى هو الذى حدا بأن تضم قائمة المتطوعين القادمين من مختلف الأقطار العربية الاسلامية أسماء لمعت فيما بعد عندما اتخذ هذا الوعى شكلا آخر وهو شكل « الوحدة العربية » ·

وكان توزيع القوات التى كلفت بمقاومة الغزو الايطالى يدل دلالة واضحة على طابع الجهاد الاسلامى ، فقد قسم ميدان بنغازى الى ثلاث مناطق تولى قيادتها جميعا الضابط التركى أنور ، وتولى قيادة المنطقة الأولى

ببنغازى الضابط المصرى عزيز على المصرى ، وتولى قيادة المنطقة الثانيـة بدرنة الضابط التركي مصطفى كمال ، وتولى قيادة المنطقة الثالثة بطبرق الضابط التركى ناظم ، وخلف هؤلاء جميعا كان يتأجج شعور السنوسيين فى أقطار ليبيا القطر المعتدى عليه ، وفى سائر الأقطار العربية الاسلامية التى انشئت بها الزوايا السنوسية وانبعثت منها الدعوة السنوسية • أو تضامنت مع هذه الدعوة عندما اعتدى على أرضها •

معاهدة اوشى بين تركيا وايطاليا :

وفى ١٨ من أكتوبر ١٩١٢ تبينت تركيا ضعفها عن استمرار القتال فى ليبيا فوقعت مع ايطاليا معاهدة « أوشى ــ لوزان » التى اتفق فيها الطرفان على وقف القتال والتى تضمن الملحق الأول من ملاحقها بيانا من سلطان تركيا الى سكان طرابلس وبرقة يمنحهم فيه « بما له من حقـوق السيادة استقلالا داخليا مطلقا وتاما » وتضمن الملحق الثانى بيانا من ملك ايطاليا الى سكان طرابلس وبرقة ، استند الى القانون الايطالى الذى صدر فى ٢٥ من فبراير عام ١٩١٢ والذى اخضـع الولايتين العربيتين للسيادة الايطالية • واقتصر فى هذا البيان على وعد ايطاليا بالمحافظة على الشعاير الاسـلامية ، وعلى ذكر اسم السـلطان التركى بصفته خليفة المسلمين فى المساجد •

وقد علق المؤرخون العرب على هذه المعـاهدة بأن الحكومة التركية وقعتها « من غير أن تستشير الزعماء العرب • واغفلت رغبات المجاهدين السنوسيين الذين قامت على أكتافهـم هذه الحرب بقيـادة السيد أحمد الشريف • فلم يكن لهم رأى فى هذه المقررات التى تناولت مصيرهم • هذا على الرغم من أن هؤلاء مع بقية أخوانهم المجاهدين العرب كانوا يقومون بعبء الحرب الأكبر • وأرغموا ايطاليـا ذات الجيوش المجهزة والأسلحة الحديثة والعتاد • والتى حمى اسطولها ظهور جنودها فى البحر • على البقاء بالسواحل وعدم الجرأة على التوغل فى الداخل ، وكان كل اعتماد الدولة عليهم • وبخاصة عندما جاءت أوامر وزارة الحرب العثمانية الى كل السلطات الحكومية المحلية بالانسحاب والتقهقر الى المراكز الداخلية •• ومع هذا وعلى الرغم من ذلك كله فان الدولة لم تكن قانعة ، على مايبدو ، بأنها سلمت بمقتضى المعاهدة الأقطـار الليبية الى العـدو ، بل ارادت الامعان فى استثارة شعور العرب والمجـاهدين عندما أرسلت الى طرابلس نائبا للسلطان لم يلبث ان أظهر بمجرد وصوله ميلا واضحا نحو ايطاليا •

قصار يدعو العرب الى وضع السلاح · والتسليم · والكف عن المقاومة (١) ·

ومن الواضح ان هذا التعليق من مؤرخ متخصص فى التاريخ الليبى الحديث قد اقتصر على التركيز على « الزعماء العرب » و « المجاهدين العرب » و « شعور العرب » ودعوة « العرب » الى التسليم دون أن يستخدم تعبير « المسلمين » أو حتى « العرب المسلمين » ·

حكومة البارونى الطرابلسية ، ١٩١٢ :
عمر المختار يتولى قيادة المجاهدين ١٩١٣ :

وقد استغل العرب الليبيون ما تضمنه الملحق الأول من ملاحق معاهدة « أوشى » بشأن اعلان استقلال طرابلس وبرقة فكلف العرب الليبيون زعيما من زعمائهم وهو الشيخ سليمان البارونى بتشكيل حكومة وابلاغ الدول بذلك على أن يكون أساس هذه الحكومة الدفاع عن الوطن واتباع قواعد الشرع الشريف · وقد سارعت هذه الحكومة العربية الطرابلسية المستقلة بارسال وفد يمثلها الى أوروبا بغية اعترافها الدول بها ونشر الاعلام عنها · ومما يثير الدهشة أن نائب السلطان التركى قد قاوم هذه الحكومة وأنكرها · وانتهزت الحكومة الايطالية هذه الفرصة فحاولت استمالة سليمان البارونى ولكنه أبى وسجل هذا الاباء فى رسالة تاريخية يوم ١٩ من فبراير عام ١٩١٢ مصمما على مواصلة الكفاح ضد الغاصب الأجنبى · ولكن هذا الكفاح أمام القوات الايطالية المتفوقة لم يستمر طويلا · واضطر البارونى الى التفاوض مع الايطاليين بعد أن لجأ الى تونس مع فريق من المجاهدين · ثم لجأ الى الاستانة فى نهاية عام ١٩١٣ (٢) ·· وتولى عمر المختار ، بعد ذلك قيادة المجاهدين العرب فى ليبيا :·

وفى نهاية عام ١٩١٣ ، عندما كانت تركيا تتأهب مع ألمانيا لشن الحرب ضد فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا ، أوعزت الحكومة التركية بتاليف لجنة أطلق عيها اسم « لجنة التشكيلات المخصوصة » كانت تضم مصريين وتونسيين وغيرهم · وقد أوفدت الحكومة التركية ضابطا عراقيا الى أحمد الشريف السنوسى برسالة تطلب منه مساعدتها فى هذه الحرب

---

(١) شكرى ، نفس المرجع ، ص ١٤٤ ·
(٢) شكرى ، نفس المرجع ، ص ١٧٢ :·

والزحف على مصر لاخراج البريطانيين • وخيل الى الحكومة التركية انها اذا عينت أحمد الشريف السنوسى نائبا عن الخليفة فى شمال أفريقيا وانعمت عليه برتبه رئاسة الوزارة ومنحته حق اعطاء الرتب والنياشين فان السنوسيين سيستجيبون لمطالبها والاشتراك معها فى مهاجمة مصر • الا أن أحمد الشريف السنوسى وابن عمه محمد ادريس السنوسى ، آخر ملك لليبيا ، رفضا أن يهادنا ايطاليا عدوة السنوسيين ومغتصبة أرضهم • كما رفضا أن يحاربا فى جبهتين •

ولكن جد فى الموقف عامل جديد هو شعور بعض الضباط المصريين بوجوب انتهاز فرصة اجهاد بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى للاقدام على عمل ايجابى يتمكنون به من تحرير مصر من الاحتلال البريطانى • وزاد الضغط على أحمد الشريف السنوسى لدفعه الى الزحف لمحاربة الانجليز فى مصر وانتهى به الأمر الى الاشتراك مع الأتراك والألمان حلفائهم فى هذا الزحف • وأرسل فعلا قوة احتلت واحة سيوة المصرية • وسار هو نفسه مع قوة أخرى بقيادة ضابط تركى وآخر عراقى متجهة الى السلوم وظلت مستمرة فى زحفها حتى بلغت مرسى مطروح • وهنا تغير الموقف عندما عهد القائد البريطانى المنسحب من السلوم الى ضابط مصرى بسلطة الحاكم العسكرى فى مرسى مطروح فخطر لهذا الضابط المصرى أنه ينضم الى العرب المجاهدين بالرغم من أنه كان يتنازعه عامل اليأس من نجاح حركات العثمانيين والسنوسيين •

وكانت الحركة السنوسية قد بلغت قبائل الطوارق وانضم اليها عدد من قادة القبائل التى تسكن المناطق الجنوبية • فبدأت الغارات تتوالى على الحصون التى كان قد أقامها الفرنسيون والايطاليون فى الصحراء • وقد شكلت حكومة عربية فى جنوب ليبيا كانت منتمية الى السنوسية • واحتلت واحة فزان ومساحات واسعة من الأراضى التى كانت خاضعة للسيطرة الفرنسية • وظلت هذه الحكومة العربية السنوسية تباشر سلطتها طيلة فترة الحرب العالمية الأولى بين عامى ١٩١٤ ، ١٩١٨ •

معاهدة عكرمة بين السنوسيين وايطاليا عام ١٩١٧ ،
معاهدة بين الجمهورية الطرابلسية وايطاليا عام ١٩١٩ ،
اتفاق الرجمة والاعتراف بالامارة السنوسية عام ١٩٢٠ •

وكان السيد محمد ادريس المهدى الذى ولد فى ١٢ من مارس عام ١٨٩٠ قد تولى زعامة السنوسية قبل سفر ابن عمه الى الاستانة •

فأرسلت الحكومة الانجليزية فى صيف عام ١٩١٦ اليه وفدا لمفاوضته . وقد انضم هذا الوفد البريطانى الى الوفد الايطالى . وانتهت المفاوضات الى عقد أول اتفـاق بين السنوسـيين والايطاليين فى ١٦ من ابريل عام ١٩١٧ جعل عنوانه « شروط تمهيدية لتهدئة خواطر أهل البلاد » . وهو الاتفاق المعروف باسم « اتفاق عكرمة » . وأعلن المجاهدون الطرابلسيون بعد ذلك انشـاء الجمهورية الطرابلسـية فى نوفمبر عام ١٩١٨ . وقد اضطرت الحكومة الايطالية فى ٢١ من ابريل عام ١٩١٩ الى توقيع اتفاق مع حكومة هذه الجمهورية العربية قبلت به هذه الحكومة اصدار دستور لطرابلس اعترف بالسيادة لملك ايطاليا . وفى ٢٥ من اكتوبر عام ١٩٢٠ عقد بين السيد محمد ادريس وبين الحكومة الايطالية الاتفـاق المعـروف باسم « اتفاق الرجمة » الذى تضمن المبادىء الآتية :

« الاعتراف بامارة السـيد محمد ادريس مع تقسـيم القطر البرقاوى الى قسـمين ظاهرين ، قسم السـواحل والأماكن الواقعة على الحدود وهذه ظلت الراية الايطالية تخفق عليهـا ، وقسـم داخل البلاد باكملها بما فى ذلك واحات أوجلة وجالو والكفرة والجغبوب ، المستقلة داخليا ، وهذه فوضت الحكومة الايطالية ادارتها الى الأمير وصار يرفرف عليها علم السنوسية (١) .

مؤتمر غريان عام ١٩٢١ :
ميثاق زعماء طرابلس وبرقة عام ١٩٢٢ :

وفى نوفمبر عام ١٩٢١ عقد مؤتمر « غريان » الذى ضم الزعماء الليبيين والذى أصدر قراره التاريخى الذى نص على « أن الحالة التى آلت اليها البـلاد لا يمـكن تحسينها الا باقامة حكومة قادرة ومؤسسة ، على ما يحقق الشرع الاسـلامى بزعامة رجـل مسـلم منتخب من الأمة لا يعزل الا بحجة شرعية واقرار مجلس النواب ، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية باكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها وان يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة » .

وعقب ذلك القرار أسست حكومة ليبية باسـم « هيئة الاصـلاح المركزية » برئاسة أحمد المريض .

---

(١) شكرى ، نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .

وفي ٢٢ من يناير عام ١٩٢٢ وقع زعماء طرابلس وبرقة ميثاقا فى « سرت » أيدوا فيه قرار مؤتمر « غريان » وبايعوا السيد محمد ادريس السنوسى ٠

وفي يوليو من نفس العام استقر رأى الزعماء الطرابلسيين على ارسال كتاب البيعة ٠ وقد قبل السيد محمد ادريس هذه البيعة فى نوفمبر عام ١٩٢٢ فثارت ثائرة الحكومة الايطالية لما دلت عليه من اتفاق كلمة الليبيين على الوقوف كتلة واحدة ضد الغاصب الأجنبى ٠

وفى ٢١ من ديسمبر عامئذ غادر السيد محمد ادريس وطنه فوصل القاهرة فى ٢٧ من ينساير عام ١٩٢٣ حيث بقى الى أن عاد فى أواخر عام ١٩٤٧ ٠

ويمكن تلخيص أثر الحرب بين ايطاليا والسنوسيين على الحركات الوطنية فى الشرق العربى فيما يأتى :

« منذ عام ١٩١٢ استردت حركة الوحدة الاسلامية توازنها وعادت مرة أخرى الى السير قدما الى الأمام كرد فعل لعودة الغرب الى الضغط على هذا الشرق العربى ٠ وكان لهذه الأحداث أثر هائل على الاسلام ٠ فقد أثارت العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه موجة من اليأس والسخط وتمثلت هذه الموجة فيما ظل دعاة الوحدة الاسلامية يرددونه طيلة خمسين عاما من أن هذا العدوان انما هى حرب صليبية يشنها الغرب لتحطيم الاسلام ٠ ولم يطل الوقت حتى ظهرت نتائج هذا الشعور ٠ ففى طرابلس، حيث كانت العلاقات بين الترك والعرب سيئة للغاية ، اتحد الاثنان وتعاونا فى حماس اسلامى ٠ وقوبل الغزاة الايطاليون بمقاومة عنيدة أثارت اعجاب العالم الاسلامى كما أثارت قلق المراقبين الغربيين، وقد تساءل جابرييل هانوتو وزير الخارجية الفرنسية الأسبق : ما هو العامل الخفى الذى تدخل وعدل الاحتمالات التى كانت تبدو واضحة منذ البداية ؟

فاجاب « ستودارد » على ذلك بقوله : خيل الى ايطاليا انها ستواجه تركيا ٠٠ وتصفى معها حسابها ٠٠ لا ٠ اطلاقا ٠ انها واجهت الاسلام ٠ وهذا شيء آخر » (١) ٠

---

(١) « ستودارد » ، نفس المرجع ، ص ٦٨ – ٩ ، وقد استشهد بجابرييل هانوتو : « أزمة البحر الابيض المتوسط والاسلام » ، المجلة الاسبوعية ، ١٣ ابريل ١٩١٢ ٠

جمال الدين الأفغاني

(١٨٣٩ - ١٨٩٧)

المركز الأصلي الثاني للوحدة الاسلامية :

ان الحركة التي انبثقت - بصفة خاصة - من شخصية جمال الدين الأفغاني تعد المركز الاصلي الثاني للوحدة الاسلامية المنظمة الحديثة باعتبار ان المركز الأول لهذه الوحدة هي الحركة السنوسية (١) ·

ان الجماعة التي انشأها جمال الدين الأفغاني كانت ترمي الى ايجاد الحل المناسب للمشاكل الراهنة باستخدام الطريقة العصرية بعد تطويعها بشكل يجدد مبادىء الاسلام الأساسية (٢) ·

ويذهب الأستاذ « لاأوست » الى أن تطور الاصلاح الديني الاسلامي قد اتخذ منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر أشكالا مختلفة في جميع البلاد الاسلامية تقريبا ، في المغرب أو في الشرق الأدنى أو الأوسط على السواء ·· وعلى الأخص في مصر مركز تجمع الساخطين على حكم السلطان عبد الحميد المطلق ووطن تجديد اللغة العربية ، فالى هذه الحركة الاصلاحية والى حد كبير أيضا الحركة المصرية - السورية نود أن نوجه الاهتمام لأنها - مستفيدة من مركز القاهرة الممتاز في العالم العربي - قد انطلقت أشعتها انطلاقا ضخما وغمرت المناطق المجاورة وتولدت عنها المؤلفات التي تتسم بطابع خاص والتي كان لها أكبر الأثر في الهاب الشعور ، وأكبر رواد هذه الحركة الاصلاحية الاسلامية في مصر هما السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده (٣) ·

(١) « ستودارد » ، نفس المرجع ، ص ٥٣ - ٦٢ ·

(٢) « جاردبه » ، نفس المرجع ، ص ٣٥٠ ·

(٣) H. Laoust : Le Réformisme Musulman dans la Littérature Arabe. Contemporaine, Orient باريس ، ١٩٥٦ ، ج ١٠ ، ص ٨٣ - ٨٤ ·

ويذهب مفكرون فرنسيون آخرون الى أن « زعماء البلاد العربية الاسلامية لم يكن من أهدافهم « تحرير » الشعوب العربية بقدر ما كانوا يهدفون الى ترقية البلاد الاسلامية بشكل يعيد لها التفوق الذى كان لها في عهود الخلافة الأولى ومن هنا يركزون على فكرة الوحدة الاسلامية · ولكن جمال الدين الأفغاني هو فى نفس الوقت أبو الحركات الوطنية الشرقية وأول داعية الى الوحدة الاسلامية · فهو يهز المسلمين هزا عنيفا ليوقظهم من خمولهم · وهو يحيى فى كل البلاد التى يجتازها ، من افغانستان الى مصر ، ذكرى الماضى التاريخى العظيم لهذه البلاد · وهو يثير فى هذه البلاد اعتزازها بمقوماتها الوطنية الخاصة · وتقاليدها العربية · فى مواجهة الأتراك الذين يتهمهم بأنهم سبب ما حل بالاسلام من تأخر · مدعما ذلك كله بأسانيد دينية · ولذلك يعد بين مصادر الحركات الوطنية فى البلاد العربية ··· فهو يتمنى أن يقيم ـ على أراضى الأمبراطورية العثمانية ـ عشر ولايات مستقلة تتجمع فى ظل اتحاد « كونفيديرالى » يكون الخليفة رئيسا روحيا لهذا الاتحاد دون أن تكون له السلطات الزمنية · السياسية · أى أن يقتصر على أن يكون هذا الخليفة مجرد رمز للعالم الاسلامى (١) ·

صحيفة العروة الوثقى فى باريس وحركة الوحدة الاسلامية فى الأراضى الاسلامية

وقد اشترك الأفغانى ومحمد عبده فى اصدار صحيفة « العروة الوثقى » بالعربية التى صدر العدد الأول منها فى ١٣ من مارس عام ١٨٨٤ وهى الصحيفة التى دعت الى التحرر الاسلامى فمنعت الحكومة البريطانية دخولها الى جميع الأقطار الاسلامية التى كانت خاضعة لنفوذها · ولم يطل عمر هذه الصحيفة لما لاقته من مقاومة استعمارية جبارة فلم تظهر بعد عددها الذى صدر بتاريخ ١٧ من أكتوبر عام ١٨٨٤ (٢) ·

---

(١) « فلورى » و « مانتران » ، نفس المرجع ، ص ٧٠ ·

(٢) يقرر محمد بديع شريف : نفس المرجع ، ص ١٤٩ ان جمال الدين قابل لورد سالسبورى الذى قال له : « ان بريطانيا تعلم مقدرتك ونحن نقدر رأيك . ويجب ان نسير مع حكومات الاسلام بمودة وولاء على قدر ما تسمح به ظروفنا . لذلك رأينا أن نرسلك الى السودان سلطانا عليه لتستأصل جذور الفتنة المهدية » ، وان جمال الدين أجابه :

وحينما مر الأفغانى ترك خلفه من يقوم بالكفاح · ويمكن التقرير بلا مغالاة أن كل حركات التحرر الوطنى · أو الانتقاض على السيطرة الأوروبية التى نشاهدها فى الشرق منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى انما تنتمى بأصلها المباشر الى دعايته (١) ·

وقد تنقل جمال الدين الأفغانى بعد ذلك بين ايران وروسيا وفرنسا ، وعاد الى ايران حيث قبض عليه وأبعد فسافر الى العراق وانجلترا ثم الى تركيا ، وتوفى فى مارس عام ١٨٩٧ ·

الأفغانى والشكل الدستورى للدولة :

وكان شاغله المسيطر عليه هو التخفيف ، الى أقصى حد ممكن ، من الطغيان الذى كان جاثما على مصر والكثير من بلاد الشرق · كما أنه مال الى تفسير بعض قواعد القانون العام الاسلامى بروح « فردية » و « ليبرالية » تمت الى التأثير الأوروبى · لقد نصب نفسه داعية الى تطبيق نظريات حقوق الشعوب ضد السلطة الشخصية للحكام · وطالب بنظام نيابى · بل ذهب الى حد أن يلتمس فى الاسلام ما يستوى مع « الفصل بين السلطات » فى التعبير الدستورى المعاصر · كما أنه دعا

= « تكليف غريب . وسفه فى السياسة ما بعده سفه . اسمح لى ان أسألك : هل تملكون السودان حتى تريدون ان تبعثوا اليه بسلطان ! » .

ويضيف « لا اوست » : فى دراسته عن « الاصلاح الاسلامى » ، ص ٨٤ « ان ثمانية عشر عددا صدرت من « العروة الوثقى » جمعت فيما بعد واعيد طبعها عدة مرات قد تركت بصماتها البارزة على تاريخ العالم الاسلامى المعاصر وان مجموع هذه المقالات طالما ارشد الى الحركات الاصلاحية أو الوطنية أو الوحدوية التى ظهرت خلال ثلاثة أرباع القرن الحالى .

هناك عمل آخر للافغانى كتبه باللغة الافغانية وترجمه محمد عبده الى العربية هو « الرد على الدهريين » لقى أيضا ، فى وقته ، نجاحا عظيما . وهذا الرد ليس دراسة فقهية كما يبدو من عنوانه وانما هو اعلان صريح لفلسفة سياسية . وقد ظهرت لهذه الرسالة ترجمة فرنسية قامت بها الانسة جوليشون فى باريس عام ١٩٤٢ . وقد قرر « لا أوست » فى كتابه « النظريات الاجتماعية والسياسية لابن تيمية » ، ص ٥٤٣ — ٦ أن : « جمال الدين الافغانى رغم اتجاهه الوطنى والحر « الليبرالى » الذى تسمه سمة واضحة من سمات المثل العليا الغربية فانه البشير بالوحدة العالمية للشعوب الاسلامية » .

(١) السنهورى ، نفس المرجع ، وقد استند على الترجمة الفرنسية التى قام بها « ميشيه » والشيخ مصطفى عبد الرازق لرسالة التوحيد ، ونشرتها مكتبة « جوتنير » بباريس عام ١٩٢٥ .

الى حرية الضمير · والعقيدة · والرأى · « وكانت دعوته كلهـا باسم الاسلام » (١) ·

وذهب مفكر عربى الى أن الأفغـانى : « طالب باتحاد اسلامى يقام طبقا لنظـام الاتحـاد الكونفيديرالى الالمـانى » وقتئـذ · وكان مدركا للصعوبات التى تعترض سبيل تحقيق الوحدة الاندماجية · ولذلك فقد غذى فى كل بلد الشعور بأن هذا البلد جزء من الوطن الاسلامى الكبير · ولما كانت فكرة الوحـدة العربية ـ أو الاتحاد العربى قد ارتبطت دائما أو اختلطت ـ فى مصر ـ بفكرة الوحدة الاسلامية · أو الاتحاد الاسلامى فان اسهام الأفغانى فى هذا الصدد جدير بأن يذكر ، فالأفغانى أراد أن يكون الاتحاد الاسلامى اتحادا دستوريا · وجاهد فى نفس الوقت لكى يحول النظم الملكية القائمة فى البلاد الاسلامية الى نظم ملكية دستورية » (٢) ·

ويبدو مما سبق عرضـه من آراء الأفغانى · مهما اختلفت الاتجاهات فى تحليلها وتفسـيرها وكما سـوف يتضح بعد استعراض مذهب الوحدة العربية فى القسم الثانى من هذا الكتاب ـ ان الأفغانى انما كان زعيما من زعماء الوحـدة الاسـلامية · وان كفاحه فى سبيل تحرير الأراضى العربيـة من الحكم الأجنبى انما كان مستوحى من مذهب هذه الوحدة الاسلامية ·

ما هى اذن ، المعالم الرئيسية لعقيدته السياسية ؟

كان قبل كل شيء مؤسس حركة الجامعـة الاسـلامية التى تمزج التفسير القومى للاسلام بالروح العصرية والدعوة الى الاصلاح · اما هدفه السياسى الأعلى فقد كان كما وصفه تلميذه وزميله الشهير محمد عبده ، « تجديد حياة احدى الدول الاسلامية وتقويتها حتى تبلغ مستوى الدول الكبرى ومن ثمة تعيد الاسلام الى سالف عزه » ، وهذا يتضمن توحيـد العالم الاسـلامى كله تحت لواء خليفة واحـد · وكانت الامبراطورية العثمانية تبدو فى أيامه أفضل مرشح لهذا الدور (٣) · رغم اتهامه للأتراك بالتسبب فيما حل بالاسلام من تأخر وبشرط أن يكون الخليفة مجرد رمز للعالم الاسلامى كما سبق أن أشرنا ·

---

(١) « لا اوست » : النظريات السياسية والاجتماعية ، ص ٥٥١ ـ ٢ ·

(٢) صعب : نفس المرجع ، ص ١٩٠ ـ ٢ ·

(٣) حازم زكى نسيبة ؛ « القومية العربية : فكرتهـا ، تطورها ، نشاتها » ؛ ترجمة عبد اللطيف شرارة ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ ، ص ١٣٥ ، وقد استند على كتاب محمد سـلام مدكور « جمال الدين الأفغانى » ؛ القاهرة . ١٩٣٧ ، وفى رأى نسيبة ان الافغانى هو الذى بدأ حركة « البعث الاسلامى السياسى » ·

محمد عبده
(١٨٤٩ - ١٩٠٥)

كان جمال الدين قد ذكر عن مصر أنها « أحب بلاد الله الى » ، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طودا من العلم الراسخ ، وعرمرما من الحكمة والشمم وعلو الهمم » .

وقد قرر المؤرخون المحدثون ان محمد عبده التقى بابن تيمية وابن عبد الوهاب فى الدعوة الى اتباع آثار السلف الصالح والرجوع الى العقيدة السليمة من شوائب البدع ، وأن تفسيره القرآن قد دل على هذا الاتجاه . وأنه - مع جمال الدين الأفغانى - قد بذل جهدا كبيرا لانتزاع سوء فهم « القضاء والقدر » من المسلمين . ولعل هذه الدعوة الاصلاحية الاسلامية تبدو واضحة المعالم فى البرنامج الذى نشرته « العروة الوثقى » (١) .

---

(١) « لا أوست » ، الاصلاح الاسلامى ، ص ٨٤ - وقد تضمن برنامج « العروة الوثقى » :

١ - ان تكون خدمة الشرق فى بيان واجباته التى كان التفريط فيها موجبا لضعفه وسقوطه ، وتوضح الطريق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس عن غوائل ما هو آت .

٢ - تبحث فى أصول الأسباب والعلل التى قصرت بهم (أهل الشرق) الى جانب ذلك التفريط فوقعوا فى هذه الحيرة الرابكة التى ضل بها الرشد وعميت فيها عليهم السبل فلا يدرون من أين تفجعهم الطوارىء المزعجة .

٣ - تكشف الغطاء عن الشبهة التى شغلت أوهام المترفين فضلوا مسالك الرشد ، وتزيح الوساوس التى أخذت بعقول المتعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة عللهم وشفاء أدوائهم .

٤ - تحاول اشراب الافهام سهولة الأمر والنجاح فى المقاصد اذا عقدت العزائم =

ولقد أبرز محمد عبده أن بين أعظم وأنبل المبادىء التى أعلنها الاسلام الغاء سيطرة رجال الدين • فليس فى الاسلام اطلاقا ما يسميه البعض « السلطة الدينية » • وقد أشار « جارديه » الى ان محمد عبــده ناقش هذا الموضوع فى كتابه « الاسلام والمسيحية » وركز على أن الاسلام يتعمق فى ارساء المســاواة بين المسلمين جميعا وأن احساس الجماعة الاسلامية ينطوى فى أعماقه على عدم الاعتراف لأى فرد من أفرادها بأية ســلطة روحية على فرد آخر (١) • وأهمية هذا المبدأ ستبدو عند دراسة خصائص الخلافة فى هذا القسم من الكتاب •

ولما لحق محمد عبده بجمال الدين الأفغــانى بباريس فى عام ١٨٨٤ اشترك الاثنان فى خدمة الهدف المزدوج : تحرير بلاد الشرق من الاستبداد الداخلى والاستعمار الخارجى ، وأسسا الجمعية والمجلة اللتين كانتا تحملان نفس الاسم : « العروة الوثقى » • وهذه الصحيفة ، كما سبق أن ذكرنا ، رغم أنها سرعان ما انقطعت عن الصدور الا انها أحدثت أثرا هائلا فى نشر حركة الوحدة الاسلامية والقومية الاسلامية ، ثم غادر محمد عبده باريس الى تونس حيث دعــا الى مبادىء الجمعيــــة ، ومع ذلك أخــذ محمد عبده يتحول تدريجيا عن هذا العمل الذى كان لا يلائم الا الى حد ما روحه التى تغلب نزعتها الاصلاحية على النزعة الثورية والتى كان تعلقها بمصر ــ كمــا يذهب أحــد المستعربين ــ أكثر من ميلها الى العــالمية الاسلامية (٢) •

= ٥ ــ وتبين للناس أن هذا النجاح مقصود بالتمسك بالأصول التى كان عليها أسلافنا التى هى كفيلة فى رد العزة والقوة لنا وقد تمسك بها بعض الدول الأجنبية فقويت وعزت •

٦ ــ وتنبه على أن الروابط بين الدول يجب أن تكون على أساس التكافؤ بالقوى وهذا التكافؤ هو الضامن لدوام العلاقات واذا فقد التكافؤ فان الرابطة تكون وســيلة لابتلاع القوى الضعيف .

٧ ــ تخبر أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بما يتهمهم به أعداؤهم وتدافع عنهم وتبين لهم ما يدور حولهم من الحوادث الجسام فى السياسة .

٨ ــ تراعى تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية وتمكين الالفة بين أفرادها ، وتأييد المنافع المشتركة بينها ونصر السياسات القويمة التى لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين » .

وكانت فترة صدور الاعداد الثمانية عشر من « العروة الوثقى » التى جمعت فيما بعد عدة مرات فى مجموعات منفصلة ككتب مستقلة ــ من الفترات الحاسمة التى حددت معالم الطريق امام تاريخ العالم الاسلامى الحديث .

(١) « جارديه » : ص ١٩٤ .

(٢) « لا أوست » : « الاصلاح الاسلامى » ، ص ٨٤ .

والحق أن تأثير الشيخ عبده يفوق تأثير حركة السلف التي سبقته . ولنقل اننا نستطيع أن نتبين تيارات عديدة في تلامذته الذين تأثروا ذهنيا وروحيا به . ولو أن هذه الحركة ـ بعد أن تولى رشيد رضا زعامتها ـ قد تجمدت الى حد ما باتباعها ظواهر الوهابية الحديثة فى الحجاز فى كثير من آرائها . ومدرسة الشيخ محمد عبده وان كان تأثيرها ضعيفا نسبيا فى الأوساط الحكومية والأوساط المتأثرة بالحضارة الغربية الا أنها اكتسبت أنصارا عديدين بين الخاصة المتمسكة بالتقاليد وجماهير المسلمين المتعلمين أو أنصاف المتعلمين . وقد انتشرت من مصر الى سوريا والعراق وافغانستان والهند وشمال افريقيا . واذا صح أن الاتجاهات العامة لهذه المدرسة قد تغيرت وتجمدت بعد وفاته الى حد ما فان محمد عبده يظل دائما صاحب النظرية العظيم . وداعيتها العظيم (١) .

دور العرب فى قيادة الشعوب الاسلامية :

وأكدت هذه الحركة على دور العرب فى التاريخ ودعت الى تجديده . فمحمد عبده ورشيد رضا لاحظا ان العرب هم الشعب البارز بين الشعوب الاسلامية . لذا فهم أفضل هذه الشعوب للقيادة ولاعادة الاسلام لمكانته . ولذا فالنهضة العربية ضرورة أولى لنهضة الاسلام . وهذه نظرة فيها تنبيه وفيها اثارة . ومن هنا يبدأ دور الكواكبى (٢) .

وهذا هو نفس الاتجاه الذى ذهب اليه مؤرخ عربى معاصر آخر ولو أنه أبرز دور محمد رشيد رضا دون محمد عبده مع ان السمة الواضحة فى حياة رشيد رضا انه كان من تلامذة محمد عبده والناشرين لمبادئه اذ قرر ـ بعد ان عد محمد رشيد رضا الممثل الثانى القائد لحركة البعث الاسلامى باعتبار أن الأفغانى هو القائد الأول لهذه الحركة ـ وهو فى صدد الاشارة الى كتاب « الخلافة » الذى وضعه رضا : « كان أقوى وأكمل عرض منظم للنظرية الاسلامية فى الحكومة ، منذ كتاب « الأحكام السلطانية » الذى وضعه الماوردى قبل تسعة قرون تقريبا . ولم يكن رضا . وهو السورى الذى أقام فى مصر ، داعية عروبة ، وانما كان من دعاة الجامعة الاسلامية الشاملة ، وان كان يقدر مكانة العرب الهامة فى مصير الاسلام

---

(١) « جاردنيه » ، ص ٢٥٠ ـ ٢ .

(٢) عبد العزيز الدورى ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ ، ص ٥٧ ـ ٨ ، وقد استند على م.ب. شريف و « لا أوست »

ويساند الحكم الذى أقره معظم الفقهاء والذى ينص على ان يكون الخليفة عربيا ، ومن قبيلة قريش ، على وجه التخصيص . وقد اشتهر رضا بمجلة « المنار » الدورية التى أسسها لنشر مبادىء محمد عبده الاصلاحية (١) .

ولكن رشيد رضا ولو انه طالما اعلن تلمذته على محمد عبده لم يعد دوره — فيما نرى — الناحيــة الاعلامية عن الجانب الخاص بوحــدة الدولة الاسلامية فى مذهب الأفغانى ، فلم يشــمل هذا الدور الاعلامى الجانب الاصلاحى المصرى البناء فى جهد محمد عبده الذى مهد به للوعى السياسى فى مصر ، فقد رأى مثلا فى مقاله عن الأجناس فى الامبراطورية العثمانية ان الوحدة العربيــة تقوم على الاسلام وعلى اللغة العربية وان العرب هم آخر من يقيم وزنا للفروق العرقية لأن الغالبية العظمى مسلمون والمسلمون لا يعرفون الا الجنسية الدينية (٢) .

وأهم ما أثار الاهتمام فى كتابات رضا هو كتابه عن الخلافة الذى اقترح فيه ان يكون مقرها المقبل فى منطقة محايدة بين العرب والترك وان ينشأ معهد اسلامى يتعلم فيه المسلمون العلوم العصرية لتوفير المرشحين الجديرين بالخلافة والمجتهدين الذين يلمون بالاراء العلمية فى زمننا الحالى والعلماء القــادرين على الدفاع عن الاســـلام ضـــد الهجمات الظالمة . والاضطلاع بحركة اعلامية اسلامية ووجوب انشاء حزب اسلامى معتدل ذى برنامج اصلاحى وفتح باب الاجتهاد لتجديد التشريع الاســلامى . ودون أن يحدد العلاقة بين الخليفة المقترح ومختلف الشعوب الاسلامية أعلن معارضته للفصل بين السلطة الزمنية والسلطات الدينية (٣) .

ولعل رضا قد ظل يدعو الى مثل عقائدية كانت قد تطورت واكتسبت سمات جديدة كما سوف نرى فى الفصول القادمة ولذلك تقتصر دراسة كتاباته على انها مرحلة تاريخية وصدى لما كان يردده الأفغانى ومحمد عبده ، وظل محمد عبده يعد — فى هذه الفترة من تاريخ الشرق — أعظم المصلحين الحقيقيين فى الاسلام (٤) .

---

(١) زين : نفس المرجع ، ص ٤٧ ، وقد استند على مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، رقم ٧ ، يوليو ١٩١٤ ، ص ٥٣٤ .

(٢) سميه ، نفس المرجع ، ص ١٢٩ ، وقد استند على كتاب «آدمز» بالانجليزية « الاسلام والروح العصرية فى مصر » ، لندن ، ١٩٣٣ .

(٣) السنهورى ، نفس المرجع ، ص ٥٥٥ .

(٤) زين ، نفس المرجع ، ص ٥٩ ، وقد استند الى « جيب » .

عبد الرحمن الكواكبى

(١٨٤٨ – ١٩٠٢)

مفكر سوري من حلب ، من أقطاب مذهب الوحدة الاسلامية وقد بدأ جهاده باصدار جريدة « الشهباء » التى عطلتها الحكومة التركية فاستتر وراء آخر وأصدر صحيفة « الاعتدال » ولكن الحكومة التركية عطلتها هى الأخرى فاشتغل بالمحاماة فترة ثم هاجر الى مصر حيث التقى بزعماء الدعوة الى مذهب التحرر الاسلامى · ويبدو جهده الايجابى فى سبيل دعوته الاصلاحية على صفحات كتابيه « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » · وقد نشر الكتاب الأول كمقالات فى بعض الصحف عندما كان بمصر ثم جمعها فى كتاب (١) ·

وقد أطلق فى كتاب « طبائع الاستبداد » صرخة مدوية وجهها الى العرب المسلمين ذكرهم فيها بأن الله خلقهم أحراراً · وسألهم ماذا فعلوا بحريتهم ؟ كما ذكرهم بأن أجدادهم لم ينحنوا الا لله · وناشد العرب المسلمين ان ينسوا الخلافات القديمة وأن ينظروا الى المثل الذى ضربته النمسا والمجر والولايات المتحدة الأمريكية اللتان أثبت تطورهما امكان

(١) أحمد امين : « زعماء الاصلاح فى العصر الحديث » ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٥٢ · اذ قرر : « ان الحديث فى مثل الموضوعات التى مسها الكواكبى فيهما كان من الموضوعات المحرمة لانها تمس نظام الحكم من قريب وتفهم الشعوب حقوقهم وواجباتهم وتقفهم على مناحى الظلم والعدل وتهيئها للمطالبة بالحقوق اذا سلبت والقيام بالواجبات اذا أهملت . وهذا أبغض شيء لدى الحكم المستبد . لذلك رأيت الشرق من بعد ابن خلدون أغلق هذا الباب ولم يفتحه أى باحث بعده ، وصار ابن خلدون مقدمة بلا نتيجة » ولاحظ أن الكواكبى قد اقتبس فى طبائع الاستبداد « كثيرا من اقوال الكاتب الايطالى الفييرى ، الذى درس كتب فولتير وروسو ومنتسكيو وتشبع بآرائهم الحرة وتعشق الحرية وكره الاستبداد أشد الكره ووجه أدبه للتغنى بالحرية »

التضامن الوطني دون تمييز بسبب الدين ، وسألهم لم لا يقولون للترك الأجانب الذين لايتكلمون لغتهم أن يدعوهم وشأنهم بأنفسهم · وطالب الجميع بأن يهتفوا بحياة الأمة · وحياة الوطن · وبأن يعيشوا أحرارا (١) ·

« أم القرى » وتخيل مؤتمر يقظة الاسلام ، ١٨٩٨ :

وقد ابتدع كتابه « أم القرى » فى شكل حوار بين ممثلين للبلاد الاسلامية جميعها وجعلهم على هيئة مؤتمر تعرض فيه أحوال المسلمين وأسباب فتورهم وانهيار قواهم · وجعل مكة ، أم القرى ، مركزا لهذا المؤتمر الذى كان فيه المؤمن الشامى والقدسى والاسكندرى والبصرى واليمنى والنجدى والمدنى والمكى والتونسى والفاسى والانجليزى والرومى والكردى والتبريزى والتاتارى والقازانى والأفغانى والهندى والسندى والصينى ·

وقد انتهى الى أن تأخر المسلمين يعود الى أسباب ثلاثة : دينية وسياسية وأخلاقية ، وان أصول الأسباب السياسية هى السياسة المطلقة من السيطرة والمسئولية وحصر الاهتمام السياسى بالجباية والجندية فقط ، واعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الاخصاء ، وتفويض خدمة الدين للجهلاء ، وابعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقريبهم المتملقين والأشرار . وفقد قوة الرأى العام بالحجر والتفريق ، وفقد العدل والتساوى فى الحقوق بين طبقات الأمة · وميل الأمراء للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين ، وأخيرا تخيل ان ذلك المؤتمر الاسلامى قد أصدر القرار التالى :

« حيث كانت الجمعية لا يعنيها غير النهضة الدينية رأت من الضرورى أن تربط آمالها بالجزيرة (العربية) وما يليها وأهلها ومن يجاريهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هى خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموما وذلك لأجل رفع التعصب السياسى أو الجنسى · ولايضاح أهداف الجمعية للعرب فنقول : الجزيرة هى مشرق النور الاسلامى فيها الكعبة

---

(١) السنهورى ص ٤٨٨ وقد استند الى خيرالله ، نفس المرجع ، ص ٢٥ – ٦ ويركز « فلورى » و « مانتران » ، ص ٧٠ – ١ على خصومة الكواكبى الشديدة للسيطرة التركية · وأنه فى نفس الوقت دعا الكواكبى الى تجديد شباب الاسلام وتوحيد العالم الاسلامى ، واثار موضوع شرعية الخلافة واقترح أن يختار خليفة قرشى تكون مكة مقرا لخلافته · واستهدا باختيار الكواكبى لهذه المدينة العربية على اتجاه الكواكبى نحو دعم فكرة القومية العربية .

المعظمة ، وهى أنسب المواقع لأن تكون مركزا للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقا وأقصى أفريقيا غربا ، وهى أسلم الاقاليم من الاخلاط . جنسية وأديانا ومذاهب ، وأبعد الاقاليم عن مجاورة الأجانب .

وعرب الجزيرة ، هم ومن يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين الى أفريقيا ، مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم » (١) .

ومما يلاحظ أن الكواكبى لفترة مؤقتة قد اقترح أن يكون المقر الرسمى للجمعية فى سنتيها الأوليين فى بورسعيد أو الكويت على أن ينقل فيما بعد الى مكة (٢) .

---

(١) سريف ، ص ١٧١ — ١٧٢ .

واحمد أمين ، نفس المرجع ، ص ٢٦٧ — ٢٧٨ .

وقد أضاف احمد امين ان مؤتمر أم القرى قد اقترح انشاء جمعية دائمة تعنى باصلاح المسلمين ، وتشرف على تنفيذ برنامجها فى الاصلاح . وهذه الجمعية تؤلف من مائة عضو ، عشرة عاملين وعشرة مستشارين وثمانين فخريين .. وجعل مركزها فى مكة ولها شعب فى الاستانة ومصر وعدن والشام وتونس ومراكش وغيرها . والجمعية لاتكون تابعة لحكومة ما ، ولا تتقيد بمذهب دينى خاص .. وختم دراسته للكواكبى بمقارنته بالافغانى فقرر :

« الافغانى داع الى السيف والكواكبى داع الى المدرسة . ولعل هذا يرجع الى اختلاف المزاج . فالافغانى حاد الذكاء ، حاد الطبع ، والكواكبى رزين الذكاء هادىء الطبع . اذا وضعت أمامهما عقبة تخطاها الافغانى قبل ، وتخطاها الكواكبى بعد ، ولكن من خير نقطة تتخطى . فلا عجب ان كان للأفغانى دوى المدفع ؛ وكان للكواكبى خرير الماء يعمل فى بطء حتى يفتت الصخر »

(٢) ب.ب. غالى ، الكواكبى والجامعة الاسلامية ، المجلة المصرية للقانون الدولى، ١٩٥٧ ، مجلد ١٣ ، ص ٥ . ذهب الى : ان أفكار الكواكبى كانت بذرة طيبة أثمرت فيما بعد ، ومن ثمراتها المؤتمر الاسلامى الاول الذى انعقد فى مصر فى مارس ١٩٢٦ تحت رياسة شيخ الجامع الازهر لدراسة مشكلة الخلافة الاسلامية والمؤتمر الاسلامى الثانى الذى عقده الملك عبد العزيز آل سعود بمكة فى يونيو ويوليو سنة ١٩٢٦ لدراسة شئون الارض الاسلامية المقدسة ، والمؤتمر الثالث الذى عقد فى القدس فيما بين ٧ ، ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ تحت رياسة مفتى فلسطين والزعيم الهندى شوكت على ، والمؤتمر الرابع الذى وضع أسسه كل من الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر ورئيس وزراء الباكستان السيد محمد على حين التقوا فى مكة أثناء تأدية فريضة الحج فى أغسطس سنة ١٩٥٤ . وقد عين السيد الرئيس أنور السادات سكرتيرا عاما له .

وقد أجمع الباحثون الذين توفروا على دراسة فكرة الوحدة العربية من ناحية تطور الفكر السياسى العربى على أهمية كتاب « أم القرى » فذهب أحدهم بعد أن أوضح ان ما يهمه من كتابات الكواكبى هو « أم القرى » الى أن هذا الكتاب من العوامل الفعالة فى ايقاظ الشعور القومى بين العرب اذ هو يدعو الى خلافة عربية مركزها الجزيرة العربية (١) .

وذهب آخر الى ان الكواكبى يؤكد على دور العرب وخاصة عرب الجزيرة فى الاسلام ويدعو الى عودتهم الى دورهم التاريخى كما يدعو الى نهضة اجتماعية سياسية ويحمل حملة شعواء على ظلم العثمانيين واستبدادهم ، وأن دور الكواكبى قد بدأ بعد ان نبه محمد عبده ورشيد رضا الى أن النهضة العربية ضرورة أولى لنهضة الاسلام (٢) .

وفى صدد التعقيب على كتاب « أم القرى » ركز مستشرق أميريكى على أن « فكرة تطوير اجتماعات الحج السنوية الى مؤتمرات للوحدة الاسلامية خطرت للكواكبى الذى صور فى كتابه « أم القرى » — أى مكة — اجتماع أعظم الزعماء الروحيين القادمين من جميع البلاد الاسلامية فى الأراضى المقدسة وتبادل المشورة لتحقيق رفاهية المؤمنين وضمان مستقبلهم » (١)

---

(١) أنيس الخورى المقدس « الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٢) الدورى ، نفس المرجع ، ص ٥٨ — ٥٩ .

لا يسعنا هنا الا أن نشير الى أن استاذنا السنهورى فى كتابه عن « الخلافة » ص ٥٥٧ — ٥٥٨ قد ذهب فى معرض الكلام عن الرواد الذين ساهموا فى تطوير الاصلاح الدينى الى أن بعضهم دعا الى توثيق الرابطة العرقية وان عبد الرحمن الكواكبى فى كتابيه القيمين قد اجتهد فى ايقاظ الجنسية العربية وانه هاجم بعنف استبداد الترك ثم اضاف ان الكتاب الاول قد تضمن تقريرا عن مؤتمر يقظة الاسلام عقد بمكة فى عام ١٨٩٨ ، بناء على دعوة الكواكبى ووصف ذلك المؤتمر بأنه قد يكون أول مؤتمر اسلامى فى العصر الحديث وانه كان سريا وانه ناقش أسباب تأخر الشعوب الاسلامية وعلاج هذه الأسباب ، ولكن الواضح من كتابى الكواكبى ان دعوته كانت استمرارا لحركة الوحدة الاسلامية وان جاءت فى ترتيبها الزمنى عند نهايتها فتضمنت بعض لمحات عن العروبة السياسية . وان المؤتمر الذى تخيله الكواكبى فى « أم القرى » لم يقتصر على العرب وحدهم وانما ضم مسلمين من تبريز والسند والصين وكردستان وان جدول أعمال المؤتمر قد تضمن ما هو الاسلام ؟ كيف يكون التدين بالاسلام ؟ وان ذلك المؤتمر لم يعقد قط بمكة فى عام ١٨٩٨ كما جاء فى رسالة أستاذنا السنهورى وانما كان فكرة تخيلها الكواكبى ووضع عنها كتابه « أم القرى » .

(١) « زون » : « تاريخ القومية » ، ص ٤٢ .

وأبرز مفكر عربي أن الكواكبي ـ ولو أنه من تلامذة الأفغاني ـ الا أنه قد افترق عنه في التمييز بين الحركة العربية وحركة الوحدة الاسلامية العامة · وقد استقرأ هذا التمييز بين الشعوب العربيه الاسلامية · والشعوب غير العربية الاسلامية ، من دروس التاريخ · أى من الدور الذى لعبه العرب فى نشوء الاسلام · ومن الرابطة الوثيقة بين العبقرية العربية وروح الاسلام · ومن المكانة الخاصة التى استحق العرب أن يحتلوها فى انتصارات الاسلام بسبب لغتهم وتراثهم · ولذلك فانه ـ مع تأييده التام لمذهب وحدة الاسلام واسهامه فى حملة الأفغانى لتجديد شباب الاسلام ـ دافع عن نقل الخلافة الى عربى من قريش وعن اتخاذ مكة عاصمة لهذه الخلافة ·

ولعل التقويم المعتدل لدعوة الكواكبي انه وقف فى منتصف الطريق بين الغرب والاسلام وبين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية وانه كان دائما من رواد المناداة بالحياة الدستورية (١) · ورغم ما أشرنا اليه قبلا من أن الأفغاني أنشأ جيلا ينتمى اليه الكواكبى الا ان مؤرخا عربيا معاصرا قد لاحظ أنه بينما كان الأفغانى ينظر الى العالم الاسلامى كوحدة فى ظل أى خليفة فان الكواكبى فرق تفريقا واضحا بين العرب وبين غير العرب من المسلمين ·· وأنه لذلك ـ مع تمسكه التام بمذهب الوحدة الاسلامية ـ نادى بالغاء ادعاء السلطان العثمانى للخلافة وبمبايعة عربى قرشى خليفة فى مكة (٢) ·

طليعة العروبة السياسية :

أما وقد لخصنا آراء هذا العدد الكبير من المفكرين العرب فى مذهب الكواكبى فقد بقى ان نشير الى أن أحد المستعربين قد ذهب الى أنه اذا كان الأفغانى قد استطاع أن يعد كداع نظرى للوحدة الاسلامية وتلميذه محمد عبده كداع الى القومية المتسمة بطابع اسلامى فان الكواكبى يمكن أن يبدو أمامنا كطليعة الذين أرسوا نظريات العروبة السياسية وهذا يفسر تجدد الاهتمام به · فالكواكبى ينتقد بعنف الخلافة العثمانية التى دافع عنها الأفغانى ولم يضق بها عبده · والعناصر العربية عند الكواكبى

---

(١) صعب ، نفس المرجع ، ص ٢٠٢ ·

(٢) جورج أنطونيوس ،

The Arab Awakening, The Story of the Arab National Movement.

نيويورك : Putman's Sons. ١٩٤٦ ، ص ٩٧ ـ ٨

هى التى يجب أن تبدأ بناء الاصلاح : اصلاح الخلافة باعادة استقرارها فى الحجاز بالشكل الذى صوره فى « أم القرى » ومنها تنبثق حركة الاصلاح بالعودة الى فهم الدين فهما صحيحا فى جميع البلاد الاسلامية ٠ ومن آراء الكواكبى التى استهوته انشاء جمعية اسلامية دولية يكون مقرها فى مكة ولها فروع فى جميع البلاد الاسلامية للدفاع عن الدين والدعاية له ، وتعليم اللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية ٠ والكواكبى يلح كثيرا فى مناسبات متكررة على المناداة بروح التسامح والتحرر والابتعاد عن العنف ، التى يجب ان تكون رائد المسلمين فى دعايتهم (١) ٠

وقد أفرد نسيبة فى مكان آخر من كتابه بهذا الفارق بين الرجلين ، عندما أوضح « أن فكرة دولة اسلامية متحدة ظلت هى المحور الذى تدور عليه الحركة ٠ وكان الحس الدينى لا يزال يهيمن على القومى ٠ وكان عبد الرحمن الكواكبى الحلبى السورى يمثل ذلك الطور أبرز تمثيل ، فهو ، وان كان تلميذا ومعاصرا للأفغانى فقد انفصل عنه بتمييزه من تلقاء نفسه بين الحركة العربية والحركة الاسلامية العامة » ٠

ويرى رجال القانون الأمريكيون أن بين مميزات القانون العام الأمريكى « ارادة انشاء منظمة دولية على أسس قانونية ومحلية قويه ، ولعل هذه هى أول ظاهرة تاريخية للقانون الدولى الأمريكى وللوحدة الأمريكية ٠ فالحرص على انشاء منظمة تحل شيئا فشيئا محل فوضى السيادات الوطنية المتحكمة منذ الأبد فى العالم كانت الباعث المحرك للجمهوريات الأمريكية ٠ وهذه الفكرة التى اندمجت بالامس بفضل عصبة الأمم ، واليوم بفضل الأمم المتحدة ، فى ضمير الانسانية بأجمعها هى احدى المميزات البارزة للقانون الدولى الأمريكى » (٢) ٠

ولكن الكواكبى كما سبق أن ذكرنا ، مستندا الى الفكرة الكونفيدرالية فى الخلافات الاسلامية قد نادى بانشاء منظمة دولية على أسس قوية قبل انشاء عصبة الأمم بعشرين عاما اذ نشر كتابه « أم القرى » قبل اجتماع المؤتمر الثانى للوحدة الأمريكية بالمكسيك فى عامى ١٩٠١ — ١٩٠٢ الذى تضمن « البروتوكول » الخاص به تعبير « القانون الدولى الأمريكى » وقبل أن يعرض « الفاريز » نظريته عن القانون الدولى الأمريكى على المؤتمر العلمى الأول للوحدة الأمريكية الذى عقد بسانتياجو — شيلى

---

(١) « لا أوست » الاصلاح الاسلامى ، ص ٨٩ — ٩٠ ٠
(٢) « بيب » ، نفس المرجع ، ص ١٢ — ١٣ ٠

فى عام ١٩٠٨ ، وقبــل أن ينشر « الفاريز » كتابه عن القــانون الدولى الأمريكى بباريس فى عــام ١٩١٠ ، وقبــل أن يصدر « كاتيلانى » كتابه عن هذا القانون وقبل أن يصدر « فوشى » شرحه للقانون الدولى العام فى عام ١٩٢٢ الذى أيد فيه آراء « الفاريز » (٣) ٠

(١) « بويج » ، نفس المرجع ، ص ١٥ ــ ١٧ ٠

الفصل الرابع

تطور الفكرة « الاتحادية » فى الخلافة
الى تضامن دولى

خصائص الخلافة الاسلامية :

قبل مناقشة ما ذهب اليه التقليديون بشأن أصل الخلافة ، وأسس سلطات الخليفة ، وخصائص نظام الخلافة · وهو موضوع القسم الثانى من هـــذا الكتاب ، ومادمنا بصـــــدد تطور تاريخ المذاهب السياسية العربية ـ الاسلامية فمن الواجب أن نستعرض الآراء المختلفة المتصـــلة بموضوع الخلافة · فالقانونيون العرب المسلمون · والقانونيون المسلمون غير العرب ـ عبر رسائلهم العلمية التى نوقشت أمام الجامعات الأوروبية من الثلاثينات الى الخمسينات من هذا القرن ـ ظلوا متمســـــكين بآراء المدرسة التقليدية عن خصائص نظام الخلافة · والمستعربون الفرنسيون المتوفرون على الدراسات الاسلامية يكادون أيضا يجمعون على مســـايرة هذه المدرسة التقليدية ·

فهذه المدرســـة التقليدية تذهب الى أن حكومة الخلافة تتميز عن سائر الحكومات بثلاث خصـــائص رئيسية : (١) ان الخليفة يجمع بين سلطات دينية وسلطات سياسية (٢) · لما كان خليفة النبى (صلعم) فان عليه أن يطبق فى حكومته قواعد الشريعة الاسلامية · (٣) لما كانت سلطة الخلافة عامة · على جميع المسلمين فان الخليفة يجب ان يحقق وحدة الاسلام · (١)

وطبقا للمدرسة التقليدية فان رئيس السلطة التنفيذية فى الاسلام هو الخليفة · وسلطته هذه تمثل ـ بصفة عامة ـ نظاما عاما من أنظمة

---

(١) السنهورى ، ص ٢٢ ·

الجماعة الاسلامية . وهذه الأهمية قررها اجماع الصحابة . وهذا الاجماع ذاته يحتم تحتيما مطلقا أن تكون على راس الجماعة الاسلامية سلطة تنفيذية . ورادعة تستند الى نصوص القرآن . والى السنة . التى تعد كأساس مقدس لسلطة الخليفة .

والخلافة . أو الامامة . عقد . أو عهد . أو التزام لا يقوم على أساس القانون الطبيعى ولكن على أساس وضع قانونى . فكل مسلم من حقه أن يشترك فى تعيين الخليفة . بشرط أن تتوافر فيه الشروط اللازمة . كالعدالة . والذكاء . والحكمة . مما يسمح له بالتمييز عند اختيار أجدر من يتولى الخلافة . وكل بيعة شرعية للخليفة تقتضى منه الالتزام باحكام القرآن . وبالسنة . وبالعدل . كما تقتضى ممن اختاروه أن يطيعوه فيما يأمر به من معروف . والمسيحية لاتعرف عقد البيعة هذا بالنسبة لاختيار البابا . الذى يتلقى ـ وحده ـ من الله اختياره لممارسة سلطاته . والذى يحق له ـ وحده ـ أن يسن القوانين وأن يطلب الطاعة له من الجميع باسم الايمان به وحده . دون بيعة من أحد .

وكمبدأ فان الجماعة الاسلامية يجب أن تطيع خليفة أو اماما واحدا . ومع ذلك فاذا اتسعت رقعة الدولة الاسلامية الى حد أن يتعذر على أهل طرف من أطرافها أن يعرفوا ما يجرى من أحداث فى الطرف الآخر فان فى الامكان بصفة عامة بسبب هذه الضرورة ـ أن يتولى اثنان أو أكثر الخلافة الشرعية . (١)

ودون استناد الى أى نص من نصوص القرآن أو السنة . ذهب البعض الى أنه « طبقا للفكرة التقليدية فى الشريعة الاسلامية . وهى الفكرة التى تأثرت بالآراء البيزنطية والفارسية ـ يزعم « تايان » فى كتابه « تاريخ التنظيم القضائى فى البلاد الاسلامية » أن نظام الدولة هو نظام « اوتوقراطى » بحت . أو نظام يستند على سلطة الفرد . فالحاكم هو الذى يجمع بين يديه كل السلطات » .

ومرة أخرى . ودون استناد الى أى حكم من أحكام الشريعة الاسلامية . يذهب « جارديه » الى ان هناك ثلاثة عناصر أسهمت فى تكوين فكرة الخلافة فى الاسلام : عنصران تاريخيان أحدهما يمت بجذوره الى حياة القبائل العربية قبل الاسلام . والآخر يمت الى تاريخ

---

(١) نيازى أحمد زكريا ، باريس ، ١٩٥٨ ، ص ٤٧ ـ ٥١
Les Principes de l'Islam et la Démocratie, Nouvelles Editions.

الامبراطوريات الاوتوقراطية الفارسية والبيزنطية . أما العنصر الثالث . فهو عنصر فقهي . طوع بعض ما خلفه العنصران التاريخيان . وأذابه في نظرية شاملة عامة . أرسى الفقهاء لها أساسا مكينا . وان أغفلوا عمدا امكان تحقيقها تحقيقا ثابتا (١) .

وأما بشأن هذا التحقيق . فاننا نستطيع أن نقرر أنه عبر تاريخ الخلفاء الأمويين (٦٦١ ـ ٧٥٠) والعباسيين (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) لم يثبت تاريخيا . بطريقة علمية . مقنعة . أن الخليفة قد خلف النبي (صلعم) كما ذكر السنهوري ، وان ممارسة الخليفة بسلطاته تمثل نظاما هاما من أنظمة الجماعة الاسلامية كما ذكر زكريا ، وان نظام الخلافة يستند على أساس من الشريعة الاسلامية كما ذكر آخرون .

ولم يتردد « جارديه » في ان يركز ـ في هذا الصدد ـ على ان انحراف الخلفاء الأمويين عن جادة الشرع . سواء صحت هذه التهمة . أم لم تصح . قد اتخذها خصومهم سلاحا من أفضل الأسلحة لمهاجمتهم . فحل محلهم الخلفاء العباسيون من أسرة النبي . وفي نهاية العصر العباسي . فقد الخلفاء كل سلطة فعلية . ولم يصبحوا أكثر من ألعوبة في أيدي وزرائهم الفارسيين (٢) .

ويضيف « جارديه » ـ بعد أن ركز على التعايش بين الخلافة الأموية في أسبانيا والخلافة العباسية في بغداد وذلك لابراز عدم تحقق وحدة الاسلام وحدة تدعمها سلطة عامة شاملة على جميع المسلمين ـ ان الخلافة العباسية انتهت عام ١٢٥٨ عقب الغزو المغولي وقتل الخليفة المستعصم . وفي عام ١٢٦١ استخدم السلاطنة المماليك في مصر المستنصر ـ عم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ـ أما آخر الخلفاء فهم الخلفاء العثمانيون . (١٥١٧ ـ ١٩٢٤) . الا أن عددا من فقهاء المذهب الحنفي يعدون اطلاق لقب الخلافة على سلاطين آل عثمان من قبيل الألقاب الفخرية التي ليست لها قيمة شرعية واستند هذا الفريق من الفقهاء على بعض الأحاديث فقرروا أن الخلافة بمعنى الكلمة لم تدم الا ثلاثين عاما بين وفاة النبي (صلعم) ووفاة علي بن أبي طالب . أي الفترة التي تولى فيها الخلفاء الراشدون الأربعة . وأنه منذ تولى معاوية الخلافة . أي منذ بدء الخلافة الأموية قد تحولت الخلافة الى نظام ملكي يعوزه الأساس الديني الشرعي .

---

(١) « جارديه » ؛ ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

ولم يبتعد ابن خلدون من جهة ودعاة الاصلاح المحدثون من جهة أخرى كثيرا عن الأخذ بهذا الاتجاه فى النظر الى شرعية الخلافة • (١)

وكما تبينا أنه لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة ذكر لنظام الخلافة • فانه يتضح أيضا مما سبق ان اختيار أو « تعيين » • أو «انتخاب» الخلفاء الأمويين والعباسيين • وخلفاء أمويى أسبانيا • والخوارج• لم يتم طبقا لاجماع المسلمين على بيعتهم اجماعا صحيحا • وبيعة صحيحة • بالمعنى المقصود من الاجماع ومن البيعة كشرطين من الشروط التى يقتضى توافرها فيمن يتولى الخلافة طبقا للمدرسة التقليدية •

وقد اهتم المستعربون بدراسة أحوال العالم الاسلامى قبيل التسلل الأوروبى • وانتهى اثنان من المتوفرين على الدراسات الاسلامية الى أن الرابطة التى كانت توحد مجموع الدولة العثمانية هى الرابطة الدينية التى تسمح لرعايا الخليفة أن يحددوا مواقفهم فى مواجهة مسيحيى الغرب الذين كان يتزايد غزوهم لبلاد المسلمين • فاولئك الرعايا مسلمون قبل كل شيء • وكان أهم ما يعنيهم أن يتولى حماية الاسلام والدفاع عنه الأتراك أو سواهم • وكانت الهزائم التى حلت بالعثمانيين يعم الشعور بها كهزائم للعالم الاسلامى • وما من عربى • أو كردى • أو بربرى خطر له — اللهم الا فى حالات منعزلة — أن يستفيد من الدعوة الى الانفصالية «الاقليمية»، مما سمى فيما بعد «القومية» قبل نهاية القرن الثامن عشر • فهذا العالم الاسلامى كان يبدو حتى ذلك الوقت كصرح شامخ خال من أى تصدع •

وفى ضوء هذا التحليل التاريخى يركز هذان الأستاذان على ما يسميانه « الأسرة العربية — الاسلامية » فيقرران ان المفكرين والفلاسفة العرب يعتقدون ان الوحدة فى التفكير السياسى الاسلامى قد سجلها التاريخ • ويستشهدون على ذلك « بالجماعة الاسلامية » المثلى التى كانت تعيش فى ظل نظام سياسى كان دائما — ولا يزال — مادة لدراسات هامة • هو نظام الخلافة • ويعقب الأستاذان على ذلك بأن الواقع التاريخى يثبت أن هذا النظام لم يعش الا فترة قصيرة • ولكن رغم قصر هذه الفترة ذاتها تبدو كالعصر الذهبى للنظام السياسى العربى • فالدول العربية المعاصرة تحاول الارتباط بذلك الماضى المجيد • وترى أنه رغم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥١ — ٢ ، ١٨٠ •

التطور الذى طرأ بحكم تغيرات المجتمع الاسلامى فان هذه الدول لا تزال تلتزم بنفس الخط السياسى والفلسفى • (١)

وسوف نعود الى مناقشة بعض وجهات النظر التى أثيرت فى هذا الفصل بشأن الأصل التاريخى للتضامن الاسلامى • وهى وجهات نظر لا تبرز الأصل التاريخى لهذا التضامن • فهل الخليفة يحل حقا محل النبى كما قرر الأستاذ السنهورى ؟ وهل صحيح أنه يمثل الله تعالى أمام عباده ؟ وهل الخليفة هو نائب الله تعالى وخليفة النبى (صلعم) ؟ وأن الله تعالى ـ أصل السلطنة الدينية ومصدرها ـ يعهد بها الى الأمة التى تعهد بها ـ بدورها الى الملك الذى تنصبه الأمة خليفة له سبحانه وتعالى كما ذهب الأستاذان « فلورى » و « مانتران » ؟ (٢) •

الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق : ١٩٢٥

وقد انطلقت من القاهرة • فى عام ١٩٢٥ • صيحة ضد فكرة الطبيعة الملزمة للخلافة • وضد تحتم أن تضم العالم الاسلامى « وحدة سياسية » فى شكل « دولة » واحدة • وضد فكرة « وحدة » الخلافة • وكان مطلق هذه الصيحة هو المفكر المصرى على عبد الرازق فى كتابه « الاسلام وأصول الحكم » فقد قرر على عبد الرازق أن :

« الواقع الملموس الذى يؤيده العقل • ويشهد به التاريخ قديما وحديثا أن شعائر الله تعالى • ومظاهر دينه الكريم • لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذى يسميه الفقهاء خلافة ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء • »

« الاسلام كما عرفت دعوة سامية ، أرسلها الله لخير هذا العالم كله ، شرقيه وغربيه ، عربيه وأعجميه ، رجاله ونسائه ، أغنيائه وفقرائه ، عالميه وجهلائه ، وهو وحدة دينية ، أراد الله أن يربط بها البشر ، وأن تشمل أقطار الأرض كلها ، وما كان الاسلام دعوة عربية ، ولا وحدة عربية ، ولا دينا عربيا ، وما كان الاسلام ليعرف فضلا لأمة على أمة ، ولا للغة على لغة ، ولا لقطر على قطر ، ولا لزمن على زمن ، ولا لجيل على جيل ، الا بالتقوى • »

---

(١) « فلورى » و « مانتران » : ص ٥٣ ، ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٠١ .

« كتاب عربي ، ورسول عربي ، فلا مناص بالطبع من أن تبـــدأ دعوة الاسلام ، بين العرب ، قبل أن تصل الى غيرهم . ولا مناص بالطبع ، من أن يكون العرب أول من تشق آذانهم دعوة ذلك البشير النذير ، وأول من يهيب بهم ذلك الداعي الى الله ، وأول من يحاول أن يجمعهم على الهدى . »

« تلك الوحدة العربية التي وجدت زمن النبي عليه السلام لم تكن وحدة سياسية بأي وجه من الوجوه . ولا كان فيها معنى من معاني الدولة والحكومة ، بل لم تعد أبدا أن تكون وحدة دينية خالصة من شـــوائب السياســة . وحدة الايمان والمذهب الديني ، لا وحدة الدولة ومذاهب الملك . »

« وقد لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى من غير أن يسمى أحدا يخلفه من بعده ، ولا أن يشير الى من يقوم في أمته مقامه .

بل لم يشر عليه السلام طول حياته الى شيء يسمى دولة اسلامية . أو دولة عربية » .

« والحق أن الدين الاســـلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون . ولا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى ، في علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ، ونظام حكومتهم ، على أحدث ما انتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت تجارب الامم على أنه خير أصول الحكم . » (١)

الرد على « الاسلام وأصول الحكم »

وقد أوجز الاستاذ السنهوري في رسالته « الخلافة » الرد على نظرية مؤلف « الاسلام وأصول الحكم » فعني في هذا الرد بالتركيز على ما يعنيه تعبيرا « الدين » و « الدولة » اللذان استعملهما عبد الرازق كثيرا . اذ يبدو أنه ـ كما يذهب السنهوري ـ فهمهما بمعناهما الحديث . أي فهم « الدولة » على أنها مجموع الســلطات الثلاث : التشريعية والقضـــائية والتنفيذية . كما فهم « الدين » على أنه مجموع القواعد التي تحكم ضمير الفرد وصلاته بالله . فالنبي ـ طبقا لما يراه عبد الرازق ـ لم ينشيء دولة

(١) على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ، بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٢٥ ، ص ٨١ ـ ١٠٣ .

بالمعنى العصرى للكلمة . والحقيقة ـ كما يقرر السنهورى ـ أن تعبيرا « الدولة » و « الدين » لم تكن قد تحددت معانيهما فى الماضى كما تحددت فى الوقت الحاضر . فالمؤسسات السياسية كانت فى أغلب الأحوال تقوم على اعتبارات دينية دون أن تفقد سماتها الرئيسية كمؤسسات مدنية . وهذا يفسر الروح الدينية التى تنطق بها . أو تنم عنها . أجهزة الدولة فى الاسلام أما بشأن عدم اكتمال مقومات هذه الأجهزة . وعدم تحديد اختصاصاتها ـ وهو ما ركز عليه عبد الرازق فى دعم نظريته ـ فيفسره أن بلاد الاسلام كانت تمر بفترة بدائية لم تمكنها من تحقيق نظام معقد من أنظمة الحكم .

ان نبى الاسلام قد حقق الوحدة الدينية والسياسية معا للبلاد العربية . بل انه أنشأ ـ بشكل ما ـ حكومة مركزية بايفاده حكاما الى اليمن وغيرها من الأقاليم.وما أنجزه الصحابة بعده لم يكن « انشاء » لدولة وانما مدا لحدود هذه الدولة التى كان قد تم انشاؤها وتوسعا لها . وهذا التوسع نفسه كان النبى قد توقعه . ولم يفعل الصحابة أكثر من التمثل به وتحقيق ما توقعه . أما استغلال الطغاة للطبيعة الدينية للخلافة . فلا يسأل عنه نظام الخلافة . وانما يسأل عنه المسلمون أنفسهم الذين احتملوا نظما استبدادية تتنافى جذريا مع قواعد الاسلام . (١)

ولاحظ مفكر مصرى آخر أيضا :

« لقد أنشأ الاسلام ـ للجماعة الدينية الجديدة ـ دولة مارست مهام ادارة النظام الاجتماعى الجديد . وفى كلمة واحدة : الاسلام أكثر من مجرد دين . انه يمثل أيضا تغييرا فى الحياة الاجتماعية للجماعات والشعوب التى حكمها . انه يتضمن علاقات الانسان بالله كما يتضمن علاقاته بالمجتمع .. وقد بدأت الخلافة بابى بكر فانشئت كنظام ذى طبيعة خاصة من أنظمة الحكم . نظام عربى صميم لم يكن نظاما دينيا بحتا ولا نظاما سياسيا مطلقا . (٢)

وأوضح آخرون بصدد الكلام ـ من وجهة النظر السياسية ـ على شكل الحكومة فى الاسلام وانها حكومة « نوموقراطية » اى حكومة قانون

(١) السنهورى ، ص ٤٥ ـ ٤٨ .
(٢) عز الدين فوده
The Projected Arab Court of Justice, S. Gravenhage, Nijhoff.
١٩٥٧ ، ٩٤ ـ ٥ .

ان هذا الرأى هو اصلح الاراء » فلا جدال فى ان الشريعة هى الاساس الذى يقام عليه النظام ، كما انها هى غايته الجوهرية · ولكن هذا الوصف ايضا غير كاف ، لان الشريعة هنا ليست نصوصا جامدة ، ولا مصوغة فى صيغ نهائية ، وليست أيضا شاملة بحيث وضعت لكل فعل وحالة حكما · وانما المجال لا يزال هناك فسيحا للتفسير والتجديد والاضافة والتحديد، عن طريق استخدام العقل الفردى وهو ما يعبر عنه بالاجتهاد · ثم ان شخصية الامة معترف بها فى ذات الوقت ، وارادتها العامة مكملة للقانون· ومن الوجهة العملية هى التى تطبق القانون وتمثله ·· ونظرة الاسلام انسانية ، وأفقه عالمى · وان كان هذا لا يمنع ــ بل ان ذلك قد يكون ضروريا تحقيقا للصالح العام ، ويكون اذن واجبا شرعيا ــ ان يوجد فى داخل تلك الدائرة العامة دوائر خاصة : اقليمية أو قومية ، من اجل التنظيم ، أو تحقيق أغراض وطنية أو محلية لا تتعارض مع الأغراض العامة (١) ·

حركة فى مصر لاعادة نظام الخلافة : ١٩٢٤

وقد انطلقت من مصر فى عام ١٩٢٤ حركة تهدف الى اعادة الخلافة فى العالم الاسلامى · عقب صدور القرار فى تركيا بالغاء الخلافة العثمانية· ففى ٢٥ من مارس ١٩٢٤ بعد فترة وجيزة من عزل آخر خليفة تركى فى القسطنطينية ــ عقد اجتماع ضم عددا من العلماء برئاسة شيخ الجامع الأزهر · وتقرر فى هذا الاجتماع دعوة مؤتمر اسلامى للنظر فيمن يتولى الخلافة · كما تقرر انشاء مجلس ادارة واصدار نشرة شهرية للدعاية لهذه الفكرة · وأثارت الحركة اهتماما فى العالم الاسلامى · ويبدو من القرار الذى اتخذته جماعة العلماء بشأن الخلافة فى عام ١٩٢٤ أنهم تابعوا التعريف التقليدى للخلافة · فعادوا الى تأكيد الطابع الدينى والزمنى معا لهذا النظام ، وأعلنوا ــ من وجهة النظر الاسلامية ــ عدم شرعية الخلافة الدينية البحتة · وبطلان قرار حكومة أنقره بالغاء الخلافة الغاء تاما · ودعا العلماء الى اعادة نظام الخلافة على أساس يطابق مبادىء الشريعة الاسلامية · دون مساس بالمنظمات الحكومية التى ارتضاها المسلمون لبلادهم (٢) ·

---

(١) محمد · ض · الريس · النظريات السياسية فى الاسلام ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣٢ ــ ٨ ·

(٢) السنهورى : ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥ ·

الخلافة واقتراح « عصبة الأمم الشرقية »

وقد صدر السنهورى اقتراحه بشأن انشاء عصبة أمم شرقية بشبه مذكرة ايضاحية اذ قرر : « هناك ثلاثة آراء رئيسية يجب التركيز عليها :

(أ) لما كان من المستحيل اليوم اعادة الخلافة بنظامها المعترف به ٠ فمن الواجب التفكير فى نظام خاص للخلافة يختلف عن النظام التقليدى المعترف به تبرره حالة الضرورة التى يعيشها العالم الاسلامى فى الوقت الحاضر ٠

(ب) هذا النظام الخاص الذى يختلف عن النظام المعترف به يجب أن يعد نظاما مؤقتا ٠ خمثلنا الأعلى يجب أن يتجه الى العودة مستقبلا الى الخلافة بنظامها التقليدى ٠

(ج) ان الخلافة التقليدية ـ عند العودة اليها مستقبلا ـ يجب أن تكون نظاما مرنا ٠ فالشريعة الاسلامية لا تفرض اطلاقا شكلا معينا من أشكال الحكم ٠ فأى نظام يجمع السمات المميزة للخلافة نظام شرعى ومعترف به ٠ ولذلك ، فلامكان اعادة الخلافة المعترف بها يجب تلمس تسويات كفيلة بأن تتفق مع متطلبات الشرع وتتواءم ـ فى نفس الوقت ـ مع الظروف الحالية ٠ حاسبين حساب التجارب التى تعلمناها من التاريخ ٠ أما بشأن وحدة العالم الاسلامى فان تاريخ الخلافة قد علمنا أنها لم تصمد طويلا فى ظل امبراطورية ذات حكومة مركزية ٠ وعلى أية حالة فمن وجهة النظر الفقهية ليس هناك ما يفرض شكلا معينا من أشكال الوحدة السياسية ٠ وبالاضافة الى ذلك علينا أن نحسب حساب الاتجاهات الوطنية ٠ والاتجاهات الانفصالية فى البلاد الاسلامية ٠ التى تشتد يوما بعد يوم ٠ فيجب اذن أن نجد حلا يمكن أن يضمن وحدة معينة بين الشعوب الاسلامية مع ترك كل بلد متمتعا بسيادته كاملة ٠ » (١)

نظام الخلافة العصرية المقترح :

ويضيف السنهورى أن وحدة الاسلام فى ظل شكل جامد لامبراطورية ذات حكومة مركزية لم يعد فى الامكان تحقيقها ٠ وأن انشاء نظام عصبة أمم شرقية يوفق بين الاتجاهات الوطنية الحديثة وضرورة ضمان وحدة معينة بين الشعوب الاسلامية ٠ وهو يرمى الى احتمال انشاء نظام قانونى

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢ ٠

يطبق على كل المواطنين – فى العالم الاسلامى – مسلمين كانوا أو غير مسلمين · وهذا يقودنا الى فكرة جماعة اسلامية بأوسع معانى الكلمة · أى جماعة سياسية · وليست جماعة دينية · وهذه الجماعة ستكون مفتوحة لكل الطوائف الدينية بشرط احترام قوانينها الدستورية · وجهاز هذه الجماعة الذى سيباشر سلطانه من مستوى أعلى من مستوى الشعوب والذى اعتمدت قواعده عبر قرون طويلة على ثقافة علمية واجتماعية مشتركة أكثر من اعتمادها على الاشتراك فى العقيدة الدينية – هو الجهاز الذى سندعوه عصبة « الجماعة الشرقية » (١) ·

وعند الحديث عن « العصبة الاسلامية » بأوسع معانى الكلمة · أى العصبة السياسية لا الدينية التى فكر فيها السنهورى فى مواجهة الغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩٢٤ وفى ضوء الاتجاهات الوطنية والانفصالية فى الشعوب الاسلامية · وعلى وجه الخصوص فى الشعوب العربية – الاسلامية ، يجدر بنا أن نشير الى الأستاذ « لامبير » مدير المعهد الشرقى للدراسات القانونية والاجتماعية بجامعة ليون الذى كتب مقدمة رسالة السنهورى اذ قرر :

« فى استخدام كلمتى « الجماعة الاسلامية » لا أفكر اطلاقا فى أن أشير الى بيئة من البيئات الدينية البحتة وانما أقصد من ذلك شكلا أصيلا لحضارة قدمها لنا التاريخ كثمرة للجهد الجماعى الذى بذلته جميع الأجناس وجميع الطوائف الدينية التى تعيش – منذ قرون طويلة – وتعمل جنبا الى جنب فى رعاية راية الاسلام الذى يبدو لنا – منذ ذلك الوقت – كتراث شائع لكل أهل الشرق الاسلامى · بنفس الصفة ولنفس الأسباب التى ظلت المسيحية فى ظلها ذمة شائعة لكل الغربيين سواء كانوا من المفكرين الأحرار غير الملتزمين بعقيدة دينية معينة · أو من الكاثوليك أو البروتستانت » (٢) ·

وقد سلك البارون « كاراده فو » سبيلا مختلفا للوصول الى نفس النتيجة تقريبا اذ قرر : « لا يجب الخلط تماما بين « الاسلام » و « الشرق » · فالاسلام دين · والشرق بلاد يسودها هذا الدين · ولذا فاننا عندما نتحدث عن سمات الشعوب الاسلامية · وعبقريتها · وأفكارها · وعما اذا

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٧٤ – ٧ ، ٥٨٤ – ٦ ·

(٢) مقدمة الاستاذ «لامبير» للرسالة التى تقدم بها م · فتحى عن « سوء استعمال الحق فى الفقه الاسلامى » ·

كانت هذه السمات متأثرة بالمنطقة الجغرافية أم بالدين ؟ فى كلمة واحدة ، هل نقصد بحديثنا الاسلام أم بلاد الشرق ؟

ان الاسلام · أو بلاد الشرق · أو البلاد ذات الحضارة الاسلامية · أو الجماعات الاسلامية · انما هى تعبيرات جديدة عن الشعور بوجود حضارة قديمة مدعوة الى تحقيق منجزات خصبة فى المستقبل وهذه الحضارة هى الدعم لتقاليد ثقافية مشتركة لمجموع بلاد الشرق الأدنى » (١)

العالم الاسلامى بعد عام ١٩١٩

وقد كشف « ماسينيون » من جانبه عن بعث العالم الاسلامى المعاصر وعن رغبته العميقة فى تحقيق وحدته الماثلة للعيان · فالاسلام يوثق الوحدة بين الجانب الروحى والجانب الزمنى · واذا استلان المسلمون أمام تجارب الأحداث التى تلم بهم فانما يستلينون مستعينين بالصبر والتريث· واذا كان انطلاق الشرق الأدنى اقتصاديا قد توقف أثناء الحرب العالمية الأولى بسبب تدخل الدول الأوروبية الاستعمارية فان هذا الانطلاق يثير الدهشة بما يحققه فى الصناعة · ومد السكك الحديدية · وأعمال المصارف · واذا كان البعض قد توهم أن تمزيق الشرق الى أمم متجزئة · متنافسة على غرار ما حدث للمسيحية فى عصر البابوية والامبراطورية سيحل الجنسيات العرقية محل الخلافة الاسلامية العالمية فان هذا الوهم انما يعود الى الخطأ الذى نقع فيه كثيرا اذ نطبق على ثقافات لغوية أو عرقية أخرى نفس شكل التطور التاريخى الذى لا يمكن تطبيقه الا علينا (أى على الثقافة اللغوية والعرقية الأوروبية) · والواقع أنه كما أن من غير المحتمل أن يتفتت المسلمون تماما وينقسموا الى أمم متعادية فانه من غير المحتمل أيضا أن نرى اللغة العربية وقد احتل محلها ، كلغة حضارة فى الأوساط المثقفة ، عدد من اللهجات الدارجة الشعبية · كما خيل كثيرا لبعض الذين حاولوا التشبيه التعسفى بما حدث للغة اللاتينية فى العصور الوسطى المسيحية عندما تمزقت الى لغات رومانية مختلفة · (٢)

---

(١) Baron Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam, Paris, Geuthner, 1926, t. V, p. 240.

(٢) L. Massignon : Situation de l'Islam, Paris, Geuthner, 1939, pp. 28-30.

كما أن المؤلفين المتوفرين على تحليل وضع العالم الاسلامى فى نهاية عصر الاستعمار قد لاحظوا أن « رد فعل العرب كان عنيفا الى حد كبير من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى ... فالوعى بالانتماء الى أمة واحدة يستند الى عدد معين من العوامل تكاد تكون ثابتة . فالأمة العربية تعيش أولا على أرض ذات سمات جغرافية متطابقة . وهذه الأمة تتكلم نفس اللغة التى هى ثمرة طابع تفكير واحد . وتاريخ هذه الأمة قد شهد نفس المراحل بين عصور المجد وعصور التخلف . وكانت الخلافة حتى عام ١٩٢٣ رمز وحدتها السياسية وعبر ثلاثة عشر قرنا ظلت بصمات الاسلام واضحة على حياتها الثقافية ومؤسساتها الاجتماعية (١) .

ان الرأى القائل بجواز تعدد الامامة أو رئاسة الدول الذى أشرنا اليه من قبل يمكن – من وجهة النظر العلمية القانونية الحديثة فى رأينا – أن يعد مصدرا من مصادر القانون الدولى الاسلامى المعاصر ، فطالما كان الاتجاه لدى الفقهاء الى وحدة الأمامة على كل المسلمين فى العالم أجمع دون نظر الى إختلاف اللغة أو الجنس أو المنطقة الجغرافية لم يكن مستساغا قيام « علاقات دولية » أو قواعد قانون دولى بين مختلف الجماعات الاسلامية ولذلك اقتصر جهد الذين توفروا على دراسة القانون الدولى الاسلامى على العلاقات الدولية بين البلاد الاسلامية « دار الاسلام » من جهة والبلاد غير الاسلامية « دار الحرب » من جهة أخرى .

ولما بدأت الحركات الوطنية فى مستهل القرن العشرين تنتشر فى البلاد الاسلامية وخاصة فى الأقطار العربية التى كانت خاضعة للسيطرة العثمانية حيث مقر الخلافة بان جليا أن تحقيق تحرر تلك البلاد عن تلك السيطرة مرة واحدة أمر مستحيل فانفصلت عن الدولة التركية واحدة اثر أخرى واستردت سيادتها ، منضمة الى أسرة الدول كشخصيات دولية مستقلة ، ونشأت بينها علاقات دولية تنبثق من بواعث روحية وتدعمها اعتبارات تاريخية وثقافية وتنظمها قواعد قانونية معينة وبذلك أرسى التضامن الاسلامى كأساس لقانون دولى اسلامى حديث ينظم العلاقات بين الدول الاسلامية بعد أن كان ذلك القانون قاصرا على العلاقة بين « دار السلام » و « دار الحرب » (٢) .

(١) « فلورى » و « مانتران » : ص ٢٨ – ٣٠ .

(٢) الاجماع والقياس المصدران الثالث والرابع من مصادر الشريعة الاسلامية قد افادا فى وقت مبكر كاطار عند الحاجة لاثبات ما أفتى به مفسرو الكتاب الكريم . ومن خلال كتابات هؤلاء المفسرين المستفيضة يمكن استخلاص فقه دولى اسلامى توجد عناصره

وكثيرا ما يزعمون أن الاسلام يتعارض مع القانون الدولى . ولكن هذا الزعم لا سند له . فالعالم الاسلامى يمكن أن يعيش فى سلم مع العالم غير الاسلامى وأن يعقد معه معاهدات سلم وصداقة . والاسلام فى علاقاته بمختلف الأجنـــاس البشرية حـــريص بمقتضى مبادئه على أن يلتزم فى هذه العلاقات المساواة والعدالة التزاما تاما . ففى وقت السلم أرسى الاسلام علاقات على أسس من العـــدالة ومن احترام حقوق الأفراد الذين تعاقد معهم . ومن ضمان حرياتهم . وقد عقد النبى عدة معاهدات عدم اعتداء . ومعاهدات هدنة . مع العرب الوثنيين ومع اليهود . (١)

فضل الاسلام على القانون الدولى الأوربى :

وقد قـــــرر « البارون توب » فى محاضرة ألقاها بأكاديمية القانون الدولى فى لاهاى فى عام ١٩٤٦ أن الأهمية العامة للاسلام فى تقدم الحضارة بحوض البحر الأبيض المتوسط تحملنا على التسليم فى هذا النطاق بأن العالم الاسلامى قد أسهم فى انشاء أنظمة معينة وعرف معين لقانون الحرب مع شعوب أوروبا . فهذه الشعوب قد وجدت لدى أعدائها الفرســـــان

= المتفرقة فى الفصول المختلفة التى تضمها الشروح الموســوعية او الكتب التى تعنى بدراسة موضوعات فقهية معينة .

فمن طريق الاجماع ، وهو أولا اجمــاع الصحابة ثم اجماع خيرة العلماء الموثوق بهــم الذين خلفوهم ؛ استقرت قواعد قطاعات ضخمة من أحكام الشريعة . وقد اســـتند الخلفــاء الاول ورجال الشرع على أحاديث معروفة للنبى (صلعم) عن شرعية الاخذ بالاجمــاع منذ فجر الاسلام .

وفى تلك الفترة . اى فى فجــر الاسلام . كان يمــكن أن يمــارس الاجماع فى نطاق كنطاق المدينة . وبين الصحابة الذين كانوا يحيطون بالنبى أو بمن خلفوه . أما بعــد تفرق المسلمين الأول فى الاراضى التى تم غزوها . وبعد الخلافات السياسية التى فرقت بين الجماعة الاسلامية . فقد أصبح الالتجاء الى « اجماع » صحيح أمرا من العســير تحقيقه عمليا . وسرعان ما أصبح هذا المصدر « الغنى » من مصادر التشريع صوريا . وتوقف الالتجاء اليه . لكى يخلى مكانه للقياس وهو المصدر الذى كفل تجديد أحــكام القانون خلال القرون الاولى بصفة خاصة . ومن الحق أن نقول ان القياس قد عمــل به منذ أيام الاسلام الاولى . وهو يرسى قاعدة للاثبات عن طريق الاســتشهاد بحــكم مماثل . ويحرص على ألا يتقدم الا بحكمة وحذر حرصا على ألا يبتعد عن أحكام القرآن أو السنة . وهما حصناه الحصينان : ادمون رباط

Pour une théorie de Droit International Musulman.

القاهرة ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٠ ، ص ٨ — ٩ .

(١) زكريا ، نفس المرجع ، ص ١٧٨ وقد استند على شرح عبــد الوهاب خلاف لرسالة « السياسة الشرعية » لابن تيمية .

(العرب) فى الحروب الصليبية قواعد معدة بشأن اعلان الحرب والمحاربين وغير المحاربين والمرضى والجرحى وأسرى الحرب وتوزيع غنائم الحرب وتحريم وسائل معينة لايذاء العدو ... ومن الطبيعى أنه بتأثير الكنيســة وبآراء الفروسية التى ساعدت ذلك التأثير قد أدمجت هذه المبادىء فى مصــــادر القانون التى كانت الى حد ما قد بدأت طفولتها فى حياة أوروبا الدولية لكى تتطور فى نهاية العصور الوسطى لتصبح ذلك القانون غير المكتوب : قانون الحرب الذى يكون حتى يومنا هذا أساس النظريات القانونية الدولية فى هذا الشأن ... ان التوحش والقسوة البشرية ليست لها حدود ولسوء الحظ يثبت التاريخ أنه كلما تقدمت الحضارة المادية بخطى مارد ، ســار تقدم القيم الأخلاقية سير السلحفاة ... ولذلك تستحق كل المحـاولات التى تبذل لاضفاء طابع انسانى على هذه البشرية المســـكينة فى علاقاتها الدولية وخاصة فى زمن الحرب أعظم الاهتمام . وقد أســهم الاسلام فى هذا السبيل الى حد أنه فى القرون الوسطى يجب أن ينظر اليه على أنه جاء بما هو أسمى بكثير مما جاءت به فى نفس الوقت أوروبا الرومانية الجرمانية والبيزنطية ، وقد استفاد ثلثا قارتنا ولا شك من الاسلام فائدة عظيمة (١) .

فالتطور الرئيسى فى القانون الدولى الاسلامى فى رأينا هو تحول الفكرة السابقة عن وحدة « الجماعة الاسلامية » المفترضة التى كان على رأسها جهاز يعلو جميع البلاد الاسلامية هو جهاز الخلافة يدين بالولاء له كل مسلم دون نظر الى جنسيته أو لغته أو المنطقة الجغرافية التى يعيش فيها على أساس علاقة قانون عام داخلى فى نطاق هذه الوحدة المفروضة بين المسلمين وجهاز القمة الذى يمثل وحدة الجماعة الاسلامية المفترضة ، والتى لم تكن لها حدود جغرافية واضحة المعالم ، علاقة جنسية روحية — التطور الرئيسى هو تحول هذه الفكرة الى فكرة قانون دولى بمعناها العصرى الذى يقر بتقسيم العالم الاسلامى الى وحدات سياسية مختلفة والى دول مستقلة تضم « جنسيات » مختلفة خاضعة لسيادات مختلفة ولكنها — جميعا — تراعى « التضامن الاسلامى » كقاعدة رئيسية من قواعد القانون الدولى الذى ينظم العلاقات بينها . وقد أكدت المعاهدات العديدة التى عقدت بين الدول الاسلامية والتشريعات المحلية العديدة التى أصدرتها الهيئات التشريعية فى هذه الدول الاســـلامية هذا الاتجـــاه فى القانون الدولى

---

(١) رباط ، نفس المرجع ، ص ٢٢ .

الاسلامی · كما اقترح المفكر الهندى اقبــال تنسيقا تشريعيا ــ فی هــذا الصدد ــ على المستوى الدولى بعد أن لاحظ أن ضغط القوى العالمية الجديدة والتجربة السياسية التى مرت بها الشعوب الأوروبية قد أكدا من جديد لدى المسلمين المعاصرين فائدة فكرة « الاجماع » وامكانيتها وأن الشــكل الوحيد الذى يمكن أن يتخذه « الاجماع » فى العصر الحديث هو نقــل سلطة « الاجتهاد » من الأفراد الى جمعية تشريعية اسلامية يتوافر لها عند مناقشة القوانين اشتراك رجال القانون الذين لديهم دراية عميقة بهــذه المسائل ، فبهذه الوسيلة وحدها يمكننا ايقاظ نظامنا القانونى من سباته وأن نبعث فيه الحياة ونفتح أمامه آفاق التطور (١) ·

---

(١) زكريا ، نفس المرجع ، ص ٤٤ ــ ٤٥ ، وقد استند على كتاب « اقبــال » الذى نشره عام ١٩٣٠ فى لاهور بالانجليزية بعنوان « التفكير الدينى فى الاسلام » .

الفصل الخامس

الوحدة الشرقية

الرابطة الشرقية :

فى ٦ من نوفمبر سنة ١٩٢١ ، بمناسبة اجتماع عقد لتوديع أحد ضيوف مصر ، وهو صاحب صحيفة « جهرنما » الفارسية اتفق نفر من المفكرين على تأليف هيئة أطلقوا عليها اسم « جمعية الرابطة الشرقية » وقد خرجت هذه الفكرة الى حيز التنفيذ فى فبراير من العام التالى ونص قانونها على أن « المجادلات الدينية » خارجة عن حدود وظيفتها • ولكن النظر الفاحص الى حقيقة نشاطها يدل على انها تمثل مرحلة تحول بدأت فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، بعد أن أخذ وعى مذهب الوحدة العربية يثمر ثمراته الايجابية فى حقل يختلف عن حقل مذهب الوحدة الاسلامية • وقد حاول قانون « الرابطة الشرقية» النظامى ، بعد أن فرض مذهب التحرر العربى نفسه فى المحيط الدولى، أن يضفى ستارا من التعميم على حقيقة أغراض الجمعية فنص على أن من أغراض الجمعية « نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية وتعميمها وتوسيع نطاقها وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين أمم الشرق على اختلاف أجناسها وأديانها •• وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار وللبحث فى شئون الجمعية •• واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفضلائهم واتخذت الجمعية لها شعارا : الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » •

وقد افتتحت الجمعية ناديا لها فى ٦ من يناير ١٩٢٥ كان يستقبل البارزين من أقطاب المسلمين المنتمين الى مختلف الدول والأقطار الاسلامية

وشملت الجمعية برعايتها بعثة طلاب العلم من أبنا جاوه (اندونيسيا) وهيأت لهم ما استطاعت سبيل التعليم بمعاهد مصر ، كما تبرع بعض أعضائها بالقاء دروس فى الفقه الاسلامى والتفسير واللغة العربية .

وألفت لجنة لارشاد القادمين من طلاب العلم الشرقيين وهدايتهم الى المدارس التى تكون لهم أكثر نفعاً .

وفى سبيل تنظيم العمل واطراد سيره ، شكلت من أعضائها سبع لجان تعالج كل لجنة منها ناحية من نواحى العمل الخاص بنهضة الشرق ورقى الشرقيين ، وهذه اللجان هى :

١ ــ « اللجنة العربية » وتبحث فى شئون بلاد العرب وسوريا والعراق .

٢ ــ « اللجنة التركية » وتبحث فى شئون تركيا الحديثة وأقاليم آسيا الوسطى .

٣ ــ « اللجنة الفارسية » وتبحث فى شئون ايران وأفغانستان وبلوخستان .

٤ ــ « اللجنة الهندية » وتبحث فى شئون بلاد الهند (لم تكن دولة باكستان قد انشئت) والهند الصينية .

٥ ــ « لجنة الشرق الأقصى » وتبحث فى الهند الشرقية وسيام والصين واليابان .

٦ ــ « اللجنة المغربية » وتبحث فى شئون شمال افريقيا .

٧ ــ « اللجنة الأفريقية » وتبحث فى شئون السودان والحبشة وباقى البلاد الافريقية . (١)

ومجرد إستعراض نطاق نشاط هذه اللجان يدل على انها عنيت بالأقطار الاسلامية أكثر من عنايتها بغيرها من الأقطار الشرقية .

ونرى رغم نصوص قانون « الرابطة الشرقية » انها خطوة أولى نحو ابراز مذهب الوحدة الشرقية الذى تطور فيما بعد كما سبق أن أشرنا الى مذهب الوحدة الافرو ــ اسيوية وهو ما سوف نعود اليه عند دراسة علاقة حركة التكتل العربى بحركة التكتل الافرو ــ آسيوى . وقد تعرض بعض رجال القانون العرب لنشاط هذه الرابطة فى صدد الكلام عن « الوحدة الشرقية » وأشار الى ما تضمنه قانونها من التوسط

---

(١) مجلة « الرابطة الشرقية » ، القاهرة ، ١٥ من أكتوبر ١٩٢٨ ، العدد الاول

بغرض اقرار السلم بين الشعوب الشرقية والتعاون على اسعاد وتقدم الانسانية دون تمييز بسبب الجنس أو الدين ، والى ان من بين الوسائل التى قررت الرابطة استخدامها لتحقيق غرضها ، تنظيم دراسات جغرافية وتاريخية واجتماعية وعلمية وأدبية خاصة بالشرق والقيام بالتنقيب والبحث عن آثاره والدعوة الى مؤتمرات دورية لمناقشة الوسائل التى تؤدى الى تقدم الأمم الشرقية معنويا وماديا ، والتوفيق بين حضارتها وحضارة البلاد الغربية طبقا لمقتضيات العصر وعقد روابط الصداقة بين الشرق والغرب (١) ٠

التفرقة بين « الوحدة الاسلامية » و « الوحدة الشرقية » :

ان الحركات القومية والحركات العرقية التى وضعت خططها فى الشرق قبل الحرب العالمية الأولى قد ازدادت قوة منذ تلك الحرب بحيث نيسر الربط بينها برابطة عالمية تقوم على أساس الدين وحده ، ولما كان الدين لا يطوى الشرق كله ، وكان الشرق ــ مع ذلك ــ يحس بأنه يجب أن يتحد ٠٠ كما أن « الوحدة الاسلامية » لم يمتد نطاقها الجغرافى الى الحد الذى يكفل تحقيق ذلك الغرض باعتبار أن الاسلام لا يشمل الشرق كله أحس الشرق بحاجة الى اتجاه عقائدى أوسع مدى وأعرض آفاقا ٠ ويجب قبل كل شىء أن نحسب ، هنا ، حسابا لعامل فعال هو القومية لأننا اذا أنكرنا على هذا العامل شرعية الدور الذى يشترك فى أدائه فان هذا العامل بما ينطوى عليه من رد الفعل الخاص بالمنطقة التى يمارس فيها نشاطه قادر على أن يعترض أية حركة ذات اتجاهات عالمية ٠ وما من شىء دائم يمكن انجازه بدون الاستناد الى أساس القومية القوى ، لأن الصرح الاجتماعى يجب أن يشيد من أسفل الى أعلى لا من أعلى الى أسفل ٠ فاذا رفعنا علم الوحدة الاسلامية اجتمع تحته

---

(١) السنهورى ، نفس المرجع ، ص ٥١٦ ٠

ولم تغب هذه المرحلة الانتقالية التى بدأت تستكمل معالمها فى الربع الثانى من القرن العشرين : مرحلة الانتقال من الوحدة الاسلامية الى الوحدة الشرقية ، عن انتباه المستشرقين فلاحظ احدهم انه فى نفس الوقت تطور شعور الوحدة الذى عبرت عنه حركة « الوحدة الاسلامية » الى وعى بالمصير المشترك فى كل الشرق أى الى « الوحدة الشرقية » . وقد انتهت المحاولة التى كانت ترمى الى نقل مركز الثقل فى حركة الوحدة الاسلامية الى مصر بانشاء « الرابطة الشرقية » فى القاهرة .. ولكن جهدها لاحياء «الوحدة الاسلامية» فى شكل «الوحدة الشرقية» الجديدة يتسم بطابع خاص . (كون ق تاريخ القومية ، ص ٥٣ ــ ٤) ٠

المسلمون فحسب ولكن أهل الشرق ـ مسلمين وغير مسلمين ـ يلبون النداء اذا وجه اليهم باسم « الوحدة الشرقية » لأنه :

« فى كل عصر من عصور القنوط والاجهاد اتجه الغرب الى الشرق ليلتمس منه مثلا أعلى جديدا ٠٠ ان هناك من يبدو جهله بأن المسيح لم يكن غربيا وانما كان رجلا من الشرق ٠ اننا مدينون لهذا الشرق بقيمنا الخلقية وبأكثر من ذلك بنظام حياتنا » «١»

وقد بدت الدعوة الى العرقية ٠ أى الانتماء الى جنس معين ٠ والى القومية وهى الدعوة التى تولاها رشيد رضا من تلامذة الشيخ محمد عبده ـ كشكلين واضحى النفع لمقاومة الاستعمار الغربى ٠ وبهذه الصفة شجعتهما دائما مجلة « المنار » التى جعل منها رشيد رضا منذ بادىء الأمر أداة للترويج لفكرة الوحدة العربية ٠ ومذهب رشيد رضا لم يتجاوز مرحلة الاعتدال فى انتهاز الفرص فانه الى جانب الترويج لفكرة الوحدة العربية ، وهى دعوة تقوم على أساس عرقى استخدم « المنار » بلا انقطاع لتذكير الوطنيين فى بلاد الشرق المختلفة بأن التغيرات الجغرافية والسياسية التى طرأت على الجماعة الاسلامية يجب ألا تنسيهم الاحساس بالتضامن بين مختلف البلاد الاسلامية وهى دعوة متحررة من كل اعتبار عرقى (٢) ٠

و « الوحدة الشرقية » ليست مثلا أعلى مشتركا أو « جوا » عاما للعالم الشرقى فحسب ، بل انها ترجمت فعلا الى أعمال ، اذ عقدت معاهدات صداقة وحسن جوار بين ثلاث دول شرقية : تركيا وايران وافغانستان ٠ وفى ٢٢ من ابريل ١٩٢٢ عقد بين تركيا وايران فى طهران ميثاق ضمان وأمن لمدة خمسة أعوام ، تعهدت كل منهما بمقتضاه الا تؤيد أى هجوم على الأخرى والا ترتبط مع أية دولة ثالثة بمعاهدة من شأنها أن تعرض أمن جارتها للخطر (٣) ٠

وما يميز حركة « الوحدة الشرقية » عن حركة « الوحدة الاسلامية » هو البعد التام عن الطابع الدينى ٠ فالوحدة الشرقية التى

---

(١) السنهورى ، ص ٥١٠ ـ ٥١٣ ، وقد استند على « فلوران فيل » فى بحثه عن « الحرب الصليبية الجديدة » الذى نشره فى مجلة « ليه كابيه دوموا » ، باريس ، ١٩٢٥ ، ص ٨٧ ٠

(٢) « لا أوست » : « رسالة من ابن تيمية » ، ص ٥٦ ٠

(٣) السنهورى ، ص ٥١٥ مع ملاحظة أن المعاهدات كلها عقدت بين دول اسلامية

ولدت وسط التحولات العميقة التى توالت على الشرق والتى اهتـــدت بالتطور السريع للأنظمة التى أثمرها الاحتكاك بالحضارة الغربية ،ليست دينا . انها النتيجة المنطقية للآراء القومية والعرقيـــة المنتشرة ءى كل البلاد الشرقية ، وهى باتساع نطاقها عن نطاق « الوحدة الاسلامية »تفقد كثافة ولكنها تكسب انتشارا ، وقد يمكن التوفيق بين مزايا هـــاتين الحركتين بدفع الشرق ذى الحضارة الاسلامية للعمل فى نطاق محدود ولكن يجب ألا يثير التعبير بالحضارة الاسلامية الا فكرة اجتماعية لافكرة دينية ففى هذا العنصر من عناصر الحضارة يمكن التماس الرابطة الأعظم والأكثر مرونة التى سوف توحد شعوب الشرق الادنى فى جماعة عالمية دون تمييز بسبب الجنس أو الدين . (١)

الافرو ــ آسيوية : مؤتمر باندونج ، ١٩٥٥

وفى المدة بين ١٨ ، ٢٤ من ابريل ١٩٥٥ اجتمع فى باندونج ممثلو ثمان وعشرين دولة أفرو ــ آسيوية وبين هذه الدول التى اشتركت فى هـــذا المؤتمر الأفرو ــ آسيوى مثلت ثلاث عشرة دولة اســـلامية هى : الباكســـتان وأندونيســـيا وأفغانســـتان والعربية الســعودية ومصر والعراق وايران والأردن وليبيا والسودان وسوريا وتركيا واليمن . وبين هذه الدول الاسلامية مثلت ثمانى دول عربية منها خمس آســـيوية : العربية السعودية والعراق والأردن وسوريا واليمن ، وثلاث افريقية : مصر وليبيا والسودان . وقد لخص كاتب عربى معجزة الوحدة الشرقية التى بدأت تحققها فى باندونج فذهب الى أنه « ربما كان للرجل الفطرى فى افريقيا وآسيا رسالته الخاصة فى القـــرن العشرين ، وهى أن يعين الانسانية على اجتياز هذا المنعطف فيما لو نجح هو فى هذا الاجتيـــاز وربما لم تكن هـــذه هى المرة الأولى التى تقرر فيها الانســـانية مصيرها فيما بين نهر النيل الى نهر الجانج بالهند .

ويدع أحد المراقبين الغربيين لمؤرخ سنة ٢٠٠٠ مهمة القول ، بأن: مؤتمر باندونج لم يحقق أى نتيجة عاجلة ولكنه كان مجمعا للقـــوى التى خطت الطريق لتطور التاريخ، وشكلت العالم الذى نعيش فيـــه اليوم » .

هذه الشهادة التى تهمنا باعتبارها حكما على المستقبل البعيـــد

---

(١) السنهورى ، ص ٥١٨ .

لهذا الحادث الدولي تهمنا أيضا باعتبارها دليلا على تأثيره السريع في الضمير الغربي الذي رأى تحت الغلالة الرقيقة « الافرو — آسيوية » مضمونها الانساني ومغزاها العالمي (١) ٠

وعلى أية حال فاننا لا يمكننا الا أن نقارن بين مصير هذين الرجلين — الرجل الافريقي والرجل الاسيوي — فمهما كانت الفروق اللغوية والعنصرية والسياسية والدينية التي تفصل بينهما ٠٠٠ تتقرر في أذهاننا في نفس الوقت القرابة التي توحد هذين الرجلين ٠

وحدة معينة من طنجة الى جاكارتا :

ان النموذج الاجتماعي لكل من الرجلين يتحد في أذهاننا مع اطاره وبيئته مكونا معهما أساسا لمقارنة تسمح لنا بادراك وحدة من طنجة الى جاكرتا ، تختلف تماما عن الوحدة التي سبق أن لاحظناها من واشنطن الى موسكو أو الى طوكيو ٠

وكل تفكير في مشكلة الانسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة ، ومشكلة الانسان الأفرو آسيوي ، هي في جوهرها مشكلة حضارة ، يعني أن يحقق هذا الأفرو آسيوي من طنجة الى جاكارتا وضعا عاما متحررا من العوامل السلبية التي فرضها الاستعمار على حياته في هذه المنطقة (٢) ٠

وقد اقتصر بعض المستشرقين على أن يناقش وصف مؤتمر باندونج بأنه « معجزة » ولكنه أقر بأنه ما من شك في أن باندونج ستبقى في التاريخ الاستعماري « الحدث الحاسم » وأن الخصوم والأنصار لا يجافون الصواب اذا رأوا فيه تحولا في تاريخ العالم ولكن باندونج لم يتحقق ولم يلق عليه كل هذا العبء في المستقبل الا لأنه قد سبقته لقاءات أكثر غموضا في تجمعات أكثر تواضعا حيث تمت الاتصالات الاولى وحيث اكتشفت الصعوبات المشتركة ٠٠ ففي كل مكان وخاصة في الهند نظم الكفاح لانتزاع التنازلات التي قادت الى الاستقلال ولكن كان يجب نشوب الحرب العالمية الثانية لكي تصبح هذه الحقيقة في متناول اليد فلم تنتظر

---

(١) مالك بن نبي ، « فكرة الافريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونج » ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ص ٦ — ١٠ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ ، ٧٨ ٠

شعوب آسيا الى تلك الحرب على انها حربها ٠٠ وفى آسيا كما فى افريقيا هزت هزائم الغربيين مراكزهم السياسية والاقتصـــادية ودفعت التابعين لهم الى التجمع غداة الحرب لانتزاع التنازلات بوسائل أكثر يسرا ٠ (١)

ففى باندونج دخلت الوحدة « الأفرو آسيوية » التاريخ ٠

وعليه فان الثقافة الأفرو آســيوية لا يمكنها أن تجـــد الهامها الجوهرى فى مجرد نزعة معاداة الاستعمار ٠ تختفى باختفاء سببها المباشر ٠ وهو الاستعمار ٠ ولذا يجب أن تبحث عن نفسها فى مجموعة من القيم الروحية والتأريخية التى تقرها الشعوب الأفرو آسيوية كنوع من «التراث» يشبه التراث الذى قدمته الحضارات الاغريقية اللاتينية الى الغرب ٠ فوجد فيه هاديا وغذاء ٠

والتراث الأفرو آسيوى يمكن أن يجـــد عناصره أولا فى المركبات النفسية التى لعبت دورا فى الصراع من أجل التحرر ٠ لأنها طبعـــا مشتركة بين جميع الشعوب التى خاضت هذا الصراع ٠ ثم انه سيجدها فى عوامل التوجيه التى ترسم للوحدة الأفرو آسيوية مهمتها الخاصـــة فى العالم والتى تعبر منذ اليوم ــ أمام خطر الحرب ــ عن حتميـــات مصير مشترك للشعوب التى تسير فى ظل رايتها ٠٠ فانقاذ الانسان من البؤس على امتداد محور طنجه ــ جاكارتا ٠ وانقاذه من الحرب عـــلى امتداد محور واشنجتون ــ موسكو هما بالنسبة للانسان الأفرو آسيوى الضرورتان اللتان تسيطران على كل مشاكل وجوده ٠ واتجاهه ٠ وهذه الضرورة المزدوجة التى يجب أن يواجهها تسيطر طبعا على كل معـــالم ثقافته ٠ وبالتالى وقبل كل شىء على المعلم الرئيسى ٠ وهو منهجـــه الأخلاقى (٢) ٠

الاسلام والأفرو ــ آسيوية :

وقد وفق الذين توفروا على دراسة الاتجاه الأفرو ــ آســيوى فى التعليق على ما ذهب اليه أحد المسئولين الفرنسيين فى مؤتمر باندونج من

---

(1) Odette Guittard : Bandueng et le Réveil des Anciens Peuples Colonisés, Presses Universitaires.

باريس ، ١٩٦١ ، ص ٦ ، ٨ ٠

(٢) مالك بن نبى : نفس المرجع ، ص ١٦٢ ــ ٣ ٠

ان « الاسلام يفيض آسيا فى افريقيا » فقرر : ولكن هذا الاهتمام يتضح فى مفهومه الاستراتيجى والاقتصادى فى العالم بالوضع الجغرافى الخاص بالعالم الاسلامى الذى أثبت حدوده بين ثلاث قارات : آسيا وافريقيا وأوروبا • فهذه الحدود ترسم على الخريطة فى الواقع قارة حقيقية هى « القارة الوسيطة » كما سماها من قبل نابليون : رجل الفكر الاستراتيجى •

وينبغي أن نضيف أن هذه « القارة الوسيطة » هى بطبيعتها مفرق طرق لجميع الاجناس ، وبوتقة تنصهر فيها الصفات العرقية وتمتزج الحقائق الاجتماعية وتذوب الاختلافات التى قد تكون مع ذلك صريحة • فى وحدة انسانية ليست من النوع البيولوجى أو الاجتماعى أو السياسى ، ولكنها ذات طابع روحى • ولو أننا تحدثنا عن أهمية عامل توحيد كهذا من وجهة النظر الانسانية فسندرك جيدا الدور الذى يقوم به فى تركيب « الافرو آسيوية » وبخاصة حين نذكر – مع ذلك – أن محور العالم الاسلامى من طنجة الى جاكرتا يتفق بالتحديد مع محور العالم « الآفرو آسيوى » (١) •

والى أن نتعرض للتعاون بين أسرة الدول العربية مع الاسرة الافرو – آسيوية يجدر أن نشير الى أن « الفاريز » يرى أن مؤتمر باندونج قد جمع عدة بلاد من آسيا والاوقيانوسية وافريقيا تختلف اختلافا كبيرا فى الجنس والاديان واللغات وأشكال الحكومات والحياة الاجتماعية ومع ذلك فان رابطة تتميز على الأخص بطابعها «السيكلوجى» ، رابطة تضامن ، توحد هذه الشعوب • وقد قرر المؤتمر المبادىء الخمسة الآتية :

١ – الاحترام المتبادل لسيادة الدول وسلامة أراضيها •
٢ – عدم الاعتداء
٣ – عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الأخرى •
٤ – المساواة والتعاون المتبادل •
٥ – التعايش السلمى •

واذا لم تكن هذه المبادىء قد تضمنت فى ذاتها جديدا فان الروح التى أملتها والظروف التى أعلنت فيها تضفى عليها مع ذلك طابعا عظيم الأهمية (١) •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ •
(٢) « الفاريز » ، القانون الدولى الحديث ، ص ٢٠ •

القسم الثاني

التضامن العربي

طليعة العلاقات الوحدوية بين الدول العربية

الفصل الأول

وحدة عربية فى القرن التاسع عشر
القاهرة عاصمة الشرق العربى

ان عاصمة الدولة العربية الاسلامية التى كانت قد أنشئت فى المدينة بالحجاز فى عام ٦٢٢ انتقلت على التعاقب الى الكوفة بالعراق فى عام ٦٥٦ ، والى دمشق بسوريا فى عام ٦٦١ ، والى بغداد بالعراق فى عام ٧٦٢ ثم الى القاهرة بمصر فى عام ٩٦٩ ٠

وعبر هذه القرون تقاطر الى رحاب الاسلام الفرس ٠ والسوريون٠ والأقباط ٠ والبربر وغيرهم ٠ وتزوجوا من عربيات٠ فلم تلبث أن تهاوت الحائط العالية التى كانت من قبل تفصل بين العرب وغير العـــرب ٠ وتقهقرت الجنسية الأصلية للمسلم ٠ لم تعد لهذه الجنسية التى كانت للمسلم أصلا أهمية ما ٠ من يتبع محمدا عد « عربيا » ٠ وأصبح « عربيا » كل من اعتنق الاسلام وتحدث بالعربية دون نظر الى انتمائه العرقى ٠ وفى القرن العاشر دعمت اللغة العربية مكانتها كلغة للدبلوماســـية ٠ والمراسلات الرفيعة ٠ من وسط آسيا عبر كل شمال افريقيا الىاسبانيا٠ ومنذ ذلك الوقت عبرت شعوب العراق ٠ وسوريا ٠ وفلسطين ٠ ومصر٠ وتونس ٠ والجزائر ٠ ومراكش ٠ عن أفضل الأفكار بلسان العرب (١) ٠

ولقد شهد عصر الخليفة العباسى فى بغداد الواثق بالله (٨٤٢ ــ ٨٤٧) بداية تقسيم الدولة العربية الى دويلات ملكية صـــغيرة ٠ ثـم

(١) حتى : نفس المرجع ، ص ٧٧ ، ٩٢ ــ ٣ ٠

غزا الترك هذه الدولة العربية فى مطلع القرن السادس عشر · وبقوا فيها حتى القرن التاسع عشر الذى شهد تدهور الترك العثمانيين ·

وتركت الحملة الفرنسية على الشرق العربى أثرا عميقا فى نهضة هذا الشرق بما حركته مقاومة عمر مكرم وغيره من كوامن القومية ،وبما ألقته من ضوء على معالم الطرق التى وصلت الشرق العربى بالنهضة الأوروبية (١) ·

وقد تبينت مصر فى القرن التاسع عشر ، بمجرد تحررها من الاحتلال الفرنسى واستردادها بعض قواها ، ما سبق أن تبينته مصر الفرعونية من وجوب جعل وادى النيل وحدة متماسكة ·

مصر فى أعالى النيل ١٨٢٠ — ١٨٩٠ :

وقد وصل المصريون الى بربر على بعد ١٥٨١ ميلا من القاهرة وهى التى تقع على خط عرض ١٨ شمالا فى ١٠ من مارس سنة ١٨٢١ ، والى سنار على بعد ١٥٩٤ ميلا من القاهرة التى تقع على خط عرض ١٣ شمالا فى ١٢ من يونيو من نفس السنة · وتولى الجيش المصرى مهمة الوصول الى أقاليم غرب النيل الأبيض فوصل الى الأبيض عاصمة مديرية كردفان الحالية وتوغل فى مديرية دارفور فى شهر ابريل من نفس السنة ، كما تولى مهمة الوصول الى فازوغلى فى يناير سنة ١٨٢٢ · ومن الثابت أن المصريين هم الذين أنشأوا مدينة الخرطوم وأصبحت عاصمة السودان ·

وهنا يقرر اميل لودفيج فى كتابه « النيل » :

« لقد تبين ·· مصرى ما لنقطة التقاء النيلين الأبيض والأزرق من أهمية حيوية فى تاريخ العالم فسماها الخرطوم ·· حيث لا يسع الفكر الا أن يتوقف حتى اذا لم تكن هناك مدينة قائمة ·· حيث يتعانق النيلان كشقيقين » ·

ولم يستطع البريطانيون عندما احتلوا السودان فيما بعد أن ينكروا جهود مصر فى هذا السبيل فأقاموا نصبا تذكريا فى الميدان الرئيسى

---

(١) يرى الدورى ، نفس المرجع ، ص ٦١ « ان التنبه سبق حمله نابوليون ولكن الحملة كان لها أثرها اذ انها نبهت الى خطر جديد ، خطر التسلط الغربى وقدمت صورة الحضارة الحديثة فى البلاد العربية حافزا جديدا وتحديا » ·

بمدينة « جوبا » عاصمة المديرية الاستوائية التى تقع على بعد ٢٤٤٦ ميلا من انقاهرة حفرت عليه التواريخ الآتية :

« ١٨٤٠ — ١٨٤١ : سليمان كاشف — سليم قبطان » وهـــذان العالمان أرسلتهما مصر فى التاريخ المحفور على النصب لمحاولة الوصول الى منابع النيل قبل أن تفكر أية دولة أوروبية فى محاولة كشف هذه المنابع ٠ وقد وضع سليم قبطان أول رسالة علمية عن أواسط افريقيـا نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية فى عام ١٨٤٢ ٠ ووصفت رحلة هذا المصرى بأنها احدى ثمرات الحضارة المصرية ٠ وعلى نفس النصب الى جانب نفس التاريخ حفرت أسماء « تيبو » و « أرنو » و « فيرن » و « ساباتييه » ٠ والاولان فرنسيان ٠ والثالث ألمانى ٠ والرابع فرنسى ٠ وجميعهم أوفدتهم مصر فى ذلك التاريخ بقيادة سليم قبطان وسليمان كاشف لاكتشاف مجرى النيل ٠ فاكتشفوا فتحة نهر السوباط على بعد ١٨٨١ ميلا من القاهرة ٠ واخترقوا بحيرة « نو » على بعد ١٩٦٧ ميلا من القاهرة ٠ ثم اكتشفوا فتحة بحر الغزال أى التقاء هذا النهر ببحـــر الجبل عند بحيرة « نو » ٠ وبلغوا يوم ٢٥ من يناير ١٨٤١ خط عـــرض ٥ عند « غندوكرو » الواقعة على بعد ٢٤٤٠ ميلا من القاهرة ٠ والتى أصبحت تسمى « الاسماعيلية » بعد انشاء « المديرية الاستوائية » ٠

وكانت الاوساط الجغرافية الأوروبية قد تنبهت الى جهود مصـــر ومحاولاتها كشف منابع النيل ٠ فأوفدت الجمعية الجغرافية الملكيـة بلندن الرحالتين « بيرتون » و « سبيك » عام ١٨٥٦ للبحث عن هـذه المنابع ٠ وفى ٣ من أغسطس ١٨٥٨ اكتشف « سبيك » بحيرة « أوكيرو » وسماها « فيكتوريا » وفى ٢٨ من يوليو ١٨٦٢ اكتشف مخرج النيل من هذه البحيرة ٠ (١)

وفى عام ١٨٦٩ أوفدت مصر صمويل بيكر لكشف منابع النيل

وفى أول ابريل سنة ١٨٦٩ صدر أمر من الحكومة المصرية عهد به الى بيكر :

(أ) اخضاع البلاد الواقعة جنوب غندوكرو « الاسماعيلية »
(ب) القضاء على النخاسة ٠

(١) أصدر «بيرتون» عن هذه الرحلة كتابه «مناطق البحيرات فى افريقيا الوسطى» عام ١٨٦٠ ، كما أصدر « سبيك » عنهـا كتـابه « يوميـات اكتشاف منبع النيـل » عام ١٨٦٣ ٠

(ج) ادخال نظام تجارى فى هذه المناطق ٠
(د) فتح البحيرات الاستوائية الكبرى للملاحة ٠
(هـ) انشاء سلسلة من الحصون فى أواسط أفريقيا ٠

وفى ٢٣ من ابريل عام ١٨٧٠ أنشئت « التوفيقية » على بعد ١٨٧٥ ميلا من القاهرة وعلى مقربة من التقاء النيل الابيض بالنيل الأزرق ٠

وفى ٢٦ من مايو سنة ١٨٧١ رفع العلم المصرى على غندوكرو وسميت « الاسماعيلية » واتخذت عاصمة للمديرية الاستوائية ٠

وفى ٢ من مارس سنة ١٨٧٢ أنشئت « الابراهيمية » واسمها الحالى « نيمولى » وهى أقصى نقطة على حدود السودان جنوبا وأقصى نقطة على حدود أوغندا الحالية شمالا ، وعلى بعد ٢٥٥١ ميلا من القاهرة ٠

والى ذلك الوقت كانت سيادة الباب العالى النظرية على مصر والسودان المستندة الى معاهدة لندن التى وقعت فى ١٥ من يوليو سنة ١٨٤٠ لا تزال آثارها باقية ٠

ولكن العقلية الاستعمارية لم تلبث أن استردت نفوذها فى توجيه السياسية البريطانية الخارجية ، ولعل أصدق تعبير عن هذه العقلية هو ما ذكره السياسى البريطانى سيسيل رودس ــ الذى سميت مستعمرة روديسيا باسمه ــ فى مذكراته اذ قرر « اذا كان هناك اله فان ما يجب أن يطلبه منى هو أن أصبغ أوسع مساحة ممكنة من خارطة افريقيا باللون الاحمر البريطانى » ٠ !

وقد ذكر اميل لودفيج أن زودس كان يعلق فى منزله خريطة تنقسم الى قسمين أعلاهما فيه الهلال المصرى وأسفلهما فيه رمز جنوب أفريقيا ، وبين الاثنين العلم البريطانى ٠ وهو يشير بذلك الى وصل شمال افريقيا بجنوبها بسكة حديدية تمر فى أراض بريطانية ، وكان يرى أن انشاء هذه السكة يحقق حلم انجلترا فى السيادة على افريقيا من الشمال الى الجنوب ٠ (١)

جبال طوروس فى سوريا :
حدود الدولة العربية الطبيعية :

وقد تبينت مصر ان الحدود الطبيعية التى تحمى هذه المنطقة من الشرق الادنى يجب أن تمتد الى جبال طوروس فعملت على ذلك ، ولعل

(١) E. Ludwig : Genius and Character, Jonathan Cape.
لندن : ص ٨٩ ــ ٩٢

أدق وصف لوجوب هذا الامتداد هو ما قرره الدكتور كلوت بك اذ قال:

« منذ تقرر في الأذهان أن انشاء دولة مستقلة على ضفاف النيل يفيد المدنية فائدة عامة ، وجب الاعتراف بأنه لا يمكن ادراك هذه الغاية الا بضم سوريا الى مصر . وقد رأينا فعلا أن موقع البلاد الحربي لايجعلها في مأمن من الغزوات الخارجية خصوصا عن طريق برزخ السويس ، فاذا استثنينا غزوة الفاطميين المغاربة وغزوة الفرنسيين بقيادة بونابارت نجد أن سائر الغزوات جاءت من طريق سوريا كغزوة الفرس في عهد قمبيز وغزوة الاسكندر والفتح الاسلامي وغزوتي الايوبيين والاتراك . وعلى ذلك لا يمكن الاطمئنان الى بقاء مصر مستقلة الا باعطائها الحدود السورية لأن حدودها ليست في السويس بل في طوروس » (١)

وحدة عربية ومشروع امبراطورية عربية ، ١٨٣٧

وقد اتضح ايمان مصر بفكرة انشاء اتحاد سياسي يجمع بين الأقطار العربية المتاخمة لمصر من الشرق والشمال وهي : الاقطار التي تتكلم العربية .

ومما يقطع بايمان مصر في الربع الأول من القرن التاسع عشر ــ رغم أن حكامها كانوا أجانب عن العرب واللغة العربية ــ بفكرة اعادة تلك الوحدة بين الاقطار العربية المتاخمة لمصر أنه بينما كان الجيش المصري محاصرا لمدينة عكا سئل قائده عن المدى الذي يعتزم أن يقف عنده ، فأجاب ان الجيش المصري سيتقدم ما دام يستطيع أن يتفاهم مع الاقطار التي يصلها باللغة العربية ، وربما كانت هذه الخطة ــ دون ن يقصد ــ أحد أسرار قوة ذلك الجيش ، وقد حققت الحوادث اجابته . فقد ضمت سوريا الى مصر . وفي عام ١٨٣٣ تحقق المشروع الذي يعود تاريخه الى عام ١٨٢٢ ، فأثمرت أحد عشر عاما من المثابرة والجهود ثمرتها ، وهي انشاء دولة عربية متحدة . (٢)

---

(١) عبد الرحمن الرافعي ، « تاريخ الحركة القومية » ج ٣ ص ٢٣١ .

(٢) E. de Cadalvène et V. Barreault : Histoire de la guerre de Mehemet Ali contre la Porte Ottomane en Syrie et en Asie Mineure, pp. 411-2.

وقد قرر القاضي الاميركي « بيير كرابيتيس » في كتابه « ابراهيم باشا » ان مصر بغزوها هذه البلاد العربية كانت تهدف الى ارساء اسس دولة عربية اسلامية عظمى تكون هي ــ أي مصر ــ قلبها النابض » ، ص ٤٢ من ترجمة محمد بدران العربية .

الجنسية العربية ووجودها السياسي : ١٨٣٣

وقد يبدو ان هذه التصريحات ربما كانت دعاية سياسية لجـأ اليها القواد الترك ليجتذبوا قلوب العرب ولكن الذى يقطع بأن بعض أولئك القواد كانوا مؤمنين بنفس العقيدة ٠ ان أحدهم فى حروب الشام وقد قضى ستة أعوام فى فرنسا وكان يتكلم الفرنسية كأحد أبنائها ، قد صرح للبارون ده بوا لكونت ـ وهو السفير الفرنسى الذى أوفده الدوق ده بروجلى وزير الخارجية الفرنسية عام ١٨٣٣ فى مهمه خاصه لدى الحكومة المصرية ـ قائلا : « ان معظمنا قد ولد فى تركيا ولكن اقامتنـا فى مصر قد أعطتنا حق التجنس بالجنسية المصرية ، ان القـــانون الفرنسى يكتفى بعشرة أعوام يستطيع الاجنبى بعدهـــا أن يتجنس بالجنسية الفرنسية أما نحن فقد قدمنا الى مصر ولم نكد نغادر ســـن الطفولة ولذلك لم نعد تركا قط ، ولم تبق رابطة تربطنا قط بذلك الشعب الذى لا يترك فى مروره على الارض الا الخرائب ، اننا الآن ننتسب الى شعب أنبل وأكثر تنورا ، الى هذا الشعب العربى الذى سبق أوروبا فى الحضارة وزين تاريخه باقامة المدن المزدهرة والآثار الفخمة التى غطى بها وجه الأرض من جبال الاندلس الى وادى النيل بل الى حدود ايران ٠

وكانت سياسة مصر تتجه الى تحويل الدولة الناشئة الى امبراطورية عربية صميمة ينتسب فيها الحاكمون والمحكومون والضباط والجنـود الى شعب واحد واعطاء الجنس العربى جنسيته الخاصة وكيانه السياسى كما ان له لغته الخاصة وأدبه الخاص وتاريخه الخاص ، وهذه الفكرة توحى الى الخاطر نظرية أكثر اقناعا وأكمل كما انها تتضـمن عناصر البقـــاء والاستقرار » (١)

وقد أثارت هذه العزيمة على بعث الدولة العربية اعجاب المؤرخين الذين توفروا على دراسة هذه الفترة من تاريخ مصر فقرروا ان الشعب المصرى سرعان ما بدا على أرض وطنه التى استردت شبابها شعبـــا لين العريكة صبورا مسالما ، ولكنه اذا حارب قاتل ببسالة واحتمل العمل بمرح وواجه الاخطار والشقاء ، غير هياب ولا وجل ، مستعدا لاتقـــان أية صناعة ، قادرا على استيعاب العلوم فى سهولة عظيمة ٠ (٢)

---

(1) Georges Douin : La Mission du Baron de Boislecomte, L'Egypte et la Syrie en 1833, pp. 249-250.

والسفير الفرنسى الذى يضم هذا الكتاب رسائله هو « شارل جوزيف ادمون » . وهذه الفقرة التى اشرنا اليها وردت فى رسالته المؤرخة فى ٣١ من اغسطس ١٨٣٣ .

(٢) « كادالفين » و « بارو » : نفس المرجع ، ص ٤١٥ .

معاهدة كوتاهية والمسألة المصرية ١٨٣٣ :

واستمرت مصر تنفذ سياسة اعادة هذه الوحدة العربية عمليا فحوصرت « عكا » وتم الاستيلاء عليها يوم ٢٧ من مايو عام ١٨٣٢ بعد أن طال حصارها ستة أشهر وبلغت خسائر المصريين أربعة آلاف وخمسمائة قتيل ، وضمت « حمص » فى ٨ من يوليو من نفس العام بعد قتال عنيف • ولمعركة حمص أهميتها الخاصة لأنها كانت أول معركة التحم فيها الجيش المصرى بالجيش التركى فى ساحة واحدة ، ويعتقد المؤرخون ان المصريين بانتصارهم فى هذه المعركة قد ثأروا لأنفسهم من هزيمتهم فى معركة « الريدانية » أمام السلطان سليم قبل ذلك بأكثر من ثلاثة قرون ، وان الانتصار فى هذه المعركة قد رد لمصر سيادتها كاملة وقضى على النفوذ العثمانى فيها (١) ، ثم ضمت « بيلان » فى ٣٠ من يوليو و « قونية » فى ٢١ من ديسمبر من العام نفسه • وقد أثار انشاء دولة واحدة من كل هذه الاقطار العربية المتجاورة ثائرة الدول الاوروبية ودفعها الى التدخل فيما سموه « المسألة المصرية » ، ولكن مصر أصرت على انشاء هذه الدولة وانتهى الامر باتفاقية « كوتاهية » فى ٤ من مايو عام ١٨٣٣ ، وهى الاتفاقية التى تقرر تنازل تركيا عن سوريا « دمشق وطرابلس وصيدا وحلب والقدس ونابلس » والحجاز ، وبذلك عاد هذان القطران فأصبحا وحدة سياسية مع مصر وعادت حدود هذه الدولة تنتهى عند جبال طوروس (٢)

وقد تحملت مصر فى سبيل ايمانها بفكرة انشاء دولة واحدة من الاقطار العربية المجاورة لها تضحيات جسيمة • فقد كانت ايرادات سوريا أقل من مصروفاتها • فكانت مصر تكمل العجز من ميزانيتها الخاصة • وتحققت المساواة بين الجميع فى الضرائب • لا تفاوت بين

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : « تاريخ الحركة القومية » ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ج ٣ ، عصر محمد على ، ص ٢٤٨ •

(٢) وصف المؤرخون هذه الدولة بأنها « امبراطورية واسعة الارجاء مساحتها تزيد على نصف أوروبا وتزيد ١٥ مرة على مساحة فرنسا ، امبراطورية عظيمة تضارع امبراطورية نابليون وامبراطورية الفراعنة وامبراطورية الرومان ، تمتد من النيل الى الفرات ومن البحر الاحمر الى البحر الابيض ، من فلوات اليمن الى مشارف الشام ، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ؛ من كعبة المسلمين الى مقدس النصارى الى مبكى اليهود ، امبراطورية جمعت اليمنى والحجازى والمصرى والسودانى والعربى والسورى واللبنانى والدرزى تحت راية واحدة وتحت صولجان واحد « عزيز خانكى » الذكرى المئوية لواقعة نزيب ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ •

الطبقات والمذاهب · وأبطلت المصادرات · وتقرر حق الملكية · وتوطد الامن · وأحييت الزراعة والتجارة والصناعة · (١)

ووهب الحكام المصريون على سوريا أنفسهم لتحقيق نهضة هذا الجزء من الدولة · فتنسمت بيروت فى عهد محمود سامى محافظها المصرى « نسيما منعشا من الغرب المتمدن فاستيقظت من سبات العصور الوسطى · وخطت خطوتها الأولى فى سبيل رقيها الحديث » (٢)

وقد ذهب البعض الى ان قادة الجيش المصرى الذين ليسوا من أصل عربى قد اتصلوا لأول مرة بالعالم العربى أثناء حملتهم على الوهابيين — فى الجزيرة العربية — الذين أنكروا سلطة الخليفة وخطر لهم تكوين امبراطورية عربية · ولكن هذا الحلم لم يتحقق بسبب ضعف وعى القومية العربية الذى كان قد ولد حديثا من جهة وبسبب معارضة وزير الخارجية البريطانية لورد بالمرستون من جهة أخرى ، ففى خطاب منه مؤرخ فى ٢١ من مارس ١٨٣٣ موجه الى الوزير البريطانى فى نابولى يقرر أن الغرض الحقيقى لمحمد على هو انشاء مملكة عربية تضم كل البلاد التى تتكلم اللغة العربية ، وقد لا يبدو مثل هذا الغرض فى حد ذاته خطرا ولكن هذا سيترتب عليه تمزيق تركيا وهو أمر لا يمكن أن نقبله · ومن جهة أخرى فان من الأفضل أن تحتل تركيا طريق الهند على أن يحتله حاكم عربى · (٣)

التدخل الأوروبى ومعاهدة لندن ١٨٤٠ :

وقد دافعت مصر عن هذه الحدود التاريخية بكل قواها ، فكانت معركة « نصيبين » فى ٢٤ من يونيو عام ١٨٣٩ بسبب اجتياز فرقة من الجيش التركى لنهر اعتبرته اتفاقية كوتاهية حدا فاصلا بين تركيا والدولة التى أعادت مصر انشاءها مكونة من مصر والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين · وقد انتصرت الجيوش المصرية فى هذه الموقعة انتصارا حاسما بعد أن خسرت نحو أربعة آلاف قتيل وجريح وتكلل

---

(١) محمد كرد على : « خطط الشام » ، نقلا عن عبد الرحمن الرافعى ، نفس المرجع ، ص ٢٨٠ .

(٢) أسد رستم : مجلة « الكلية » الجامعة الأمريكية ، بيروت ، المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٣) محمد عبد العزيز The Origin and Birth of the Arab League. المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٥ ، ص ٤٠ .

هذا النصر بتسليم الاسطول التركى الذى كان مؤلفا من تسع بوارج حربية كبيرة وست عشرة سفينة حربية أخرى الى الاسطول المصرى ، مما جعل الدولة العربية الناشئة التى نالت هذا النصر أقوى دولة بحرية فى البحر الابيض المتوسط ، ولذلك عد يوم « نصيبين » أمجد أيـــام النصر التى رأتها الجيوش المصرية • (١)

وقد نفضت مصر المنتصرة عنها سيادة الباب العالى الذى كادت الجيوش المصرية تهدد عاصمته ، وأصبحت مصر مركزا من مراكز القوة والحضارة ، مستقلا ، بداهة ، عن القسطنطينية •

وكان المعقول لو لم تخش الدول الاوروبية بأس هـــذه الدولة الناشئة أن يترك الأمر بينها وبين تركيا ، ولكن تلك الدول الاوروبية أبت الا أن تثير « المسألة المصرية » من جديد ، ففى ٢٠ من يونيو ١٨٣٩ أرسل « بالمرستون » وزير الخارجية البريطانية رسالة الى سفيره فى فيينـا شارحا سياسة حكومته حيال الدولة العربية التى كانت مصر قد أرست أساسها • (٢)

ومع أن فرنسا كانت تؤيد مصر فى صراعها ضد الدولة العثمانية الا أنها انتهت بالتعاون مع الدول الأوروبية • وقد وصف « ده فريسينيه » سياسة بلده • فرنسا بقوله انها تقتصر على القاء « خطب المديح والاطناب المتسمة بالرومانسية • وقد وجدت هذه السياسة بعض المدافعين عنها فى مجلس النواب • المقتنعين بها • وكانت هذه السياسة تهـــدف الى تشجيع انشاء « المملكة العربية » وقد صاح « ده كارنيه » فى جلســة أول يوليو ١٨٣٩ قائلا : « فى مواجهة الظروف التى يمكن أن تنشـــأ

---

(1) Weygand : Histoire militajre de Mohamed Ali et de ses fils, t. 2, p. 115.

وقد أضاف أن بعض المؤرخين يقـارنون انتصار مصر فى نصيبين بانتصـار فرنسـا فى « اوسترليتز » •

(٢) نشرت هذه الرســالة كوثيقة من « الوثائق البرلمانية » ، ١٨٤١ ، ج ٢٩ ؛ ص ١١٧ ــ ٩ • وجاء فيها : يبدو لحكومة جلالة الملكة انه لن يمكن أن تكون هنـاك وسيلة للحد من خطر هذه الاعمال التى تهدد الأمن الأوروبى الا اذا أعاد محمــد على سوريا الى سيطرة السلطان (العثمانى) مباشرة • أى أن ينسحب (محمد على) الى مصر وان تصبح الصحراء فاصلا بين قواته والسلطات التابعة له وبين قوات وسـلطات السلطان • ويبدو لحكومة صاحبة الجلالة انه اذا اتفقت الدول الخمس (النمسـا وروسيا وانجلترا وفرنسا وبروسيا) على مثل هذه الخطة واقترحتها على الطرفين (مصر وتركيا) مع السـلطة المتاحة لدول أوروبا العظمى فان مثـل هــذا الاتفاق يمكن تنفيذه • وبهذه الطريقة تنجو أوروبا من خطر عظيم • ودائم •

فان مصلحة فرنسا أن تعمل فورا · وأن تعمل وحدها · ان على فرنسا أن تهب لمساعدة « الجنسية المصرية » (١) والمقصود – بداهة – الجنسية العربية ، أى جنسية الاقطار التى اتحدت مع مصر ·

وفى أثناء هذه المناقشة بمجلس النواب الفرنسى وللمرة الأولى فى تاريخ العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق العربى تكرر استخدام تعبير « الجنس العربى » وأعلن أحـــد النواب أن الجنس العربى أفضل تأهبا للحضارة وأكثر نشاطا · وأعظم ذكاء من الجنس التاتارى · ولذلك فهو أجدر باعادة شباب الامبراطورية التى اضمحلت وذبلت (٢) ·

وفى ٢٨ من يوليو عام ١٨٣٩ أرسل سفراء النمسا وروسيـــا وانجلترا وفرنسا وبروسيا مذكرتهم التاريخية الى تركيا · وقد تطورت سياسة العنت التى كانت تمليها روح الخوف من الدولة الناشـــئة التى احتضنت كل الاقطار العربية المتجاورة التى تكون الشرق الادنى عندمـا تولى « تيير » رئاســـة الوزارة الفرنسية ، اذ كان يرى الابقاء على مصر وسوريا كدولة واحدة وأن تترك تصفية الخلاف بين مصر وتركيـــا اليهما وحدهما دون تدخل من الدول الاخرى ، ولكن بالمرستون – وزير الخارجية الانجليزية وقتئذ – أبى الا احباط سياسة « تيير » ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة « لندن » فى يوليو عام ١٨٤٠ وهى المعاهـــدة التى اقتصرت على ضم فلسطين الى مصر ، وبذلك سلخت جزيرة العرب وسوريا من الدولة التى أعادت مصر انشاءها · وقد أجمع المؤرخون ان اصرار انجلترا على احباط مجهود مصر فى اعادة انشاء تلك الدولة انما كان لأنها لحظت ان مصر كانت تطمع فى احياء الدول العربية القديمة(٣) ولم تصدر هذه الشهادة من المؤرخين العرب فحسب بل جاراهم فيها المؤرخون الانجليز اذ قرروا ان عصر المصريين فى ســـوريا هـــو العصر الذهبى للمسيحيين · (٤)

(1) De Freycinet : La Question d'Egypte, Paris, Calman Lévy, 1904, p. 75.

(٢) صعب : نفس المرجع ، ص ١٦٨ ، وقد استند على « فريدريك رودكى » فى كتابه « المسألة التركية – المصرية فى علاقات انجلترا وفرنســا وروســيا ١٨٣٢ – ١٨٤٢ » المطبوع فى جامعة شيكاجو عام ١٩٢٤ ·

(٣) ميخاليل مشاقة ، «مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان» نقلا عن الرافعى ، ص ٣٢٠ ·

(٤) « باتون » : تاريخ الثورة المصرية ، نقلا عن كتاب « الذكرى المئوية لواقعة نزيب » للاستاذ عزيز حانكى ص ٥ وبذلك أوقفت السياسة الاستعمارية خطة مصر فى =

ولا شك ان مصر كانت محقة فى اعتبار معاهدة « لندن » باطلة حين رفضتها ، ولكن الدول الاوروبية تماسكت فى موقفها المتعنت من مصر وتراخى « تيير » فى تأييده لمصر وترك الوزارة للماريشال سـول وكان الاسطول الانجليزى قد ضرب سواحل فلسطين واستولى عليهـا وانتهى الامر بالاتفاقية التى عقدت يوم ٢٧ من نوفمبر عام ١٨٤٠ بين وزير الخارجيـة المصرية والكومودور « نيبير » التى تقضى بجلاء الجيوش المصرية عن سوريا ٠

وفى ١٣ من فبراير عام ١٨٤١ أصدرت الدولة العثمانية فرمانا بتولية محمد على ، مدى حياته ، حاكما على السودان ، ونص فيه عـلى مديريات النوبة ودارفور ، وكردفان وسنار وملحقاتها بجميع المناطق المتاخمة خارج الحدود المصرية ٠

وذهب البعض الى أن مصر بضم الجزيرة العربية وسوريا والتوسع شرقا نحو بغداد انما كانت تحدوها فكرة محاولة أن تجدد شـباب الامة الاسلامية ، وأن تحررها ، وأن تلم شمل جزء منها ان لم تستطع لم شملها كلها ٠٠ وأن مصر ـ لكى تبرر موقفها من السلطان صاحب السـيادة الشرعية وحلفائه الأجانب ـ كانت تثير المبدأ الذى نسميه اليوم « حق تقرير المصير » ، وأنها كانت تعمل لصالح الأمة الاسلامية وباسمها ٠٠٠ وحتى فى بغداد كان الشعب ينظر الى الجيش المصرى كمنقذ من جشـع الحكومة التركية ٠ وقد نعى على بالمرستون قراره الذى عاق ضم العراق الى ما كانوا قد بدأوا يسـمونها الخلافة المصرية ٠ ومن الجدير بالذكر ان العراق هى الولاية العربية الوحيدة فى الشرق الأدنى من ولايات الدولة العثمانية التى لم يصل اليها التوسع المصرى ٠ ولم يعق مصر عن ذلك ان السلطان دافع عن العراق وانما لأن بالمرستون انذر محمد على بأنه اذا مد توسـعه من

= احياء القومية العربية التى كانت مصر قد «أعلنت عزمها على احيائها وفى اعادة أرض الاجداد الى العرب وفى السماح لهم بتولى جميع الوظائف المدنية والعسكرية وفى جعلهم يعتمدون على انفسهم ويشتركون فى التمتع بالايرادات العامة وفى أداء التكاليف التى تتطلبها حاجيات الدولة » . كما يقرر أسد رستم فى كتابه المنشور ببيروت بالانجليزية عام ١٩٣٨ من « أصول الحملة المصرية الى سوريا : ١٨٣١ ـ ١٨٤١ »

كما قرر المؤرخون الاوروبيون ان مصر كانت ترمى الى احياء دولة متجانسة كالدول الاوروبية تربط اللغة والثقافة المشـتركة بين مواطنيها ؛ (باريز)

Nisi Dominus, A Survey of the Palestine Controversy, George Harrap.

لندن ؛ ١٤٦ ، ص ٧٩ ٠ ويراجع صعب ، نفس المرجع ؛ ص ١٥٤ ؛ فى تحليل موقفى مصر والوهابية من الوجهة الثقافية وكتابنا « الدولة العربية الـكبرى » ص ٣٦٥ ـ ٣٧١ ٠

الجزيرة العربية الى العراق فان الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تنظر بغير اكتراث الى تنفيذ مثل هذه النوايا • (١)

وقد أشار بعضهم الى ما أعلنته حكومة مصر اذ ذاك من ان الكثيرين ينسون ان الاسلام ليس دينا فحسب وانما هو أيضا نظام اجتماعى وطراز ثقافى وجنسية ••• ان مبدأ الأخوة الاسلامية والوحدة الاسلامية كالقومية سواء • (٢)

وبذلك دامت هذه الوحدة العربية نحو عشرين عاما (١٨٢١ ــ ١٨٤١) ولو أنها ، كما اتضــح من هذا الكتاب ، لم تضــم الأقطــار العربية التى ضمتها الوحدة العربية الكبرى ، وخاصة شمال أفريقيا العربى ، كما انها لم تضم العراق • وقد ايقظت هذه الوحدة الوعى العربى ومهدت لظهور مذهب التحرر العربى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر •

المذهب العقلى عند رفاعه الطهطاوى ١٧٩١ ــ ١٨٧٢ :

وقد ساعدت على التمهيد لظهور هذا المذهب الجديد النهضة العلمية التى تزعمتها مصر فى منتصف القرن التاسع عشر ، ويكفى فى هذا المقام ان نشير الى جهود رفاعه الطهطاوى (١٧٩١ ــ ١٨٧٢) ، وتلامذته الذين بلغ عدد ما ترجموه الى العربية والتركية نحو مائتى كتاب ، ولم يكن من المغالاة ان يطلق على رفاعه اسم « أبو النهضة المصرية » • وقد اتصل رفاعه أثنــاء اشرافه على البعثة المصرية التى أوفدت الى فرنســا عام ١٨٢٦ بالمستشرقين « جوبير » و « جومار » وغيرهما وكان من أثر ذلك ان وضع رسالته « تخليص الابريز » •

وقد اتجــه رفاعة عندما بدأ التأليف فى التاريخ اتجاها قوميــا « ورفاعة كان أول مؤرخ مصرى عرف تاريخ مصر القديم على حقيقته وعلى ضوء ما وصــلت اليه الكشوف الأثرية وماكتبه المؤرخون الأوروبيون ، وهــو أول مؤرخ مصرى آمن بامجــاد هــذا التاريخ المصرى الفرعونى القــديم ولم يلغــه ولم ينقص من قــدره ، بل أعلن عن اعتــداده واعتزازه به ••• فمصر فى رأيه أم الحضارات ، ولم تسبقهــا أمة فى ميدان المدنية ولا فى حرفة تقنين القوانين ••• ولم تجحد نعمة اقتباس

---

(١) صعب ، نفس المرجع ، ص ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ــ وقد استند على « هنرى ددويل » فى كتابه « مؤسس مصر الحديثة » .

(٢) « كون » ، « تاريخ القومية » ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

علومها أمة ٠٠ ولاملة ولا أنكرت الاستضاءة بنور نبراسـها مملكة عظيمة ولا دولة ٠٠٠ وهذا الفهم الجديد لتاريخ مصر ٠ وهذا التعبير الجديد عن هذا الفهم هو مظهر الافاقة ومظهر من مظاهر القوس الجديد » (١) ٠

وقد وصـف رفاعة بأن « اسـمه مرتبط ارتباطا وثيقـا بحركة البعث الزاهرة للنشاط الأدبي والعلمي في الشرق الحديث ٠٠٠ وكان من نتيجة أعماله ونشاطه وأعمـال زمرة الخبراء والمترجمين الذين قدمهم للبلاد ان تمكن رفاعة من القيام بمعجزة هي تبسيط العلم الأوروبي ، وتفتيح أذهان الشرق للآراء الحديثة وتنوير أذهان معاصريه ، وايقاظ الهمم الخامدة واعداد العدة للمستقبل ٠٠ وقد مكن للفكر العربي من أن يتمشى مع التقدم وان ينشر ضوءه على العالم الاسلامي الحديث » (٢) ٠

وذهب مؤرخ عربي معاصر الى أنه :

« ربما كان الطهطاوي أول مفكر عربي حديث ، حاول التوفيق بين الفكرين السياسيين : العربي والغربي ، فقد أرفق المفاهيم الفرنسية وهو يقدمها للقارىء العربي ، بالأمثال والحكم والمفاهيم العربية التي تتضـمن المعاني ذاتها أو ما يشبهها ، وجهد وهو المعجب كثيرا بالسنة السياسية الفرنسية ، ان يجعلها شائقة لمواطنيه ، باظهارها منسجمة في جوهرها مع السنة العربية » ٠ (٣)

مصر في الصومال : ١٨٦٦ ـ ١٨٨٤
الخلفية الحضارية العربية المشتركة :

عندما تكتلت الدول الأوروبية لعرقلة ما بذلته مصر من جهـود لتحقيق شكل من أشكال وحدة عربية وانتهى هذا التكتل بفرض معاهدة لندن في عام ١٨٤٠ التي أسفرت عن تفتيت تلك الوحدة التي كانت قد تحققت في شبه الجزيرة العربية وفي شرق البحر الأبيض المتوسط ـ لم تيأس مصر ـ بعد أن استردت أنفاسها ـ من متابعة القيام بدورها في تحقيق هذه الوحدة عن طريق مد نفوذها جنوبا حتى منابع النيل كمـا رأينا في أول هذا الفصل ٠ وقد تبينت مصر أن الامتداد الطبيعي لهـذا

(١) جمال الدين الشيال : رفاعة المؤرخ، القاهرة ؛ المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٢ ؛ ٦

(٢) « موريس شيمول » ، دائرة المعرف الاسلامية القاهرة ، الترجمة العربية ، المجلد ١٠ ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، ترجمة أحمد الشنتناوي ٠

(٣) نسيبه ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ ٠

الشكل المنشود من أشكال الوحدة هو ضم الأقطار الأفريقية التى تربطها بالعرب وبمصر روابط تاريخية وعرقية وحضارية فاعتزمت « مد الدولة المصرية فى حدودهـا الطبيعية من سـواحل البحـر الأبيض الى خط الاسـتواء ومنابع النيـل ومن سـواحل البحر الأحمـر الى المحيط الهندى ومنه الى البحيرات ۰۰۰ وقد دأبت على انفاذ هذه الخطة الكبرى من كل النواحى فى وقت واحد ۰۰۰ وكان أول هم مصر منذ سنة ١٨٦٥ امتلاك الساحل الأفريقى لذلك البحر وكانت أول خطوة تنازل السلطان « العثمانى » لها عن ميناءى سواكن ومصوع ، فان فرمان ٢٧ مايو ١٨٦٦ قد نص على منح والى مصر حكومة وراثية فى جميـع الملحقات المصرية بما فيها سواكن (السودان حاليا) ومصوع (اريتريا حاليا) ۰۰۰ ولقد مر الحاكم المصرى للسودان على الساحل الغربى للبحر الاحمر لغاية المحيط الهندى ورفع الراية المصرية على ساحل الصومال فى بربرة (المنطقة التى انتزعتها بريطانيا فيما بعد) وفى رأس حافون (المنطقة التى انتزعتها ايطاليا فيما بعد) ، وقد كتب تقريرا عن نتيجة مروره بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٦٧ خلاصته أن سواحل البحر الاحمر الغربى من السويس الى باب المندب بجميع جزائره القريبة من سواكن ومصـوع ليس لواحدة من الدول الأجنبية تدخل فيها ما عدا زيلع (فى المنطقة التى انتزعتها بريطانيا فيما بعد) فهى تابعة للدولة العلية ۰ وذكر الحاكم فى تقريره أنه أجـرى تأمين الاهالى وتمكين تبعيتهم للحكومة « المصرية » وأعطى لمشايخهم رايات لاقامتها فى مراكزهم ، وفى أوائل نوفمبر ١٨٦٧ عينت مصر حاكما على سواحل أفريقيا الشرقية ، وقام هذا الحاكم بالتوفيق بين المتنازعين من قبائل الدناكل التى تقطن هذه المنطقة من الصومال فلما اعترض حاكم عـدن الانجليزى ــ وكانت بريطانيا قد أحتلت منذ عام ١٨٣٨ ما يعرف الآن باسـم جمهورية اليمن الديموقراطية المواجهـة للصومال على الساحل الشرقى للبحر الاحمر والسـاحل الجنوبى فى الجزيرة العربية ــ كتب وزير الخارجيـة المصرى الى الحكومة البريطانية موضحا أن بلاد الصـومال ــ ضـمن تنازل الباب العالى عن مديريات مصوع وسواكن وملحقاتهما وأن حقوق مصر على هذه البلاد ثابتة لاشك فيها ۰۰۰ ولكى تؤكد مصر هذه الحقوق عينت واليا على جميع سـاحل أفريقيا من السويس الى جردفون (المنطقة التى أنتزعتها ايطاليا فيما بعد) فتنقل هذا الوالى بين مدن الساحل ووصل الى بلهار (فى المنطقة التى انتزعتها بريطانيا فيما بعد) فى ١٦ من يناير ١٨٧١ ورفع العلم المصرى عليها ، وفى ١٨ من فبراير ١٨٧١ تقدم جنوبا الى بربرة ثم عاد فاتجه

شمالا نحو تاجورا (التي انتزعتها فرنسا فيما بعد) وكانت قد اشترت منذ عام ١٨٦٢ ميناء أوبوك (فى المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم الصومال الفرنسى) وفى يونيو ١٨٧٥ تنازل الباب العالى عن زيلع الى مصر فأخذت الحكومة المصرية تنشىء فى تاجورا ادارات محلية ، وقد تلقى سفير انجلترا بالاستانة فى ٦ من أغسطس ١٨٧٥ رسالة من ضابط بريطانى مقيم بالمنطقة جاء فيها : « أن التنازل عن ميناء زيلع والاستيلاء على بربرة يجعلان ساحل البحر الاحمر الغربى كله فى قبضة مصر ولاريب أن المناطق التى كانت من قبل مستوحشة لايستأنس بها أخذ المصريون يصلونها عاجلا بالعالم المتمدن ... ومما لاريب فيه أن توطيد الحكم المصرى فى الساحل والموانى كان يدعو الى الجرى على سياسة عامة من شأنها الايغال فى داخلية البلاد وادخال وسائل العمران والحضارة فيها ، وقد كان احتلال هرر « الحبشة حاليا » وزيلع وبربرة جزءا من هذه السياسة (١) .

ولما كان انضمام جمهورية الصومال (التى ضمت ماكان يعرف بالصومال الايطالى والصومال البريطانى) الى جامعة الدول العربية قد أثار جدلا بشأن الروابط التاريخية والحضارية التى تربط شعب الصومال بالأمة العربية فان من المناسب أن نلقى الضوء على هذه النقطة بشىء من الأفاضة ، فقد ذكر كثير من المؤرخين ــ ورددت ذلك الموسوعات العامة ــ أن بدء قدوم العرب ــ من جنوب الجزيرة العربية ــ الى الصومال يعود الى القرن السابع الميلادى ، ولكن سلامة البحث العلمى تقتضى ــ قبل التعرض الى بدء « وجود » العرب فى شرق أفريقيا وبالتحديد فيما يعرف الآن باسم « الصومال » ــ أن نوجز النظريات العلمية التى توفرت على دراسة أصل « العرب » . فقد ذهب الكثيرون من مؤرخى الشعوب السامية الى أن العرب قد نشأوا ــ أصلا ــ فى أفريقيا فهى أقدم وطن للعرب ، ويؤيد « بلجريف » هذه النظرية فى الفصل الخاص بالعربية فى الموسوعة البريطانية ودعم هذا الرأى بأوجه الشبه العرقية القوية بين العرب وبربر شمال أفريقيا وخاصة شكل الفك وركبة الساق الى جانب تشابه اللغة والتجارب الاجتماعى ، وأنضم « جيرلاند » فى دراسة عن علم الانسان الوصفى « اثنوجرافى » الى الرأى القائل بأن مناطق شمال أفريقيا هى مهد عرب الجزيرة العربية وان الحاميين والساميين

(١) محمد صبرى : مصر فى افريقيا الشرقية ، هرر وزيلع وبربره ، القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٣٩ ، ص ١٣ ــ ٢٠ .

شعب واحد ودعم هذا الرأى بتكوين الجمجمة ووحدة الأسس اللغوية ، وهـذه النظرية التى تذهب الى أن الموطن الأصـلى للعرب كان أفريقيا لاتتعارض ـ كما يرى « روبنسون سميث » فى كتاب الاجروميه السامية المقارنة لرايت ـ مع النظرية التى تذهب الى ان شبه الجزيرة العربية كان أول موطن آسيوى لهم ، اذا كانوا قد نشأوا أصلا فى أفريقيا ، وأخيرا فان « شميت » قد رأى ـ فى بحث أشار له « بارتون » فى كتابه « هيكل الأصول السامية : اجتماعيا ودينيا » ان العرب الساميين ربما دخلوا شبه الجزيرة العربية عن طريق أرض بونت : الحبشة والصومال (١) .

ومع ذلك فان « وجود » العرب بعد ان استكملوا مقوماتهم العرقية فى شبه الجزيرة العربية ـ لم يبدأ فى القرن السابع الميلادى كما يذهب الكثيرون ، بل بدأ قبل ذلك بنحو ثمانية قرون ، فقد ثبت من كتـاب « رحلة بحرية فى بحر اريتريا » الذى وضعه مؤلف يونانى مجهول الاسم من أهل الاسكندرية والذى يعد من مصادر تاريخ العرب القديم الرئيسية انتشار عرب جنوب الجزيرة العربية فى ساحل أفريقيا الشرقى كما ان مؤلف هذا الكتاب قد أشار الى ان حكام المدن والجزر فى المنطقة المعروفة الآن باسم الصومال من الامراء العرب ، وهنا تجدر الاشارة الى أن الآراء قد اختلفت بشأن تاريخ وضع هذا الكتاب فهـذا التاريخ يتراوح بين عامى ٤٠ ق ٠ م و ٨٠ م ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الانجليزية ونشر فى عام ١٩٠٤ وقد أشارت الدراسات التى نشرت عن العرب فى الصومال الى أن « أول استيطان عربى وصـلتنا عنه بعض المعلومات كان أوائل القرن السابع أثناء حكم الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥) فقد قام شعب عمان تحت زعامة سليمان وسعيد بثورة فى وجه الخليفة فلما تغلبت عليهم قوات الحجاج فى عمان عام ٦٩٥ اضطر سعيد وسليمان الى الفرار وهاموا فى جموع من قبائلهم مولين وجوههم شـطر السـاحل الأفريقى ... وتذكر المراجـع المحلية أن الخليفة عبد الملك بن مروان أرسل جماعة من أهل الشام ليستعمروا « لامو » « وماليندا » «وممباسا» (كينيا حاليا) وزنجبار وكلوة (تنزانيا حاليا) أى أنهم اجتازوا فى اتجاههم جنوبا المنطقة المعروفة الآن باسم الصومال ، وتلت هذه الهجرة العربية هجرة أخرى هى هجرة الزيديين أتباع الامام زيد أكبر أحفاد الامام على بن أبى طالب الذين اضطروا بعد قتل أمامهم فى عام ٧٣٠ الى

---

(١) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ : الطبعة الثانية ، ص ٤ ـ ٦ .

الفرار فاستقروا عند ساحل بنادر بالقرب من موقع مقديشيو عاصمة الصومال حاليا ، وفى خلال القرنين التاليين استطاع العرب الزيديون السيطرة على ساحل بنادر ، ولحقت بهم طوائف أخرى من الاحساء فى شرق الجزيرة العربية ، فشيدوا مقديشيو عام ٨٠٩ ، ورفض الزيديون الاعتراف بسيادة مهاجرى الاحساء وفضلوا الانسحاب الى قلب البلاد واختلطوا بالأهالى (١) ، ومن المدن التى شيدها العرب على ساحل أفريقيا الشرقى واتخذوا منها مرافىء للسفن سفالة (موزمبيق حاليا) وومباسا وماليندا (كينيا) وزنجبار (تنزانيا) • وهكذا نرى أنه فى خلال خمسمائة عام سابقة على مجىء البرتغاليين (١٤٩٨) تناثرت المستوطنات الاسلامية على هذا الشريط الأفريقى ونشأت عدة سلطنات عربية عليه (٢) •

ولذلك فان المؤرخين قد قطعوا ـ وهم يقدمون دراستهم لفترة ضم الصومال الى شكل من أشكال الوحدة العربية يشمل مصر والسودان والصومال ـ بأن « الصومال أمة عربية » •

وانطلاقا من هذه الخلفية الحضارية العربية المشتركة اهتمت مصر فى بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدفع الصومال فى طريق التقدم ، ففى بربرة وزيلع وملحقاتهما لم تكد تتعدى خمسة أعوام من عام ١٨٧٢ الى عام ١٨٧٧ حتى نشأت بجانب « الشعب » وهى القرية القديمة مدينة بربرة التى أسسها المصريون فيما عرف بعد باسم الصومال البريطانى ومدوا مواسير المياه العذبة اليها من جبل الدوبار ولايزال الحصن القديم الذى بناه المصريون فى الدوبار يحرس المنبع الى اليوم ، وسرعان ما أصبحت بربرة ميناء تضاءلت أمامها ميناء عدن ، وقد اعترف قنصل بريطانيا فى الصومال فى رسالة مؤرخة فى ٦ من يونيو ١٨٨٤ بأن المصريين « أنجزوا فى بربرة من الأعمال العامة الأساسية مايصح أن تفاخر به أية ادارة » ، وقرر مؤرخو هذه الفترة أن استقرار الصوماليين فى بربرة بعد حياة التنقل والقتال « يذكرنا بسياسة ابراهيم باشا فى سوريا اذ كان أكبر همه تثبيت البدو الرحل وتحضيرهم حتى تتغير طباعهم ويجدوا فى الزراعة والعمران معاشا لهم ، كما اعترف ممثل بريطانيا فى عدن فى نهاية عام ١٨٨٤ بان « الصوماليين والدناكل

---

(١) عبد الرحمن زكى : بعض المدن العربية على ساحل افريقيا الشرقى فى العصور الوسطى ، القاهرة ، الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٦٤ ص ٧٩ ـ ٨٣ •
(٢) صبرى : نفس المرجع ، ص ٢٤ •

وهم يمثلون عنصرا هاما من الصوماليين ـ والعرب سواء كانوا مستقلين أو تحت الحماية الانجليزية أو الفرنسية أو الايطالية يرفعون فوق سفنهم وفى معظم الأحيان فوق منازلهم ومقابرهم رايات لايشك الناظر فى أنها مصرية » وسـجل الوزير المفوض الفرنسى « جبرييل فيران » فى كتابه « الصوماليون » الذى أصدره عام ١٩١٣ عن زيارة للصومال فى العهـد المصرى أن المصريين أنشاوا فى بربرة « مدينة أفريقية صغيرة عليها نضرة ونعيم ٠٠٠٠ وأقاموا مبانى من محافظة ودار للشرطة وسجن وبيت للحاكم على الطراز الأندلسى ٠٠ » ولما زار الكاتب الانجليزى « جيمس » بربرة فى مارس ١٨٨٤ ثم عاد فزارهـــا فى نوفمبر من نفس العــام بعد ان اخلاها المصريون فى أعقاب الاحتلال البريطانى لمصر لم يتردد فى أن يقرر « أن المدينة الحديثة قد بلغت من الحسن والتألق حدا لا زيادة فيه لمستزيد ٠٠ ولما القينا رحلنا فى الدار التى كانت مخصصة للحاكم خيل الينا أننا نقيم فى منزل من منازل الرومان فى عصر بومبى » كما سجل فى كتابه « قرن أفريقيا المجهول : رحلة كشف من بربرة الى نهر ليوبولد » الذى أصدره عام ١٨٨٨ ٠

ولم تكتف مصر بما حققته فى ساحل الصومال من مظاهر الحضارة العربية بل أرسلت بعثة لاكتشاف ما وراء نهر « جوبا » باعتباره جـزء من الصومال المصرى ٠ ولوصل هذه الأقطـار بالبحيرات الاستوائية فى المدة بين سبتمبر وديسمبر ١٨٧٥ ، وقد نجحت هذه البعثة فى ضـم براوه وقسمايو الواقعتين على الساحل فى أقصى الصــومال جنوبا فى المنطقة التى عرفت بعد باسم الصومال الايطالى ، وكانت البلدتان تابعتين أسما الى سلطان زنجبار الذى حرضته بريطانيا على الاحتجاج على أعمال البعثة المصرية التى كانت قد أنجزت ما كلفت به بشأن اكتشاف منطقة نهر جوبا ولكن بريطانيا لم تمهلها ووضعت العقبات فى ســبيل اتمـام مهمتها ٠ (١)

ولعل من الواجب هنا ـ ونحن بصدد استعراض الخلفية الحضارية العربية المشتركة بين الصومال والعالم العربى ـ أن نشير الى ما كتبه الرحالة النمسوى « بوليتشكا » فى بحثه « هرر تحت الادارة المصرية : ١٨٧٥ ـ ١٨٨٥ » بعد أن قرر أن الحضارة المصرية تحتل مكانة عالية بين سائر الحضارات بصفة عامة اذ ســجل أنه « من الثابت أن اســتيلاء المصريين على هرر (الحبشة حاليا) وزيلع وبلهار وبربرة وجميع الساحل

(١) صبرى : نفس المرجع ص ٤١ ـ ٢ ، ٤٥ ؛ ٤٩ ، ٥٦ ؛ ٥٢ ـ ٤ ؛ ٥٧ ٠

(الصومالى) لغاية رأس جردفون كانت له فى مجموعة نتائج ثورية لافى هرر فحسب بل فى جميع القسم الشمالى من أفريقيا الشرقية ، نتائج لا أظن ان احتلالا آخر وصل اليها فى أفريقيا » (١) .

وقد أيد الرحالة الألمانى « هلبراند » هذا الرأى فى رسالة بعث بها الى رئيس الجمعية الجغرافية المصرية فى ٣١ من ديسمبر ١٨٧٥ بل أضاف أنه « لا توجد أمة أصلح — فى اعتقادى — من مصر لرفع مستوى المدنية فى أفريقيا » (٢) .

وهذا الواقع يستمد مقوماته — كما سبق أن قررنا — من التجاوب المستند الى الخلفية الحضارية المشتركة والى عناصر الوحدة الاجتماعية — السياسية التى أثبتت وجودها — على مدى التاريخ — بين الشعوب العربية والمستعربة .

ولكن الدول الأوروبية الاستعمارية التى اتحدت فى العصف بالوحدة العربية التى حققتها مصر فى الجزيرة العربية وآسيا الصغرى شرقا وساحل البحر الأبيض الجنوبى شمالا ومنابع النيل جنوبا بين عامى ١٨٢٠ و ١٨٤٠ عادت فتكتلت لتفتيت الوحدة التى حققتها مصر فى الصومال بين ١٨٦٦ و ١٨٨٤ كما سوف نرى فى الفصل الخامس من القسم الثالث .

وقبل ان ننتقل فى الفصل التالى الى دراسة الحركة العربية — التركية « الفيديرالية » يحسن ان نلفت النظر الى أنه حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت ولايات تركيا العربية هى الموصل وبغداد وحلب وصيدا والشام (دمشق) . والحجاز واليمن ، ومن ذلك يبدو ان المنطقة المعروفة باسم سوريا جغرافيا كانت مقسمة الى ولايتين : حلب والشام . ولم تعد ولاية الشام تشمل لبنان بعد ٩ من يونيو ١٨٦١ ، فطبقا للبروتوكول الخاص بلبنان الذى اقترحه سفراء الدول الخمس : النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا على الباب العالى وقبله الأخير فصل جبل لبنان عن سوريا وأصبح « سنجقا » مستقلا يحكمه متصرف . وفى عام ١٨٨٧ ، عندما تزايدت أهمية القدس انشأ الباب العالى « سنجق » القدس فى جنوب فلسطين بعد أن فصل عن ولاية الشام ووضع تحت ادارة الباب العالى

---

(١) المرجع السابق : ص ٧٥ نقلا عن مجلة الجمعية الجغرافية المصرية فى مارس ١٨٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

رأسا • وفى نفس ذلك الوقت كانت مدينة بيروت تتسع وينمو رخاؤها التجارى بسرعة ، ولذلك قرر الباب العالى فى عام ١٨٨٨ إنشاء ولاية بيروت وضم اليها أربعة « سناجق » اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس ، وعلى ذلك أصبحت سوريا ــ منذ عام ١٨٨٨ ــ مقسمة الى ثلاث ولايات ، حلب والشام وبيروت والى « سنجقين » منفصلين : لبنان والقدس • (١)

وقد أجمل أحد المؤرخين العرب المحدثين بيان التيارات التى نشأت خلال القرن التاسع عشر ومستهل العشرين ، فى أربعة خطوط كبرى :

١ ــ اصطناع أساليب الحياة الغربية ووسائلها اجمالا ، وقد راحت تنمو وتنتشر باطراد منذ أوفى القرن الماضى على نهايته •

٢ ــ نهضة اسلامية تمتزج فيها القومية بالدعوات الاصلاحية والنشاطات الثورية •

٣ ــ نزعة الى اقامة أنظمة دستورية ، تضرمها الرياح التى كانت تهب من جانب أوروبا •

٤ ــ الرابطة القومية بمعناها الحديث أى على أساس اللغة والجنس والثقافة تمييزا لها عن الرابطة الاسلامية أو العثمانية •

ولم يكن تمييز كل واحد من هذه التيارات عن الآخر ممكنا دائما لأن ظل كل منها كان يمتد على ظل الآخر حتى فيما كان يكتبه كاتب واحد ، بيد ان الفروق تبرز ، حين يؤكد على ابرازها ، بما يكفى لتمييز دقيق واضح • (٢)

ويبدو جليا مما تقدم أن مصر قد حاربت الامبراطورية العثمانية ــ مقر الخلافة ــ كما حاربت فى البلاد العربية ــ الاسلامية : السودان ، والحجاز ، واليمن ، وامارات الخليج العربى ، وسوريا (وكانت تضم لبنان وفلسطين) • مستهدفة من تلك الحرب انشاء دولة عربية اسلامية تحقق « وحدة عربية » معينة • وكانت خطة مصر ــ من استعراض الملابسات التى أحاطت بتلك الحرب ــ مستندة الى عوامل سياسية ــ اجتماعية • وقد أثبتت تلك الحرب ــ فى بداية القرن التاسع عشر ــ مرة أخرى أن الخلافة التى كان مفروضا أن تكون جهازا فوق مستوى الدول ، وهو ما يعرف فى التعبير الدولى الحديث باسم « supra-étatique » يجمع

---

(١) زين ، ص ٢٧ •

(٢) نسيبه ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ •

بين سلطات واختصاصات دينية وسياسية ، لم يمنع العوامل الاجتماعية ـ السياسية فى البلاد العربية الاسلامية من أن تتابع تطورها حتى ضد الفكرة التقليدية « الصورية » ٠ التى كانت للخلافة ٠ أو التى كانت « متخيلة » للخلافة ٠ وهنا يجب أن نركز على النقط الآتية :

١ ـ أن الخلافة ـ كجهاز فوق مستوى الدول ـ لا سند له لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة ٠ فالخلافة ليست بين قواعد الاسلام الأساسية ولا مبادئه الأصلية ٠

٢ ـ أن وحدة الخلافة لم تتحقق الا فى فترات محدودة من تاريخ الاسلام فاجماع المسلمين الصحيح لم ينعقد على اطلاق وصف الخليفة الا على أبى بكر (٦٣٢ ـ ٦٣٤) الخليفة الأول ، وعمر (٦٣٤ ـ ٦٤٤) الخليفة الثانى ٠ أما منذ تولى عثمان (٦٤٤ ـ ٦٥٦) الخليفة الثالث فان الخلاف قد نشب بين المسلمين على الاعتراف له بالخلافة ٠ فالخوارج لا يسلمون له بالخلافة الا عن السنوات الست الأولى لخلافته ٠ كما أنهم لا يعترفون لعلى الخليفة الرابع (٦٥٦ ـ ٦٦٠) بالخلافة الا عن السنة الأولى لخلافته ٠ وقد اختار الخوارج واحدا منهم خليفة وهو عبد الله الراسبى ٠ فى عام ٦٥٧ ٠ فحارب عليا بن أبى طالب فى النهروان ٠ ولما قتل ابن الراسبى فى عام ٦٥٨ بايع الخوارج المستورد بن علفة الذى تولى الخلافة حتى عام ٦٧٧ فى نفس الوقت الذى كان الخليفة الأموى يباشر سلطات الخلافة الاسلامية فى دمشق ، وفى عام ٦٨٥ اختار الخوارج نجدة ابن عامر خليفة ٠ وتلقى البيعة من البحرين ، والقطيف ، وعمان ، وجزء من اليمن ، وحضرموت ، والطائف ٠ وكلها بلاد عربية اسلامية ٠ وباشر نجدة سلطات الخلافة حتى عام ٦٩١ ٠ وظلت دولة الخوارج التى أسسها قائمة بعد موته بسنة أخرى حتى عام ٦٩٢ ٠

واختار الشيعة المختار الثقفى خليفة ٠ وقد حاربوا الخليفة الأموى فى عام ٦٨٥ ٠ واحتلوا الكوفة ٠ ثم عادوا الى محاربة الخليفة الأموى فى العام التالى ٠ أى عام ٦٨٦ ٠ وحاربوه مرة ثالثة فى نفس العام ٠ وقتل المختار الثقفى فى عام ٦٨٧ أثناء معركة ضد عبد الله بن الزبير الذى اختارته بلد عربية اسلامية أخرى خليفة رابعا ـ الى جانب الخليفة الأموى ٠ والخليفة الخارجى ٠ والخليفة الشيعى ٠

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام قد تلقى البيعة عام ٦٨٤ من

جميع خصوم الأمويين فى سوريا ، ومصر ، والجنوب العربى • وانشأ دولة فى العراق والحجاز نصب خليفة عليها بعد أن انتصر على الدولة الكيسانية التى كانت تنادى بامامة أو خلافة محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب وهى الدولة التى كانت قد بايعت المختار خليفة بعد أن هزمت الأمويين • ثم انهزمت الدولة الكيسانية الشيعية أمام ابن الزبير كما سبق أن أشرنا بعد أن دامت تلك الدولة نحو عام ونصف العام • ولكن عبد الله بن الزبير قتل بدوره فى معركة ضد الخليفة الأموى عام ٦٩٢ بعد أن تولى الخلافة سبعة أعوام • فى نفس الفترة التى كانت سلطة الخليفة الخارجى تمتد الى نجد ، والبحرين ، والاحساء ، كما كانت تمتد سلطة الخليفة الأموى على سوريا •

ومما يثبت تعدد الخلافات منذ بداية عهد الامبراطورية الاسلامية الحدث التاريخى الذى وقع فى عرفات أثناء موسم الحج فى عام ٦٨٧ • فقد اجتمع فى عرفات أربع جماعات اسلامية أو أربعة ألوية كل منها بايعت خليفة • كان يشترك فى أداء فرائض الحج لواء الشيعة أنصار ابن الحنفية (ابن على الخليفة الرابع) ، ولواء أنصار ابن الزبير ، ولواء الخوارج أنصار نجدة بن عامر ، ولواء أنصار الخليفة الأموى فى دمشق •

فاستقلال الوحدات الاسلامية السياسية • وعلى الأخص الوحدات أو البلاد العربية الاسلامية أصبح ظاهرة مألوفة فى تاريخ الاسلام • فقد تلقى زيد بن على (حفيد على الخليفة الرابع) البيعة كخليفة للشيعة أثناء حكم الخليفة الأموى هشام (٧٢٤ ـ ٧٤٣) • وقد قتل زيد فى معركة خاضها ضد الحاكم الأموى فى العراق • ولكن قتل زيد فى هذه المعركة لم يكن الا حلقة فى سلسلة من الحركات الشيعية المناوئة التى انتهت بالقضاء على الحكم الاموى فى دمشق • وفى القرن التاسع أسس واحد من سلالة زيد فى اليمن الدولة « العلوية » الوحيدة التى قاومت عواصف الأحداث عبر القرون • وظلت قائمة حتى عام ١٩٦٢ عندما قضى على حكم الائمة الزيديين فى اليمن •

وأخيرا فان الخلافة العباسية فى بغداد (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) قد تعايشت مع الخلافة الاموية فى أسبانيا (٧٥٥ ـ ١٤٩٢) ، كما تعايشت الخلافتان • ومارست كل منهما سلطاتها الدينية والسياسية فى نفس الوقت مع الخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة (٩٧٠ ـ ١٢٧١) (١)

(١) محمود كامل : القانون الدولى العربى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٦ ، ص ٤٨ ـ ٥٢ ، والمراجع التى استند عليها : م• ض• الريس : النظريات =

٣ ـ أساتذة تاريخ المذاهب السياسية الاسلامية العرب المحدثون يقررون ان « الخلافة الصحيحة أو الشرعية التى يعترف بها أهل السنة ، وهم الكثرة الغالبة للمسلمين ، وذلك باجماعهم ، هى خلافة « الخلفاء الراشدين » ، ويؤيدهم فى ذلك من الفرق الأخرى جميع « المرجئة » وجميع « المعتزلة ـ ماعدا اثنان منهما لا يريان انعقاد الخلافة لعلى ـ وجميع الخوارج كذلك اذا استثنينا الفترتين : المدة الأخيرة من عهد عثمان ومن عهد على بعد التحكيم ، ويعترف الشيعة الزيدية أيضا بخلافتى أو امامتى أبى بكر وعمر ، وبعلى دون شك . فلم يبق بعد ذلك الا غير الزيدية من الشيعة لأنهم يقولون بالوراثة أو النص .

أما بعد عهد الخلفاء الراشدين ، فالكل مجمع على أنه حدث تغيير ، وان كانت الآراء تختلف فى المدى الذى ذهب اليه هذا التغيير ، وهم ـ على العموم ـ يعبرون عن ذلك بأن الخلافة انقلبت الى ملك ، وفى صدد ذلك يروى حديث « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا » ، ومع أن هذا الحديث خبر واحد ، الا أن كثيرا من العلماء يرجحون صحته ، وسواء أصح أم كان قولا مأثورا لأحد التابعين أو المؤرخين ـ مع اختلاف فى اللفظ ـ فانه ـ على أية حال ـ يمثل وجهة نظر الأغلبية العظمى للمسلمين » .

٤ ـ ان الخلافة « الكاملة » المستندة الى الاجماع انما اقتصرت على الخلفاء الراشدين الأربعة . مع ما سبق أن أشرنا اليه من تحفظات بشأن خلافتى عثمان وعلى . أما الخلافات التى تلتها . سواء كانت الخلافة الأموية أو خلافة الخوارج أو الخلافة الشيعية أو العباسية . أو خلافة أمويى أسبانيا . أو الخلافة الفاطمية فى شمال أفريقيا . فلا نظن أنها أدعت حصولها على اجماع الأمة الاسلامية ممثلة فى علمائها . والحق أن الخلافة ـ منذ حكم الأمويين فى عام ٦٦٠ ـ قد تحولت الى حكم ملكى مع ما يلابس النظم الملكية من منافسات نظم ملكية أخرى . اسلامية . أو غير اسلامية .

وقد أبرز البعض أن فقهاء المذهب الحنفى ـ مستندين الى القواعد

ـ السياسيه فى الاسلام ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٥ ، وعبد الرحمن بدوى : الخوارج والشيعة : ترجمة عن يوليوس فلهوزن ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٧٨ ـ ٥١ .

الأصيلة للشريعة ـ يرون أن الخلافة بمعنى الكلمة لم تعمر الا ثلاثين عاما بين وفاة النبى (صلعم) فى عام ٦٣٢ ووفاة على فى عام ٦٦١ ، وأن خلافة معاوية لم تكن أكثر من مجرد سلطة ملكية دون سند دينى . وقد أضاف أن ابن خلدون من جهة . ودعاة الاصلاح المحدثين من جهة أخرى يقتربون من هذا الاتجاه ، كما أنه استبعد اتجاه بعض الغربيين الذين يرون فى الخليفة « بابا الاسلام » الذى يعهد اليه قبل شيء برعاية المصالح والسلطة الروحية . ان لم يستأثر ـ وحده ـ بتلك الرعاية . واستشهد برشيد رضا الذى يصف اتجاه أولئك الغربيين بأنه « كفر أوروبى » ويكرر فى اصرار أن « الامام » هــو « حاكم زمنى » . وأن واجبــات الامام انما هى واجبات حماية الجماعة الاسلامية . وتنفيذ ما يعود عليها بالخير العام . وأنه ما من سلطة دينية مطلقة عهد بها اليه . وأخــيرا فانه يركز على المبدأ الشرعى الذى يقــرر أنه لا طاعة ولا خضــوع الا لله وحده دون وسيط . وقد أشار الى ما زعم ـ دون سند شرعى ـ من أن الخليفة الذى يوضع على رأس الجماعة الاسلامية يتلقى كل سلطة من الله أو على الأرجح أن سلطته . انما هى سلطة الله وأنه تعالى أحل الخليفة محله ـ كما زعم « ماسينيون » وصيا على رأس الجماعة ـ ثم تساءل . ولكن . اذا التزم الخليفة بما انزل الله . هل تصبح سلطته مطلقة لا حدود لها ؟ وما هو مصير مسئولية الجماعة الاسلامية التى يمثلها أهل الحــل والربط ؟ ان « جارديه » يسرع بالاجابة على هذا التســاؤل مستشهدا ـ كعادته ـ برشيد رضا الذى لا يتردد فى أن يقرر فى هذا الشأن . أن التعبير بأهل الحل والربط يعنى الجماعة . أو مجموع الأمة . فكل فرد من أفراد هذه الجماعة من حقه أن يطلب من الخليفة تفسيرات عن كل أمر يبدو أنه أخطأ فيه . أى أن أهل الحل والربط من حقهم أن يطالبوا الخليفة بتقديم حساب عن أعماله . (١) وهذا التســاؤل والرد عليه كفيلان ـ بداهة ـ بتفنيد ما ذهب اليه « ماسينيون » من أن ســـلطة الخليفة انما هى سلطة الله . ومن أنه تعــالى أحله محله وصــيا على المسلمين !

ومع ذلك . ورغم كل هذا التحليل المعقول لســلطة الخليفة التى لا سند لها الا ارادة الجماعة الاسلامية . أى ارادة الشعب . ورقابته . وهى السلطة المقتصرة على حماية الجماعة الاسلامية . وتنفيذ ما يعــود

---

(١) « جارديه » ، مستندا على كتــاب « الخلافة » للمستعرب الايطالى « نالليلو » ص ١٥٢ و١٦٥ .

عليها بالخير العـــام ٠ فان « جارديه » يتســـــاءل ٠ ممن يســـتمد الخليفة سلطته ؟ وهو فى هذا الصدد يشير الى ايمان المسـلم القوى بأن الحكم والسلطان لله وحده ولكنه ــ وهنا موضع التناقض والخطأ ــ يضيف ان الخليفة ان لم يكن ممثل الله فانه ــ على الاقل ــ ممثل نبى الله ٠ وأن الخليفة انما هو وصى أحله الله تعالى محل النبى لرعاية شئون الجماعة الاسلامية (١) ٠ ولو أن هذا المستعرب استـوعب بادراك ووعى سليمين ما استقر عليه أساتذة المذاهب السياسية فى الاسلام بشأن تحليل طبيعة الخلافة لما احتاج الى كل هذه التساؤلات ٠

٥ ــ ومن ذلك يتضح أن الفضل فى وحدة العالم الاسلامى لا يعود الى الخلافة كجهاز يعلو البلاد الاسلامية ٠ وانما الفضل فى هذه الوحدة هو للشعور الكامن فى كل مسلم بانتمائه الى « جنسية روحيـــــة » ٠ وللاحساس بالمساواة المطلقة بين المسلمين جميعا ٠ وللايمان المشـــترك الشائع بين المسلمين بامكان استعادة مجد الدولة الاسلامية ٠ والمصلحة السياسية المشتركة وحدت جبهة المسلمين حول الخليفة العثمانى ٠ الذى لم يكن ينتمى الى أصل عربى ٠ ولكن المسلمين ٠ أو على الأقل المتنورين من المسلمين ٠ كانوا يدركون أن هذا الخليفة العثمانى ٠ غير العربى ٠ لم يكن يمثل الرمز الذى نشده الفقهاء المسلمون الذين أدخلوا « الامامة » فى الفقه الاسلامى ٠

وطبقا لما قرره ابن خلدون فى مقدمته فان معنى « الخلافة » قد تلاشى منذ قيام الحكم الأموى الذى حول الخلافة الى نظـــام ملكى ٠ وفى بادىء الأمر اختلطت الخلافة بالحكم الملكى ٠ واذا كان اسم الخلافة قد بقى فانما يعود ذلك الى ان العصبية العربية بقيت ٠ والعصبية هى الحافز الفعال والمنظم لأواصر الدم بين العرب وهذه العصبية هى المبدأ الوحيد والأساسى القوى الذى تقوم عليه الدول ٠ وقد ترجم « جارديه » كلمة « العصبية » بتعبير « روح الجماعة » ٠

« ونقطة الانطلاق عند ابن خلدون هى اثبات وجود شبه تام بين حياة الدولة وحياة الانسان أو كل ذى حياة آخر ، فالدول تولد وتموت كذوات الحياة ، وهى خاضعة مثلهم لبعض قواعد التطور الطبيعى ٠

ويسعى ابن خلدون فى اكتشاف علل هذا التطور وعرضها ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٨٠ ــ ١ ٠

و « العصـــبية » عند ابن خلدون ، هي العلة الرئيسية لقيام الدولة ·

ومن الصعب ترجمـــة هذه الكلمة – الى لغة أجنبية – ترجمـــة دقيقة ، فيها من الأســـاس تلك العناصر التى تؤثر فى صـــلات الدم وتكون ناظمة لها ، وهى تدل ، عن تعميم فى حقل الفكر السياسى ، على غريزة التكافل بين الأخيار المدبرين مستندة الى مركب جامع من القوى دافع للقبائل الكثيرة المتفرقة الى الاتحاد فى دولة مركزية موح اليهـــا بغريزة البقاء وروح الفتح ·

وتقطع الدولة التى طرقت بالعصبية واديمت بها خمســـة أطوار متعاقبة فى أثناء تطورها ، فالأول هو الطور الشعبى الذى لا تكون فيه قوة العصبية المؤلفة الدافعة فى غير مرحلة التكوين ·

ويعقب هذا الطور طور الاريستوقراطية الذى لا ينفك الملك يكون الأول فيه بين أمثاله والذى تتبع الدولة فيه خطا الملك المتصاعدة اتباعا وثيقـــا ·

ثم يأتى طور الحكم المطلق الذى هو دور اطلاق العصبية ودور أعظم سلطان الدولة ·

ويبدأ الانحطاط فى الطور الرابع ، فالعصـــبية تضعف بالتدريج وتفت عوامل الانحلال فى عضد الدولة مقدارا فمقدارا ، وأظهر ما يكون عليه هذا الدور هو اضطراب الداخل وعدم الأمن على الحدود وضـــياع بعض الولايات ·

وأخيرا يأتى الطور الخامس والأخير حيث تزول العصبية ، وتسقط الدولة ·

وهكذا فان نشوء تكوين الدول التاريخى خاضع لسنة تحمل فى نفسها بذور انحلال هذه الدول القادم » (١)

ومما يتبادر الى الخاطر هنا التساؤل عما اذا كانت « العصبية » التى قرر ابن خلدون أنها المبدأ الوحيد والأساس القوى الذى تقوم عليه الدول هى مرادف ل « العروبة » · وهو التعبير الذى استخدم حديثا عند بحث العلاقات الدولية بين البلاد العربية فى ضوء علم الاجتماع السياسى ؟

---

(١) حيدر بامات، :ص ١٧٤ – ٥ ·

٦ ـ ان الخلافة ، كما تخيلها الفقهاء منذ الشافعي دون سند من القرآن، أو السنة ، لم يثبت التاريخ أنها ـ كنظام ـ قد حمت المسلمين من غزوات الاعداء ، أو أنها نفذت تنفيذا كاملا ، المبادىء الأساسية التي تقضي الشريعة بأن تقوم الجماعة الاسلامية عليها ،

ولكن اذا كانت الخلافة ـ كنظام ـ لم تحقق ما علقته آمال أو أحلام الفقهاء عليها ، فان هناك مبدأ آخر من مبادىء الجماعة الاسلامية أثبت ـ ولا يزال يثبت ـ فاعليته ، وهو مبدأ « التضامن الاســـلامي » ، أو « الأخوة » ، أو الشعور الجماعي بين المسلمين بالانتماء الى « أمة » واحدة ، وهو مبدأ حقيقي ، يلتزم به المسلمون ، ويسرى على مستوى العلاقات الاجتماعية بينهم ... وهذا التضـــامن بالاضافة الى ذلك ليس تبادل المساعدة بين المسلمين فحسب ، وانما هو تبادل اعتماد المسلمين بعضهم على البعض الآخر ، اعتمادا يمكن ادراكه على أنه تضامن اجتماعي تام وتعاون معنوى ، أو بتعبير أدق ، حرص على تبادل المعـــونة في تنفيذ أحكام القرآن وتقاليد الأمة الاسلامية التي تتميز بها ، فالمسلم لا يخشى قط أن ينعزل ، أو أن يتخلى عنه الناس فيشعر بالوحشة ... اذ أن التضامن يتخذ طابع احساس بمسئولية جماعية ذات سمات « قانونية » ملزمة وباعتماد كل مسلم على الآخر .... والاســـلام يمكن الداعين الى الوحدة العربية ـ على الصعيد الاقليمي الوطني وعلى الصعيد الديني ـ من دعم تلك الوحدة ، وتأكيدها ، حتى فكرة « الوطن » نفسها تخضع لعامل مزدوج مركب ، عرقي وديني ، فالعربي المسيحي نفســه يمكن ـ مع احتفاظه بدينه ـ أن يؤكد هو الآخر أيضا راضيا زهوه بانتمائه الى وطن دينه الاسلام ، (١)

---

(١) « جارديه » ، ص ٢٠٥ ، ٢٣٧ ـ ٨ ، ٢١١ ، وهو يستشهد بسلامة موسى ـ المفكر المصري المسيحي ـ الذي أعلن « انني أدافع عن الاسلام لأنه دين وطني » . وقد استشهد بهذا الكلام أيضا المؤرخ الفرنسي « مونتاني » في بحثه « الأزمة السياسية للعروبة » التي نشرها في مجلة « فرنسا البحر الابيض المتوسط والافريقية » ١٩٣٩ ، ٢ ، ص ١٣ ، ثم استشهد به المؤرخ الفرنسي « كولومب » في « الاسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية لمصر المعاصرة » ، ١٩٥٠ ، ص ١٩ . كما استشهد « كولومب » أيضا بتصريح مكرم عبيد ، الوزير المصري المسيحي ، الذي أعلن فيه « انني مسيحي دينا . مسلم وطنا » .

الفصل الثانى

هيئات عربية ـ تركيــة ـ « فيديرالية » تزاول نشاطا منفصلا عن نشــاط الدول

الجمعيات الثقافية فى سوريا : طليعة العروبة السياسية

يكاد الاجماع ينعقد على أن يقظة القومية العربية قد بعثتها أصول تستند جذورها العميقة على الصلات الثقافية ، ثروة اللغة العربية وذكرى بضعة القرون التى سادت فيها الثقافة العربية حــوض البحر الأبيض المتوسط ، ثم الدين الاسلامى ٠٠٠ كل ذلك كون تقليدا تاريخيا متصلا ســاهم فى ارســـاء شــــعور بين العرب نحو وحدة سياسية ونحو الاستقلال (١) ، وان بدايات الحركة القومية نشــأت عن جذور ثقافية واتخذت طابعا ثقافيا أول الأمر ثم اتجهت الى الناحية السياسية ٠ وكانت البدايات فى الانتباه الى الارث الثقافى والاعتزاز بدور العرب الحضارى وفى التركيز على اللغة العربية ٠ (٢)

ويذهب المؤرخون الأوروبيون الى ان أول من حرك هذا النشـــاط الثقافى السابق للوعى العربى السياسى هو بطرس البستانى (١٨١٩ ـ

(١) محمد عبد العزيز ، ص ٣٩ ٠

(٢) الدورى ، ص ٦١ ٠

١٨٩٣) الذى لم يكتف بترجمة الانجيل ترجمة جزئية بل وضع موسوعة وأسس مجلة « الجنان » وجعل شعارها « الوطنية من الايمان » (١) ونشر فى عام ١٨٦٠ صحيفة « نفير سوريا » واليه يعود أول فضل فى احياء الشعور الوطنى فى سوريا وبعث الأدب العربى (٢) • وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان البستانى والكواكبى فى الجهود المبكرة التى بذلاها لصياغة الصور العصرية للقومية العربية كانا يرسيان ــ بوعى أو غير وعى ــ مذهبين متقابلين فى الحركة الوطنية العربية ، وهذان المذهبان قد أضفيا على هذه الحركة طابعين مختلفين أحدهما دنيوى عصرى والآخر شبه دينى • وكلاهما اعترف بالعروبة متميزة داخل نطاق الامبراطورية العثمانية وداخل نطاق الاسلام ، ولكن البستانى كان يرى هذا التمييز ــ على الأخص ــ خلال الثقافة العربية بينما الكواكبى ظل يراه خلال دينه الاسلامى العربى (٣) •

وقد شهد الشرق العربى فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر عودة العلماء الفرنسيين اليه ، فسمح للجزويت الفرنسيين عام ١٨٣١ بفتح مدارسهم • وتطور هذا الأثر الثقافى الفرنسى حتى بدأت جامعة « سان جوزيف » عملها فى بيروت عام ١٨٧٥ •

وكانت البعثات التبشيرية الأمريكية قد بدأت نشاطها فى بيروت عام ١٨٢٠ ، وأسست هذه البعثات مطبعة لها عام ١٨٣٤ ، وفى عام ١٨٦٦ بدأت « الكلية السورية البروتستانتية » عملها ، وهى التى سميت بعد ذلك « الجامعة الأمريكية » •

جمعية الفنون والعلوم : ١٨٤٧
والجمعية العلمية السورية : ١٨٥٧

وفى عام ١٨٤٧ أسست فى بيروت « جمعية الفنون والعلوم » وكان اليازجى والبستانى من اعضائها وكانت تضم غالبية من الامريكيين •

---

(١) F. L'Huillier : Fondements historiques des problèmes du Moyen-Orient, Sirey.

باريس ؛ ١٩٥٨ ، ص ٣٧ •

(٢) « كون » ، تاريخ القومية ، ص ٢٧٠ •

(٣) صعب ، ص ٢٠٤ •

وفى عام ١٨٥٠ أسس رجال الدين الفرنسيون « الجمعية الشرقية » التى ضمت بعض السوريين المسيحين وعددا من الأجانب ٠

وفى عام ١٨٥٧ أسست « الجمعية العلمية السـورية » فى بيروت وكان تأسيسها نقطة تحول هامة فى الوعى العربى على وجهه الصحيح لانها ضمت أعضاء من المسلمين والدروز والمسيحيين العرب ، كان من بينهم ابراهيم اليازجى ومحمد أرسـلان الدرزى ٠ وكانت جمعية ثقافية فى الأساس ولكن كان لها نشاط سياسى فى آن واحد (١) ٠

وفى هذه الجمعية ألقى ابراهيم اليازجى قصيدته التى مطلعها « تنبهوا واستفيقوا أيها العرب » التى وصفت بأنها صيحة حرب حقيقية ، وأنه لم تلبث بعد ذلك أن أنشئت فى لبنان وسوريا تلك الجمعيات العظيمة التى لعبت دورا حاسما فى الكفاح فى سبيل الاستقلال ٠ (٢)

وقد كرر جورج انطونيوس الاشارة الى هذه الفترة الهامة بالنسبة لبداية الوعى العربى ٠ وفى رأيه أن اسمى ابراهيم اليازجى والبستانى يسترعيان الاهتمام بما بذلاه فيها من جهود ٠ وأنه فى هذه البيئة الثقافية التى جسدت الاراء السياسية ولدت الحركة الوطنية السورية ٠

المطالبة باستقلال سوريا مع لبنان ١٨٨٠ :

وفى عام ١٨٧٥ أسست جمعية سرية ضمت أعضاء من المسـلمين كانوا قد تلقوا تعليمهم فى « الكلية السورية البروتستانتية » وقد علقت هذه الجمعية بمدن سوريا فى نهاية عام ١٨٨٠ عدة بيانات ألصـقت على الجدران طالبت فيها بلهجة عنيفة ببرنامج يتلخص فى :

١ ــ منح سوريا استقلالها بالاتحاد مع لبنان ٠

٢ ــ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ٠

٣ ــ الغاء الرقابة على حرية التعبير عن الرأى ونشر العلم ٠

٤ ــ استخدام المجندين العرب فى الخدمة العسكرية العربية فقط ٠

ونداءات هذه الجمعية هى أول دعـوة النفير التى أطلقتها الحركة

---

(١) الدورى ، ص ٦١ ــ ٦٢ ٠
(٢) « لوجول » ، ص ١٧٠ ٠

العربية الناشئة (١) وحوالى عام ١٨٨٣ ، عندما ضجر المتآمرون الشبان أعضاء هذه الجمعية من مطاردة البوليس السرى التركى لهم واغلاقه مقر الجمعية ، واتلافه لمحاضرها ، تبين عديدون من أنشط اعضائها ان من الحكمة ان يهاجروا الى مصر ٠

وقد قرر مؤرخ عربى انه لا يتيسر تحديد الوقت الذى اوقفت فيه هذه الجمعية الثورية السرية نشاطها وأحرقت سجلاتها وحلت نفسها ، ولكن يمكن بالتقريب تحديد ذلك بفترة بين عامى ١٨٨٢ ، ١٨٨٣ ٠ (٢)

وخلال الخمسة والعشرين عاما التالية كان نشـــاط حركة التحرر العربى يوجه على الاخص من الوطنيين الذين هاجروا الى القاهرة وباريس ، أما فى سوريا فان اضطهاد السلطان عبد الحميد للافكار الحرة قد أسكت الى حد كبير الأصوات التى كانت قد ارتفعت مطالبة بالتحرر ٠

وقد سجل مؤرخ عربى هذه الفترة فقرر : ان المثقفين السوريين قد التجأوا الى وادى النيل الكريم حاملين فى مفكراتهم الصغيرة وفى قلوبهـم الفكرة الكبرى ، فكرة احياء النهضة العربية ٠ وقد قمعت هذه الحركة فى سوريا فانتقلت وظهرت فى القاهرة على صفحات الصحف والكتب كما ظهرت فى شبه الجزيرة العربية على شكل حركات التمرد والثورة التى شـــهدها القرن العشرون ٠

وأقبل الناس من فلسطين وسوريا والعراق يلتمسون الامن والهدوء فى مصر ٠ وبهذا أصبحت مصر ملجأ لعرب تركيا ومدرسة لهم لان كل من أثرى من هؤلاء اللاجئين عن طريق مزاولة التجارة ٠ أو من تولى منهم المراكز العليا فى الادارات الحكومية بمصر قدروا فوائد وجـــود حـكومة صالحة ٠ وهم النواة التى أصبح الأمل معقودا عليها للتعاون فى تنظيم الوطن العربى العزيز عنـــدما تخفق الراية الوطنيـــة على دمشق ٠ وعلى بغداد (٣) ٠

وبهذا المعنى نفسه ذكر آخر انه فى نهاية القرن التاسع عشر انطلقت موجة من السخط الوطنى العربى ٠ واضطر الوطنيون العرب وخاصـــة السوريون منهم ٠ تحت ضغط الاضطهاد الذى صـــبته عليهم الســـلطة التركية ٠ الى الهجرة والحياة فى المنفى ٠ فتجمعوا فى مصر القريبة منهم

---

(١) جورج انطونيوس ، ص ٨٤ — ٥ وصعب ص ٢٠٧ والدورى ص ٦٦ ٠

(٢) زين ، ص ٦٨ ٠

(٣) خير الله ، ص ٢٢ ٠ و « لوجول » ص ١٦٨ مستشهدا بعازورى ٠

وكانت تحت الاحتلال البريطانى . كما اضطر آخرون الى الهجرة الى أوروبا الغربية حيث نظموا دعاية ثورية (١) .

الحزب الوطنى فى مصر ١٨٧٩ :

ولما ظهر التدخل الاجنبى فى شـئون مصر ، وأحس المصريون بأن سيادتهم قد مست ، تقدم بعضهم لزعامة الرأى العام ، وألف محمد سلطان وأحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وسليمان أباظه وحسن الشريعى حزبا سريا سموه « الحزب الوطنى » وأصدروا منشورا فى ٤ نوفبمر عام ١٨٧٩ تضمن برنامج ذلك الحزب ، أشار معظمه الى كارثة الديون التى مكنت الاجانب من الاعتداء على سيادة مصر . وقد تطور برنامج هذا الحزب عندما تبين أعضاؤه أن الأيدى الأجنبية تعمل على أن تحكم مصـر حكما استبداديا ، فأعلن على العالم برنامجه الشامل الذى تضمن :

١ ـ المحافظة على استقلال مصر ومقاومة من يحاول اخضاعها ويجعلها ولاية عثمانية .

٢ ـ الولاء للخديوى وتأييد سلطته مادامت أحكامه جارية وفقا للعدل والقانون والالحاح عليه لتنفيذ ما وعد به من اعطاء الشعب حكما نيابيا ، واطلاق الحرية للمصريين .

٣ ـ اخضاع الاجانب لما يخضع له المصريون من قوانين البـلاد ومساواتهم بالمصريين فى اقتضاء الضرائب منهم .

٤ ـ زيادة عدد الجيش للدفاع عن سيادة مصر الى أن تبدأ الحياة النيابية باعتبار الجيش حارسا للشعب الذى لا سلاح له .

٥ ـ جميع المصريين سواء فى الحقوق مهما اختلفت عقائدهم الدينية .

٦ ـ اصـلاح البـلاد ماديا وأدبيا ونشر التعليم وتوفير الحرية

---

(١) « ستودارد » ، ص ١٥٥ ، ومحمد عبد العزيز ، ص ٤٠ : الذى اضاف ان بداية الحركة الوطنية العربية ظهرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى لبنان وسوريا حيث لعب السوريون المسيحيون بصفة خاصة المتخرجون من الجامعة الامريكية التى أنشئت فى عام ١٨٦٦ ، دورا عظيما . وقد اتسمت هذه الفترة بنشر معجم عربى فى عام ١٨٦٧ ، وموسوعة عربية فى عام ١٨٧٠ ، وانشاء صحف يومية وتنمية الأدب العربى الحديث . مما يمثل انطلاقة جديدة بين العرب .

السياسية لكافة المصريين وهى الحرية التى يعتبرها الحزب حياة للامة ٠(١)

والنظرة الاولى لهذا البرنامج يتبين منها أنه تضمن الخطوط الرئيسية الخارجية لمطالب الشعب المصرى فى الحياة الحرة الكريمة ، وانه يمتاز برجولة التعهد بمقاومة كل محاولة للاعتداء على سيادة مصر بالقوة ، وقد أثبت هذا الحزب فعلا فيما بعد أنه قاوم الجيوش الانجليزية التى غزت مصر عام ١٨٨٢ المقاومة العسكرية التى كانت فى طاقة البلاد وقتئذ ٠

عرابى ويوم عابدين : ٩ من سبتمبر ١٨٨١ :

وفى ٩ من سبتمبر ١٨٨١ توجه أحمد عرابى الى قصر عابدين مقر حكم الخديوى توفيق ليطلب باسم الشعب المصرى « اسقاط الوزارة المستبدة ـ وزارة رياض ـ وتشكيل مجلس نواب على النسق الاوروبى ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها فلما أجاب توفيق على ذلك بقوله : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن أبى وأجدادى وما انتم الا عبيد احساناتنا ، أجابه عرابى : لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم » (٢) ٠

---

(1) Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, T. Fisher Unwin.

لندن ، ١٨٩٥ ، ص ٥٥٦ ٠ وقد نشر البرنامج بعدد جريدة « التيمس » ـ الذى صدر فى اول يناير عام ٨٨٢ ٠

وقد أشار مؤرخو تلك الفترة الى أنها شهدت صدور مجلات فى العواصم الاوروبية تدافع من القضايا العربية ، من ذلك « الخلافة والاتحاد العربى » التى أصدرها لويس صابونجى بلندن عام ١٨٨١ و «البصير» التى أصدرها خليل غانم بباريس فى نفس العام

(٢) محمود الخفيف « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » ، القاهرة ، ١٩٤٧ ص ٨٢ نقلا عن مذكرة عرابى ، وقد أشار المؤلف نقلا من « بلنت » ان اوكلند كلفن المراقب المالى الانجليزى الذى كان يرافق الخديوى نصح الأخير بأن يطلق النار على عرابى بيده ٠ ووصف محمود الخفيف « يوم عابدين » فى ص ٧٨ بانه « أخلق بهذا اليوم المشهود أن يكون له فى نفوس المصريين مثل ما لليوم الرابع عشر من شهر يوليو فى نفوس الفرنسيين ٠ وعلى الذين يعنون بتاريخ الحركة القومية فى مصر أن يعلموا هذا الشعب ان اليوم الذى نتحدث عنه هو بدء حياتهم أمة لها كرامة » ٠

فرنسا والوطنية المصرية :

وقد وصف بعض كبار رجال السياسة الفرنسيين الوعى المصرى فى ذلك الوقت مقارنين بينه وبين وعى المصريين عام ١٨٤٠ فقرروا « ان آباءنا كانوا أقل من هذا استهانة بالوطنية المصرية فى عهدهم ، وذلك ان نوابنا فى سنة ١٨٤٠ لم يترددوا فى ان يتكلموا فى خطبهم عن الرعاية الواجبة للوطنية المصرية الناشئة فقد كانت هناك اذن وطنية مصرية ناشئة تستحق الرعاية فى سنة ١٨٤٠ ، ولست فى هذا مبالغا ولا أنا ممن يحبون المبالغة ولكن لا ريب فى انه كانت توجد فى قلوب المصريين من أربعين سنة مضت مطامع كان من الممكن أن تراعى فى حدود معتدلة . تلك حقيقة لا تحتمل جدلا ، غير ا نالذين كانوا يتحكمون فى شئون مصر لم يكونوا يرون من المصريين غير قوم مدينين ، فلم يكونوا يعرفون فى معاملتهم الا مصلحة الدائنين الاوروبيين التى يجب ان تقدم على ماعداها ، وبذلك لم ينتبهوا الى أن مثابرتهم على اعتبار مصر رهنا وتدخلهم فى شئونها تدخلا أدى بحكومتها الى أن تصير فى أيدى الاجانب كانا قد انتهيا على طول الايام بأن يجرحا شعور الشعب المصرى الذى هو شعب حى مهما يقل القائلون فى تعوده الطاعة والخضوع من أجيال »(١) وقد تبينت تركيا ــ التى كانت صاحبة السيادة على مصر ــ أهمية الوعى الوطنى فى مصر فحاولت استمالة عرابى رغم ان الخديوى توفيق كان قد أرسل فى نوفمبر ١٨٨١ رسالة الى القسطنطينية ذكر فيها للسلطان « ان مصر فى حالة ثورة وان هناك اقتراحا لانشاء امبراطورية عربية » (٢) .

وقد كتب الوزير الفرنسى « بارتيلمى سان هيلير » الى «سينكفين» قنصل فرنسا فى القاهرة بتاريخ ١٧ من أكتوبر ١٨٨١ يقول : لا يتيسر لنا من هنا ان نقدر تماما قوة هذه التطلعات الشرعية ولا كيف نرضيها ولكن هذه التطلعات قد بلغت حدا كبيرا من الصدق ، كما ان لها من المبررات ما لا يمكن معه اهمالها أو التفكير فى اطفائها (٣) .

وفى ٢٢ من فبراير ١٨٨٢ أرسل أحمد راتب ياور سلطان تركيا رسالة الى عرابى « ناظر الحربية المصرية » جاء فيها « لا أهمية فيمن يكون

---

(١) الخفيف ، ص ١٥٣ ، نقلا عن ترجمة عبد القادر حمزة لكتاب « المسألة المصرية » ل « ده فريسينيه » .

(٢) الخفيف ، ص ٢٢٧ .

(٣) « ده فريسينيه » ، ص ٢٠١ .

خديوى مصر .. اسماعيل باشا وأسلافه رشوا الخائنين فى الباب العالى ، وبعد أن أغمضوا عيون أولئك الموظفين المذكورين اجترأوا على ظلم المصريين وفرض الضرائب الثقيلة عليهم ومعاملتهم بالضغط والقسوة . وزيادة على ذلك فانهم تداينوا ديونا ثقيلة وجعلوا المصريين يئنون تحت نير العبودية » .
وقد خيل الى تركيا أنها بتأجج الفرقة بين توفيق وعرابى تستطيع استعادة نفوذها على مصر ، فأوفدت الى مصر بعثة برئاسة درويش باشا كلفت سريا بالعمل على خلع توفيق توطئة لتعيين حليم بن محمد على الذى كان يقيم فى الاستانة . ويبدو أن عرابيا كان يفضل حليما على توفيق . (١)

ومما يستحق الذكر هنا ما قرره بعض المستعربين الأوروبيين عن صلة عرابى بالدعوة السنوسية ، فقد كتب أحدهم الى المحامى البريطانى الذى تولى الدفاع عن عرابى يصارحه بأنه يعتقد أن أحمد عرابى يمت بصلة الى محمد السنوسى . (٢)

وقد تعرضت المؤلفة الانجليزية مارى رولات الى هذه الفترة من تاريخ اليقظة العربية وقررت أن من أبرز الشخصيات التى لعبت أدوارا حيوية فى خلق القومية المصرية : أحمد عرابى ومحمد عبده ، وأن النصف الاخير من القرن التاسع عشر شهد أيضا ظهور القومية الهندية التى كان محمد عبده على علم تام بما حملته فى طياتها من تطورات ، وأنه ما ان حمى وطيس الثورة العرابية حتى لقيت تأييدا روحيا من جانب الشطر الاكبر من الرأى العام الهندى الى درجة جعلت الحكومة البريطانية تصمم

---

(١) الخفيف ، ص ٢٢٩ — ٢٣١ ، ٣٧٥ .

(٢) A.M. Broadley : How we defended Arabi, Chapman and Hall.
لندن ، ١٨٨٤ ، ص ١٦٢ .

وقد نشر « بردولى » فى هذا الكتاب نص الرسالة التى تلقاها من « هنرى دوفيريه » المستعرب الفرنسى المؤرخة فى أول نوفمبر ١٨٨٢ والتى جاء فيها انه قد قضى الاثنين وعشرين عاما السابقة متجولا فى الصحراء (العربية) وانه اذا صح اعتقاده بانتماء عرابى الى الطريقة السنوسية فان ذلك قد يكون ظرفا من الظروف المخففة لما نسب اليه من تهم لانه بذلك يكون قد أقدم على ما أقدم عليه مدفوعا بانتمائه الى تلك الجماعة السنوسية ، وقد ختم رسالته بأن رجا محامى عرابى بأن يتحقق من انتماء عرابى الى السنوسية وأن يخبره بنتيجة تحققه » .

وواضح من كتاب « برودلى » انه لم ينته الى تأييد ما ذهب اليه المستعرب « دوفيريه » الذى أصدر عدة دراسات عن السنوسية وكان ينسب اليها عداء المسيحية الاوروبية .

على توزيع اعلان فى الهند ينص على اعتبار عرابى كأحد الثوار • (١)

ومن ظواهر تلك اليقظة القومية الاتجاه نحو انشاء جمعيات تطالب بحقوق العرب فى السلطنة العثمانية والحض على انهاضهم ، كالجمعية التى تأسست سنة ١٨٨١ باسم (جمعية حفظ حقوق الملة العربية) وقد نشرت نداء الى العرب من مسلمين ومسيحيين تحت عنوان «بيان من الامة العربية» تدعوهم فيه الى الاتحاد والمطالبة بالحقوق القومية • ويبـــدأ هذا النداء بمخاطبة المسلمين فيلفت نظرهم الى ظلم تركيا ويختم ذلك بقوله :

« فأين أنتم وأين هم ؟ من منكم اليوم أمير ومن منكم اليوم وزير ومن فيكم اليوم مدير ؟ بل كل واحد منكم فقير ، وكبيركم مثل صغيركم حقير ، والمال والآمال بأيدى الترك •• الخ » ثم يلتفت الى المسيحيين فيقـول لهم :

« اتحدوا مع المسلمين واستعدوا لنوال حريتكم من المعتدين فان الترك يخشون بأسكم فلا يمســـونكم ولا ينتهـكون حرمتكم خوفا من القنصل • فاتحدوا بقلب مع اخوانكم المسلمين فان مرجع مصالحكم الى واحد » • (٢)

وقد سجل الكتاب الاوروبيون هذه الظاهرة الخاصة بتكتل الشبان العرب فى جمعيات سرية ذات طابع ثقافى وأغراض سياسية فقرر أحدهم انه لاحظ اثناء اقامته ببيروت انشغال الشباب المسلم بتكوين جمعيات لزيادة عدد المدارس والمستشفيات وللعمل على بعث البلاد ، وطابع هذا النشاط الذى يثير الانتباه هو تحرره من كل لون طائفى • فالجمعيات التى تنشأ يقضى نظامها بقبول المسيحيين أعضاء ويسجل تعاونهم فى العمل الوطنى أما الاتراك فلم يحسب لهم حسابا • (٣)

وقرر آخر ان الوطنية الحقيقية بمعناها العربى لم تبدأ الا بعد عام ١٨٦٠ ، وأنها ولدت فى سوريا وان هناك اتجاهات وطنية متميزة فى

(١) « مؤمسو، مصر الحديثة » ، ترجمة مصلحة الاستعلامات ، القاهرة ، ٢٦ اكتوبر ١٩٦٢ •

(٢) أنيس الخورى المقدسى : « الاتجاهات الادبية فى العالم العربى » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٣ — ٤ •

(٣) انطونيوس ، ص ٨٩ — ٩٠ ، وقد استند على كتاب « جابرييل شارم » الذى اسماه « رحلة فى سوريا » ، والدورى ، ص ٦٥ — ٦ •

تعاليم جمال الدين الافغانى الذى يعد ـ من وجهة النظر الفلسفية ـ همزة الوصل بين الوحدة الاسلامية والقومية الاسلامية (١) · أى بين فكرة ادماج الشعوب الاسلامية فى وحدة كبرى وفكرة اعتزاز كل شعب اسلامى بكيانة الخاص المتحرر من كل سيطرة مع تحقيق نوع من التضـــامن بين جميع الشعوب الاسلامية ·

ويظهر ان بعض ذوى المصالح أو ذوى العطف الانسانى من الاتراك كانوا يظاهرون العرب فى اتجاههم القومى · فقد ذكرت جريدة «المشير» أن جماعة من شبان العرب والاتراك اجتمعوا فى باريس لتأسيس جمعية عربية وغاياتها :

١ ـ أن يدافعوا عن حقوق العرب جميعا مهما تباينت مذاهبهم ·

٢ ـ حفظ الامة العربية تحت ظل الراية العثمانية فى وضع قانون أساسى للخلافة ·

٣ ـ أن يساوى بين العرب والترك فى كل شىء ·

٤ ـ اجراء الاصلاحات الواجبة بالطريقة الواقعة (أى بالفعل) ·

٥ ـ استقلال كل ولاية من الولايات (العربية) بماليتها وتخصيص ولايتها بوال عربى أو معاون عربى ·

ويلوح لنـــا أن هـــذه الجمعيـــة هى نفس الجمعية التى يذكرها سيميونسكو فى جريدة الجورنال الفرنسية اذ يقول « فى العام ١٨٩٥ بدأت حمى الاسلام بالارتفاع عندما تأسست فى باريس عصبة الوطن العربى· وكان لهذه العصبة قاعدتان جوهريتان هما التحرر من الاجانب · واتحاد البلدان العربية تحت سلطة موحدة وزمنية » ·

ولعل « عصبة الوطن العربى » « هى » اللجنة الوطنية العربية التى يذكرها الأعظمى فى كتابه « القضية العربية » · وسواء أصح ذلك أم لم يصح ، فالواقع أن العرب أخذوا منذ أيام السلطان عبد العزيز ينتبهون الى حقوقهم ويطالب بها أحرارهم وقد تركوا لنا من آثارهم الأدبيـــة فى العهد السابق لدستور ١٩٠٨ ما لا يترك مجالا للشك فى ذلك (٢) ·

---

(١) « ستودارد » ، ص ١٥٠ ـ ١٥٤ ·

(٢) أنيس الخورى ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، وقد استند على « المشير » ١٩ ديسمبر ١٨٩٦ و « صوت الأحرار » بيروت ، ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧ ، ويبدو أن هـــذه الجمعيـــة غير جمعية « رابطة الوطن العربى » التى ألفها نجيب عازورى فى عام ١٩٠٤ بباريس التى سيأتى ذكرها فى هذا الفصل .

وقد سبق أن أشرنا الى أنه فى هذه الفترة من نهاية القرن التاسع عشر • اضطر الثائرون الوطنيون العــــرب الى الالتجـاء الى المنفى واجتمعـــوا فى مصر المجاورة التى كانت اذ ذاك تحت الاحتـــلال البريطانى ، كما اجتمعوا فى أوروبا حيث نظمـوا دعاية ثورية (١) • ولم يترك العرب الثائرون اللاجئون فى المنفى وسيلة الا استخدموها لتحقيق أهدافهم فى العروبة السياسية ، من ذلك أن الوفود العربية اشتركت فى المؤتمر الذى عقده فى فيينا الأرمن التابعون للامبراطورية العثمانية ، وكان بين قرارات هذا المؤتمر قلب الحكومة العثمانية واحلال حكومة دستورية محلها •

وقد حاول « لويلبيه » أن يحلل الجانب الروحى للحركة القومية فى البلاد الاسلامية فذهب الى أنه ليس هناك ما هو أكثر غموضا من تاريخ هذه اليقظة •• حركات جماعية •• السنوسيون فى ليبيا منذ عام ١٨٤٢ والمهديون فى الســــودان منذ عام ١٨٨١ ، وفى الحركتين امتزج المظهر المحلى بالشعور الاســـلامى العام •• والباحث اذ يميل اليوم الى أن يعيد تقويم هــذه الحركات ابتداء من اتجاهاتها الجوهرية وطبقا للتصــــورات المقبولة فى الغرب يتضح له انها مرت بمراحل كانت تتوقف بدلا من أن تتابع السير قدما ، وعلى ضوء هذه التحفظات يمكن أن يتبين حركة تحرير اسلامية ذات جذور فى تيار الصوفية الانســانى وفى الفلسفة الشرقية والآراء الغربية (٢) • ولكن غاب عنه عنصر هام فى هذه الفترة من تاريخ الشرق العــــربى وهو ان هذه « الحركات » كلها – الى جانب برامجها الدينية – كانت تربط بينها رابطة التضامن الاســـلامى وكانت جميعها تستهدف هدفا سياسيا واحــــدا ذا سمة عربية تكاد تشـــق الستر هو التحرر من السيطرة الغربية • وهـــذا الهدف السياسى تبلور فى تلك الفترة الانتقــــالية بين مذهبين : مــذهب الجنســـية الاســـــلامية فى نطاق الخلافة كجهاز يعلو قمة الدول الاسلامية دون نظر الى الجنسية السياسية أو اللغــة أو المنطقة الجغرافية ومذهب التضـــامن العـــــربى بمقوماته الخاصة الى جانب التضامن الاسلامى منذ قسم العالم العربى – الاسلامى الى عدة دول مستقلة كما سبق أن أشرنا – هـــذا الهـــدف السياسى العربى القسمات الذى تبلور فى تلك الفترة لم ينقطع كما ذهب «لويلبيه» ولكنه بالعكس بدأت تكتمل معالمه فى كل البلاد العربية وتكونت حوله تقاليد وسوابق قانونية راسخة ، أما العروبة السياسية كما ســوف

(١) « ستودارد » ص ١٥٥ ومحمد عبد العزيز ، ص ٤٠ .
(٢) « لويلبيه » ، ص ٣٨ .

تشرحها فى القسم الثالث من هذا الكتاب بمقوماتها الكاملة ـ فقد أصبحت فى المرحلة الأخيرة لهذه الحركات القومية أساسا اجتماعيا ـ سياسيا للوحدة بين الدول العربية ·

مصطفى كامل وبرنامج تحرير مصر من الاحتلال البريطانى : ١٨٩٥ ـ ١٩٠٨ :

وفى عام ١٨٩٥ بدأ مصطفى كامل دعوته لتأسيس الحزب الوطنى والى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى وكان أول الزعماء العرب اهتماما باثارة المفكرين الأحرار فى الأوساط الدولية المهتمة بالشرق العربى ضد الاستعمار الأجنبى · فبين عامى ١٨٩٥ ، ١٩٠٦ تنقل بين فيينا وباريس وبودابست وبرلين واستطاع أن ينشر دعوته الوطنية فى صحف هـذه البلاد ، وأن ينقل هذه الدعوة الى الصحف الأمريكية ، وأن يتصل بالنواب الألمان والبلجيكيين والفرنسيين · وأن ينشر بالفرنسية بيانات واضحة عن عدالة القضية المصرية ، وأن يدفع عددا من أكثر الكتاب والكاتبات الأوروبيين شهرة الى تسخير أقلامهم لنصرة دعوته الوطنية · وقد ختم هذا الجهاد العربى الشاق باصدار صحيفة مسائية باللغة الفرنسية باسم « اللواء المصرى » صدرت فى ٣ من مارس عـام ١٩٠٧ وأخرى صـباحية بنفس الاسم ·

وقد أبرز أحد المؤرخين المعاصرين أن أهمية آراء مصطفى كامل فى الفكر السياسى العربى تعود لسببين : ان لها تأثيرا فى مفاهيم الحكم لدى أكبر وأهم قطر عربى وهى مصر ، وأن كتاباته لم تؤثر فى مصر وحدها وانما تجاوزتها الى العالم العربى كله (١) ·

واهتم مستشرق فرنسى بابراز دور مصطفى كامل فى التوفيق بين مقتضيات الاسلام ومطالب الامة المصرية وأشار الى ما أعلنه الزعيم المصرى من أن المســـلمين والأقباط أمة واحدة وأن الدم الذى يسرى فى عروق مسلمى مصر هو نفس الدم الذى يسرى فى عروق أقباطها ، وأن التزام الجميع بواجباته الدينية بدون تعصب يدعم واجباتهم الوطنية (٢) ·

---

(١) نسيبه ، ص ١٦١ ·
(٢) « لويلييه » ، ص ٤٢ ·

« رابطة الوطن العـربى » : ١٩٠٤ ،
و « يقظة الامة العربيـــة » : ١٩٠٦ :

وفى بداية القرن الحالى ـ لاقبل ذلك ـ تحررت حركة التجمع العربى من الطابع الدينى الذى كان قد أضفاه عليها القادة من العرب البدو الذين قادوا الصراع ضد الأتراك الملحدين · وانتقل مركز الحركة من نجد الى سوريا · (١)

وقد تم تنظيم المجاهدين العرب فى المنفى بانشاء « اللجنة الوطنية العربية » بباريس فى عام ١٨٩٥ ـ كما سـبق ان أشرنا ـ وقام هؤلاء المنفيون بدعاية ثورية انتهت فى عام ١٩٠٥ بتمرد مسلح فى الحجـــاز واليمن · (٢)

وفى ديسمبر ١٩٠٤ أسست بباريس « رابطة الوطن العربى » وقد أسس هذه الجمعية عربى مسيحى هو نجيب عازورى ، وكان غرض الجمعية تحرير سوريا والعراق من السيطرة التركية ، واذاعت الجمعية عدة نداءات حضت فيها على الثورة · وفى عام ١٩٠٥ نشر عازورى كتابه بالفرنســية « يقظة الأمة العربية » فى آسيا التركية · « وقد صـدر هذا الكتاب بمنشور ذكر أن « الحزب الوطنى العربى » قد وجهه الى الدول ، وقد جاء فيه : « أن العرب الذين لا يستبد بهم الترك الا عن طريق ابقائهم منقسمين لاسباب واهية خاصة باختلاف المذاهب والاديان قد ادركوا ما يجمعهم من أواصر تاريخية وعرقية ، ويرغبون فى أن ينفصلوا عن الشجرة المتداعية ، شجرة آل عثمان · وأن يقيموا لانفسهم دولة مستقلة · وهذه الامبراطورية العربية ستمتد فى نطاق حدودها الطبيعية من وادى الدجلة والفرات الى السويس ومن البحر الابيض المتوسط الى بحر عمان ، وسوف تحكمها حكومة دستورية حرة على رأسها سلطان عربى ·· اننا لا نطالب الدول بتقديم أية تضحية الينا ولا بالقيام بأى اجراء عسكرى لمصلحتنا ، وكل ما نرجوه من الدول الواعية ذات الميول الانســانية فى أوروبا وامريكا الشمالية أن تؤيد حركتنا بمجرد وقوفها على الحياد وأن تشجعنا بعطفها ، ونحن قادرون على أن ننجز مهمتنا المجيدة المقدسة · اننا اثنا عشر مليونا من العرب المضطهدين بواسطة بضع مئات من الموظفين الترك والشراكسة

---

(١) السنهورى ، ص ٤٤٨ ·
(٢) « ستودارد » ، ص ١٥٥

وهؤلاء الموظفون جميعهم على استعداد لخيانة دولتهم بمجرد ان يتبينوا اننا أقوى منهم ٠ (١)

ومع ما تضـــمنه هذا المنشـــور من بيانات موالية لفرنسا وبعض الانطباعات الخاطئة عن مصر فان هذا النداء قد أصبح فيما بعد أساسا للمناهج الاخرى فيما تأسس من جمعيات ٠

وبعد عامين من اصدار كتاب « يقظة الامة العربية » أصدر عازورى مجلة شهرية باسم « الاستقلال العربى » بالفرنسية ظهر العدد الاول منها فى ابريل ١٩٠٧ وكان الغرض منها الاعـــلام عن البلاد العربية واثارة الاهتمام بمشكلة تحريرها وقد والت الصدور حتى اعلان الدستور العثمانى فى يوليو ١٩٠٨ (٢) ٠

ومما يلفت النظـر فى برنامج « رابطة الوطن العربى » أن بعض فقراته تنم عن رضى ببعض الاتجاهات الاستعمارية الاوربية كما ان البعض الآخر تفصل عن « الوطن العربى » أراضى عربية صميمة ٠ فان عازورى فى كتابه يذهب الى أن « الرابطة » ســـتحترم كل مصالح أوروبا وكل الاحتكارات والامتيازات التى أعطاها الترك لها حتى اليوم وتستبعد فكرة توحيد مصر والامبراطورية العربية ٠ كما أخرجت لبنان واليمن والعراق من هذه الدولة المقترحة !

ولكن كتاب عازورى ركز على التســـاؤل : كيف يجرؤ التركى عبد الحميد على أن يدعو نفسه خليفة ؟ كيف يمكن ـ فى الحق ـ أن يسمى خليفة ذلك الذى لا يفهم العربية ؟ الذى بلغ الخامسة والستين ولم يؤد بعد فريضة الحج ٠ السفاح ٠ الكاذب الذى يسرق رعاياه والذى ينكل بحجاج بيت الله فى مكة ؟ والذى يقصر انعاماته على أسوأ المجرمين والذى يتلقى من جميع السفراء المعتمدين لديه ركلا بأقدامهم ؟ وفى النهاية كيف يمكن أن يكون الرئيس الاعلى للمسلمين المنتشرين فى أنحاء العالم هذا

(١) نجيب عازورى Le Réveil de la Nation Arabe, Plon. باريس ، ١٩٠٥

(٢) م ٠ ب ٠ شريف ، ص ١٩٦ ، و « ستودارد » ص ١٥٦ وقد اشار «بروكلمان ص ٣٩٨ أن السورى عازورى اسس جمعية وطنية هدفها الاستعانة بفرنسا لفصل الاقطار العربيـــة من الامبراطورية العثمانيـــة وان اصـــدار الدستور التركى جعله يظـــن أن هدفه قد تحقق فأوقف صـــدور صحيفته « الاستقلال العربى » التى كان يشترك معه فى تحريرها أحد موظفى المستعمرات الفرنسية الكولونيل « يونج » ، وانطونيوس، ص ٩٨ ـ ٩٩ ٠

الانتشار الواسع من لا يستطيع ان يخرج من قصره خشية ان يغتال والذى أجمع رعاياه على كرهه وبغضه (١) ٠

ويبدو أن المؤرخين العرب الذين تعرضوا لكتاب عازورى ولبرنامج « رابطة الوطن العربى » قد أبدوا تسامحا كبيرا فى تقويمهما مدخلين فى تقديرهم عامل الظروف والعصر وتعثر المراحل الاولى ، اذ ان أحدهم قد ذهب وهو بصدد التعقيب على الكتاب والبرنامج الى أن وجود « المسألة العربية » أصبح معروفا هنا وهناك فى العالم العربى وأن « يقظة الامة العربية » قد قرر بوضوح تطلعات المتطرفين بين العرب وهدفهم (٢) ٠

وأغلب الظن أن كتاب عازورى لم يستعرض بأكمله قبل وضع هذا التعقيب وانما اكتفى بالعبارات التى تضمنتها الفقرات التى ترجمت عنه والتى تضمنت التنديد بالاستبداد التركى ٠

مصر موطن العروبة الرئيسى فى العالم الإسلامى :

ولا يجافى الدقة من يذهب الى أن حركة الوحدة العربية لم تتخلص من الطابع الدينى الذى أضفاه عليها الثوار العرب الذين كافحوا الأتراك المستبدين الا فى مستهل القرن العشرين وأن مركزها قد انتقل من نجد الى سوريا (٣) ٠

فقد ما أثارت حـركات التمـرد التى نشـبت فى عام ١٩٠٥ الاهتمام العام بـ « المسـألة العربية » منفصـلة عن الخلافة وعن الوحدة الاسلامية ، وبرز جليا أن رابطة الوحدة التى بدأت تجمع مختلف الاديان والاجناس فى سوريا انما كانت رابطة لغتهم العربية المشتركة التى بعثت خلال أدب جديد ، ثم رابطة وعى بتراث تقاليد مجيدة والاقتناع بأن التقدم الاجتماعى ضرورى كالتقدم الدينى ٠ وقد نظمت المعارضة للطغيان التركى أولا فى القـاهرة حيث كان يعيش عدد من السـوريين يسيطرون على الصحافة ٠ وفى القـاهرة أسس نجيب عازورى مركزا للدعوة انتشر

(١) عازورى ، ص ٢٤٦ — ٧ ٠

(٢) زين ، ص ٦٢ ٠

(٣) السنهورى ، ص ٤٨٨ ٠

فيما بعد فى الأقطار العربية الأخرى(١) ٠ وأخذت أهمية القاهرة ـ بالنسبة لهذه السمة العربية من الكفاح ـ تستكمل معالمها مأوى للوطنيين العرب ومقرا للأزهر فاطلق عليها أحد المستعربين الرواد وهو بصدد استعراض تلك الفترة اسم « موطن العروبة الرئيسى فى العالم الاسلامى » (٢)

« الدول الكبرى أمام الثورة العربية »

امة عربيـــة وامبراطورية عربيـــة :

فى عام ١٩٠٦ أصدر « يوجين جونج » نائب قنصل فرنسا السابق فى الهند الصينية كتابه عن « ثورة الغد العالمية » وقد قرر فيه « ان الكتاب يأبون التسليم بامكان حدوث أزمة سياسية فى هذه الاقطار العربية لان هذا الاحتمال يزعج فى الواقع خططا معينة من خطط السياسة الخارجية ، ولذلك فضلوا عدم الخوض فى حديث الشئون العربية أو على الأقل اظهار تلك الأزمة على أنها أمر مستحيل الوقوع لان عرب القبائل الرحل التى لا رابطة بينها ـ كما يزعمون ـ لا يمكن أن يتحدوا ولا أن يحاولوا بذل جهد عنيف أو أن ينفضوا عنهم خمولهم ويتخلصوا من السيطرة التى رزحوا تحتها عـــدة قرون ! وأن الجهل البادى بتاريخ العرب الحـديث وبثروات أراضيهم كان يبرر هذا النظر ، ولكن اليوم لم يعد هنـاك ما يبرره ، فيقظة الأمة العربية أصبحت حقيقة مادية متزايدة وقد تتالت الحوادث مسرعة بحيث لم تدع مجالا لأى شك فى ذلك ٠ وقد أردنا أن نبرز أن الصراع ليس حديث عهد كما يعتقد بصفة عامة وانما هو يعود الى أكثر من قرن مضى ويدنو اليوم من نهايته ٠٠ ان الأمة العربية عندما يعاد بناؤها ستكون امبراطورية شاسعة كما أعلنت « اللجنـة الوطنية العربية » فى ندائها الذى وجهته الى الدول ووضعنا كدولة كبرى ذات مصالح فى البلاد الاسلامية يفرض علينا التزاما بأن تكون لنا علاقات ودية مع الأمة العربية فى المستقبل ، ومع الرئيس الدينى الأعلى الذى ستكون مكة أو الطائف مقرا له ٠٠ ان « يقظة الأمة العربية » ستفتح فى الواقع باب أزمة عالمية ضخمة ، و « المسألة العربية » التى تتضح معالمها اليوم ، اجتماعية كما انها دينية ، وتتلخص فى كلمات قليلة : انها يقظـة أمة ٠ ان العرب يريدون أن يكونوا وحـدهم سادة أنفسهم

---

(١) « كون » ، تاريخ القومية ، ص ٢٧٢ ـ ٥ ٠

(٢) L. Massignon : Eléments Arabes et Foyers d'Arabisation, Revue du Monde Musulman. باريس ، ١٩٢٤ ٠

ولا يقبلون بعد اليوم سيطرة الترك المرهقة . ولم يوفق هؤلاء الترك الى اليوم فى السيطرة عليهم الا باستغلال الخلافات الدينية القائمة بين العرب المسلمين والكاثوليك والأرثوذكس بابقائهم فى حالة جهل » (١) .

وقد شـــجع نجاح الحركات القومية البلقانية التى انتقضـت على الامبراطورية العثمانية « اللجنة الوطنية العربية » فى عام ١٩٠٥ على اعلان تطلعات العرب واثارتهم على الخضوع والفقر اللذين أغرقهم فيهما الاستعمار التركى . ولم تستكمل الحركة القومية العربية شكلها السياسى المحدود والحاسم الا بعد ثورة « تركيا الفتاة » فى عام ١٩٠٨ عندما خابت آمال الاقطار العربية فى تحقيق اتجاهاتها العقائدية الخاصة فى أن تكون وحدات مستقلة فى نطاق الامبراطورية العثمـــانية ، فقد اندفع حزب « تركيـا الفتاة » ـ بواعز من التحمس لتحويل تركيا الى دوله « مركزية » ـ الى ســـياسية (تتريك) تبعها رد فعل بين العـرب الذين كانوا يطالبون باللامركزية والذين وجهوا حركتهم الى سياسة التخلص نهائيا من السيادة التركية (٢) .

جمعية الاخاء العربى ـ العثمانى ١٩٠٨ :

وفى سبتمبر عام ١٩٠٨ أسس العرب المقيمون فى الاستانة جمعية سموها « جمعية الاخاء العربى العثمانى » كل هدفها توحيد كلمة العرب التابعين للدولة العثمانية مع المحافظة على ولائهم للسلطان . وحماية الدستور التركى الذى كان قد صدر مشبعا بالمبادىء الحرة ، والعمل على ترقية الولايات العربية داخل نطاق الدولة العثمانية . وقد أصدرت هذه الجمعية صحيفة تروج لمبادئها .

وكان أعضاء « جمعية الاخاء العربى العثمانى » يعتمدون على التعاون مع أعضـــاء « جمعية الاتحاد والترقى » التركية التى كانت تهدف الى التخلص من طغيان حكومة السلطان عبد الحميد ، لكن العرب تبينوا أن أعضاء الجمعية التركية مصممون على أن يكفلوا للعنصر التركى أغلبية فى الانتخابات البرلمانية رغم تفوق العرب على الترك فى العدد ، وقد نجح فى تلك الانتخابات فعلا مائة وخمسون نائبا تركيا ولم ينجح الا ستون نائبا عربيا فى مجلس النواب . أما مجلس الشيوخ فلم يعين السلطان

---

(١) « جونج : الدول العظمى امام الثورة العربية » ، نفس المرجع ، ص ١ـ١٨ .
(٢) محمد عبد العزيز ، ص ٤٠ .

فيه الا ثلاثة من الشـــيوخ العرب . وقد تطور الامر بعد ذلك فحاول السلطان البطش بجمعية الاتحاد والترقى وحرض حامية الاســتانة على مهاجمة دار « المبعوثان » وقتل وزير العدل ونائب عربى هو الامير محمد أرسلان . فلما سمع محمود شوكت باشا بذلك ، وهو عربى يتمتع برتبة عالية فى الجيش الذى كان مرابطا فى سالونيك ، هاجم الاستانة واقتحمها وأعلن خلع السلطان عبد الحميد وتولية أخيه السلطان محمد رشاد فى آخر ابريل عام ١٩٠٩ .

وكان قانون هذه الجمعية ينص على أن عضويتها مفتوحة للعثمانيين أبناء العرب دون نظر الى طوائفهم أو مذاهبهم..وقد عرف العربى فى هذا القانون بأنه من ولد لاب عربى أو اتخذ البلاد العربية وطنا له . وركزت « الاخاء » اهتمامها على « الامة العربية » واجتهدت أن ترفع مستوى الامة العربية باستخدام كل الوسائل التى تكفل انتشار العلوم كانشاء المدارس واصدار الصحف . والاخاء ـ كغيرها من الجمعيات العربية ـ كان لها برنامج آخر ينطوى على تطلعات تختلف عن الغرض الذى يبدو فى أعمالها الرسمية : برنامج سرى أهم من الشعارات العلنية التى كانت تســتخدم للتموية أذ كانت تلك الجمعيات تزاول نشاطها فى الخفاء . وكان الهـدف الحقيقى لزعماء « الاخاء » هو غرس فكرة الانفصال عن تركيا فى العنصر العربى . وهذه الدعاية الثورية كانت تمارس تحت ستار خارجى فى غاية الحكمة واللبـاقة . ولقد وفقت « الاخاء » فى تعبئة الصـحف التى تصدر فى سوريا ومصر وامريكا والتى كانت تنشر مقالات تبرز ان قوة الامبراطورية العثمانية وهيبتها قد وهنتا ، بينما اهتمت صحف فى أمريكا وفى مصر علنا بمسألة استقلال العرب وحتى صحف مصر وسوريا كانت تدأب على نشر مقالات بعنوان « ترك وعرب » . وما من حاجة الى ايضاح ان هذه الكتابات كانت تنم بصراحة عن خشية بطش الترك بكتابها ، ولما كانت الصحافة العربية فى أمريكا تتمتع بحرية مطلقة فى التعبير فانها دافعت عن الآراء الانفصالية بدون مواربة ولا تردد . (١)

---

(١) صعب ، ٢٢٦ ـ ٨ ، وقد استند على التقرير المقدم من قائد الجيش الرابع التركى ، و « لوبلبيه » ص ٤٦ وانطونيوس ، ص ١٠٢ .

« المنتدى الادبى » : المطالبة بحكومة عربية محليه على نسق الحكومة النمساوية ـ المجرية :

وفى نفس العام ١٩٠٩ ، بعد أن تبين للضباط العرب فى الجيش التركى استحالة التعاون مع زملائهم الاتراك أعضاء جمعية الاتحاد والترقى أسس العرب « المنتدى الادبى » • وقد اشترك فى تأسيسه عدد من النواب والكتاب والطلبة العرب والحقت به مكتبة ضمت عددا كبيرا من الكتب العربية ودارأ للضيافة وقاعة للمحاضرات • وقد ساهم هذا المنتدى فى اذكاء الوعى العربى واجتذب عددا كبيرا من الاعضاء ، ونجحت فكرته فأنشأ له فروعا عديدة كانت ملتقى الوافدين العرب من انحاء الدولة العثمانية •

وكان « المنتدى الأدبى » أول الهيئات السرية العربية التى شكلت بعد أن وقف نشاط « الاخاء » • كما ان عضويته قد انضم اليها آلاف كانت غالبيتهم من الطلبة الذين أسسوا فروعا فى مدن مختلفة بسوريا ومصر والعراق • والواقع أن عبد الحميد الزهراوى وعزيز على المصرى وسليم الجزيرى ورشيد رضا كانوا يلقون المحاضرات فيه كلما حضروا من مصر الى القسطنطينية عن موضوعات تاريخية تعالج بحيث تبعث فكرة الاستقلال السياسى بين المستمعين والتعلق بها • وقد أجاب رفيق سلوم فى تحقيق اجرى معه بشأن اشعار وطنية كان « المنتدى » قد كلفه بوضعها بأنه لم ينظم شعرا ضد الامبراطورية « وانما نظمت هذا الشعر فى بعث الحضارة والمجد والسيادة العربية » (١) •

وفى داخل « المنتدى الأدبى » كان يجتمع خليل حمادة باشا الوزير السابق وعزيز المصرى ضابط أركان الحرب فى لجنة محدودة العدد للعمل على تحقيق أغراض سياسية اطلقوا عليها اسم « القحطانية » أنشئت فى عام ١٩٠٩ •

الجمعية القحطانية ١٩٠٩ : المطالبة بتحويل الامبراطورية العثمانية الى مملكة مزدوجة :

ويبدو أن هذه اللجنة السرية التى تكونت داخل «المنتدى الادبى» قد انفردت بنشاط خاص متميز ، اذ ان المؤرخين الذين اهتموا بنشاط

(١) صعب ، ص ٢٢٨ ، والخورى ص ١٢٣ ، و « لوبلييه » ، ص ٤٧ وانطونيوس ص ١٠٨ ـ ٩ •

هذه الهيئات العربية ذات النشاط المنفصل عن نشاط الدول قد أشاروا الى أن أعضاءها كانوا ذوى طابع أكثر بطولة وأن أغراضها كانت تنفيذ مشروع جديد وجرىء هو تحويل الامبراطورية العثمانية الى «ملكية مزدوجة» . وكان مقتضى هذا المشروع أن تكون الاقطار العربية مملكة واحـدة لها برلمانها وحكومتها المحلية على ان تكون العربية لغتها وعلى أن تكون هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركية ـ عربية تشـبه فى تكوينها الدولة النمساوية المجرية ، وأن يكون لسلطان تركيا ـ بالاضافة الى تاجه التركى ـ تاج هذه المملكة العربية ، كما ان لامبراطور آل هابسبرج تاج المجر . واننا لنجد أمامنا هنا خطة محدودة توحي بها فكرة معينة ، وكان واضعوها جماعة من العمليين المصممين الذين تبينوا استحالة تنفيذها علنا . وكان زعيمهم عزيز على المصرى الضـابط بالجيش التركى . وكان أعضـاء « القحطانية » يختارون بعناية ، فلم يكن يقبل فى عضويتها الا من كانت وطنيتهم فوق الريبة وممن يؤتمنون على السر . وقد ضـمت عددا من الضباط العرب ذوى الرتب العالية فى الجيش التركى واثنين من مؤسسى « المنتدى الأدبى » . وكان للجمعية كلمة سر واشارة لاثبات شـخصية العضو . وقد أنشئت لها خمسة مراكز عدا القسطنطينية . وأهميتها تبدو عبر تاريخ الحركة العربية فى أنها كانت أول محاولة لكسب الضـباط العرب الذين يخدمون فى الجيش التركى وضمهم للتعاون الايجـابى فى الحركة الوطنية . وكان نشاط الجمعية قويا فى سنتها الأولى ، ولم يعلن حلها بعد ذلك الا انها أوقفت نشاطها بسبب شكها فى ان أمرها ابلغ الى السلطات التركية . (١)

الجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ :

وقد أسست « الجمعية العربية الفتاة » بباريس فى ١٤ من نوفمبر ١٩٠٩ من سبعة طلبة عرب كان من بينهم توفيق الناطورى (لبنانى) وجميـل مردم رئيس الوزارة السورية فيما بعد وعونى عبد الهـادى (فلسطينى) رئيس الوزارة الاردنية الهاشمية فيما بعد ومحمد رسـتم حيدر (لبنانى وزير مالية العراق فيما بعد) ومحمد المحمصانى (لبنانى) اعدم فيما بعد وأحمد قدرى (سورى) ورفيق التميمى (فلسـطينى) وعبد الغنى العريسى لبنـانى أعدم فيمـا بعد وكان هـدف هـذه

(١) أنطونيوس ، ص ١١٠ و « لويلبيه » ص ٤٧ ، والخورى ص ١٢٣ وشريف ص ٢٠٢ .

الجمعية تحرير العرب من الحكم التركى أو من أى حكم أجنبى . وقد استفاد أعضاء هذه الجمعية من التجارب التى مرت بها الجمعيات العربية السابقة ، ولذلك عنى أعضاؤها بالتزام السرية المطلقة فى أعمالها وبالحرص على ألا يضموا اليها أحدا الا بعد امتحان ايمانه بمبادىء الجمعية امتحانا دقيقا .

وقد ذهب مؤرخ عربى الى أن الدور الحاسم الذى لعبته هذه الجمعية فى الحركة الوطنية لم تستطع أن تلعبه أية جمعية أخرى ، وان تكوينها يعيد الى الذاكرة جمعية بيروت السرية التى انشئت فى عام ١٨٧٥ . (١).

ردهب آخر ، بعد أن قرر أن فى الامكان القول بحق ان بذور الحركة الانفصالية العربية بدأت تنبعث كرد فعل على القومية التركية ابتداء من عام ١٩٠٩ ، الى أن « الفتاة » كانت تسمى عند انشائها فى عام ١٩٠٩ « جمعية الناطقين بالضاد » ، ولم تحمل اسمها الجديد الا فى عام ١٩١١ . وأن غرضها هو الحصول سياسيا على استقلال العرب داخل اطار الدولة العثمانية على نسق شكل دولة النمسا والمجر ورفع الأمـــة العربية الى مستوى التقدم الاجتماعى والتربوى فى الأمم الغربية (٢) .

وعقدت الجمعية عام ١٩١٣ فى باريس مؤتمرا اســتمر ستة أيام حضره أربعة وعشرون مندوبا يمثلون البـــلاد العربية منهم أحـــد عشر مسيحيا . وكان من بين ممثلى العراق توفيق السويدى الذى أصبح رئيسا للوزارة العراقية فيما بعد . وقد أبدى المؤتمر رغبته فى أن تظل البلاد العربية فى نطاق الدولة العثمانية بشرط أن تنال البلاد العربية حقها فى الحكم الذاتى ، وشدد المؤتمرون على أهمية منع الدول الاوروبية من التدخل فى هذه المسألة ، وعلى أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، وعلى انشـــاء ادارة لا مركزية فى كل ولاية عربية ، وعلى عد هذه القرارات برنامجا سياسيا للعرب .

وفى نفس العام نقل مركز الجمعية الى سوريا ووصل عدد أعضائها الى ألفين من بينهم شكرى القوتلى رئيس الجمهورية الســورية فيما بعد وتوفيق الناطور ، لبنانى أعدم فيما بعد والملك فيصل الأول الذى انضم الى الجمعية عام ١٩١٧ ، ويس الهاشمى (عراقى) . ثم انضم اليها عام

---

(١) أنطونيوس ، ص ١١١ . ويجـدر بنا أن نشير هنا الى أن انطونيوس يرى أن هذه الجمعية اسست فى عام ١٩١١ .

(٢) زين ، ص ٧٧ — ٨١ .

١٩١٨ رضا الركابى وابراهيم هنانو (سوريان) ورياض الصلح ورضا الصلح (لبنانيان) ٠ (١)

حزب اللامركزية العثمانى ١٩١٢ :

وفى عام ١٩١٢ أسس فى القاهرة حزب « اللامركزية » الادارية العثمانى ٠ وقد أسست له فروع فى سوريا والعراق ٠ وكان يهدف الى اقناع الدولة العلية بضرورة تطبيق اللامركزية فى حكم الأقطار العربية وتوجيه الرأى العربى الى المطالبة بذلك « وقد ظهر الحزب لأول مرة جريئا ووقف وجها لوجه أمام الاتحاديين ، فجاء فى المادة الثالثة من منهاجه : « ليس هذا الحزب خفيا وليس فيه ما يعد من الأسرار فهو ينشر مقصده المبنى على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرا وعلانية دون الخشية من أحد لاعتقاده يقينا أن الدولة لا تبقى فى العالم السياسى الا اذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الادارية » (٢) ٠

وقد جاء فى هذا القانون ما يدل على احكام نظامه الحزبى ، وعهد بادارته الى لجنة قوية من عشرين عضوا يقيمون فى مصر ولجنة تنفيذية من ستة أعضاء كما نظمت العلاقة الوثيقة بين فروعه المختلفة وغيره من الجمعيات السياسية العربية ، وخاصة مع « المنتدى الأدبى » فى القسطنطينية ، ولم يكد ينقضى عام حتى أصبحت هيئة « حزب اللامركزية » افضل الهيئات التى تنطق بلسان التطلعات العربية نظاما واعظمها تمثيلا لها : وأهمية

---

(١) يقرر بعض مؤرخى الوحدة العربية انه « لما بدا الترك يبدون نياتهم التركية نحو العرب أخلت تنشأ جمعيات سرية عربية عسكرية وغير عسكرية مثل الجمعية القحطانية وجمعية العهد وجمعية العربية الفتاة ٠٠ وقد كان قيامها ظاهرة بارزة تتم أكثر مما سبقتها على ذلك الشعور، حيث كانت تهدف الى قيام كيان عربى قومى يضم جميع بلاد العرب ، ويكون له استقلال ذاتى تحت السلطان العثمانى المشترك ٠٠ ثم تطورت الى الانفصال عن الدولة العثمانية حينما اشتد تهجم الترك ضد العرب »

محمد عزة دروزه ، (الوحدة العربية) ص ١١٨ ، ويراجع حافظ وهبه « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٥٣ — ٤ ٠

ويضيف انطونيوس ؛ ص ١١١ ؛ بعد أن أشار الى أن انشاء هذه الجمعية يذكرنا بجمعية بيروت السرية التى أنشئت سنة ١٨٧٥ أن الفرق بينهما أن زمام المبادرة قد صبح الآن بيد المسلمين ، وكانت أهداف الجمعية السعى لاستقلال البلاد العربية » ٠

(٢) شريف ص ٢٠٠ ، ولويلييه ص ٤٧ ؛ وانطونيوس ص ١١٣ ٠

هذه الجمعية فى تاريخ الحركة العربية أنها كانت أول محاولة فى ارساء قواعد علمية للجهد المنظم • (١)

لجنة الاصلاح : بيروت ١٩١٢ :

وفى الأيام الأخيرة من عام ١٩١٢ أسست فى بيروت « لجنة الاصلاح ». فلم تمانع السلطات التركية فى عقد جلسات هـــذه الجمعية بدار المجلس البلدى • وقد تضمن برنامجها « ان اللغة العربية تعتبر اللغة الرسمية فى جميع المعاملات داخل الولاية وتعتبر أيضا لغة رسمية كاللغة التركية فى مجلس الاعيان » •

وقد عقدت هذه الجمعية التى كانت تضم ستة وثمانين عضـــوا من جميع الاديان والملل أول اجتماع عام لها فى يناير عام ١٩١٣ ، وطالبوا بحكومة دستورية عثمانية على أن تترك الشئون المحلية العربية لمجلس عام للولاية ، فأجابت الحكومة التركية على ذلك بحل اللجنة (٢) •

وأسست فى البصرة لجنـــة اصـــــلاح أخرى تتفق فى برنامجها مع باقى الجمعيات العربية • وعقدت الاجتماعات العربية العامة بدعوة من هذه اللجان فى دمشق وحلب وعكا ونابلس وبغداد والبصرة ، ونادت بالتخلى عن تجنيد العرب للخدمة بالجيش التركى فى زمن السلم خارج ولايتهم ، ونجد فى برنامج هذه اللجان صـــــدى لمطالب جمعية بيروت السرية التى انشئت فى عام ١٨٧٥ والتى سبقت الاشارة اليها •

جمعية العهد : ١٩١٢ ــ ١٩١٤ :

ولما اوقفت « الجمعية القحطانية » نشاطها أسس عزيز على المصرى فى مستهل عام ١٩١٤ « جمعية العهد » مســـتفيدا من تجارب عمله مع الجمعية الأولى • وكانت خطته أن تقتصر عضويتها على ضباط الجيش ولو ان برنامجها كان مشابها لبرنامج الاولى • ولم ينضم من المدنيين اليها الا اثنان أحدهما عادل أرسلان وكان من مؤسسى الجمعية الاولى • ولما كان العنصر العراقى هو العنصر العربى الغالب فى الجيش التركى ، فقد كانت غالبية الاعضاء منهم ، وأسس لها فرعان احدهما فى بغـداد والآخر فى

---

(١) نطونيوس ، ص ١٠٩ ، والخورى ص ١٢٤ ، وحافظ وهبه ، ص ١٥٣ .
(٢) زين ، ص ٨٦ ، وانطونيوس ص ١١٣ ــ ٤

الموصل . وأصبحت « العهد » رابطة للضباط كما أصبحت « الجمعية العربية الفتاة » من قبل رابطة للمدنيين . ورغم ان كلا منهما لم يكن على علم بنشاط الاخرى نظرا للسرية الشديدة التى كانت تراعيها كلتاهما فان كلا منهما كانت تكمل نشاط الاخرى حتى عام ١٩١٥ عندما نشأت صلة بينهما فى دمشق وجمعتا مواردهما للقيام بالثورة العربية (١) .

وقد أشار البعض الى أن هدف « العهد » كان استقلال البلاد العربية على أن تظل مرتبطة برباط اتحادى مع حكومة الاستانة ، وأن الجمعية تدرجت الى الدعوة للاستقلال الكلى بعد سنة ١٩١٦ وكان لاعضائها دور فى الحركات الاستقلالية التالية (٢) .

وأسست فى العراق جمعية وطنية اتخذت بغداد مقرا لها وكان هدفها طرد الاتراك وانشاء حكومة مستقلة . وقد ضمت هذه الجمعية أكثر من مائة من ضباط الجيش وعددا كبيرا من الاعيان العراقيين كان من بينهم حمدى الباجچى رئيس الوزارة العراقية فيما بعد .

وفى مارس عام ١٩١٣ عقد العرب فى العراق الاسفل وفى الاراضى المجاورة له مؤتمرا فى المحمرة لتنظيم العمل على استقلال العراق والاراضى العربية الخاضعة للحكم التركى .

وقد سبق أن أشرنا الى انه فى نوفمبر من ذلك العام اتصل زعماء هذه الحركة العربية العراقية بالأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، الذى كان قد بسط سيادته على نجد ، فأبدى عطفه على هذه الحركة وتأييده لها ، ولكنه أوضح خشيته من خصمه التقليدى الذى كان مواليا للحكومة التركية أمير جبل شمر .

وقد تبينت الحكومة التركية خطورة هذا الوعى العربى ، فحاولت أن تفت فى عضد زعمائه من السوريين والعراقيين باغرائهم بقبول وظائف سياسية هامة ، ولكن رغم ضعف بعض أولئك الزعماء أمام ذلك الاغراء فان الامناء على الحركة العربية ظلوا يتابعون جهودهم الموفقة ، وكان اعضاء « جمعية العهد » قد زاد عددهم حتى قيل ان هذا العدد وصل الى أربعة آلاف .

---

(١) انطونيوس ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ ، و « لويلبيه » ، ص ١٢٤ .

(٢) الدورى ، ص ٧٧ ، ووهبه ، ص ١٥٣ ، وأحمد طربين «الوحدة العربية» ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٩ ، ص ٤٦ ، ١١١ .

وفى يناير عام ١٩١٤ قبضت الحكومة التركية على عزيز على المصرى فى الاستانة واتهمته بانه حاول انشاء دولة عربية فى شمال افريقيا ، وبأن الايطاليين رشوه أثناء الحرب الطرابلسية عام ١٩١١ · وحكم عليه بالاعدام ولكنه أفرج عنه ·

وفى رأى البعض أن العرب « الفيديراليين » كانوا متـــأثرين فى اختيارهم للنمط النمسوى ـ المجرى بالمصــلحة العربية الخاصة وبروح الاسلام العالمية (١) ·

ولكن مستشرقا كان يرى أن برنامج العرب الوطنى قد وضع قبل الحرب العالمية الاولى بعشر ســـنوات كاملة وكان يتضـــمن انشاء اتحاد فيديرالى » بين البلاد العربية وعودة الخلافة الى الأرض العربية التى نشأت فيهـــا واستعادة دمشق وبغداد لمجدهما القديم (٢) · أى أنه عد تظاهر العرب بالمطالبة بانشاء اتحاد عربى ـ تركى مناورة سياسية وان حقيقة البرنامج الوطنى العربى هو انشاء اتحاد « فيديرالى » عربى ·

وباستعراض نشاط جمعية « الاخاء » وغيرها من الجمعيات المماثلة التى سنعود اليها فى هذا الفصل نجد أنفسنا أمام هيئات دولية من الطراز الذى يصفه « سيل » بأنه مكون دائما من مواطنى دول مختلفة ولكنها تندرج تحت اسم « هيئات تزاول نشاطا منفصـــلا عن نشاط الدول » لتحقيق أغراض خاصة بها دون أن تلجأ الى نشــــاط الحكومات ودون أن تستعين بممثلى هذه الدول التى ينتمى اليها هؤلاء المواطنون · بل ان التضامن بين أعضاء هذه الهيئات الذى يتخذ أساسا لعملها يتجه الى التخلص من القيود التى تفرضها حكومات الدول والى استبعاد تدخل الحكام والممثلين الدوليين فى أعمالها (٣) ·

وقد أشرنا ونعود الآن الى الاشارة الى أن أعضاء هذه الهيئات العربية، التى كانت تباشر نشاطا منفصلا عن نشاط الدول ، من مواطنى عدة أقطار عربية مختلفة كانت تابعة اذ ذاك للامبراطورية العثمانية وأصبحت الآن دولا مستقلة ·

ومن سمات هذه الجمعيات التى كانت تستهدف الوحدة العربية ـ أن أعضاءها كانوا لا يحسبون حسابا ـ كرعايا عثمانيين ـ للصلة التى كانت تربطهم بالامبراطورية العثمانية وهى صلة الجنسية ، باعتبار ان

(١) صعب ، ص ٢٧٠ ·

(٢) « كون » تاريخ القومية ، ص ٢٧٩ ·

(٣) باريس ، ١٩٣٢ ، ج ١ ، ص ٥٨ ·
George Scelle : Précis de Droit des Gens, 1ère partie, Sirey.

هده الدولة التى ينتمون اليها لا تأبه بالأهداف التى يعملون لها · ولذلك تتولى ادارة هذه التكتلات هيئات تزاول عمل الحكومات وممثلون يستمدون سلطتهم من نفس الهيئات التى تباشر نشاطا منفصلا عن نشاط الدولة عملها بطريقة مستقلة لا دخل لغيرها فيها لأن القانون الذى يحكمها والمبادىء الاجتماعية الأساسية التى تنبثق منها مستقلة عن النظم القانونية التى تقوم عليها الدولة (١) العثمانية فى حالتنا · والقانون المنفصل عن قوانين الدولة droit extra-étatique الذى تخضع له هذه الهيئات فى هذه الحالة هو قانون انشأ نفسه فى مجال اقتحم على أرض الامبراطورية العثمانية التى ينتمى اليها أعضاء هذه الهيئات التى تستهدف الوحدة العربية باعتبارهم من مواطنى هذه الامبراطورية ·

ان اسهام الهيئات العربية التى كانت تزاول نشاطا منفصلا عن نشاط الدولة عظيم فى تاريخ العروبة السياسى وله أهمية خاصة · وقد ابرز مؤرخ فرنسى معاصر هذه الاهمية وأضاف أن أحد الذين أسهموا فى تلك الحركة العربية قد ذكر أنه فى ذلك الوقت كانت تقاوم كل حركة وطنية وكل فكرة حرة ، كنا نجلس على مقاعد المدرسة تفيض نفوسنا تحمسا لاستعادة مجد العرب ولغتهم ، وفى أركان البيوت وعلى قمم الجبال كنا نجتمع سرا لنعيد دراسة تاريخ الوطن العربى وكبار قادته وعظماء شعرائه وضرورة التكتل وراء ايمان وطنى (٢) ·

وقد أوجز بعض الباحثين نشاط هذه الهيئات العربية التى باشرت مهامها خارج نطاق الدولة العثمانية التى كان ينتمى أعضاؤها الى جنسيتها سياسيا ودون أى اعتبار لأية تفرقة جغرافية بين قطر عربى وأى قطر عربى آخر من الأقطار التى ينتمى اليها أعضاء هذه الهيئات تاريخيا وروحيا وثقافيا فقرروا أن القادة العرب فقدوا ثقتهم فى رجال « تركية الفتاة » بسبب تشيعهم لفكرة الوحدة التركية ولاتجاهاتهم غير الدينية · وفى مقابل ما اتسمت به حركة « تركية الفتاة » من طابع « وطنى » تركى رد العرب معارضين بقوميتهم العربية التى تمثلت فى انشا الجمعيات والمنظمات والتجمعات التى تستهدف الدفاع عن القضية العربية وعن حقوق العرب · (٣)

(١) المرجع السابق — ص ٢٨٨ ·

(٢) Jacques Berque : Les Arabes d'hier à demain, éditions du Seuil. باريس ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢٨.

(٣) « فلورى » و « مانتران » ، ص ٧١ ·

الفصل الثالث

المرحلة العرقية للحركة العربية

أساس المرحلة الثانية للقومية العربية :

لوحظ على برامج الجمعيات العربية المختلفة التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق أنها مستوحاة من ماضى العرب المجيد فى عهد الخلفاء · ولكن تبين فى الزمن الذى أنشئت فيه هذه الجمعيات أنها برامج طموح قد لا يتيسر تحقيقها عمليا · فانها لم تهتم بالتوازن بين الدول العظمى الذى كانت تحرص هذه الدول على تحقيقه ، ولا بمنافســـات هذه الدول على اقتسام الشرق ولا بالامكانيات المحدودة المتوفرة حتى لدى أشـــد دعاة الاصـــلاح جرأة فى هذا الشرق ، فان محمد على ، الذى أراد أن ينشىء امبراطورية عربية ، سرعان ما اصطدم بمعارضة أوروبا · وقد تكرر ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الاولى · اذ تبين واضعو برنامج احياء « الوطن العربى » ـ من سوريين وعراقيين وحجازيين ـ أنه يجب ، قبل كل شىء ، ـ فى سبيل مصلحة الاســـلام ومصلحة الأمة العربية ـ فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية وانشاء امبراطورية عربية تمتد من الدجلة والفرات الى خليج الســويس ومن البحر الأبيض المتوســط الى بحــر عمان (١) ·

---

(١) « لوجول » ، ص ١٧٥ .

كما أن مما يلاحظه الباحث فى تاريخ الحركة العربية أن التمرد لانتزاع الاستقلال قد انتهى الى العمل وفق برنامج أكثر طموحا بمراحل عن البرامج السابقة ، فقد توثقت الصلة بين الوطنيين العرب فى تركيا والوطنيين فى مصر وشمال افريقيا الذى كان قد سيطرت عليه فرنسا . فأخذت القومية العربية نرفع صوتها بما كانت تردده همسا من قبل وهو المناداة بانشاء امبراطورية عربية كبيرة تمتد عبر افريقيا من المحيط الاطلسى الى المحيط الهندى وتضم آسيا العربية ، وبهذا الشكل دخلت القومية العربية مرحلتها الثانية : المرحلة العرقية (١) .

وقد حلل كاتب عربى أساس هذه المرحلة الثانية فذهب الى أن الشعوب التى تقطن الارض الممتدة من ايران الى البحر الابيض المتوسط ومن جبال طوروس الى المحيط الهندى تنتمى جميعها تقريبا الى الجنس السامى ، وفروع الشجرة السامية التى تترابط الى حد أنه ليس من المتيسر فصلها . وقد وضع جميع الذين من سلالة الجنس السامى معا كل أمجادهم وقواهم وذكرياتهم لكى يكونوا تراثا مشتركا حول هذه اللغة التى نطقوا بها جميعا وهم بعد فى أحضان أمهاتهم وذلك دون أن يشعر فرع من تلك الفروع أنه قدم تضحية ما أو أنكر تقليدا من تقاليد الفرع الذى ينتمى اليه . وهذا التكتل للقوى المشتتة ليس عمل فرد أو مجموعة معينة وانما هى انطلاقة مندفعة لا تلوى على شىء ولا يعرف سرها . انها جهد متصل قامت به أجيال عديدة فى قرون عديدة . انها واقع روح مشتركة يمكن أن نعرف كنهها بما وصفت هى نفسها به : الروح العربية (٢) .

الروح العزبية فى المغرب :

أما بشأن المغرب العربى فقد ركز المتوفرون على دراسة أوضاعه الاجتماعية — السياسية على أن الاستعمار قد عمل جاهدا على التفرقة بين عرب المشرق وعرب المغرب ولكن هذه التفرقة تفرقة مصطنعة بل يمكن القول انها ضد الطبيعة . فالواقع أن الحدود الجغرافية الادارية بين مختلف أقطار المشرق والمغرب كانت مفروضة فرضا . كما أن الجهود قد بذلت لاذكاء الخلافات بين القبائل والجماعات العرقية . ولاثارة

(١) « ستودارد » ، ص ١٥٧ — ٨ .
(٢) خير الله : نفس المرجع ، ص ١٥ .

المصادمات بينها ٠ وفى معظم الأحيان للتحريض عليها ٠ ومع ذلك بقيت الحضـــارة العربية ٠ واللغة العربية أساسين مشتركين لتعريف هؤلاء العرب جميعا ، وبقى الامتزاج العرقى السريع عاملا من عوامل الاندماج بينهم ، كما بقى الاسلام ٠ دينهم الواحد الذى لا يفرق بين عرب المشرق وعرب المغرب (١) ٠

ولا يمكن التحدث عن المرحلة العرقية للقومية العربية دون التوقف أمام المجاهدين الوطنيين المغاربة الذين عملوا لاستخلاص اســتقلالهم من فرنسا ٠ مثل (اللجنة الجزائرية التونسية لتحرير المغرب العربى) بتونس عام ١٩١٢ ٠ ومجلة « المغرب » التى أنشأها محمـــد باش همبا التونسى الشاب وأحد زعماء هذه الحركة المغربية الوطنية فى جنيف عام ١٩١٦ ٠ فقد جاء فى طلبات أولئك الوطنيين العرب المغـــاربة التى نشرتها مجلة « المغرب » فى يوليو عام ١٩١٦ : « اننا نطالب بدســتور يؤكد احترام الانسان ويحمى أموال الجزائريين والتونسيين وأحوالهم الشـــخصية ٠ ولغتهم » ٠

أما بشـــأن التعليم فقد طالبت هذه الجمـــاعة بأن « يكون التعليم الابتدائى الزاميا لاطفالنا بلغتنا » ٠

وقد تكررت شـــكاوى الوطنيين المغاربة ٠ وترددت أصداؤها على صفحات مجلة « المغرب » مركزة على ما سموه « الاساءة المتعمدة الى اللغة العربية » ٠ فان اللغة كانت تمثل بالنسبة لهؤلاء المجاهدين الوطنيين عاملا مركزيا للصراع ضد جهود الاستعمار لادماج المغرب فى الثقافة الفرنسية ، وتجدر هنا الاشـــارة الى أنه فى نفس العام الذى أنشئت فيه « اللجنة الجزائرية ــ التونسية » ، أى عام ١٩١٢ ، انشئت « جمعية الطلبة المسلمين فى شمال افريقيا A.E.M.A.N. بالجزائر ، وهى الجمعية التى خلفتها « جمعية الطلبة المســـلمين من شـــمال افريقيا » بفرنســـا A.E.M.N.A.F. فى عام ١٩٢٧ وهو نفس العام الذى انشئت فيه جماعة « نجم شـــمال افريقيا » ٠

وكانت « جمعية الطلبة المسلمين من شمال افريقيا بفرنسا » فى ذلك الوقت الجماعة الطلابية الوحيدة المنظمة ٠ واتخذ أعضاؤها مواقف بشأن المشاكل المحدودة الخاصة بتعليم اللغة العربية وتاريخ شـــمال افريقيا

(١) R. Le Tourneau : Tendances unitaires du Maghreb jusqu'en 1962, aperçu historique, C.N.R.S. باريس ؛ ١٩٧٢ ، ص ٢٢

وتدريب المدرسين الذين تحتاج اليهم برامج ذلك التعليم ٠ وبشأن مشكلة أهم وهى مشكلة توحيد نظم التعليم فى شمال أفريقيا ٠ (١)

أما بشأن توحيد هذه النظم فقد قرر أعضاء « جمعية الطلبة المسلمين من شمال أفريقيا » فى مؤتمرهم الخامس المنعقد بتلمسان عام ١٩٣٥ : « ان هذه الاجراءات لا ترمى الى انشاء وحدة مصطنعة ٠ كلا ! اننا ــ بالعكس ــ نهدف الى احياء وحدة قديمة سجلها التاريخ وهو شاهد عليها ٠ ان توحيد نظم التعليم يجب ان يكفل خلق الوعى بالوحدة الوطنية لشمال افريقيا ٠ وهى الوحدة التى ترتكز على أســـاس من عقلية واحدة ودين واحد ٠ وعواطف مشتركة » ٠

مراسلات كيتشنر ــ مكماهون ــ حسين
والامــة العــربية ١٩١٥ ــ ١٩١٦ :

ومنذ فبراير عام ١٩١٤ كان كتشـــنر وسكرتيره الشرقى رونالد ستورز قد تبادلا مراسلات مع الشريف حسين حاكم مكة الذى كان قد بدأ سخطه على نظام المركزية فى الحكومة العثمانية وعلى تبعيته للوالى التركى الذى كانت تعينه حكومة الاستانة ٠ ولذلك وجد من الحكمة أن يســتعين بالبريطانيين فى مصر للتحرر من السيادة العثمانية ٠ (٢)

وكان المفاوضون البريطانيون حذرين أثناء المفاوضات طالما كانت تركيا متخذة موقف الحياد الا انهم فى أكتوبر عام ١٩١٤ أقروا فكرة تحرير العرب كما أقروا فكرة « الامة العربية » فى مقابل مساعدة العرب لهم ضد تركيا ٠ وفى نفس الوقت اتصل ستورز وجلبرت كليتون ــ من المخابرات البريطانية ــ بعزيز المصرى وبآخرين لدراســـة احتمالات القيام بثـورة عربية ، ولكن هؤلاء الوطنيين صمموا كشرط أول رئيسى على الحصول على ضمانات بشأن اســتقلال الاقطار العربية ، وهو أمر لم يكن المفاوضون البريطانيون يملكون سلطة البت فيه ٠

(١) Noureddine Sraieb : Politiques culturelles nationales et unité maghrébine, C.N.R.S., باريس ، ١٩٧٢ ؛ ص ١١٠ ــ ١١١ ٠
وقد أوضح الباحث ان مجلة « المغرب » كانت تعنى بأن تنشر تحت عنوانها أسماء هذه الاقطار : الجزائر ، تونس ، مراكش ، طرابلس ٠

(٢) George Kirk : A Short History of the Middle East, Mathuen. لندن ، ١٩٥٢ ؛ ص ١٢٥ ذكر أن عبد الله وفيصلا أبناء الشريف حسين لم يقرأ والدهما على الاعتماد على الافرنج ــ أى أعداء تركيا فى الحرب العالمية الأولى ــ ولا على مجاهرة الأتراك قبل الأوان بالعداء ٠

وفي يناير حمل عضو من أسرة البكرى في دمشق ، كانت قد كلفته السلطات الرسمية التركية بمهمة في مكة ، رسالة من الجمعية العربية الفتاة الى الشريف حسين تطلب منه التعاون معها في القيام بثورة عربية · وبناء على ذلك ارسل الشريف ابنه فيصلا الى الاستانة متظاهرا بمهمة رسمية ، ولكنه كان في الحقيقة موفدا لدراسة مدى استعداد السلطات التركية والوطنيين السوريين · وقد زار فيصل اثناء رحلته أسرة البكرى في دمشق وقابل أعضاء من جمعيتى « العربية الفتاة » و « العهد » وصارحهم بمحادثات أبيه مع البريطانيين · وعند عودته الى دمشق في مايو من ذلك العام تبين أن تينك الجمعيتين السريتين قد أعدتا ميثاقا مشتركا يشترط للقيام بثورة عربية ضد الحكومة التركية أن تعترف بريطانيا باستقلال الدولة العربية التى تضم شبه الجزيرة ـ ماعدا عدن ـ كما تضم فلسطين وسوريا والعراق · وفي يوليو ـ بعد أن أعلنت بريطانيا عزمها على الاعتراف باستقلال الدولة العربية في شبه الجزيرة ـ أرسل الشريف حسين الى سير هنرى ماكماهون ـ المندوب السامي البريطاني في مصر ـ مذكرة كرر فيها ما تضمنه ميثاق دمشق الذى حمله معه الامير فيصل · وكان المكتب العربي ، الذى أنشأه البريطانيون في القاهرة ، حتى ذلك الوقت لا يكاد يعلم شيئا عن وجود تينك الجمعيتين العربيتين السريتين اللتين أعدتا ذلك الميثاق ، ولذلك خيل الى البريطانيين ان طلبات الشريف حسين الخاصة بانشاء دولة عربية كبرى انما كانت من وحى أطماعه الشخصية ، بينما الحقيقة أن تلك الطلبات انما كانت تمثل وجهات نظر الحركة الوطنية العربية ، باستثناء الوطنيين السوريين الذين لم يكونوا مجمعين على قبول حسين ملكا للعالم العربي ·

وفي نفس الوقت اشتدت سياسة جمال باشا الحاكم التركي والقائد العام في ظل الحكم العرفي بسوريا ضد العرب بعد خيبة الهجوم التركي الالماني الاول على قناة السويس في فبراير عام ١٩١٥ · وكان قد استطاع أن يعثر على وثائق قنصلية فرنسية استدل منها على تآمر شخصيات سورية وفلسطينية عديدة على حكومته التركية ، وهي الوثائق التى لم يستطيع « بيكو » القنصل الفرنسي العام أن يتلفها بل تركها في عهدة القنصل الامريكي فوقعت في أيدى الاتراك · وقد أجرى جمال باشا خلال عام ١٩١٥ ومستهل عام ١٩١٦ عدة محاكمات ضد أربعة وثلاثين من الوطنيين العرب مسيحيين ومسلمين قضى عليهم بالاعدام · (١)

(١) كيرك ، ص ١٩٥ ـ ٦ ·

الثورة العربية ١٩١٦ :

وفى ٥ من يونيو عام ١٩١٦ بدأت الثورة العربية التى قرر أحد كبار القادة البريطانيين عنها « ان فائدتها للقائد البريطانى كانت عظيمة اذ انها أرغمت السلطات التركية على ارسال امدادات ومواد تموين عظيمة الى الحجاز وحمت الجناح الأيمن من الجيوش البريطانية اثناء تقدمها فى فلسطين ، كما أنها وضعت حدا للدعاية الألمانية فى جنوب الجزيرة العربية وقضت على كل خطر قد ينجم من انشاء قاعدة غواصات ألمانية فى البحر الأحمر • وهى خدمات هامة تساوى المساعدات المالية والمؤن الحربية التى أعطيت للقوات العربية » (١) •

وقد نشرت احدى المجلات الفرنسية الكبرى رسالة فى أول أغسطس ١٩١٦ جاءتها من بيروت وصف فيها كاتبها العربى تطور الشعور الوطنى العربى اذ قرر أنه « ليست هناك حدود تفصل بين سوريا والعراق ولا أى فارق فى الجنس وانما هناك أمة عربية واحدة • وقد تختلف العقائد الدينية ولكن هذا الاختلاف ــ اذا لم يلق تحريضا من الحكام الترك ــ لا يثير أى احتكاك أو صراع ••• يوما ما سنهب تؤيدنا القوى العظيمة المستكينة فى سهول الجزيرة العربية الوسطى تتحرق شوقا الى اليوم الذى تستيقظ فيه الامبراطورية العربية » (٢) •

وفى ابريل ــ مايو ١٩١٦ وقعت انجلترا وفرنسا الاتفاقية التى عرفت باسم « سايكس ــ بيكو » والتى ظلت سرا حتى نشرتها الحكومة البولشفية فى ٢١ من فبراير ١٩١٨ • وقد نصت المادة الأولى منها على أن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى فى المنطقتين (أ) (داخلية سوريا) و (ب) (داخلية العراق) • وقد حددتا على خريطة ملحقة بالمعاهدة ويكون لفرنسا فى منطقة (أ) ولانجلترا فى منطقة (ب) حق الأولوية فى المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا فى المنطقة (أ) وانجلترا فى منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية • ونصت المادة الثانية على أنه يباح لفرنسا فى المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ولانجلترا فى المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية

---

(١) لورد ويفيل : حملة فلسطين ، ص ٥٦ •

(٢) « كون » ، تاريخ القومية ، ص ٢٨٢ •

من بغداد حتى الخليج العربى) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية (١)٠

ولم يفت المؤرخين الأجانب الذين توفروا على دراسة هذه المرحلة من مراحل تطور القومية العربية أن يلاحظوا أن الانجليز عندما دخلوا بغداد فى عام ١٩١٧ قد علقوا بيانا كرروا فيه : « يا شعب بغداد تذكر انك خلال ستة وعشرين جيلا قد عانيت حكم أجانب طغاة حاولوا دائما أن يحرضوا فريقا عربيا على فريق آخر لكى يستفيدوا من فرقتكم ، ولذلك كلفت بأن أدعوكم الى أن تسهموا بواسطة اشرافكم وكبار السن منكم وممثليكم فى تسوية شئونكم المدنية بالتعاون مع ممثلى بريطانيا العظمى الذين يرافقون الجيش لكى يتحدوا مع أهلكم فى الشمال والشرق والجنوب والغرب فى تحقيق تطلعات الجنس الذى ينتمون اليه » ! (٢) ٠

المذكرة الفرنسية ـ البريطانية ، ١٩١٨ والجنس العربى :

وفى ٤ من يناير عام ١٩١٨ أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى « الكوماندور هوجارت » أحد رجال المكتب العربى بالقاهرة أن يسلم الى الملك حسين ملك الحجاز رسالة تؤكد أن وعد بلفور لا يتعارض مع الوعود السابقة المعطاة للعرب (٣) ٠

وقد قرر المؤرخون البريطانيون المحدثون ان الثورة العربية اذا كانت لم تنجح ببعض الولايات العربية فى اثارة المدنيين فان ذلك يعود فى سوريا الى بطش الحكم التركى ويعود فى العراق الى أن السلطات العسكرية الهندية تعمدت أن تقلل من أهمية الانباء التى كانت ترد عن نجاح تلك الثورة لكى لا تشجع فكرة الاستقلال بين الشعب العربى العراقى ٠ اذ ان السلطات البريطانية فى الهند ـ متأثرة بفكرة ضم العراق الأسفل الى بريطانيا ـ كانت تنظر الى سياسة المكتب العربى بالقاهرة فى تشجيع استقلال العرب على أنها سياسة خيالية ، وان تأييد قيام ثورة

---

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، ص ٨٤ وقد استندت على ترجمة أمين الريحانى فى كتابه « الثورة العربية الكبرى » ، ج ١ ، ص ١٨٦ ٠

(٢) « لويلييه » ص ٥٤ ، و « كون » ، تاريخ القومية ، ص ٢٨٥ ٠

(٣) نصت هذه المذكرة البريطانية على « ان دول الحلفاء مصممة على أن تتاح للشعب العربى فرصة كاملة لاستعادة كيانه كأمة فى العالم وهذا لا يتيسر الا بواسطة العرب أنفسهم باتحادهم » جامعة الدول العربية الأمانة العامة ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ، ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ، ص ٧٧ ٠

عربية ضد سلطان تركيا وخليفة المسلمين قد يثير متاعب بين المسلمين الهنود الذين كانت عواطفهم متعلقة بالخلافة باعتبار أنهم لم يحسوا بأهوال الحكم التركي . وقد وصف نائب الملك في الهند الثورة العربية بأنها مفاجأة غير سارة قد تكون خيبتها أقل ضررا لنا من تدخلنا العسكري لمعاونتها ... وقد قرر ليمان فون ساندرز قائد الجيش الألماني أنه بعد موقعة غزة الثالثة وجدت القوات البريطانية نفسها وهي تتقدم نحو القدس بين شعب صديق بينما واجه الأتراك شعبا امتلأ كراهية لهم ... ولكن مهما كانت المقاييس التي تقاس بها فائدة الثورة العربية كعملية حربية فان أهميتها التي تبدو في اثارة آمال العرب السياسية لا يمكن انكارها ، وآثار ذلك قد بدت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى مباشرة . (١)

ولم يلبث أن شهد الشرق العربي عقب الحرب العالمية الأولى يقظة عامة تبين زعماؤها أن العبارات الشاعرية التي رددها الحلفاء أثناء الحرب تمخضت عن روح استعمارية آثمة لا تتفق اطلاقا مع ما استقر عليه الوعي العربي من عزم على التحرر والتكتل . ولقد حاول أحد كبار المؤرخين البريطانيين بعد ان اعترف ان الوطنيين في الشرق العربي قد استطاعوا عقب عام ١٩١٨ أن ينالوا امتيازات عظيمة بواسطة الضغط والعنف أكثر مما كان يحتمل أن ينالوه بواسطة المناقشات التي تستند الى العقل والحكمة حاول أن يقرر أن الرأى العام البريطاني كانت قد ظهرت فيه اتجاهات تقر مطالب أولئك الوطنيين . ثم انتهى الى ان أولئك الوطنيين يعزون نجاحهم الى استعمال العنف وحده وان ذلك النجاح شجعهم على المضي فيه . (٢)

وقد تبلورت الآراء في هذه المرحلة من تاريخ الحركة العربية في أعقاب الحرب العالمية الأولى بشأن شكل الوحدة العربية ، فرأى الحزب السوري المعتدل في يوليو عام ١٩١٨ بالقاهرة انشاء ولايات متحدة عربية مكونة من ولايات مستقلة في شئونها الداخلية ومتحدة تحت حكومة برلمانية مركزية علمانية . ورأى حزب الاتحاد السوري في ديسمبر من نفس العام بالقاهرة انشاء دولة غير مركزية تضم الجزيرة العربية وسوريا والعراق على نسق الولايات المتحدة الأمريكية . (٣)

---

(١) كيرك ، نفس المرجع ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .
(٢) « توينبي » : العالم الاسلامي منذ مؤتمر الصلح .
(٣) صعب ، ص ٢٤٧ .

وفى أول يناير ١٩١٩ وجه الأمير فيصل ـ الذى كان يرأس الوفد الحجازى الى مؤتمر الصلح بباريس ـ رسـالة الى المجلس الأعلى لهـذا المؤتمر جاء فيها : ان كل البلاد التى تقع جنوب خط الاسكندرونه ـ ايران حتى المحيط الهندى يقطنها العرب ، ونقصد بالعرب الشعوب السامية التى تربط بينها صـلات وثيقة من القربى والتى تتكلم جميعها اللغـة العربية ولا تتجاوز العناصر غير العربية فى هذه المنطقة فيما نعتقد واحدا فى المائة من مجموع السكان . وهـذه الحركات الوطنية العربية ـ التى أصبح والدنا زعيمها أثناء الحرب بناء على طلب فروع هـذه الحركات فى سوريا والعراق ـ هو توحيد العرب فى كيان وطنى ... اننا نعتقد ان مثلنا الأعلى فى الوحدة العربية بآسيا له ما يبرره دون حاجة الى دليل . فاذا طلب الينا تقديم هذا الدليل فاننا سـنذكر بالمبادىء العامة التى قبلها الحلفاء عندما انضـمت الولايات المتحدة اليهم وبماضـينا المجيد وبالصراع الذى خاضه جنسنا خلال ستمائة عام لمقاومة المحاولات التركية لامتصاص شخصيتنا ، وأخيرا بالواقع الماثل فى أننا بذلنا فى هذه الحرب أقصى الجهد كحلفاء . ان وحـدة العرب فى آسيا قد تيسرت فى الأعوام الأخيرة بعد تقدم طرق السكك الحديدية والبرق والنقل الجوى اذ انه فيما سبق كان للمنطقة من الاتساع وقلة السكان فى بعض أرجائها ما تعذرت معه سرعة انتشار الآراء المشتركة . (١)

مشروع توصـيات امريكية بشـأن العـراق وسوريا وفلسـطين والحجاز ، يناير ١٩١٩ :

وفى ٢١ من يناير ١٩١٩ وضـعت ادارة المخابرات الملحقة بوفد الولايات المتحدة الأمريكية الى مؤتمر الصلح مشروعا رفعته الى الرئيس ويلسون جاءت فيه التوصية بعدم تأييد أية تسوية يمكن أن تعوق ادماج العراق فى اتحاد « كونفديرالى » لدول عربية اذا اتضحت رغبـة العراق فى ذلك . وأنه لا يجوز أن يتخذ أى اجراء فى المستقبل لمنع التطور نحو انشاء ذلك الاتحاد « الكونفيديرالى » العربى . اما بشأن سوريا فقد أوصى بوجوب ازالة كل عقبة تحول دون ادماج الدولة السورية فى اتحاد « كونفيديرالى » عربى اذا تبين جليا الاتجـاه الى ذلك فى البلاد . ان امكان التطور فى المستقبل نحو انشاء اتحاد « كونفيديرالى » يضم كل

(١) «لوجول» ، ص ٢٠٥ و «هورويتز» جزء ٢ ص ٣٨ و «لويلبيه» ، ص ٥٥ .

الأقطار العربية التى كانت أجزاء من الامبراطورية التركية قائم فعـــلا وسوف يكون ذلك أفضل حل من وجهة نظر تحسين حالة الدول العربية وتقدمها ، وأما الحجاز فقد جاء فى هذا المشروع عنه أنه رغم أهمية ملك الحجاز السياسية فلا يجوز مساعدته فى فرض سيطرة مصطنعة ولا سند لها على قبائل لا ترغب فى قبول ســـيطرته ، وان ملك الحجاز وابناءه لا يجوز أن يتلقوا أى تأييد فى فرض هذه السيطرة على قبائل أخـرى لا تقل قوتها عن قوتهم ٠ ومع ذلك فاذا كان فى الامكان اثبات أن حركة الوحدة العربية طبيعية وحقيقية وان هذه الوحدة يمكن بناؤها بدون استخدام القوة فان هذه الحركة يجب ان تلقى التأييد والتشجيع ، ولكن هذا المشروع تضمن ــ مجاراة للاتجاهات الاستعمارية ــ مساندة المزاعم الصهيونية فى فلسطين ! (١)

الصراع الفرنسى ـ البريطـانى فى مجلس الحلفاء الأعلى ، مارس ١٩١٩ :

وفى ٢٠ من مارس ١٩١٩ عقد مجلس الحلفاء الأعلى جلسة سرية دارت فيها مناقشة عن السياستين الفرنسية والبريطانية فى الشرق العربى ، وقد ثبت فى هذه المناقشة ان لويد جورج صرح بأن عصبة الأمم لا يمكن أن تستخدم لنبذ تعهدات بريطانيا للملك حسين ، وتساءل عما اذا كانت فرنسا تنوى احتلال دمشق ، وأضاف ان ذلك لو تم يعد خرقا للمعاهدة المعقودة مع العـرب ! ولما أجاب « بيشـــون » ممثل فرنســـا أن تلك المعاهدة عقدتها انجلترا بمفردها فلم تطلع فرنســـا عليها الا قبل ذلك ببضعة أسابيع عقب لويد جورج بأن مساعدة العرب كانت جوهرية وان الجنرال اللنبى يقرر أن مساعدة العرب لا يمكن تقديرها ، وأشار الى أن فرنسا ــ بتوقيعها اتفاق عام ١٩١٦ أى اتفاق « سايكس ــ بيكو » ــ قد اقرت تعهد انجلترا نحو الملك حسين لاسباب عملية ٠ (٢)

---

(١) «ديفيد هنتر ميلر» : يومياتى فى مؤتمر باريس ، نيويورك ، ١٩٢٤ ، جزء ٤ ص ٢٥٤ ــ ٢٦٧ ٠

(٢) وثائق العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، مؤتمر باريس ١٩٤٤ ، جزء ٥ ص ١ ــ ١٤ ٠

تقرير لجنة « كنج – كرين » الامريكية
الى مؤتمر الصلح ، اغسطس ١٩١٩ :

وفى مارس ١٩١٩ – بناء على قرار مجلس الحلفاء الأعلى – شكلت لجنة تضم « هنرى كنج » و « تشارلز كرين » لدراسة الوضع فى سوريا لاقناع العالم بأن مؤتمر الصلح قد بذل أقصى جهده للوصول الى أفضل حل . وقد رفضت فرنسا وانجلترا الاشتراك فى هذه اللجنة التى اقتصرت عضويتها على الولايات المتحدة الامريكية . وقدمت اللجنة تقريرها فى ٢٨ من أغسطس ١٩١٩ الى مؤتمر الصلح وجاء فيه : لقد اتضح لهذه اللجنة أن الشعور العدائى نحو الصهيونية ليس قاصرا على فلسطين فحسب بل يشمل سكان سوريا بوجه عام ، فان ٧٢ فى المائة من مجموع العرائض التى تلقتها اللجنة فى سوريا مضادة للصهيونية ولم ينل مطلب نسبة أكثر من هذه النسبة سوى الوحدة السورية والاستقلال .

ان الرئيس ولسن فى خطبته التى ألقاها فى ٤ يوليو سنة ١٩١٨ وضع المبدأ التالى كواحد من المقاصد الاربعة الكبرى التى يحارب الحلفاء من أجلها وهو :

« حل كل مسألة ، سواء كانت تتعلق بالارض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية ، يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولا حرا لا على المصالح المادية أو لفائدة أى دولة أو أمة ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها » فاذا كان هذا المبدأ سيسود واذا كانت رغائب السكان فى فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود فى فلسطين – وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريبا – يرفضون البرنامج الصهيونى رفضا باتا . والجداول تثبت أن سكان فلسطين لم يجمعوا على شىء مثل اجماعهم على هذا الرفض . فتعرض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لاحد لها ولضغط اقتصادى اجتماعى متواصل ليسلم بلاده ، نقض شائن للمبدأ العادل الذى تقدم شرحه ، واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية . (١)

---

(١) لم ينشر هذا التقرير الا فى ٢ من ديسمبر ١٩٢٢ وقد ترجمه أمين سعيد فى كتابه « الثورة العربية الكبرى » ، ١٩٥٧ ، ج ٢ وأشار اليه « المعهد الملكى للشئون الدولية » : الشرق الاوسط ، ١٩٥٥ ، ص ٢٦ – ٢٧ الذى استند على أنطونيوس ، ص ٤٤٣ – ٥٨ ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ؛ ص ١١٨ – ١١٩ ؛

الولايات المتحدة والبلاد العربية التي تحت انتداب عصـــبة الامم ، ٢٠ مايو ١٩٢٠ :

في ١٢ من مايو ١٩٢٠ وجه « ديفيز » سفير الولايات المتحدة في لنـــدن الى « كيرزون » وزير الخارجية البريطانية مذكرة قرر فيها ان حكومة الولايات المتحدة تود ان تؤكد انه في أثناء مفاوضـــات الصـــلح بباريس التي انتهت بمعاهدة « فيرساي » قد نادت بأن مستقبل السلم في العالم يستدعي التزام مبدأ عام يقتضي بأن كل ارض أجنبية تمت حيازتها بمقتضى معاهدة الصلح مع دول وســط أوروبا يجب ان تدار بطريقة تكفل المساواة القانونية في التجارة مع كل الشعوب · وعلى أساس هذه الفكرة رأت الولايات المتحدة ابداء رغبتها في ان يطبق هذا المبدأ الذي اعترف الحلفاء اثناء مناقشة مبادىء الانتداب بعدالته وحكمته على الاراضي التركية التي وضعت تحت الانتداب ·

وقد وصف مستشرق فرنسي اشتراك الولايات المتحدة الامريكية في صراع الدول الاوروبية الاســتعمارية في الشرق العربي بأنه خلط عجيب بين المبادىء المناوئة للاســـتعمار والدفاع عن الحريات الغربية والبحث عن اسواق جديدة وتنمية الخطوط الجوية والكشف عن المـواد الخام · وانه لكي تكسب واشـــنطن صداقات وزبائن ، أوفدت بعثات ثقافية ومالية وفنية وانشأت مراكز للاعلام ، وسارعت بارسال عملاء في مهمات سرية جدا أو دبلوماســية جدا ، وكلفتهم بتشــجيع وتأييد المطالبات الوطنيــة في العالم العربي لا في الشرق فحسب بل في شمال افريقيا ايضا ، حتى لو كانت هذه المطالبات موجهة ضد انجلترا وفرنسا حليفتيها في ميثاق شمال الأطلنطي (١) ·

نهاية المرحلة العرقية للحركة العربية وتصويبها :

وهكذا يبدو ان المرحلة العرقية للحركة العربية التي ترددت فيها تعبيرات «الجنس العربي » و« الأصل السامي » و« الشجرة السامية » والتي اقتصرت على المطالبة بوحدة الأقطار العربية في آسيا أحيانا ، وعلى انشاء اتحادات «كونفيديرالية» أحيانا أخرى لاتضم الا بعض أقطار معينة من الأقطار العربية التي كانت خاضعة للحكم التركي دون أقطار أخرى وخاصة

---

(١) Bernard Simiot : Lignes de force en Moyen-Orient, Revue des Deux Mondes. باريس ؛ أكتوبر ١٩٥٦ ، ص ٤٤٧ ·

الاقطار العربية فى شمال أفريقيا متأثرة بوهم أن الوحدة أساسها عرقى فحسب ، وأن بعض هذه الاقطار العربية تنتمى الى أصول عرقية أخرى ـ هذه المرحلة سرعان ما صهرتها بوتقة الاحداث التى ستكون موضوع الفصول التالية وأهمها ما تبين للعرب من أن قوميتهم لا تستند الى عامل عرقى بقدر استنادها الى وحدة التاريخ ، ووحدة اللغة والثقافة ، ووحدة الكفاح ، ووحدة المصير ٠

ولعل التماس هذا العامل العرقى قد اقتضاه التلهف على تبرير بعث حركة عربية شاملة مع الحرص على فكرة التضامن الاسلامى كما اقتضته الاستفادة من منجزات مذهب الوحدة الاسلامية فى ارساء قواعد لمذهب الوحدة العربية ٠

ومع ذلك فان هذه المرحلة قد تركت رواسبها فى « أدب » الحركة العربية الذى أخذ يستعرض مقوماته فيما بعد مفكر عربى ، فرد عناصر القومية الى سبعة عناصر : اللغة والدين والتاريخ والارادة المشتركة والعرق والبقعة الجغرافية والمصالح الاقتصادية ، وذهب الى أن عنصر اللغة هو العنصر الأساسى فى القومية العربية ٠ وأضاف : أن هناك عناصر أساسية وعناصر ثانوية فى تكوين كل كيان قومى، غير أن تحديد هذه العناصر الأساسية وتلك العناصر الثانوية من شأن كل أمة على حدة ٠٠ واذا نحن طبقنا هذا المعيار على واقع الامة العربية وجدنا أن الاولوية التى يعبر عنها هذا الواقع ويفصح عنها ايما افصاح هى أولوية اللغة على سائر العناصر الاخرى ٠٠ وهذا لا يعنى ان العناصر الأخرى لا تلعب دورا ذا بال فى القومية العربية » (١) واستعرض آخر ـ خلال نصف قرن ـ خمسة أطوار متميزة للقومية العربية : فكرة دولة اسلامية متحدة ، والنزعات الاصلاحية التى تصاعدت تحت وطأة هزائم العثمانيين فى البلقان والشرق الاوسط ، وجواب العرب على تحدى الحركة التركية القومية التى راحت تثبت وجودها تحت راية الجامعة الطورانية بالمطالبة باللامركزية واستخدام اللغة العربية ووصف هذه الاطوار الثلاثة بالاطوار السلبية، أما الطوران الايجليان اللذان عزاهما الى «الاحتكاكات الثقافية والسياسية من بعد بالغرب » فقد ضرب مثلا على اولهما وهو الطور الرابع : عقد المؤتمر العربى الاول بباريس فى عام ١٩١٣ الذى أظهر « ان العرب

(١) عبد الله عبد الدايم ، التربية القومية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٦ ـ ٣٦ ٠

كانوا يتطلعون الى تنظيم حياتهم من جديد على قاعدة القومية » وان ندرة مطران أحد ممثلى لبنان فى ذلك المؤتمر قد ألقى خطابا جاء فيه : اذا كان الوعى العنصرى فضيلة ــ يشير بوضوح الى النظريات العنصرية التى كانت شائعة فى تلك الايام ــ فلست أعرف أمة أشد تأثرا بهذا الوعى من الامة العربية ٠ وان الطور الخامس ــ ولا شك انه يقصد الطور الذى تعيشه الفكرة الآن والذى يصفه بأنه أهمها ففيه « لم تعد القومية العربية فكرة مثقف منعزل ولا انشودة شاعر ولا حلم سياسى ٠ لقد أصبحت حركة شعبية وقوة حية فى ضمير الشعب » (١)

وذهب أحد اساتذة العلوم السياسية الاوروبيين وهو بصدد تحليل هذه المرحلة من مراحل التحول الى ان العالم العربى قد أخذ ينفصل شيئا فشيئا ويكون نفسه داخل العالم الاسلامى ، وهو فى هذا لا يسير على هدى الظاهرة العرقية فى فتوحات العرب وتوسعهم وانما على هدى عدد من العناصر القومية : عناصر الوحدة والعمل التى صاغت جماعة انسانية كما صاغت سياسة معينة ٠ فالجماعة العربية هى تلك التى تنهل من موارد ثقافة تنبثق من القاهرة ودمشق وبغداد ٠ ولقد رأى «جيب» فى التعلق باللغة العربية وآثارها الظاهرة الرئيسية التى تربط بين العرب ، وعلينا أن نعترف على أية حال بوفاء العرب لتاريخ محمد (ص) ولتاريخ الامبراطورية العربية ، والجماعة العربية ــ أخيرا ــ هى تلك التى انتقل مثقفوها من فكرة « الامة الاسلامية » ــ وهى فكرة انسانية ذات أساس دينى ــ الى فكرة الوطن الذى يضع فى الاعتبار المنطقة الجغرافية ثم فكرة القومية المرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة ارتباطها بالدين وبالتاريخ ٠ (٢)

ولقد صدرت فى انجلترا ٠ وفى الولايات المتحدة كتب ودراسات عديدة عن العرب ولكن مؤلفيها اهتموا بالعالم الاسلامى أكثر من اهتمامهم بالعالم العربى بمعنى الكلمة ٠ ومع ذلك فهناك فرق كبير بين تاريخ الشعوب العربية وحركة التطور التاريخى المتعاقبة المراحل

---

(١) نسيبه ، ص ٦٢ ــ ٦٨ ، وقد استند على عبد الله العلايلى فى كتابه « دستور العمل القومى » ، بيروت ، ١٩٤١ ٠

(٢) « لويلييه » ، ص ٧٨ ٠

للشعوب الاسلامية ، فخلف العالم العربى يوجد عامل محرك يسمى « العروبة » هناك حركة ترتكز على أساس « قومى » قبل كل شيء ٠ وليس دينيا ٠ ومن جهة أخرى ٠ يجب أن ندرك دائما ان العرب انما يمثلون فحسب سبع مجموع الشعوب الاسلامية ٠

هذا العالم العربى قد أصبح أذن عاملا من أهم العوامل فى العصر الحالى ٠ ولكن لكى تتضح جليا رؤية هذا العالم ٠ لكى ندرك كيانه الجوهرى ٠ ونتخلص من التعبيرات الغامضة التى تعوزها الدقة والتى تستخدم بصفة عامة كلما تعرض الحديث اليه يجب أن نتلمس العامل الحافز والعنصر الحاسم اللذين أتاحا ـ فى وقت قصير ـ تحقيق معجزة هذه النهضة العربية المعاصرة ٠ فهذا الضبط الدقيق لا غنى عنه حتى قبل أن نحدد أبعاد هذا العالم العربى من وجهة النظر الجغرافية أو من وجهة نظر أهميته ٠ أو تطوره ٠ أو من وجهة نظر خصائصه المميزة ٠

فهذا العامل الحافز هو ـ بدقة ـ « العروبة » ٠ رغم أن نحت هذه الكلمة من أصلها ٠ أى من كلمة « العرب » أو « العربية » حديث للغاية فانها استخدمت للمرة الاولى منذ نحو اربعين عاما بواسطة باحث مصرى معروف هو أحمد زكى باشا ٠٠ فمن اسبانيا الى حدود ايران نشر هذا العالم العربى امجاد وعظمة حضارة لها طابعها الذى يميزها عن حضارات بقية الشعوب الاسلامية ٠ (١)

معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا ، ٢٦ من اغسطس ١٩٣٦ :

وفى ٢٦ من أغسطس عام ١٩٣٦ وقعت فى لندن معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا التى نصت على انهاء الاحتلال البريطانى ٠ ولكن عادت فنصت على ان « يرخص لبريطانيا بأن تضع فى الاراضى المصرية بجوار القناة ٠٠ قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القناة » ٠ كما نصت على اعتراف بريطانيا : « بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة » ٠

---

(١) « وولف » ، ص ١٣ ـ ١٦ ٠

وفى ٨ من مايـــو ١٩٣٧ وقع فى مونترو الاتفـــاق الخاص بالغاء الامتيازات فى مصر ۰ (١)

وذهب بعض الكتاب الاوروبيين عند دراستهم لهذه الفترة الى أن مصر قد دعيت الى عقد صلات صداقة بالدول الاســلامية حديثة العهد بالاستقلال كالحجاز واليمن والعراق . وارتفعت الاصوات بتمجيد وحدة اللغة والثقافة والدين ۰ ولم يعد لهذا العنصر الأخير ، أى عنصر الدين ، ما كان قد اكتسبه قبلا من أولوية ، كما انه لم يعد معينا على تحقيق أهداف التوسع وانما أصبح وسيلة للتعاون فى جميع المجالات على تقدم هذه البلاد الاسلامية ۰ (٢)

وبدت « الوحدة العربية » فى نظر أكثر المســلمين تزمتا كمقدمة لا غنى عنها لنهضة الاسلام والخطوة الاولى نحو اعادة الجماعة الاسلامية الى وحدتها الفطرية . فعكفت الجمعيات الدينية الرئيسية على الدعوة الى تكتيل القوى العربية ، واتخذت المظاهرات ، التى خرجت فى مصر لتأييد أهل المغرب وفلسطين وسوريا والتى تزايدت حتى غداة الحرب العالمية الثانية . طابعا مزدوجا يشهد بالاخوة الدينية والعرقية معا ۰ (٣)

القومية العربية والوحدة العربية :

وقد حاول مستعرب أميركى أن يميز بين « القومية العربية » و « الوحدة العربية » فقرر : « عقدنا فى عام ١٩٤٢ مؤتمرا عن الشرق الاوسط بجامعة شيكاجو ۰ وقد حدد المستشرق الانجليزى « هاميلتون جيب » المعروف بتخصصه فى الشـــئون العربية الفرق بين القوميـــة العربية » و « الوحدة العربية » بأن الوحدة العربية حركة أكثر تطرفا ۰ انها جهد جذرى لتوحيد العـــالم العربى فى ظل دولة واحدة ۰ بينما

---

(١) تنازلت بمقتضى هذه الاتفاقية عن امتيازاتها حكومات اتحاد جنوب أفريقيـا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا وبلجيكا والمملكة المتحدة والدانمارك وأسبانيا وفرنسا واليونان والهند ودولة أرلنـــدا الحرة وايطاليـا والنرويج وزيلاندا الجديدة وهولنـدا والبرتغال والسويد ۰

(٢) Marcel Colombe : L'Evolution de l'Egypte (1924-1935), Maisonneuve.

باريس ، ١٩٥١ ، ص ١٥١ ، وقد استند على مقال نشر فى صحيفة «اورينتى موديرنو» الايطالية بالاسكندرية فى ٣١ من يوليو ١٩٣٧ ۰

(٣) المرجع الســابق ــ ١٧٥ ۰

القومية العربية تتجه الى تنمية الشخصية العربية داخل نطاق الدول العربية ذاتها كوحدات سياسية وهذا التمييز بين الحركتين • حركة القومية العربية وحركة الوحدة العربية لا يزال قائما حتى اليوم ويمكن تلمسه من خلال الأوضاع العربية • فالقومية العربية حركة قائمة فى جميع الدول العربية من المغرب الى حدود ايران • وهى حركة أكثر اعتدالا• تعترف باستقلال الدول العربية المختلفة التى يتكون منها العالم العربى• والتى يعارض بعضها فكرة « الوحدة العربية » كحركة سياسية • ويبدو أن « الوحـدة العربية » هدف لا يتـاح تحقيقه فى المستقبل القريب — فنحن أمام وضع يشـبه — الى حد ما — اختفاء الامبراطورية الرومانية المقدسة فى أوروبا • اذ شهد التاريخ فى وقت ما اتحادا شبه سياسى وشبه دينى بين جميع بلاد أوروبا الغربية وهو الاتحاد الذى تفكك عقب القرن الخامس عشر بانشاء عدة دول لها جنسياتها الخاصة فى أوروبا • كما شاهدنا حديثا تفكك الامبراطورية العثمانية التى كانت تجمع الدول العربية الاسـلامية فى اتحاد شبه سياسى وشبه دينى • وبعد تلاشى الخلافة العثمانية نشأت داخل هذا الاتحاد عدة دول عربية اسلامية لها جنسياتها الخاصة • وأظن أن هذه الدول ستستمر على البقاء • الا أنها ستهتدى بفكرة « القومية العربية » كما اهتدت دول أوروبا الغربية بفكرة القومية المسيحية • (١)

ولكن حركة الوحدة العربية — كما رأينا فى هذا القسم الثانى — ترتكز على أساس وحدة اللغة • والثقافة • والتاريخ • والعرق والمصالح السياسية المشتركة • أو بتعبير آخـر على أسـاس عوامل اجتماعية سياسية • فالوحدة العربية ليست مجـرد عقيدة نظرية حتى يمكن أن يقال انها « هدف قد لا يتاح تحقيقه » • اذ أنهـا — بالعكس — حـركة تمثل واقعا تاريخيا • فالشرق العربى قد اتحد مرتين قبل الاسـلام ومرتين بعد الاسلام عبر الأربعة عشر قرنا الأخيرة • وهناك خلط آخر فى هذه المقارنة بين « القومية العربية » و « القومية المسيحية » • فالقومية العربية ليست « قومية اسـلامية » • فالمسـتعرب الفرنسى « لويلييه » — الذى أشرنا اليه فى هذا الفصل — قد ضبط بدقة وبحق تطور فكرة « الأمة » فى العالم العربى الى فكرة « الوطن » ؛ وقد شرحنا فى القسم

(١) Quiney Wright : Conditions making for instability in the Middle East, Middle East Report, The Middle East Institute,
واشنجتن ، ١٩٥٩ ؛ ص ٨ — ٩

الأول هذا التطور من فكرة الوحدة الاسلامية كحلقة تاريخية من حلقات التحول نحو القومية العربية كواقع اجتماعى ـ سياسى تم نحو الوحدة العربية الشاملة كأمل منشود ، ويجدر التنويه ـ كما سوف نفعل فى الفصل التالى ـ بأن فى الامكان الجمع أو التداخل بين التضامن الاسلامى ـ كقاعدة من قواعد تحكم العلاقات بين الدول الاسلامية عربية كانت أو غير عربية ـ والعروبة التى تهدى وتنظم العلاقات بين الدول العربية وحدها دون غيرها . والدليل على أن الوحدة العربية لها مبرراتها . وعناصرها وأسسها عبر الواقع التاريخى العربى يبدو واضحا فى أن هذه «الوحدة» قد لقيت ترحيبا فى القرن التاسع عشر عندما حاولت مصر احياءها كما أشرنا فى الفصل الأول من هذا القسم الثانى . ويبدو أثر هذا الترحيب لدى الباحثين فى العلاقات الدولية العربية وفى أدب المفكرين العرب الذين يجمعون على امكان احياء الدولة العربية الكبرى . (١)

فالعرب ـ ضد كل التصنيفات والتقسيمات ـ يرغبون الاحتفاظ بالوحدة أو احياءها . ومن هنا جاء نزوعهم الى التمسك بالرمز (٢) . وأغلب الظن أن المقصود بالرمز هنا . هو العروبة .

ومع ذلك . ورغم التمييز بين العالم الاسلامى والعالم العربى . ورغم التحول ـ منذ نهاية الحرب العالمية الأولى . وعلى وجه أدق منذ الغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩٢٤ ـ من فكرة « الأمة » الاسلامية الشاملة الى فكرة « الوطن » الذى تتحدد معالمه وسماته وفق قواعد اجتماعية ـ سياسية لكل دولة اسلامية ـ وبينها الدول العربية ـ وهو التحول الذى احتفظ فى نفس الوقت بمبدأ التضامن الاسلامى كأساس للعلاقات الدولية بين الدول الاسلامية ـ رغم ذلك فان اثنين من الأساتذة المستعربين قد ذهبا فى كتاب حديث لهما وهما بصدد استعراض نهضة النظم السياسية ـ الاجتماعية فى البلاد العربية الى « أن شغل الوظائف القيادية فى الادارة والسياسة أصعب بالنسبة لغير المسلمين منه بالنسبة للمسلمين . والمثل الواضح على ذلك حالة الأقباط فى مصر » .. وقد استطرد المؤلفان فذكرا أن مبدأ « الأمة » الاسلامية الشاملة لكل المسلمين لا يزال باقيا مستقرا بين الشعب . أى الشعب العربى فى مصر . وفى غيرها من البلاد العربية وأن ذلك يمكن التحقق منه

---

(١) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ ، ص ٣٩٢ ـ ٤١٢ .

(٢) « بيرك » ، ص ٢٦٣ .

لا بالنسبة لمعاملة غير المسلمين فحسب بل بالنسبة لسلوك هذا الشعب أيضا وبصفة خاصة ، وانه مادام « الانتماء » الحقيقى الى الوطن · لا يزال حتى اليوم ــ فى الوضع الحالى ــ هو ذلك الانتماء الذى يضفيه الاسلام فليس هناك ما يدعو الى الدهشة اذا استمر الشعب ــ أى الشعب العربى الاسلامى ــ محتفظا بالخصائص الأساسية لفكرة « الأمة » الاسـلامية الشاملة ومبديا ــ على الأخص ــ تلاحما عميقا مع بقية المسلمين فى البلاد الأخرى ، وهذا « الشعب » الذى لا يزال فى حقيقته جزء من « الأمة » الاسلامية الشاملة والذى ينتمى الى نفس الأسرة التى ينتمى اليهـا المسلمون الآخرون ليس لديه ما يدعوه الى أن ينفصل عن هذه الأسرة · أو أن يفترق عن بقية المنتمين الى هذه « الأمة » ، والخلافات فى الرأى بين الشعوب الاسلامية ــ وبينها العربية ــ ليست الا خلافات عارضة مؤقته · وثانوية ···· (١)

وللرد على هذا التحليل يحسن أن نبرز أن « الجنسية الروحية » التى كانت تلحق المسلمين فى البلاد العربية بالأمة الاسلامية فى عهود الخلافة قد حل محلها أحساس بالتضامن الاسلامى كما سبق أن كررنا · واذا وجب أن نتحدث عن الجنسية أو « الانتماء » فمن الأفضل ــ عمليا ــ التحدث عن « الجنسية » العربية أو « الانتماء » العربى الذى سجلته كل الدساتير التى أصدرتها الدول العربية وأضفته على كل مواطنى هـذه الدول من العرب · مسلمين أو غير مسلمين · بابرازها ان شعوب هـذه الدول أجزاء من « الأمة العربية » ·

أما « الجنسية » الحقيقية فى الوضع الحالى ــ عبر كل البلاد العربية بلا اسـتثناء ــ فهى الجنسية السياسية التى تضفيها تشريعات الجنسية الحديثـة المبنيـة على « حـق الـدم » أى الولادة لاب أو أم ينتمى أحدهما الى الدولة ، أو « حق الارض » أى الولادة على أرض هذه الدولة دون تفريق فى كل حالة بين العربى المسلم · والعربى غير المسلم ·

وأما بالنسبة لاقباط مصر فيكفى أن نقرر أن منهم من تولى رئاسة مجلس الوزراء ، أكثر من مرة ، ومن بينهم الآلاف الذين تولوا مناصب الوزراء ، ووكـلاء الوزارات ، والمستشارين بمحكمة النقض ، ومحاكم الاستئناف ، والسفراء الخ ···· والنخبة من الأقباط تبرز انتماءها الى « العروبة » · فقد أعلن أحدهم بعد أن حصـل على أعلى رتب الدولة

(١) « للورى » « مانتران » ، ص ١٣٨ ·

ونياشينها وأوسمتها . وبعد أن مارس نشاطا سياسيا ضخما : « نحن عرب . ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب . قد وحدت بيننا الآلام والآمال . وثقت روابطنا الكوارث والاشجان . وصهرتها المظالم وخطوب الزمان . فأحدثت منا أمما متشابهة متماثلة فى كل ناحية من نواحى الحياة . » (١)

---

(١) مكرم عبيد : « المصريون عرب » ، القاهرة : « الهلال » ، العدد الذهبى عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » ، ابريل ١٩٣٩ ، ص ٣٢ .

الفصل الرابع

العلاقات الدولية والمعاهدات والدساتير المتسمة بالعروبة

الدول العربية منذ استقلالها حتى الاتفاقيات المنبثقة من ميثاق جامعة الدول العربية

تقسيم البلاد العربية الآسيوية الخاضعة للسيادة التركية ، الاتفاق السرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا مارس ١٩١٥ :

لم تكد تنقضى ستة أشـــهر على اعلان الحرب العالمية الأولى حتى عقدت بريطانيا وفرنســـا وروسيا فى مارس عام ١٩١٥ معاهدة سرية نشرت فى ديسمبر عام ١٩١٧ بعد الثورة السوفيتية واستيلاء البولشفيك على الســـلطة · وكانت تلك المعاهدة تهـــدف الى تقسيم الامبراطورية العثمانية · وقد قضت المعاهدة بأن تعترف بريطانيا وفرنسا بحق روسيا فى ضم القسطنطينية والمضايق وبعض المناطق المجاورة للحدود الروسية الجنوبية فى تركيا الآسيوية · كما قضى الاتفاق الذى عقد بسان بطرسبرج فى مايو عام ١٩١٦ بين وزير الخارجية الروسية «سازونوف» والدبلوماسى الانجليزى «سايكس» والقنصل الفرنسى السابق ببيروت «بيكو» بتنظيم تقسيم الامبراطورية التركية فى المستقبل · وهذا الاتفـاق السرى هو الذى أصبح فيما بعد معاهدة « سايكس ــ بيكو » والذى اقتصر تطبيقه على الولايات العربية فى الامبراطورية العثمانية بعد ان انسحبت روسيا من ذلك الاتفاق ، وقضى بأن تخضع فلسطين لادارة دولية ·، وأن يباح لفرنسا فى المنطقة الساحلية لسوريا ، ولانجلترا فى المنطقة الســاحلية للعراق ، انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم ــ كما سبق أن أشرنا فى الفصـــل الســـابق ــ وأن تنال انجلترا ميناءى حيفا وعكا ، وأن تكون

الإسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ، وأن تكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها . ويعود تعدد الدول العربية بصفة عامة الى الحكم الأجنبي الذى جاء فى أعقاب تمزيق الامبراطورية العثمانية وتطور الحركات الاستقلالية الانفصالية فى المنطقة . وتقسيم العالم العربى ـ وخاصة فى الشرق ـ الى بلاد كثيرة نتيجة مباشرة لتقسيمات مفتعلة فرضت عليه دون أن تكون متجاوبة مع تصوره التقليدى لوحدة السيادة ، ولذلك نشأ عدد من دول عربية مستقلة لكل منها أنظمة قانونية وادارية مختلفة ، مع ان الاتجاه التقليدى الطبيعى هو الى دولة متحدة أو « فيديرالية » وسيادة موحدة . (١)

الانتداب على لبنان وسوريا وشرق الاردن والعراق وفلسطين :

وفى ٢٥ من ابريل ١٩٢٠ عهد مجلس الحلفاء الأعلى فى «سان ريمو» بانتداب عصبة الأمم على لبنان وسوريا الى فرنسا ، وعلى شرق الاردن والعراق وفلسطين الى بريطانيا .

وفى ١٠ من أغسطس ١٩٢٠ فصلت معاهدة « سيفر » الأقطار العربية الستة الآسيوية : لبنان وسوريا وشرق الاردن والعراق وفلسطين والحجاز عن الامبراطورية العثمانية واعترفت بتلك الأقطار كدول مستقلة بشرط ان توجه ادارتها طبقا لمشورة ومساعدة بواسطة دولة تنتدب لذلك حتى يحين الوقت الذى تصبح فيه تلك الأقطار العربية قادرة على حكم نفسها بنفسها . ولكن هذه المعاهدة لم تنفذ لأن تركيا لم تصدق عليها .

وقد عين الاتفاق المعقود بين فرنسا وبريطانيا فى ٢٣ من ديسمبر ١٩٢٠ بباريس بشأن الانتداب على سوريا ولبنان والعراق الحدود بين الأقطار العربية الثلاثة . (٢)

معاهدة لوزان ١٩٢٣ : فصل الأقطار العربية عن تركيا

وفى ٢٤ من يوليو ١٩٢٣ وقعت بلوزان بين الامبراطورية البريطانية وايطاليا واليابان واليونان ورومانيا والدولة الصربية ـ الكرواتية ـ

(١) فوده ، ص ٣٩٢ ـ ٣ .

(٢) عصبة الأمم ، مجموعة المعاهدات ، ١٩٢٤ ؛ جزء ٢٢ ، ص ٣٥٤ .

السلوفانية من جانب وتركيا من جانب آخر معاهدة صلح عينت حدود تركيا الجديدة بعد فصل الأقطار العربية . ونصت المادة ١٦ منها على أن تركيا تعلن تنازلها عن كل حقوق أو أســـانيد من أى نوع على الأراضى الواقعة خارج الحدود التى عينتها هذه المعاهدة . ونصت المادة ١٧ على أن أثر تنازل تركيا عن كل الحقوق أو الأسانيد على مصر وعلى السـودان يعود الى ٥ من نوفمبر ١٩١٤ . ونصت المادة ١٩ على ان الدول المعنية ستتولى المسائل التى ستنشأ من الاعتراف بالدولة المصرية التى لا تسرى عليها نصوص هذه المعاهدة بشأن الأراضى المنفصلة عن تركيا . ونصت المادة ٢٢ على اعلان تركيا الاعتراف بالغاء كل الحقوق والامتيازات من أى نوع التى كانت تتمتع بها فى ليبيا بمقتضى معاهدة لوزان المعقودة فى ١٨ من أكتوبر ١٩١٢ الغاء نهائيا . ونصت المادة ٣٠ على ان الرعايا الترك المقيمين فى الأراضى التى فصلت بمقتضى هذه المعاهدة عن تركيا يصبحون بحكم القانون وطبقا للتشريع المحلى مواطنين للدولة التى آلت اليها هذه الأراضى . (١)

وقد عقب أحد القانونيين العـــرب على هذه المعاهدات بأن تقسيم العالم العربى الى دول صغيرة لم يكن لها من قبل وجود ، كانشاء المملكة الهاشمية فى الاردن انشــاء مصطنعا لكى تصبح معتمدة حتى ماليا على بريطانيا ، قد قامت به الدول التى عهد اليهـــا باحتلال هذه الأراضى العربية ، وكانت تساندها بعض الاسر المالكة وبعض الأقليات الدينية والجماعات التى ازدهرت مصالحها الاقتصــادية والسياسية بسبب ذلك التعدد . (٢)

وقد استند آخر على أثر معاهدة لوزان فى خلق عدة دول اسلامية مستقلة بعد تمزيق الامبراطورية العثمانية لتأييد وجهة نظر عبد الرازق التى بسطها فى كتابه « الاســلام وأصـــول الحكم » ، فقرر ان نظرية عبد الرازق فى الحكم قد تم اقرارها ضمنا كأساس للدولة الاســـلامية الحديثة ، وقد سبق ان اقرت تركيا فى عهد مصطفى كمال هذه الحقيقة رسميا فى ميثاقها الوطنى وفى معاهدة لوزان المعقودة فى ٢٤ من يوليو ١٩٢٣ التى تنازلت بمقتضاها عن الأراضى التى كانت أغلبية أهلها من غير الترك ، وتحقق هذا الاتجاه بشكل واضح عندما رحب ممثلو تركيا

---

(١) عصبة الأمم ، مجموعة المعاهدات ، ١٩٢٤ ، جزء ٢٨ ، ص ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤
(٢) قوده ، ص ١١٤ .

ورئيس عصبة الأمم فى الاجتماع الخاص الذى عقدته العصبة بقبول مصر عضـــوا فى العصبة بعد أن استكملت المراحل المتعاقبة للتقدم والتطور كدولة محبة للسلم وعظيمة ٠ (١)

المملكة العربية السعودية

معاهدة بين بريطانيا والعسير ٣٠ ابريل ١٩١٥ :

لم تبق على ولائها للباب العالى من الامارات العربية التى تقع على الشاطىء الشرقى للبحر الأحمر الا اليمن خلال الحرب العالمية الأولى ٠ ولذلك عقدت بريطانيا ـ احتياطا لما يمكن أن يثيره الامام يحيى حاكم اليمن من قلاقل ـ معاهدة مع محمد بن على الادريسى أمير أو حاكم صبية وملحقاتها التى كانت جزءا من المنطقة التى تسمى العسير وتقع شمال اليمن ٠ وقد وصفت المعاهدة بأنها معاهدة صداقة وسلم ٠ ونصت المادة الثانية منها على أن أغراضها الرئيسية هى الحرب ضد الترك ٠ كما نصت المادة الثالثة على موافقة السيد الادريسى على مهاجمة الترك وبذل الجهـد لاخراجهم من مواقعهم فى اليمن ، وأن يبذل أقصى قوته لازعاج القوات التركية فى اليمن ، وأن يضـم اليه ما يستولى عليه من أراض يحتلها الترك ٠ ومما يلفت النظر فى هذه المعاهدة ما نصت عليه المادة ٤ من أن غرض السيد الادريسى هو مهاجمة الترك فقط وأنه سيمتنع عن أى عمل عدائى أو استفزازى ضد الامام يحيى طالما لا ينضم الأخير الى الترك ٠ وقد ضم الى هذه المعاهدة ملحق فى ٢٢ من يناير ١٩١٧ اعترفت فيه بريطانيا باحتلال الادريسى لجزر فرسان وانتزاعها من أيدى الترك وأنها أصبحت جزءا من أراضيه (٢) ٠

---

(١) مجيد خدورى Islam and the Modern Law of Nations, American Journal of International Law. واشجتن ١٩٥٦ ، جزء ٥٠ .

وتراجع معاهدة لوزان : هورويتز ؛ ج ٢ . ص ١١٩ ـ ١٢٧

(٢) « هورويتز » ج ٢ ص ١٢ ، وقد اشار الى ان امارة الادريسى كانت صلتها ببريطانيا أقرب الى صلة الحليفة منها الى صلة المحمية .

معاهدة العقير بين بريطانيا ونجد ٢٦ من ديسمبر ١٩١٥ قيود على السيادة السعودية :

تبين عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أنه لا يجب أن يظل وحده فأعاد فتح باب المفاوضات مع بريطانيا والتقى فى « العقير » ميناء الاحساء بالسير « برسى كوكس » ووقع الاثنان فى ٢٦ من ديسمبر عام ١٩١٥ أول معاهدة بين الفريقين . (١)

---

(١) نصت هذه المعاهدة التى وصفها الشيخ حافظ وهبه بأنها تدل على قصر نظر مستشارى ابن سعود وجهلهم بما يجرى فى العالم وعلى اهمالهم الاستفادة من الفرص المتوالية .

أولا : ان الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجد والاحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها التى تعين هنا والمرافىء التابعة على ساحل خليج العجم ، كل هذه المقاطعات هى تابعة للامير ابن سعود وآبائه من قبل وهى تعترف بابن سعود حاكما مستقلا على هذه الأراضى ورئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها . وتعترف بذلك لأولاده وأعقابه من بعده على أن يكون خليفته منتخبا من قبل الأمير الحاكم والا يكون مخاصما لانجلترا بوجه من الوجوه ؛ أى أنه يجب الا يكون ضد المبادىء التى قبلت فى هذه المعاهدة .

ثانيا : اذا تجاوزت احدى الدول على أراضى ابن سعود وأعقابه من بعده دون اعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة . وفى مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود ان تتخذ تدابير شديدة لاجل محافظة وحماية منافعه .

ثالثا : يتعهد ابن سعود ان يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية . وعلاوة على ذلك فانه يتعهد باعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة اخرى على الأراضى التى ذكرت آنفا .

رابعا : يتعهد ابن سعود ــ بصورة قطعية ــ الا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلى عن الأراضى التى ذكرت آنفا ولا يمنح امتيازا فى تلك الأراضى لدولة أجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية وانه يتبع نصائحها التى لا تضر بمصالحه .

خامسا : يتعهد ابن سعود بأن يبقى الطرق المؤدية الى الأماكن المقدسة مفتوحة وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم الى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها .

سادسا : يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل فى أرض الكويت والبحرين وأراضى مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها ــ « حافظ وهبه » ، نفس المرجع ، ص ٢٤٩ ، ٣١٨ ــ ٣١٩ . و « هورويتز » ؛ جزء ٢ ص ١٧ ــ ١٨ ؛ وقد أشار « بيربى » الى أن هذه المعاهدة شبيهة بباقى المعاهدات التى عقدت مع جميع أمراء الخليج الفارسى (العربى) .

J.J. Berreby : Le Golfe Persique, Payot.

باريس ١٩٥٩ ، ص ١٢٨

وقد علق بعض المؤرخين الاوروبيين على معاهدة « العقير » البريطانية – السعودية بأن عبد العزيز أعلن فيها « انضمامه رسـميا الى جانب انجلترا وتعهد صراحة بالا يهاجم حلفاءها والا يساعد أعداءها ... وقد اعترف الانجليز من جانبهم بمملكة ابن سعود فى نجد والاحساء مستقلا بهما عن الأتراك ، كما تعهدوا بأن يدفعوا له خمسة آلاف جنيه استرلينى شهريا كأعانة وأن يمدوه بالأسلحة وأن يقدموا اليه المساعدة اذا وقع عليه هجوم جديد (١) .

ضم حائل الى نجد ، عبد العزيز آل سعود
سـلطان هـذه الدولة العربية ١٩٢١ :

وبدا لعبد العزيز ان تركيا قد بدأ انهيارها فلم يضع الفرصـة وهجم على قبائل « شمر » فى « حائل » وشتت قوات آل الرشيد واضطر محمد بن الرشيد للهرب الى العراق وضم عبد العزيز « حائل » الى دولته فى ٢ من نوفمبر ١٩٢١ بعد أن ظلت منفصلة عنها منذ عهد جده سعود. واعترفت بريطانيا بعبد العزيز سلطانا على نجد وملحقاتها كمـا كان قد نادى بنفسه فى ٢٣ من أغسطس من نفس العام .

وقد لاحظ مستشرق فى معرض تحليل القومية العربية والاسلام ان عبد العزيز آل سعود فى سنة ١٩٠٤ سعى الى استرجاع نجد التى كانت قد احتلتها قوات امارة حائل المجاورة . ولم يستطع التفكير فى رفع نير قبيلة شمر الحائلية قبل أن يربح الى جانبه الرأى العام النجدى فى القصيم . وكان مستحيلا أن يدعوه اليه باسم الاسلام لأن شمر تدين مثله بدين الاسلام . والدعوة باسم العروبة كانت غير ممكنة أيضا لأن أبناء شمر أيضا من أصفى العروق العربية . لذلك لم يجد ابن سعود بدا من ان يدعوه باسـم الوطنية الاقليمية ، فاسـتخدمها ونجح فى مهمتـه .

وبعد مرور بضعة أشهر اضطر ابن سعود ان يحارب قبيلة شمر التى سـاندتها هذه المرة ثمانية فيالق مدفعية من القوات التركية . ولاثارة القبائل الى جانبه ضد أعدائه حرك العاطفة القومية قائلا : « ان ابن رشيد زعيم حائل ارتكب الجريمة التى لا تغتفر باقحامه الأتراك فى خلافاتنا وادخالهم الى أواسط الجزيرة العربية . واذا لم ننتصر عليهم

---

(١) Benoit-Méchin : Le Loup et le Léopard, Ibn-Séoud ou la naissance d'un royaume, Albin Michel. باريس ؛ ١٩٥٥ ، ص ١٩٨

فعلى حريتكم السلام » وعقب المؤلف على ذلك بأنه عندما يكون الخصم مسلما هو الآخر ، عندئذ لا يتردد المتخاصمون فى اللجوء الى الاقليمية أو القومية ٠ (١)

كما فعلت قبيلة شــمر العربية عندما اســتعدت غير العرب من الأتراك على الســعوديين العرب مع ملاحظة أن الأطراف الثلاثة يدينون بالاســلام ٠

وفى ٥ من مايو عام ١٩٢٢ عقــد عبد العزيز معاهدة المحمرة مع العراق التى عينت الحدود بينها وبين نجد ٠

وفى ٢ من ديسمبر عقد عبد العزيز معاهدة بين الكويت ــ تمثلها بريطانيا ــ ونجد لتعيين الحدود وهى المعاهدة المعروفة باسم بروتوكول « العقير » والتى اعترفت بسيادة نجد على شمر ٠

وفى مارس ١٩٢٤ قررت الجمعية الوطنية بأنقرة الغاء الخلافة وطرد آخر الخلفاء العثمانيين عبد المجيد فاعتزم عبد العزيز غزو الحجاز ٠

وفى ١٣ من أكتوبر ١٩٢٤ استولى عبد العزيز على مكة ، بعد ان غزا الحجاز ، واضطر حسين للتنازل عن العرش لابنه على الذى أبقاه عبد العزيز بضعة أشهر حتى يستكمل اجراءات ضم الحجاز الى دولته كما سوف نرى ٠

اول معاهدة متســمة بالعروبة بين الحجــاز وشرقى الاردن ١٩٢٥ :
بيــان عن « انقاذ الشرق العربى »

وفى ٥ من يونيو ١٩٢٥ عقدت معاهدة بين الحجاز يمثلها الملك على الذى خلف والده الملك حسين بعد تنازل الأخير وشرق الاردن ويمثلها الأمير عبد الله لضم العقبة ومعان الى شرق الأردن ٠ وكل ما يعرف عن هذه المعاهدة هو أنها تتضمن بيانا عن انقاذ « الشرق العربى » ٠٠ ولكن الى جانب هذا البيان الذى له صفة عامة اقتصرت المعاهدة على نقطة معينة هى تصحيح الحدود ٠ وقد ذهب أحد القانونيين العرب فى تحليل هــذه المرحلة الأولى للعلاقات الدولية بين الدول العربية الى أن وضع الدول

---

(١) جاك بولين ، « مع القومية العربية » ، ترجمة هاجر والفز ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٥٩ ، ص ٦٤ ٠

العربية التى انفصلت عن الامبراطورية العثمانية القديمـــة قد حددته دوليا معاهدتا « فيرســـاى » و « ســـان ريمو » كمـــا حدده اتفاقا « سايكس ـ بيكو » و « ليج ـ هاردنج » ولذلك لم تســـتطع الدول العربية لمدة طويلة أن تتخلص من القيود التى فرضت عليها . أما جهدها فى سبيل التقارب فكان متقطعا وشاقا . وبطبيعة الحال لم يتيسر للأقطار التى وضعت تحت الانتداب أن تبدى رغبتها بحرية فى نطاق العلاقات الدولية ، أما البلاد الأخرى التى احتفظت بسيادتها فقد بدأت بالتأثر بنفـوذ الشـعوب الأوروبية التى ساعدت على تحـريرها من الوصاية العثمانية القديمة . ولكن هذه الدول والأقطار العربية من جانبها تبينت أواصر القربى وأسباب التفاهم بينها واتسمت المعاهدات بينها بطابع الاخوة . وفى هذا النطاق أصبحت هذه الدول شيئا فشيئا حرة فى ارتباطاتها السياسية ذات المدى الطويل (١) .

ومنذ ٢٢ من سبتمبر ١٩٢٥ عقدت فرنسا باعتبارها ممثلة للدول العربية التى تحت انتدابها مع مملكة الحجاز معاهدة تجارية . (٢)

وفى أول نوفمبر عام ١٩٢٥ عقدت معاهدة مع العراق لتعيين الحدود بينها وبين نجد .

وفى ٢ من نوفمبر عقدت معاهدة مع بريطانيا لتعيين الحدود بين نجد وشرق الاردن وقد اعترف فيها بتبعية الجوف ووادى سرحان لنجد ولم تتعرض هذه المعاهده للحدود بين الحجاز وشرق الاردن .

وفى ١٨ من ديسمبر استولى عبد العزيز على جدة واضطر الملك عليا ان يلجأ الى العراق . وبعد ذلك استطاع عبد العزيز ان يملى ارادته على السياسة البريطانية بينما يظن بعض المؤرخين البريطانيين أنه كان لايزال خاضعا الى حد ما لتلك السياسة . (٣)

عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وســـلطان نجد
٨ يناير ١٩٢٦ ، الدستور ٣١ اغسطس ١٩٢٦ :

وفى ٨ من يناير عام ١٩٢٦ نودى بالسلطان عبد العزيز ملكا على الحجاز وسلطانا على نجد وملحقاتها .

---

(١) البير تصيف. Traités et Accords de Fraternité entre les Pays Arabes. المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٤٩ ، ص ٤٩ .

(٢) Berreby : La Péninsule Arabique, Paris, Payot, 1958, p. 26.

(٣) « كيرك » ،. ص ١٦٢ .

وفى ١٩ من مارس عقد اتفـــاق مكة بين الحجاز ونجد من جانب وسوريا ـ تمثلها فرنسا ـ من جانب آخر بشأن الجمارك وتنقلات القبائل ٠

وفى المدة من ٧ من يونيو ، ٥ من يوليو عقد فى مكة مؤتمر اسلامى قرر انشاء لجنة لبحث أحوال العالم الاسلامى ٠ (١)

ويعتقد « فلورى » ان مؤتمر مكة الذى عقد فى يونيو عام ١٩٢٦ ، أى غداة الغاء الخلافة العثمانية ، انما كان يهدف الى محاولة احياء هـذا النظام الذى يعده كثيرون من المسلمين نظاما ضروريا ، ومع ذلك فانه أضاف أن الجماعات الاسلامية التى اشتركت فى هذه الاجتماعات ومنها اجتماع مكة فى عام ١٩٢٦ ، كانت متناقضة الاتجاهات بحكم تكوينها ٠ وكانت أقرب الى الندوات التى تضم أسـاتذة جامعيين وعلماء منها الى اجتماعات تضم مندوبين عن البلاد الاسلامية ٠ (٢) ولكننا نعتقد ـ فى ضوء تاريخ الخلافة الاخيرة ٠ أى الخلافة العثمانية التى لم تقم بواجبها فى حماية المسلمين وفى تنفيذ مبادىء الاسلام الرئيسية ـ أن عدم توفيق المجتمعين فى مكة قد أوضح الحاجة القصـوى لتنظيم العلاقات الدولية الاسلامية على أساس جديد من التضامن أكثر من دلالته على عد نظام الخلافة نظاما ضروريا كما ذهب الأستاذ « فلورى » ، وفى رأينا أن مولد القومية العربية ، وتكوين عدة دول عربية ذات سيادة ، والاتجاه الجديد الى التمييز بين العالم العربى والعالم الاسلامى ، والمشاكل الجديدة التى صادفت هذه الكتلة من الدول العربية الاسلامية منذ تكوينها قد أثارت اهتمام مؤتمر مكة فى عام ١٩٢٦ أكثر من غيرها من المسائل ٠

وفى ٣١ من أغسطس أعلن دستور مملكة الحجاز وقد نص فى المادة الثانية على أن » الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شورية اسـلامية مستقلة فى داخليتها وخارجيتها » ٠

ونصت المادة الرابعة على أن اللغة العربية هى لغة الدولة الرسمية ٠

ثانى معاهدة متسمة بالعروبة بين الحجاز ونجد من جانب والعسير من جانب آخـــر ١٩٢٦ :

وفى ٢١ من أكتوبر ١٩٢٦ عقدت فى مكة معاهدة مع امام العسير

---

(١) كان قد عقد فى القاهرة مؤتمر الخلافة فى المدة من ١٣ ، ١٩ من مايو عام ١٩٢٦ ثم ألفت هذه اللجنة فى مكة فى ٢٦ من مايو عام ١٩٢٧ ٠

(٢) M. Flory : Les Conférences Islamiques, Annuaire Français de Droit International, XVI, C.N.R.S. باريس ، ١٩٧٠ ؛ ص ٢٣٤

وضع فيه الأخير نفسه تحت سيادة ابن سعود وان احتفظ بشيء من الاستقلال الداخلي ، فقد بدأت هذه المعاهدة بتسجيل الرغبة في التفاهم التام بين البلاد العربية والحرص على كيانها وتقوية الصلات بين امراء الجزيرة العربية . (١)

وفي ٢٩ من يناير ١٩٢٧ أصبح عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ملكا للحجاز ونجد وملحقاتها .

معاهدة الصداقة بين دولة الحجاز ـ نجد والعراق :
٢٣ من فبراير ١٩٣٠ :

وفي ٢٠ من مايو ١٩٢٧ اعترفت بريطانيا في معاهدة « جدة » بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها وهي التي اندمجت فيما بعد في « المملكة العربية السعودية » التي عدها مؤرخ انجليزي من الدول العربية التي حققت كامل استقلالها السياسي . (٢)

وفي المدة بين ١٩ ، ٢١ من مايو من نفس العام تبادل سير جيلبرت كلايتون مع الحكومة السعودية مذكرات لتعيين الحدود بين شرق الاردن والحجاز بغرض الابقاء على الحالة الراهنة بشأن معان والعقبة .

وفي ٢٣ من فبراير ١٩٣٠ التقى الملك عبد العزيز والملك فيصل على ظهر البارجة الحربية « لوبين » بحضور « سير فرنسيس هامفريز » المندوب السامي في العراق ووقع الملكان معاهدة صداقة .

وفي ٢٠ من نوفمبر ١٩٣٠ فقدت « العسير » استقلالها الداخلي وأصبحت جزءا من « العربية السعودية » .

ثالث معاهدة متسمة بالعروبة : الحجاز ونجد ـ العراق
١٩٣١ ، اعادة وحدة الأمة العربية والتوفيق بين ابنائها :

وفي ٧ من ابريل ١٩٣١ عقدت مملكة الحجاز ونجد مع العراق معاهدة صداقة وحسن جوار « قائمة على رغبة الملكين في بذل أقصى جهدهما لاعادة وحدة الأمة العربية والتوفيق بين أبنائها . وقد بدأت

---

(١) « هورويتز » ، جزء ٢ ص ١٤٨ ، ونصيف ص ٥٠ وقد أشار الى ان المعاهدة نصت في ديباجتها على (الاتحاد) بين البلاد العربية وان هذه المعاهدة تضمنت في الواقع بسط حماية الحجاز ونجد على العسير ، ووصفها حافظ وهبه الذي اشترك في وضع هذه المعاهدة بأنها معاهدة حماية ، جزيرة العرب ، ص ٤٤ .

(٢) « كيرك » ، ص ١٩٣ .

هذه المعاهدة ببيان عن السلم الدائم والصداقة الوطيدة بين الدولتين . وبتعهد الملكين ببذل أقصى جهدهما لحفظ السلم ولحل الخلافات والمنازعات التى يمكن أن تنشأ بينهما بروح المسالمة والصداقة .. ونصت المعاهدة فى المـادة ١٤ على رغبـــة الطرفين المتعاهدين للمرة الأولى للدخول فى مباحثات لعقد اتفاقات بشأن المسائل الاقتصادية والقنصلية ومســائل الاقامة والجنسية . وألحق بالمعاهدة بروتوكول خاص بالتحكيم مؤرخ فى ٨ من أبريل . (١) »

وفى ٦ من نوفمبر ١٩٣١ اجتمع الممثلون السعوديون واليمنيون لتسوية النزاع الخاص بجبل « ارو » بين اليمن والامارة الادريسية . وقد تنازل الجانب السعودى بمقتضى الاتفاق الذى عقد فى ذلك الاجتماع عن جبل « ارو » لليمن .

وفى ١٠ من نوفمبر عقدت معاهدة الجزيرة مع فرنسا وهى معاهدة صداقة اعترفت فيها فرنسا بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، كما عقدت فى جدة معاهدة صداقة وحسن جوار مع سوريا ولبنان تمثلهما فرنسا .

وفى ١٦ من ديســمبر عقدت معاهدة صـــداقة وحسن جوار مع اليمن .

تأسيس المملكة العربية السعودية
١٨ من ســـــبتمبر ١٩٣٢ :

وفى ١٨ من ســـبتمبر عام ١٩٣٢ صدر الأمـر الملكى رقم ٢٧١٦ بتأسيس « المملكة العربية الســعودية » التى نصت ديباجته على أنه « نزولا على رغبة الرأى العام فى بلادنا وحبا فى توحيد أجزاء هـــذه المملكة العربية » .

ونصت المادة الأولى منه على أن :

« يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها الى اسم « المملكة العربية السعودية » .

---

(١) نصيف ، ص ٥١ .

رابع معاهدة متسمة بالعروبة ، العربية السـعودية ـ اليمن ، ١٩٣٤ ، الجمع بين التضامن الاسلامى والعروبة :

وفى ٢٠ من مايو ١٩٣٤ عقدت فى « الطائف » معاهدة « الصداقة الاسلامية والأخوة العربية » بين العربية السـعودية واليمن • ولأهمية هذه الوثيقة الدولية يحسن أن نثبت أهم ما تضمنته ماسا بموضوع هذا البحث • فقد أشارت ديباجة المعاهدة الى رغبة الطرفين المتعاهدين فى **وحدة الأمة الاسلامية العربية** وفى تعيين الحدود بين البلدين ، وانشاء علاقات جوار حسن و « صلات صداقة اسلامية وتقوية أسس السـلم والاستقرار بين البلدين وشعبيهما » وفى العزم على وجود « جبهة متحدة ضد الكوارث المفاجئة وتماسك قوى لحفظ الأمن فى الجزيرة العربية » ثم عادت المادة الأولى من المعاهدة فنصت على انهاء حالة الحرب بين المملكتين وعلى أنه ستقوم فى المستقبل بين الملكين وبلديهما وشعبيهما « حالة سلم دائم وصداقة وطيدة **وأخوة اسـلامية عربية خالدة** لا يمكن أن يعتدى عليها كلها أو بعضها . وأن الطرفين المتعاهدين يلتزمان بتسوية كل نزاع أو خلاف يمكن أن ينشأ بينهما بروح الود والصداقة ويؤكدان أن روح « **الأخوة الاسلامية العربية** » سوف تسـود علاقاتهما فى كل الاحوال والظروف ، وانهما يبتهلان الى الله تعالى أن يوفقهما فى هذا السـبيل القويم الذى يشرف « جنسهما » و « دينهما » ونصت المادة ١٦ على أن الطرفين المتعاهدين اللذين تربطهما أواصر « **الأخوة الاسلامية والأصل العربى** » يعلنان أن امتيهما **أمة واحدة** • ونصت المادة ٢٣ على أن هذه المعاهدة سوف تسمى « معاهدة الطائف » (١)

وهذه المعاهدة التى استخدمت تعبيرات « الأمة الاسلامية العربية » و « أمن الجزيرة العربية » و « الأخـوة الاسـلامية العربية الخالدة » و « الأصل العربى » و « الامتان أمة واحدة » تثير انتباه الباحث من وجهة نظر العلاقات الدولية العربية وبصفة خاصة لأنها تتعرض للمجالات التى يمكن أن تتطور العلاقات فيها بحيث تزيد الاتصالات وينمو التعاون بين الأمتين اللتين يجب ان تندمجا آخر الأمر فى أمة واحدة • ومعاهدة « الطائف » تنفرد مع ذلك بأنها ابرمت بعد فترة حـرب بين الدولتين المتعاهدتين • ولكن قيمتها تكمن فى عناصر الاستمرار التى تضمنتها ،

(1) Hellen M. Davis : Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East, Duke University.
ديرهام ، ١٩٥٣ ص ٣٩٣ ـ ٩ •

اذ أنه يمكن اعتبارها أول خطوة في سبيل التعاون الحقيقي بين دولتين عربيتين مستقلتين . وكما تقرر بحق صحيفة « الطان » في مقال نشر عقب ابرامها : ان مما يضفي أهمية عليها الجهد لتحقيق الوحدة الوطنية والوحدة السياسية والاقتصادية الذي اعتزم الخصمان أن يبذلاه في المستقبل . واذا كانت المعاهدة قد سجلت انتصار ابن سعود فانها لم تطنطن لذلك الانتصار ولم تمجده . وقد تبين منها ان ابن سعود يعتزم ارساء سلطته على القانون ويترك للزمن أن يعمل عمله . وقد اضافت « الطان » ان هذه المعاهدة تعد أكثر من نموذج للحكمة والاعتدال فانها تأكيد للرابطة المشتركة بين الطرفين ، رابطة الأخوة والأصل العربي » . (١)

خامس معاهدة متسمة بالعروبة ، العربية السعودية ـ العراق ١٩٣٧ :

وفي ٢ من ابريل ١٩٣٦ وقعت في بغداد معاهدة « **الأخوة العربية** » والتحالف بين العربية السعودية والعراق التي نصت في ديباجتها على « روابط **الأخوة الاسلامية ووحدة الجنس** التي تربط بين الطرفين المتعاهدين » ونصت المادة ٦ على أنه نظرا لروابط « **الدين الاسلامي** » التي تربط مملكة اليمن بالطرفين المتعاهدين فان هذين الطرفين سيسعيان لضم حكومة اليمن الى هذه المعاهدة . وان كل دولة عربية مستقلة سيقبل انضمامها الى هذه المعاهدة اذا طلبت ذلك . كما نصت المادة ٧ على أن الطرفين سيتعاونان **لتوحيد الثقافة الاسلامية والعربية** والأنظمة العسكرية في بلديهما عن طريق تبادل البعثات المدرسية والعسكرية التي تكلف بدراسة الأنظمة المطبقة في كل من البلدين لتوحيد هذه الأنظمة بقدر الامكان والعمل على الاستفادة المتبادلة من تلك الأنظمة المدرسية والعسكرية ومن برامج التربية والتعليم فيها . ونصت المادة ٨ على امكان أن يتولى الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لاحد الطرفين مصالح الطرف الآخر بناء على طلبه في البلاد الأجنبية التي لا يكون لهذا الطرف الآخر تمثيل فيها . (٢)

---

(١) نصيف ، ص ٥٢ ـ ٥٣ . ومن جهة أخرى أعلنت صحيفة « التايمس » بحق ان هذه المعاهدة تعد أكثر من مثل على التعقل والاعتدال وهي تأكيد لعلاقة الاخوة والاصل العربي المشتركة .

(٢) عصبة الامم ، مجموعة المعاهدات ، ج ١٧٤ ، ص ١٤٢ ـ ٤ .

وللمرة الثانية منذ تمزيق الشرق العربى الذى كان خاضعا للسيادة العثمانية وتقسيمه الى عدة دول مستقلة برز الجمع بين « التضـــامن الاسلامى » و « العروبة » فى المعاهدات المعقودة بين هذه الدول العربية ، فقد استخدمت هذه المعاهدة تعبيرات « روابط الدين الاسلامى » و « وحدة الجنس » و « الأخوة الاسلامية » و « الوحدة العربية » و « توحيد الثقافة الاسلامية والعربية » • ويرى أحد القانونيين العرب أن المعاهدة تهتم أولا بالأمن الخارجى ثم باحتمال الاضطرابات الداخلية وأخيرا بالمجالات التى يمكن أن يتيسر التعـــاون فيها • وقد عقبت صــــحيفة « أم القرى » السعودية فى ١٩ من يونيو ١٩٣٦ على هذه المعاهدة بأن الحلف العربى بين العراق والعربية السعودية لم يبرم لتفضيل دولة أجنبية ولا بدافع من ريبة أحد الطرفين المتعاهدين فى الآخر وانما استهدف مصلحة العراق والعربية السعودية والدفاع عن كيانهما فحسب • يضاف الى ذلك أن الدولتين اللتين أبرمتـــا هذا الحلف لا تعملان على نقضه • فهدفهما هو امكان أن يعيشا فى سلام داخل بلديهما وأن يتبادلا المعونة فى الضراء مع الرغبة فى تسوية كل المصاعب سلميا • ومعاهدة بغداد يمكن ان تعد مرحلة أخرى فى الاتجاهات نحو التقارب بين دولتين عربيتين متجاورتين ولكنها تبدو أيضا كمركز للتجمع بالنسبة للدول المستقلة الأخرى التى ترغب فى الانضمام اليها اذ ان المادة ٦ منها تنص صراحة على هـــذه الامنية بالنسبة لليمن • (١)

الجمهورية العربية اليمنية

كانت تركيا قد هاجمت اليمن فى القرن السادس عشر ثم فقدتها فى القرن التالى وعادت الى احتلالها فى القرن التاسع عشر •

وظلت اليمن تعد ولاية من ولايات الامبراطورية العثمانية بين عامى ١٨٤٠ ، ١٩١٨ الا أن احتلال الترك لها لم يستقر قط ، فان الثورات والمعارك ضدهم لم تنقطع الى أن اســـتطاعوا فى عام ١٨٧٢ أن يحتلوا صنعاء ومعظم أنحاء البلاد وأقاموا حكومة عسكرية ، ولكن هذه الحكومة الأجنبية لم تمنع اندلاع ثورات اليمنيين المتقطعة حتى بويع يحيى بن

(١) نصيف ، ص ٥١ ــ ٥٢ •

محمد حميد الدين المولود فى عام ١٨٦٩ اماما لليمن فى ٤ من يونيو ١٩٠٤ ، وهو من أسرة القاسم الراسى التي كانت تحكم اليمن منذ عام ٨٦٠ طبقا لمذهب الشيعة الزيدية ٠

وفى عام ١٩٠٥ هاجم الامام يحيى صنعاء على رأس الثوار اليمنيين، فلما استولى عليها أعلن استقلاله قبل أن يتابع كفاحه ضد الغزاة ٠ (١)

معاهدة دعان مع تركيا ، ١٩١١ :

وفى خلال المدة بين عامي ١٩٠٤ ، ١٩١٠ استمرت مقاومة العرب اليمنيين للأتراك فى سبيل تحرير وطنهم من الحكم الأجنبى ، ولم ينته هذا الصراع الا فى شهر مايو عام ١٩١١ بتوقيع معاهدة بين البلدين وهى المعروفة بمعاهدة « دعان » ٠

وقد اعترفت هذه المعاهدة بالامام كتابع للخليفة وكرئيس لطائفة الزيدية ٠ ومنذ ذلك الوقت أصبح له أن يعين حكام المناطق الزيدية ورؤساء القبائل على ان يدفع عشر موارده للحكومة التركية ٠

وأيدها السلطان بفرمان فى عام ١٩١٣ ٠

وفى نوفمبر عام ١٩١٨ ــ بعد أن جلا الأتراك عن اليمن تنفيذا لمعاهدة الصلح عقب الحرب العالمية الأولى ــ اتخذ الامام يحيى صنعاء مقرا لحكمه ٠

ولما نال الامام يحيى استقلاله بعد هزيمة الترك فى عام ١٩١٩ اتخذ من العزلة المطلقة المتناهية فى القسوة إساسا جوهريا لكل سياسته ٠

وفى مارس ١٩٢٥ ارسل الامام ابنه سيف الاسلام أحمد ، على رأس قوة يمنية احتلت كل أراضى تهامه ، بما فيها لحيا والحديدة ٠

وفى ١٨ من أغسطس عام ١٩٢٦ عينت الحدود بين اليمن من جهة ونجد والحجاز من جهة أخرى ٠

---

(١) « بيربى » ، « الجزيرة العربية » ، ص ١١٧ ٠

معاهدة مع ايطاليا ، ١٩٢٦ ــ الامام ملك اليمن :

وفى ٢ من سبتمبر ١٩٢٦ صدق على معاهدة صداقة وتبادل تجارى مع ايطاليا لقب فيها الامام يحيى باسم « جلالة ملك اليمن » (١) وبذلك دخلت دولة أوروبية جديدة هذا الميدان للمرة الأولى منذ رحيل تركيا .

وفى أول نوفمبر ١٩٢٨ عقدت معاهدة بين الاتحاد السوفييتى واليمن وكان واضحا أن موسكو حاولت بهذه المعاهدة الاستمرار فى تحدى نفوذ بريطانيا فى الجزيرة العربية بعد أن وقعت مع عبد العزيز آل سعود معاهدة فى ١١ من فبراير ١٩٢٦ اعترفت به فيها ملكا على الحجاز بعد أن نادى بنفسه ملكا بشهر واحد .

وفى ١٦ من ديسمبر ١٩٣١ عقدت اليمن معاهدة صداقة وحسن جوار مع مملكة الحجاز ــ نجد وملحقاتهما . وتضمنت هذه المعاهدة النص على التزام الدولتين بعلاقات حسن جوار ، وبدعم عرى التعاطف والامتناع عن أى عمل يسىء الى الدولة الأخرى . وبشأن تسليم المجرمين السياسيين التزمت كل من الدولتين بالا تسمح بأن تكون ملجأ لمثيرى الشغب السياسيين الذين يفدون اليها من الدولة الأخرى وبأن تكون محاكمة هؤلاء المشاغبين أمام محاكم الدولة التى ارتكبت فيها الجرائم السياسية موضوع طلب التسليم .

المعاهدة الانجليزية اليمنية ، ١١ من فبراير ١٩٣٤ :

وفى ١١ من فبراير عام ١٩٣٤ وقعت فى صنعاء معاهدة صداقة وتعاون متبادل بين بريطانيا واليمن مدتها أربعون عاما نصت على الابقاء على الحالة الراهنة بشأن الحدود بين اليمن وأراضى عدن . وقد اعترفت بكامل استقلال ملك اليمن الامام واستقلال مملكته فى كافة الشئون . كما اعترفت بريطانيا للمرة الأولى لامام اليمن بهذه الصفة . وقد علق بعض الباحثين على هذه المعاهدة بأن بريطانيا لم تتمكن فيها من الحصول على تنازل الامام عن مطالبه الاقليمية فى المحميات (سلطنات ومشيخات وامارات عدن التى كانت قد ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدات حماية) ، وأنها لم تتعرض الا لتعيين الحدود اليمنية الجنوبية الحالية لليمن أى الحدود الانجليزية التركية القديمة (١٩٠٥) (٢) .

(١) « هورويتز » ج ٢ ص ١٤٦ ــ ٧ .
Royal Institute of International Affairs : The Middle East; a political and economical survey, Oxford University Press. لندن ، ١٩٥٨ ؛ ص ١٠٣ ،

(٢) المعهد الملكى ، الطبعة الثانية ؛ ١٩٥٥ ص ١٠٢ ، « هورويتز » ج ٢ ص ١٩٦ ــ ٧

معاهدة الطائف ، ٢٠ من مايو ١٩٣٩ اليمن ـ العربية السعودية ، بيان صريح عن روابط الأخوة والجنس العربى التى تربط الدولتين :

وفى ٢٠ من مايو ١٩٣٤ وقعت اليمن معاهدة «الطائف» مع العربية السعودية ، التى سبق أن أشرنا الى أنها سجلت تعبيرات « الأمة الاسلامية العربية » و « أمن الجزيرة العربية » و « الأخوة الاسلامية الخالدة » و « الأصل العربى » و « الامتان أمة واحدة » · وقد تم توقيعها فى جدة ونص على أن مدتها عشرون عاما · وفى ١٤ من فبراير ١٩٣٦ أضيف الى معاهدة « الطائف » ملحقان عنيا بتعيين الحدود بين العربية السعودية واليمن · وفى ١٩ من ابريل ١٩٣٧ انضمت اليمن الى معاهدة الصداقة العربية والتحالف التى كانت قد وقعت فى ٢ من ابريل ١٩٣٦ بين العربية السعودية والعراق · وقد وقع ميثاق انضمام اليمن فى صنعاء ولم يتضمن هذا الميثاق اشارة الى الالتزامات الدولية التى ارتبطت بها العراق بمقتضى انضمامها الى عصبة الأمم ولا الى غيرها من ارتباطات العراق الدولية · وأما بشأن ما نصت عليه معاهدة الطائف بشأن التعاون فى توحيد الثقافة الاسلامية والعربية فقد استبدل فى ميثاق الانضمام بنص أقل وضوحا بكثير اذ أشار هذا النص الجديد الى امكان تبادل البعثات العلمية بين اليمن والعربية السعودية بعد صدور الاذن اللازم ، مع أن المعاهدة تقضى بايفاد هذه البعثات دون محادثات مسبقة بين الطرفين بين وقت وآخر الا بشأن عدد أعضاء هذه البعثات فحسب · وقد توج ميثاق انضمام اليمن الى المعاهدة الموقع فى صنعاء بنداء موجه الى باقى الدول العربية المستقلة التى ترغب فى الانضمام أن تنضم اليها · وانضمام اليمن الذى كان له من الأهمية ما سمح بتسميته « ميثاقا عربيا » صادقا قد لقى من كل العالم العربى ترحيبا مصحوبا بالفرح ، كان على الأخص موضوع مناقشة فى البرلمان السورى اذ أعلن أحد النواب أنه يأمل من بلده ومن مصر الانضمام أيضا الى « **الميثاق العربى** » · (١)

وفى ٢٩ من يونيو عام ١٩٣٩ احتج الامام يحيى على ملك بريطانيا بسبب احتلال القوات البريطانية لمنطقة شبوه فى المنطقة التى تقطنها قبيلة الكرب والصيعر فى ناحية مأرب التاريخية وهى تقع على الحدود بين اليمن وحضرموت · وكان احتلال بريطانيا لهذه المنطقة بزعم أنها

---

(١) نصيف ، ص ٥٢ ـ ٢ ·

تدخل ضمن الأراضى الحضرمية التابعة للسلطان الكثيرى ، مع أن هذا السلطان العربى لم يكن حتى ذلك الوقت قد وقع معاهدة الحماية مع بريطانيا ٠

وفى كتاب نشر بعد ذلك بعشرة أعوام اعترف قائد القوات البريطانية التى تولت ضم شبوه بوجود رشح بترولى فى المناطق التى احتلتها قواته ٠ (١)

الجمهورية العراقية

المؤتمر العراقى بدمشق ، مارس ١٩٢٠ :
الاتحاد السياسى والاقتصادى بين العراق والشام :

فى ٨ من مارس عام ١٩٢٠ ـ أى فى نفس اليوم الذى اجتمع فيه المؤتمر السورى لاعلان استقلال سوريا ومبايعة فيصل الأول ملكا عليها كما سوف نرى ـ اجتمع المؤتمر العراقى بدمشق : « ليقرر اعلان استقلال العراق التام الناجز من شمال ولاية الموصل الى الخليج بريئا من أية شائبة تحت ملكية الأمير عبد الله بن الحسين ، وقد شهد هذا المؤتمر كثير من رجال الحركة العربية العراقيين حيث نص فى قراره هذا على اعلان الاتحاد السياسى والاقتصادى بين العراق وبلاد الشام » (٢) ٠

وفى ١٠ من أغسطس عام ١٩٢٠ وقعت معاهدة : « سيفر » التى ظلت شروطها معطلة بسبب عدم مصادقة تركيا عليها ، والتى فصلت العراق عن الامبراطورية العثمانية واعترفت بها ـ مؤقتا ـ دولة مستقلة بشرط أن تتولى ادارتها دولة منتدبة طبقا لما نصت عليه المادة ٢٢ من معاهدة « فيرساى » الموقعة فى ١٨ من يونيو ١٩١٩ ٠

وفى نفس الوقت انتقل النشاط الوطنى العربى من مرحلة الاثارة

---

(١) « بيرى » ، الجزيرة العربية ، ص ١٢٠ ٠
وأيضا ب ٠ غالى ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٥ ، ص ١٥ ، النزاع الانجليزى ـ اليمنى » ٠
(٢) دروزه ؛ ص ١٢٢ ٠

الى مرحلة التحدى السافر ، ففى مستهل ذلك العام استطاعت القوات العراقية غير النظامية بقيادة رمضان شلاش ـ بتشجيع من حكومة دمشق العربية ـ أن ترغم القوات البريطانية على الانسحاب من « دير الزور » وهى أقصى نقطة لتلك القوات فى اتجاه سوريا ، وفى يونيو استطاعت قوة عراقية أخرى بقيادة جميل المدفعى ـ الذى تولى رئاسة الوزارة فيما بعد ـ أن تجهز على الحامية البريطانية فى « تل اعفر » غرب الموصل ، وفى نفس العام أجرى استفتاء بغية ايقاع الفرقة بين الشيعة والسنيين ولكن الاستفتاء أسفر فى النجف على « أن يكون للعراق الممتد من شمال الموصل الى خليج فارس حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربى مسلم وهو أحد أنجال الملك حسين على أن يكون مقيدا بمجلس تشريعى » (١) ٠

وفى ٢٣ من أكتوبر ١٩٢٠ ألفت حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الجيلانى نقيب بغداد ، وفى ١١ من نوفمبر ألف « مجلس دولة » ،

وفى ٢٣ من ديسمبر وقع بين فرنسا وانجلترا اتفاق « ليج ـ هاردنج » لتعيين الحدود بين سوريا ولبنان من جهة ، وبين العراق وفلسطين من جهة أخرى ٠

وفى مارس ١٩٢١ قرر مؤتمر القاهرة ـ بناء على دعوة تشرشل وزير المستعمرات البريطانى وقتئذ ـ أن يكون فيصل ملكا على العراق ٠

وفى ٢٣ من أغسطس نودى بفيصل ملكا ودعى الشعب العراقى لمبايعته ٠

معاهدة التحالف مع بريطانيا ، ١٩٢٢ :

فى ١٠ من أكتوبر عام ١٩٢٢ أقر العراق معاهدة تحالف مدتها عشرون عاما مع بريطانيا ٠ وقد تعهدت بريطانيا فى المادة السادسة من هذه المعاهدة ببذل وساطتها للحصول على قبول العراق عضوا فى عصبة الأمم فى أقرب وقت ممكن (٢) ٠

وفى ٢١ من مارس عام ١٩٢٥ صدر القانون الأساسى العراقى ٠ ونصت المادة ١٧ منه على أن :

« العربية هى اللغة الرسمية سوى ما ينص عليه بقانون خاص ٠ »

---

(١) البزاز ، ص ٣١ ـ ٣٣ ٠

(٢) عصبة الأمم : مجموعة المعاهدات ، ج ٣٥ ، ١٩٢٥ ؛ ص ٢٩ ـ ٣٠ ٠

معاهدة التحـالف والصـداقة مع بريطانيا ، الاعتراف بسيادة العراق وتأييد طلبها الانضـمام الى عصبة الأمم :

وفى ٣٠ من يونيو ١٩٣٠ وقعت معاهدة بين العراق والمملكة المتحدة جاء فى ديباجتها أنه نظرا الى أن المملكة قد اخطرت حكومة العراق ـ بدون قيد ولا تحفظ ـ فى ١٤ من سبتمبر ١٩٢٩ باسـتعدادها لتأييد طلب العراق الخاص بانضمامها الى عصبة الأمم فى عام ١٩٣٢ ، والى أنها أخطرت مجلس العصبة بذلك ، والى أن العلاقات التى ستقوم بين الطرفين كدولتين كاملتى السيادة والاستقلال يجب أن تحدد بعقد معاهدة تحالف وصداقة ، فقد اتفق الطرفان فى نطاق الحرية والمساواة والاستقلال التام على عقد معاهدة جديدة تنفذ عند دخول العراق عصبة الأمم . (١)

جمهورية مصر العربية

الثورة المصرية ١٩١٩ ، الوفاق بين المسلمين والأقباط :

فى أول مارس ١٩١٩ رفضت الوزارة المصرية التى كانت تتولى الحكم اذ ذاك سفر « الوفد المصرى » لحضور مؤتمر الصـلح بباريس . واضطرت الوزارة الى الاستقالة ، فبدأ الأضراب العام واندلعت أعمـال العنف فى جميع أنحاء مصر ، وأمرت دار المندوب السـامى البريطانى بالقبض على الزعمـاء المصريين الثلاثة سـعد زغلول ومحمد محمود واسماعيل صدقى ونفتهم الى مالطة . وقد وصف كاتب ايطالى المظاهرات التى عمت البلاد فى صيف عام ١٩١٩ بأنه : « للمرة الأولى فى التاريخ رفرفت الاعلام تحمل الهلال متحدا مع الصليب ، والى هذا الوقت كان كل فريق بمنأى عن الفريق الآخر ، أما اليوم ـ وكما حدث فى الهند عندما اتحد المسلمون والهندوس ـ فقد اختفى كل خـلاف دينى بين عنصرى الأمة وانضم كل المصريين تحت نفس العلم وكل واحـد منهم يطوى تحت قناع الصمت نفس الايمان الملتهب ونفس اليقين بأن قضيته الوطنية ستكلل بالنجاح » ، كما قررت كاتبة فرنسـية قضت معظم حياتها فى مصر بأنها شاهدت فى هذا البلد الذى طالما مزقته الخلافات العقائدية والسياسية ، شاهدت هذه الظاهرة المذهلة : القسس الأقباط

---

(١) عصبة الأمم ، مجموعة المعاهدات ، ج ١٣٢ ، ١٩٣٢ ـ ٣ ، ص ٣٦٦ ـ ٧ . وهورويتز ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ـ ١٨١

يعظون فى المساجد وعلماء المسلمين يخطبون فى الكنائس ، وطلبة سوريين – موارنة ومسلمين – وتلاميذ من جميع المذاهب ونساء مصريات من أصل تركى أو مصريات صميمات ، وقد وحدت بينهم جميعا نفس الحمى ونفس الرغبة العنيفة : العمل على أن يطلع فوق الأرض القديمة فجر الاستقلال بأشعته الوضاءة (١) ٠

ومصر التى تذكر كل مناسبة أنها تتزعم الاسلام بازهرها العتيد أقدم جامعات العالم الدينية ، كان يثير حفيظتها مايفعله الاستعمار الغربى فى ديار الاسلام ، وتجلى دفاعها عن المسلمين ونضالهم بمناسبة ثورة الريف (١٩٢٤ – ١٩٢٥) وضرب دمشق (١٩٢٥) وحوادث حائط المبكى (١٩٢٩) وحوادث الظهير البربرى (١٩٣٠) الذى استهدف تنصير ملايين المسلمين من قبل فرنسا فى الشمال الأفريقى ٠ ولا نكران أن معظم هذه العواطف نحو البلاد العربية الأخرى وبخاصة فلسطين كان حافزها الدين ٠ (٢)

تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ – السيادة المصرية :

وتوالت محاولات الحكومة البريطانية لتهدئة الحالة عبثا الى أن اضطرت فى ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ الى اصدار التصريح المعروف الذى اعترف فيه بانهاء الحماية البريطانية وباستقلال مصر مع أربعة تحفظات خاصة بالمواصلات البريطانية وبالدفاع عن مصر ، وبحماية الأجانب والأقليات وبالسودان ٠ وقد اعترف « توينبى » أحد كبار المؤرخين البريطانيين بأن « هذه التحفظات حدت من استقلال مصر فهوت بسيادتها الى أقل من مستوى الممتلكات البريطانية » ٠ وقد استقبلها المصريون كقسط من أقساط الاستقلال ٠ (٣)

ومع ذلك فقد كان تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ موضوع تعقيب لكاتبة فرنسية عرفت بتوفرها على تاريخ الحركة الوطنية المصرية فذهبت

(١) « ستودارد » ص ١٩٢ – ٣ وقد استند على مقال « سيفينيتى » فى صحيفة « كوريرى دبلاسيرا » فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٩ ومقال « جهان ديفرى » بعنوان « فى مصر » بمجلة « ويفوده بارى » فى ١٥ سبتمبر ١٩٢٠ ٠

(٢) أحمد طربين ؛ الوحدة العربية ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ؛ ١٩٥٧ ص ١٩١ ٠

(٣) اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بالاعلان الذى أصدرته بريطانيا باستقلال مصر ، « بشرط المحافظة على حقوق الولايات المتحدة .. المترتبة الى الآن » وقبل انقضاء عام ١٩٢٢ ، رفعت الوكالة الأمريكية فى القاهرة الى درجة مفوضية ٠

الى أن مصر كانت مستقلة وعلى رأس جميع الدول الاسلامية المجاورة منذ حكم الخليفة الفاطمى المعز الذى اتخذ القاهرة عاصمة له فى عام ٩٧٢ ، وحكم المماليك الى عام ١٥١٧ عندما غزا سليم الأول سلطان تركيا مصر ، وكان حكام مصر يزاولون سلطة الملوك . وقد أعلن على بك الكبير نائب السلطان العثمانى استقلال مصر عن تركيا فى عام ١٧٦٩ فليس لقب ملك مصر وهو اللقب الذى أصبح سلطان مصر يحمله عقب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ جديدا منذ عهد البطالسة (١) .

وفى ١٩ من ابريل عام ١٩٢٣ صدر الدستور المصرى الذى نصت المادة الأولى منه على أن :

« مصر دولة ذات سيادة وهى حرة مستقلة ملكها لا يجزأ ولا ينزل عن شىء منه » .

ونصت المادة ١٤٩ منه على أن :

« الاسلام دين الدولة . واللغة العربية لغتها الرسمية » .

وفى ٢٤ من يوليو عام ١٩٢٣ تنازلت تركيا بمقتضى المادة ١٧ من معاهدة لوزان عن كل حقوقها على مصر والسودان من ٥ نوفمبر عام ١٩١٤ . وقد تكررت محاولات بريطانيا لاخماد الوعى المصرى فكانت مفاوضات « سعد ـ مكدونالد » عام ١٩٢٤ ، ومفاوضات « ثروت ـ تشمبرلن » عام ١٩٢٧ ، ومفاوضات « محمد محمود ـ هندرسن » عام ١٩٢٩ ، ومفاوضات « النحاس ـ هندرسن » عام ١٩٣٠ .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد وقعت مع مصر معاهدة تحكيم وتوفيق فى ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٢٩ .

وبدأت تتردد أحاديث « العرب » و « العروبة » وعنى بعض المفكرين العرب بتحليل « دور مصر فى النهضة القومية العربية » فنشرت الصحف العراقية : « لقد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى انهاض القومية العربية ، لأنها تقع فى مركز البلاد العربية بين القسمين الافريقى والآسيوى منها . كما أنها تكون أكبر كتلة من الكتل التى انقسم اليها العالم العربى بحكم السياسة والظروف .. وكل ذلك ، من الموقع الجغرافى ، الى الكثرة ، والثروة العامة ، ومستوى الثقافة ، وتشكيلات الدولة ، وانتشار الأدب والفصاحة ، مما يجعل مصر الزعيمة

---

(١) Juliette Adam : L'Angleterre en Egypte. باريس ، ١٩٢٢ ، ص ٣٠٢ .

الطبيعية للقومية العربية » • وقد لاحظ هذا المفكر بعد تحليل أهداف الرابطة الشرقية التى تحدثنا عنها فى الفصل الأول من هذا القسم — انه « لا نكران فى أن بعض مفكرى مصر لم يصلوا بعد الى مرحلة رابطة القومية العربية بل توقفوا عند نوع من الرابطة تؤلف جسر انتقال من مرحلة الرابطة الاسلامية العامة الى مرحلة الرابطة العربية القومية ،هذه الرابطة اسموها باسم الرابطة الشرقية ، غير اننا لا نشك فى أن هذه الرابطة عندما تتحرر من عناصرها اللفظية وتصطدم بالحقائق العملية وتنصهر بالتعارف الحقيقى • ستتحول بالتدريج الى رابطة عربية بحتة » • (١)

معاهدة الصداقة بين مصر والعربية السعودية ١٩٣٦ ، عودة الى التضامن الاسلامى :

وفى ٦ من مايو ١٩٣٦ وقعت مصر معاهدة مع العربية السعودية اعترفت فيها باستقلال السعودية التام المطلق ، ونصت المعاهدة على السلام الدائم والصداقة الخالصة بين المملكتين وبين رعاياهما كما نصت على انشاء علاقات سياسية وقنصلية بين الدولتين • ومما يلفت النظر بالنسبة لموضوع هذا البحث ما نصت عليه المادة ٥ من ان ملك السعودية يوافق « عملا بالتضامن والتعاون الاسلامى على تمكين الحكومة المصرية التطوع لعمارة الحرمين الشريفين » • وقد اقتصرت هذه المعاهدة على ذكر « التضامن الاسلامى » دون « العروبة » التى تضمنتها المعاهدات الخمس التى سبقت الاشارة الى أنها قد اتسمت بها ، ولكن يجب ألا يغيب عنا أن المادة ٥ من هذه المعاهدة قد عنيت فحسب بموضوع دينى بحت •

وكان ارتباط مصر بمعاهدات صداقة مع الدول العربية التى اكتسبت استقلالها وسيادتها ، قد بعث الاطمئنان فى قلوب الجميع ولم يتردد الوطنيون بسوريا والعراق فى أزمتهم من الالتفات الى القاهرة• وفى ديسمبر ١٩٣٨ صاح موظف عراقى كبير « الى الأمام يا مصر ونحن خلفك ! » • ولم تصم مصر سمعها عن هذا النداء بل عقدت العزم على أن تسير قدما فى طريق العروبة • ومنذ ذلك الوقت توالت فى القاهرة والاسكندرية المؤتمرات العديدة التى أكد فيها الجميع ايمانهم

(١) أبو خلدون : ساطع الحصرى ، آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١١٨ ، مستندا الى صحيفة « البلاد » بغداد ، ١٩ من ابريل ١٩٣٦ .

بالمصير الرائع الذى ينتظر الشعب العربى • ومن جهة أخرى اتسع أفق العروبة ، فبعد أن كان محصورا فى الدول العربية التى أنشئت فى ولايات الامبراطورية العثمانية القديمة امتد عبر برزخ قناة السويس الى ليبيا وشمال افريقيا حتى مياه الأطلنطى (١) •

وذهب باحث عربى الى أن ألحق أن دعاة العروبة فى بلاد الشـام والعراق اذ أقاموا دعوتهم على أساس لغوى وثقافى أكثر منه دينى ، فان هذا ما كان ميسورا فى مصر لأن النزعة الدينية وجدت الى جانب النزعة القومية سواء بسواء فى أذهان الناس • حتى ان الوفد المصرى الى المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس عام ١٩٣١ اشترك هو نفسـه فى المؤتمر العربى الذى انعقد بعد المؤتمر الاول بقليل ، ودافع الوفد عن وجهـة النظر الدينية فى المؤتمر الأول ، كما دافع عن وجهة النظر العربية القومية فى المؤتمر الثانى ، وكان الحال كذلك فى مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ وفى المؤتمر البرلمانى الاسلامى العربى فى القاهرة عام ١٩٣٨ •

معاهدة التحالف مع بريطانيا ،
٢٦ من أغسـطس ١٩٣٦

أشرنا فى الفصل السابق الى أثر هذه المعاهدة فى مسار العلاقات الدولية بين مصر والعالم الاسلامى وبين مصر وبقية الدول العربية ، والى طابع الأخوة الدينية والعرقية الذى يربط مصر بالعالم العربى •

ونضيف هنا انه بعد ابرام المعاهدة البريطانية المصرية عام ١٩٣٦ اطمأنت مصر الى وضعها الدولى كدولة ذات سيادة ، وبدأت تتطلع الى من حولها من الدول العربية • فأدركت المدى الذى توصلت اليه بعض هذه الدول فى طريق السيادة الوطنية والاستقلال ، وانها - أى مصر - من الزاوية العربية أقوى وأغنى الدول العربية ، ومن الزاوية الاسلامية الشرقية تؤهلهـا ثقافتها وجامعاتها وامكانياتها البشرية وحضارتها الى أن تقوم بدور هـام بين دول الشرق الأدنى العربى » • (٢)

وعقب آخر على هذه الفترة بأنه « حين خففت مصر عن كاهلها عبء السيطرة الاجنبية أسرعت فى الكشف عن الطابع العربى لحركتهـا فى الفترة بين الحربين ، ولما تحررت كلية من الاستعمار بدت حركتهـا عربية قومية » • (٣)

---

(١) المرجع السابق . ص ١٧٧ - ٨ •
(٢) طربين ؛ ص ١٩٢ - ١٩٤ •
(٣) الدورى ، ص ٨٥ •

ولكن الامر اختلط فى نظر البعض فذهبوا فى تحليل الحـــركة العربيه فى تلك الفترة الى أن العالم الاسلامى والعربى منه خاصة اجتاحته موجة من الذعر ، ومن الاحساس بالخطر دعته الى التماسك والى الاستجابة لنداء الداعين الى الجامعة الاسلامية .

« فوجدنا فى سنة ١٩٢٢ جمعية الرابطة الشرقية . ومع ان الجمعية قد صرحت بأن عرضها غير سياسى ولا دينى فقد كان اتجاهها الاسلامى واضحا . فهى ترسل مندوبا لمقابلة الخليفة فى الاستانة . وهى تبـدأ نشاطها بالمساهمة فى جميع التبرعات لترميم مبنى المســجد الأقصى والصخرة سنة ١٩٢٣ ثم تحيى فى العام التالى ذكرى جمال الدين الافغانى وتتدخل محاولة التوسط بين الملك حسين ملك الحجاز وبين السعوديين. ثم تساعد بعد ذلك فى جمع التبرعات لجرحى الريف المراكشى فى ثورته ولضحايا الاحتلال الفرنسى فى دمشق وللدفاع عن عرب فلسطين .. وبدا عنـد ذلك ان هناك وعيا اسلاميا جديدا قد استيقظ . واســتطاع تيار هذا الوعى أن يجذب اليه كثيرا من الكتاب ، فظهر كتاب « على هامش السيرة » و « عثمان » لطه حسين » ، و « حياة محمد » و « فى منـــزل الوحى » و « أبو بكر الصديق » و « عمر الفاروق » لهيكل . وظهرت عبقريات العقاد وأشهر مشاهير الاسلام لرفيق العظيم ، والاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ، والشخصية المحمدية لمعروف الرصافى . (١)

وفى رأينا ان هذا الاتجاه الذى أشار اليه انما هو اتجاه الى مذهب « الوحدة الشرقية » الذى سبق أن تولينا دراسته وتحليله والذى تطور فيما بعد الى مذهب « الأفرو ــ آسيوية » . أما ما أشار اليه من مؤلفات فهى دراسات ثقافية عربية ذات اطار اسلامى .

وقد قرر آخر وهو فى صدد تحليل الحركة العربية بصـــفة عامة فى الفترة بين ١٩٢٠ ، ١٩٣٨ أن مما له أهمية دائمة الشـــعور المتزايد بالتضامن والعزم على استكمال الاستقلال الذى اتسم به العـالم العربى . ولكنه لما أشار الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى ديسمبـــر عام ١٩٣١ بالقدس ، والذى اشترك فيه مندوبون مصريون ، ذهب الى أن شعورا بالوحدة العربية بين مختلف أجزاء العالم العربى قد اتجه الى التزايد كما تمثل فى الميثاق الذى وضعه المندوبون العرب فى مؤتمر القدس ، اذ أعلن فى هذا الميثاق أن الأرض العربية كل لا يتجزأ ، وأن الهدف الذى تتجه اليه جميع الجهود العربية هو الاستقلال التام الذى يوحد بين جميع

---

(١) ماهر حسن فهمى ، القومية العربية والشعر المعاصر ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٣ ــ ٤٥ .

البلاد العربية . وقد تجلى التضامن العربى فيما بعد فى الاهتمام الايجابى بالشئون العربية وجهود الوساطة التى بذلت فى هذا السبيل . (١)

الجمهورية العربية السورية

فيصل يكون حكومة تضم كل سوريا ١٩١٨ ، لجنة كنج - كرين ترى توحيد سوريا ١٩١٩ :

فى ٥ من أكتوبر ١٩١٨ أعلن الأمير فيصل قائد جنود الثورة العربية تأليف حكومة تشمل جميع البلاد السورية .

وفى ٣٠ من يناير ١٩١٩ أصدر مؤتمر الصلح قرارا بفصل البلاد العربية عن تركيا ثم أصدر قرارا لاحقا فى ٢١ من مارس بايفاد لجنة تحقيق دولية لدراسة أحوال تلك البلاد العربية وتبين رغبات أهلها . ولكنه فى ٢٨ من ابريل عامئذ أصدر قراره المعروف بالتصديق على ميثاق عصبة الأمم . وهو الميثاق الذى ابتدعت المادة ٢٢ منه نظام الانتداب .

وقد أنجزت اللجنة الأمريكية التى ندبها مؤتمر الصلح عملها فى سوريا وعادت الى باريس فى منتصف سبتمبر ١٩١٩ لتقديم تقريرها الى المؤتمر (٢) . ولكن الشعب الأمريكى كان قد تخلى عن رئيسه ولسن فأسرعت اللجنة بالعودة الى وطنها وقدمت ذلك التقرير الى حكومة واشنجتن . وهذا التقرير هو « التقرير الوحيد الذى صدر عن جماعة أمريكية توصى برفض مطالب الصهيونيين وتقترح أن تضم فلسطين الى سوريا واقسامها الأخرى . وكذلك كان رأيها ضم لبنان الى سوريا على أن يتمتع باستقلال ادارى واسع » (٣) .

(١) Gathorne-Hardy : A Short History of International Affairs, Oxford University Press. لندن ، ١٩٣٨ ، ص ٢٨٣ - ٤ .

(٢) هذه اللجنة هى لجنة « كنج - كرين » التى سبق أن أشرنا اليها وكانت قد كلفت باستفتاء الشعب السورى والشعب العراقى ولكن الحكومة البريطانية لم تمكنها من القيام بعملها فى العراق ، وسنعود اليها فى هذا الكتاب .

(٣) نجيب الارمنازى ، « سورية من الاحتلال حتى الجلاء » ص ٨ ؛ وقد ذكر أن التقرير نشر فى ملاحق كتاب « اليقظة العربية » لانطونيوس بالانجليزية وان اللجنة التنفيذية اذاعته عام ١٩٢٧ .

وفى ١٣ من سبتمبر ١٩١٩ أرسل لويد جورج الى الأمير فيصل والحكومة الفرنسية مذكرة تضمنت :

١ ـ انسحاب الجيوش الانجليزية من سوريا وكيليكية فى أول نوفمبر ١٩١٩ .

٢ ـ يحل محل الحاميات البريطانية جنود فرنسيون فى غرب الخط المعتبر فى معاهدة سايكس بيكو وفى كيليكية .

٣ ـ المقاطعات التى يبقى فيها الجنود الانجليز هى العراق وفلسطين .

وفى ٢١ سبتمبر ١٩١٩ أجاب فيصل بمذكرة تضمنت :

١ ـ اجحاف هذا القرار بقانون العدل وما كان يتوقعه العرب من الخلفاء .

٢ ـ انه ما دام هذا التغيير مؤقتا فما هى الضرورة الملحة لهذا التغيير ولماذا لا يبقى الاحتلال البريطانى كما هو الى أن يتم الصلح مع تركيا .

٣ ـ الاحتجاج بشدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد .

٤ ـ اذا كان لا بد من انسحاب الجيش البريطانى من سوريا فيجب أن تنسحب أيضا سائر الجيوش الأوروبية وتترك المسئولية للجيش العربى .

٥ ـ رفض العرب لتجزئة بلادهم وانكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به (١) .

وقد ذهب بعض المؤرخين العرب الى أن اشاعات كانت قد ذاعت اذ ذاك بأن فيصلا عقد اتفاقا أوليا مع الحكومة الفرنسية فى باريس فى ٦ من ديسمبر ١٩١٩ يتضمن « الاعتراف بالانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الادارات الملكية والعدلية والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ومدربين للدرك والشرطة . كما ان الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين فى الخارج يقومون بتمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية (٢) » ومع ان هؤلاء المؤرخين قد اعترفوا بأنهم لم يعثروا على وثيقة بذلك ، الا انهم أشاروا الى الخطاب المؤرخ فى

---

(١) حافظ وهبه ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ١٨٠ .

١٦ نوفمبر ١٩١٩ المرســل من فيصــل الى سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية والذى جاء فيه :

« ان قصدى كان الوصول الى عقد ائتلاف مع الحـكومة الفرنسية التى ـ مع قبول ما يضمن للشعب السورى سيادته الوطنية ـ ستمنح للبلاد بطلب منى معونتها المالية ومستشارين بقصد التعاون مع الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين » ٠

المؤتمر السورى : ٢ من يوليو ١٩١٩ ، استقلال سوريا

وكان المؤتمر السورى العام قد عقد بدمشق فى ٢ من يوليو ١٩١٩ واصدر قراراته التاريخية التى طالب فيهـا بالاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية من جبال طوروس شمالا والى رفح جنوبا فمن الفرات شرقا فالبحر الابيض المتوسط غربا « واننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية ، مدنية ، نيابية تدار مقاطعاتها على طريقـــة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الاقليات على ان يكون ملك هــذه البلاد الامير فيصل » واحتج المؤتمر على المادة ٢٢ من عهد عصـــبة الأمم القاضية بادخال سوريا فى عداد الأمم المتوســـطة التى تحتاج الى دولة منتدبة ، ولم يعترف المؤتمر بأى حق تدعيه فرنسا فى أية بقعة من سوريا ورفض « أن يكون لها مساعدة ويد فى بلادنا بأى حال من الأحوال » كما رفض المؤتمر » مطالب الصهيونيين بجعل الجزء الجنوبى من البلاد السورية أى فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أى قســـم من بلادنا ، لأنه ليس لهم فيها أدنى حق لأنهم خطر شديد جدا على شعبنا » ٠ وطالب المؤتمر بعدم فصل القسم الجنوبى من سوريا المعروف بفلســـطين والمنطقة الغربية الساحلية التى من جملتها لبنان ، وطالب بالاستقلال التام للقطر العراقى وعدم ايجاد حواجز اقتصادية بين القطرين (١) ٠

وفى ٨ من مارس عام ١٩٢٠ أعلن المؤتمر الوطنى المنعقد فى دمشق اختيار فيصل ملكا على ســوريا ـ من كيليكية الى الحـدود المصرية ومن البحر الأبيض المتوسط الى الصحراء ـ أى أنها تضـــم أراضى الأردن وفلسطين ولبنـــان ، وطلب استقلال العراق وتكوين اتحاد ســياسى واقتصادى بينه وبين ســـوريا (٢) ٠ كما أن مجلس الحلفاء الأعلى فى

---

(١) نشرت هذه القرارات فى الترجمة العربية لكتاب أنطونيوس ، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٩ . وقد أشار الى أن نصها منقول عن كتاب أمين الريحانى « الثورة العربية الكبرى » ٠

(٢) الارمنازى : نفس المرجع ، ص ٤ ٠

الانتداب على سوريا • وقد اشترك فى هذا المؤتمر مندوبو بريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان ولم تشترك الولايات المتحدة فيه بعد أن التزمت سياسة العزلة ، وفى ضوء قرارات مؤتمر سان ريمو عمدت فرنسا « سان ريمو » قد صدق فى ٢٥ من ابريل عامئذ على منح فرنسا سلطات الى تقسيم بلاد الشام (سوريا التاريخية) الى ثلاثة أقسام : فلسطين ولبنان وما تبقى من سوريا •

وتمكنت القوات الفرنسية فى ٢٦ من يوليو عامئذ من دخول دمشق واجلاء قوات الملك فيصل عنها بعد أن هب الشعب السورى للدفاع عن استقلاله ، وكانت معركة « ميسلون » التى استشهد فيها وزير الدفاع يوسف العظمة فى ١٤ من يوليو عند مقاومته لقوات الجنرال « جورو » ، وهو يوم من أيام سوريا الخالدة • وقد سبق أن ذكرنا – عند الكلام عن الجمهورية العراقية – أن معاهدة سيفر – التى لم تنفذ بسبب عدم تصديق تركيا عليها – قد نصت فى ١٠ من أغسطس عامئذ على فصل سوريا عن الامبراطورية العثمانية •

ونضيف الآن انه فى ١٠ من أغسطس عام ١٩٢٠ – أى فى يوم توقيع معاهدة سيفر – وقع اتفاق بين فرنسا وايطاليا وبريطانيا منح الدولتين الأوليين مناطق نفوذ اقتصادية فى آسيا الصغرى • وكانت منطقة النفوذ الفرنسية تشمل شمال سوريا حتى « سيفاس » وتشمل كل كيليكية • ولم ينفذ هذا الاتفاق لأن تركيا لم تصدق عليه • (١)

المؤتمر العربى بجنيف : أغسطس ١٩٢١ ،
نداء الى عصبة الأمم بالاعتراف باستقلال
سوريا ولبنان وفلسطين وحقها فى الاتحاد :

وفى أواخر أغسطس ١٩٢١ اجتمع فى جنيف مؤتمر ضم ممثلى الاتحاد السورى والمؤتمر الفلسطينى ومجلس الادارة اللبنانى والاستقلال العربى واللجنة الفلسطينية بمصر ، وعدة جمعيات عربية فى الولايات المتحدة وشيلى والارجنتين • ووجه هذا المؤتمر فى أول سبتمبر ١٩٢١ نداء الى عصبة الأمم ختمه بهذه المطالب :

١ – الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومى لسوريا وللبنان ولفلسطين •

---

(١) هورويتز ؛ ج ٢ ، ص ٨٧ – ٨٩ •

٢ ـ الاعتراف بحق هذه البلاد بأن تتحد معا بحكومة مدنية مسئولة أمام مجلس نيابى ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقى البلاد العربية المستقلة فى شكل ولايات متحدة « فدراسيون » •

٣ ـ اعلان الغاء الانتداب حالا •

٤ ـ جلاء الجنود الفرنسيين والانجليز عن سوريا ولبنان وفلسطين •

٥ ـ الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومى لليهود فى فلسطين (١) •

وفى ٣ من فبراير عام ١٩٢٢ وقع فى بيروت تقرير اللجنة التى كلفت بتعيين الحدود المشتركة بين لبنان وسوريا وفلسطين •

وفدا سوريا ولبنان يطلبان وحدة الأرض السورية .
ثورة جبل الدروز ١٩٢٥ :

وفى يناير ١٩٢٥ تقدم وفدان يمثلان سوريا ولبنان الى الجنرال « سراى » الفرنسى بطلب وحدة البلاد السورية التى تضم بلاد العلويين وجبل الدروز والاسكندرونة والأراضى الملحقة بلبنان • وعقب ذلك أعلن تأليف حزب « الشعب » وأنشئت له فروع فى حلب وحمص وحماه وهو أول حزب منظم عهدته الحياة السياسية فى سوريا (٢) •

وفى يوليو عام ١٩٢٥ اندلعت ثورة جبل الدروز وقد تأججت هذه الثورة الدرزية فى معركة « المزرعة » التى انهزم فيها جيش الجنرال « ميشو » الفرنسى أمام مقاتلى الدروز ، وتبينت السلطات الفرنسية تعاون حزب الشعب مع الدروز فأغلقت نادى الحزب ، وأرسلت الحكومة

---

(١) الارمنازى ، ص ٣٠ ـ ٣١ •

(٢) نصت المادة الأولى من برنامج الحزب على :

يعمل حزب الشعب المؤسس فى دمشق على تحقيق المبادىء الآتية :

(أ) السيادة القومية .

(ب) وحدة البلاد السورية بحدودها الطبيعية .

(ج) ضمان جميع الحريات الشخصية .

(د) تدريب البلاد نحو سياسة اجتماعية ديمقراطية مدنية .

(هـ) حماية الصناعات الوطنية وانماء الموارد الاقتصادية .

(و) توحيد نظام التربية والتعليم فى البلاد وجعل التعليم الابتدائى اجباريا عاما.

الفرنسية الجنرال « جاملان » قائدا عاما لجيش الشرق فوصل دمشق فى ١٤ من سبتمبر ١٩٢٥ .

وكان النداء الأول الذى أذاعه سلطان الأطرش « قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام » يتضمن :

١ ـ وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها ، والاعتراف بدولة سوريا عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما .

٢ ـ قيام حكومة شعبية تجمع مجلسا تأسيسيا لوضع دستور يقرر سيادة الأمة سيادة مطلقة

٣ ـ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش وطنى لصيانة الأمن .

٤ ـ تأييد مبدأ الثورة الفرنسية واعلان حقوق الانسان فى الحرية والمساواة والاخاء .

الثورة السورية العامة ١٩٣٦ :

وبعد ثورة الدروز اندلعت ثورة دمشق فى أكتوبر ١٩٢٥ ، ولم تبدأ الثورة العامة الا فى ابريل عام ١٩٢٦ .

وقد حاول المندوب السامى الفرنسى أن يسترضى السياسيين السوريين المعتدلين بواسطة التلويح بوضع دستور ، ووضع مشروع هذا الدستور فعلا فى عام ١٩٢٨ ولكن المندوب السامى اعترض على بعض مواده التى بدا أنها هدفت الى الحد مما زعمته فرنسا لنفسها من حقوق ، وعلى مواد أخرى كانت تهدف الى تحقيق وحدة سياسية لسوريا الكبرى.وبعد عدة محاولات قصد بها الوصول الى تسوية ترضى الطرفين أصدر المندوب السامى فى ١٠ من أغسطس ١٩٢٨ أمرا بتأجيل جلسات الجمعية التأسيسية لمدة ثلاثة أشهر تجددت فى ٥ نوفمبر .

وفى ٣ من مايو عام ١٩٣٠ وقع بين فرنسا وتركيا البروتوكول النهائى لتعيين الحدود بين سوريا وتركيا .

وفى ١٤ من مايو نشرت الشروط التى تم الاتفاق عليها بين فرنسا وتركيا والتى تتضمن انشاء دولة سورية وتنظيم ادارة سنجق الاسكندرونة وحكومة اللاذقية التى كانت تسمى فى ذلك الوقت دولة العلويين ، وحكومة جبل الدروز .

الدستور : استقلال وسيادة سوريا ، ١٩٣٠ :

وفى ١٤ من مايو أى فى نفس اليوم أصدر المندوب السامى الفرنسى أمره بحل الجمعية التأسيسية السورية التى كانت قد كلفت بوضع الدستور وأصدر دستورا آخرا نص على أن :

« سوريا دولة مستقلة ذات سيادة ، ولا يجوز السماح بأى جزء كان الدستور وأصدر دستورا آخرا نص على أن :

« اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى جميع دوائر الدولة الا فى الأحوال التى تضاف اليها لغات أخرى بموجب اتفاق دولى » .

وفى ٧ من يونيو عام ١٩٣٢ اجتمع البرلمان الذى أسفرت عنه الانتخابات .

وفى ١٦ من نوفمبر عام ١٩٣٣ وقعت مع فرنسا معاهدة على نسق المعاهدة البريطانية العراقية التى عقدت عام ١٩٣٠ .

وقد عرض مشروع هذه المعاهدة على مجلس النواب السورى الذى اعترض على المشروع اعتراضا شديدا .

وفى ٢ من نوفمبر عام ١٩٣٢ أوقفت الحياة النيابية .

مؤتمر دمشق يطالب بالوحدة العربية
ـ الثورة السورية الثانية ، ١٩٣٦ :

وفى ١٠ من يناير عام ١٩٣٦ عقب موت الزعيم الوطنى ابراهيم هنانو اجتمع الزعماء الوطنيون فى دمشق بشكل مؤتمر وهاجموا سياسة حكومة الانتداب ونادوا بسياسة تهدف الى تحقيق الوحدة العربية ، واندلعت نار ثورة أخرى .

وفى ٢٢ من ديسمبر وقعت فى دمشق معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسوريا .

معاهدة حسن جوار بين سوريا والعراق ،
٢٣ من ابريل ١٩٣٧ :

وفى ٢٣ من أبريل عام ١٩٣٧ وقعت فى دمشق معاهدة حسن الجوار مع العراق وهى أول معاهدة يوقعها وزير خارجية سوريا ، وقد تضمنت تنظيم هجرات القبائل الدورية بين الدولتين .

وقد ألفت فى سوريا حكومة من حزب الكتلة الوطنية وعاد الزعماء

الوطنيون من المنفى · وبدا كما لو ان الدولة كانت مقبلة على عهد جديد من التعمير والانشاء تحت قيادة زعماء ألهب نشاطهم الوطنى السجن والنفى أعواما طويلة ، ولكن العامين التاليين لم يحققا الآمال المعقودة (١) ·

الجمهورية اللبنانية

اتفاق القسطنطينية بشأن حكومة لبنان :
٩ من يونيو ١٨٦١ :

فى ٩ من يونيو سنة ١٨٦١ وقع فى الاستانة ممثلو تركيا من جانب والنمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا من جانب آخـــر اتفاقا قضى بأن يعهد بحكم لبنان الى مسيحى غير لبنانى يقترحه الباب العالى وتوافق عليه الدول الأخرى · وقد استبعدت من حدود لبنان وادى التيم والبقاع وصيدا وبيروت (٢) ·

وقد سبق أن أشرنا الى أن المطامع الفرنسية الاستعمارية لم تكن تنظر بعين الرضا الى الوعى العربى والى ما تطور اليه هذا الوعى من مطالبة بتحرر العرب من كل رقابة أجنبية وميل الى التكتل · وكان يبدو واضحا ان فرنسا كانت تقاوم هذا الوعى وهى تذكر دائما ملايين العرب أهالى الأقطار العربية فى شمال افريقيـا التى فرضت عليهـا سيادتها قهـــرا ·

وفى ٢٥ من ابريل عام ١٩٢٠ بعد انقضاء نحو شهر على قرار المؤتمر السورى العام الذى صدر فى ٨ من مارس والذى أعلن انشاء دولة سوريا الكبرى التى كانت تضم بمقتضى ذلك الاعلان لبنان وفلسطين والمناداة بفيصـــل ملكا ، منح مؤتمر ســان ريمو لفرنســا ســلطات الانتداب على سوريا ولبنان ، كما سبق أن أشرنا ·

---

(١) « كيرك » ، ص ١٦٠ ·

(٢) « هورويتز » ، ج ١ ، ص ١٦٥ · عدل هذا الاتفاق فى ٦ من سبتمبر ١٨٦٤ وقد ظل هذا النظام الخاص بحكم لبنان قائما حتى أكتوبر ١٩١٤ عندما أعلنت تركيا انهاءه ، وكان الحاكم المسيحى التركى غير اللبنانى يعين فى أول الأمر لمدة ثلاث سنوات وفى عام ١٨٦٤ مدت هذه المدة الى خمس سنوات ثم الى عشر سنوات فى عام ١٨٦٨ ·

وفى ٣ من يوليو من نفس العام أرسل الجنرال « جورو » الى فيصل انذارا طلب منه فيه وقف الحملة على فرنسا ورفع العقبات التى كان العرب يضعونها فى سبيل التجارة الفرنسية وقبول الانتداب الفرنسى على كل الدولة • وبينما كان فيصل يحاول التفاوض نشبت المعارك بين قواته وبين الفرنسيين الذين احتلوا دمشق وأخرجوه منها •

وفى أول سبتمبر عام ١٩٢٠ اتسعت مساحة سنجق لبنان الى ثلاثة امثال مساحته الأصلية باعلان دولة لبنان الكبير التى ضمت مدن بيروت وطرابلس وصيدا ، وضم اليها جنوب لبنان الى حدود فلسطين الذى يغلب فيه السكان الشيعة • كما ضمت إليها البقاع ذات الأراضى الخصبة التى يسكنها خليط من المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس • وفى حدود لبنان – بعد أن اتسعت مساحته الى هذا الحد – لم تعد للمارونيين أغلبية عددية كأغلبيتهم السابقة فى سنجق لبنان بحدوده القديمة ، بل ان المسيحيين اللبنانيين بجميع طوائفهم الدينية لا يكونون الا أغلبية مشكوكا فيها • وقد ذهب مستشرق فرنسى الى إنه ربما كان هذا الاضعاف لمركز المسيحيين مقصودا لمحاولة جعلهم أكثر اعتمادا على حماية فرنسا وأقل ميلا لمتابعة الوعى العربى (١) • وهو زعم لم تثبت صحته تماما بما اتضح من تضامن العرب اللبنانيين – مسيحيين ومسلمين بمختلف طوائف الفريقين – فى حركة الوحدة العربية •

وفى ٢٣ من ديسمبر وقع اتفاق « ليج – هاردنج » بين بريطانيا وفرنسا الذى عين الحدود بين سوريا ولبنان من جهة والعراق وفلسطين من جهة أخرى •

ونشطت فرنسا فى نشر اللغة الفرنسية الى حد أنه قيل ان الأطفال العرب الذين كانوا لا يكادون يقرآون العربية فى بعض المناطق كانوا يلقنون أنغام «المارسييز» : النشيد الوطنى الفرنسى • وزيفت كتب تاريخية وضعت خصيصا لاثبات أن السوريين (واللبنانيين) ليسوا من الجنس العربى (٢) •

اعلان الجمهورية اللبنانية والدستور ٢٣ من مايو ١٩٢٦ :

وفى ٢٣ من مايو عام ١٩٢٦ أعلنت الجمهورية اللبنانية •

(١) Pierre Rondot : Les Institutions Politiques du Liban. باريس ، ١٩٤٧ ، ص ٢٥ ؛ وهو من المراجع التى استند عليها « كيرك »

(٢) « كيرك » ، ص ١٦٣ – ١٦٥ •

وفى ٢٣ من يوليو عام ١٩٢٦ صدر الدستور اللبنانى الذى نص على أن لبنان دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ وسيادة تامة ٠

كما نص على أنه :

« بصورة مؤقتة والتماسا للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة فى الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك الى الاضرار بمصلحة الدولة » ٠

وفى ١٣ من نوفمبر فى أعقاب مشروع المعاهدة التى وضعت بين فرنسا وسوريا فى عام ١٩٣٣ والتى وضعت على نسق المعاهدة البريطانية ـ العراقية وان منحت فرنسا حقوقا فى السياسة الخارجية والمسائل العسكرية أكثر من الحقوق التى منحت لبريطانيا فى العراق ٠ وقد صدق البرلمان اللبنانى على مشروع هذه المعاهدة فى ١٧ من نوفمبر عام ١٩٣٦ ولكن البرلمان الفرنسى لم يصدق عليها وبذلك لم يتحقق التحالف الذى تضمنته ٠

تعديل الدستور ٠ شعب لبنان شعب عربى وتربطه بالعروبة صلات قوية :

وفى عام ١٩٤٣ بعد اعلان استقلال لبنان وتولى بشارة الخورى اللبنانى رئاسة الجمهورية ورياض الصلح رئاسة الوزراء أعلن الأخير بمجلس النواب اللبنانى فى ١٧ من سبتمبر ١٩٤٣ اعتزامه تعديل الدستور وحذف المواد التى تتعارض مع ذلك الاستقلال كما أعلن فى ذلك البيان التاريخى « ان لبنان عربى يمت الى العروبة بأوثق المظاهر والصفات وانه يجب أن يتعاون مع البلاد العربية الأخرى على أساس هذا الاعتبار ، وان هذه البلاد تريد ألا يكون لبنان مقرا للاستعمار ولا ممرا له وانه سيحقق هذه الرغبة فيوطد للبنان عزته وكرامته » ٠ ونادى بوجوب استعمال اللغة العربية وحدها دون غيرها فى وزارات الدولة ومصالحها ٠ وقد أثار هذا البيان ثائرة المستعمرين الفرنسيين ، فزعم المندوب السامى الفرنسى أن الدستور اللبنانى الذى حصل رياض الصلح على اجماع البرلمان اللبنانى على تعديله وفق الاتجاه التحررى العربى عقد بين فرنسا ولبنان ،

فلا يجوز لأحدهما أن يستأثر بتعديله • وصمم رئيس الوزارة على السير فى التعديل قدما ، وركبت سلطات الانتداب رأسها فاعتقلتهما مع بعض الوزراء فى نوفمبر من ذلك العام وعطلت البرلمان وانفردت باعلان الغاء التعديلات الدستورية ، وعينت اميل اده ـ وهو الذى انفرد وحده بمعارضة قرار البرلمان بتأييد الحكومة ـ رئيسا للجمهورية • ولم يتهيب اللبنانيون ذلك العسف فاجتمع قادتهم فى جبل لبنان الذى اتخذوه مقرا للحكم ، وأعلنوا تأليف حكومة وطنية • ولما عرض هذا الموضوع على مجلس الأمن ـ وكان لبنان قد قبل عضوا بالأمم المتحدة فى ٢٣ من آكتوبر ١٩٤٦ ـ أصدر قراره بوجوب جلاء القوات المحتلة وهو الجلاء الذى تم فى آخـــر عام ١٩٤٦ •

ولما وقعت الاحداث الدامية فى لبنان خلال عامى ١٩٧٥ و ١٩٧٦ تكررت الاشارة الى « الميثاق الوطنى » الذى تم الاتفاق عليه عـام ١٩٤٣ اثناء وضع الدستور وهو ميثاق شفوى ضمنى لم ينص عليه ـ بداهة ـ فى هذا الدستور ويرمى الى أن يكون رئيس الجمهورية من الطائفة المارونية، ورئيس مجلس النواب من الطائفة الشيعية الاسلامية ورئيس الوزارة من الطائفة السنية الاسلامية ، ولكن تاريخ لبنان منذ استقلاله يثبت أن أول رئيس للدولة كان من طائفة « الروم الارثودوكس » ، فى عام ١٩٢٦ ، ولما انتهت مدته فى عام ١٩٣٢ كاد يفوز بالرئاسـة ـ بتأييد الموارنة ـ مسلم سنى لولا معارضة سلطات الانتداب الفرنسية التى عطلت الدستور وأبقت الرئيس ـ وهو من « الروم الارثودوكس » سـنة أخرى حتى تم انتخاب أول رئيس مارونى فى عام ١٩٣٣ ، وتوالى على المنصب بعد ذلك رؤساء من الطائفة المارونية •

فلسطين

مراسلات حسين ـ « ستورس » ـ « مكماهون » ١٩١٥ ـ ١٩١٦ :

رغم توقيع الحكومة البريطانية لاتفاقها السرى مع روســيا ومع فرنسا (١٩١٥) وهو الذى سبقت الاشارة اليه فى صدر هذا الفصل ـ بدأ سير رونالد ستورس مفاوضاته فى أوائل عام ١٩١٥ مع الأمير على

النجل الأكبر للشريف حسين الذى كان اذ ذاك حاكما على الحجاز من قبل الحكومة التركية لوضع أسس الاعتراف بحقوق العرب فى الاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها وطرق مساعدة العرب للحلفاء فى حربهم ضد تركيا . وقد رد الشريف حسين على ذلك بخطاب مؤرخ فى ١٤ من يوليو عام ١٩١٥ لم يوقعه وانما وجهه الى سير رونالد ستورس قرر فيه :

« لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا فى الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم .

« ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى بالنظر لمركزها الجغرافى ومصالحهم الاقتصادية .. يرى الشعب العربى أنه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية الآتية :

« أولا ــ أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ــ ادنه (حدود تركيا الجنوبية المتاخمة لسوريا) حتى الخليج الفارسى شمالا ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى ، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا » (١) .

وقد أجاب سير هنرى ماكماهون على هذا الخطاب فى ٣٠ من أغسطس عام ١٩١٥ بقوله :

« نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التى وصلت الى سيادتكم عن يد على أفندى وهى التى كان موضحا بها رغبتنا فى استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها .. وأما عن خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها ، وتصرف الأوقات سدى فى مثل هذه التفاصيل فى حالة ان الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات فعليا » (٢)

---

(١) الأمانة العامة للجامعة العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ؛ ١٩١٥ ــ ١٩٤٦ ؛ ص ٧ . وانطونيوس ؛ الترجمة العربية ص ٥٤٥ ــ ٧

(٢) الأمانة العامة للجامعة العربية ، ص ٩ ، وانطونيوس ؛ الترجمة العربية ؛ ص ٥٤٨ ــ ٩ .

ولكن الشريف حسبنا لم يطمئن الى غموض هذا الرد فكتب الى سيرماكماهون رسالة فى ٩ من سبتمبر عام ١٩١٥ قرر فيها :

« هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائـــه ومفاوضاته بعد الحرب بل هى مطالب شعب يعتقد أن حياته فى هـــذه الحدود . وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد . ولذلك نرى أن من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب اليكم فى أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا فى بيروت وسواحلها .. وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنســا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة » (١)

ورد سيرماكماهون على هذا الخطاب فى ٢٤ من أكتوبر عام ١٩١٥ بأن قرر :

« ان ولايتى مرسين وأسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعــة فى الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال انها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة ... انى مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتى :

١ — انه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال فى جميع الأقاليم الداخلية فى الحدود التى يطلبها دولة شريف مكة .

أما عن خصوص ولايتى بغداد والبصرة فان العرب تعترف ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هنـــاك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبى وزيادة خير سكانهـا وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة » (٢)

وهذا الاحتياط الذى اهتم السير ماكماهون بوضعه لم يدفعه إليـــه الا الاتفاق السرى الذى كانت قد وقعته الحكومة البريطانية مع فرنســا وروسيا فى شهر مارس من نفس ذلك العام والذى وعدت فيه فرنســا بأن تحصل على قطعة « قيمة » من أراضى ســوريا ان لم تكن ســوريا بأكملها » (٣) .

(١) الأمانة العامة ، ص ١١ — ١٢ . وأنطونيوس ؛ ص ٥٥٠ — ٤ .
(٢) الأمانة العامة ؛ ص ١٤ — ٥ ؛ وانطونيوس ٥٥٥ — ٨ .
(٣) ايكاريوس ، لندن ، ١٩٤٦ ، ص ٣٠ .
Palestine through the Fog of Propaganda, Hutchison and Co.

ولكن الشريف حسين أجاب فى ٥ من نوفمبر عام ١٩١٥ بقوله :

« أما ولايتا حلب وبيروت وسواحلهما فهى ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربى المسيحى والمسلم فانهما أبناء جد واحد .. حيث ان الولايات العراقية هى من أجزاء المملكة العربية المحضة ، بل هى مقر حكوماتها على عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده .. وبها قامت مدنية العرب وأول ما اختطوه من المدن والامصار ، لا يمكننا ارضاء الأمة العربية وارضاخها لترك ذلك الشرف .. يمكننا الرضا بترك الجهات التى هى الآن تحت الاشغال البريطانى الى مدة يسيرة .. يدفع للمملكة العربية فى مدة الاشغال المقدار المناسب من المال » (١) .

وفى ١٣ من ديسمبر عام ١٩١٥ ذكر سير ماكماهون فى خطابه الى الشريف حسين :

« أما بشأن ولايتى حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق .. وفى هذه الأحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى ابرام أى صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعب العربية » (٢)

وكان لورد كتشنر ، عضو الوزارة البريطانية اذ ذاك ، يشك فى امكان عد صحراء سينا وقاية كافية من الهجوم على قناة السويس ، وهذا الاعتبار العسكرى الهام ربما أثر فى توجيه الساسة الانجليز الذين رأوا انشاء دولة يهودية فى فلسطين لتؤدى ذلك الغرض (٣) ولذلك كلفت وزارة الخارجية البريطانية سير جورج بوكنان سفيرها فى بتروجراد بتقديم مذكرة الى سازونوف وزير الخارجية الروسية لمعرفة رأى الحكومة الروسية فى مشروع استعمار اليهود لفلسطين ، وتاريخ هذه المذكرة ١٣ من مارس عام ١٩١٦ ونصها : « مذكرة مقدمة من السفارة البريطانية فى بترجراد الى مستر سازونوف وزير الخارجية — وصلت برقية من سير ادوارد جراى

---

(١) الأمانة العامة للجامعة العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ص ١٧ ، وانطونيوس ، الترجمة العربية ؛ ص ٥٥٩ — ٦٢ .

(٢) الأمانة العامة ، ص ١٧ وانطونيوس ص ٥٦٣ — ٥

(٣) ابكاريوس ، ص ٤٦ .

تقرر ان اهتمام حكومة الملك قد انصرف أخيرا الى مسألة الاستعمار اليهودى فى فلسطين ، ومع ان كثيرين من اليهود لا يكترثون لفكرة الصهيونية كما هو معروف فان طائفة كبيرة العدد شديدة النفوذ منهم فى جميع الدول ستقدر تقديرا عاليا الاقتراح الخاص بوضع اتفاق عن فلسطين يحقق الآمال اليهودية تحقيقا كاملا · فاذا كانت وجهة النظر المشار اليها آنفا صحيحة فان الواضح أن نتائج سياسة هامة يمكن الوصول اليها بواسطة الانتفاع من الفكرة الصهيونية ، واحدى هذه النتائج هى اجتذاب العناصر اليهودية فى الشرق وفى الولايات المتحدة وغيرهما الى جانب الحلفاء ، وهى العناصر التى يدل موقفها الحالى من قضية الحلفاء على العداء الى حد كبير » (١)

وقد ظلت المفاوضات السرية بشأن تمزيق الشرق العربى دائرة بين الدول الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا من ابريل الى مايو عام ١٩١٦ ·

وفى ١٦ من مايو عام ١٩١٦ وقعت بريطانيا وفرنسا وروسيا اتفاقا حرصت الحكومات الثلاث على أن يبقى سريا وعرف فيما بعد باسم اتفاق « سايكس ــ بيكو » نسبة الى مندوبى الحكومتين الانجليزية والفرنسية اللذين وقعاه وقد نص هذا الاتفاق على تقسيم الشرق الأوسط العربى الى خمس مناطق كما سبق أن أشرنا وهى : « المنطقة الزرقاء » التى تشمل منطقة تبدأ على البحر الأبيض المتوسط قرب مرسينا الى قوينة أعطيت فيها لفرنسا الحرية فى انشاء رقابة مباشرة أو غير مباشرة كما يتراءى لها بالاتفاق مع الدولة العربية أو اتحاد الدول العربية التى أشار الاتفاق الى انشائها ·

و « المنطقة (أ) : » وتشمل دمشق وحمص وحماه وحلب وقد وصفت بأنها منطقة نفوذ فرنسية ·

و « المنطقة الحمراء » وتشمل الجزء الجنوبى من العراق وقد أعطيت فيها لانجلترا نفس الحقوق التى أعطيت لفرنسا فى المنطقة الزرقاء وفرضت عليها نفس الالتزامات ·

و « المنطقة (ب) » وتشمل الشاطىء الشرقى للخليل ·

والمنطقة الخامسة سميت « المنطقة السمراء » وتشمل فلسطين فى حدودها الحالية باستثناء بير سبع والنقب وجزء من الخليل · ونص اتفاق « سايكس ــ بيكو » على أن المتعاقدين يقران بالنسبة لمنطقتى (أ)

(١) J.M. Jeffries : Palestine the Reality.

و (ب) قيام دولة عربية مستقلة أو اتحاد بين دول عربية تحت رئاسة حاكم عربى ٠ أما بالنسبة للمنطقة السمراء فقد أرجىء البت فى أمرها نظرا لطبيعتها الدينية الخاصة حتى تتم ادارتها دوليا طبقا لنظام يتفق عليه مع روسيا وشريف مكة ٠ وقد اعترضت فرنسا فى بادىء الأمر على فكرة الادارة الدولية المقترحة لفلسطين ، باعتبار انها ما دامت جزءا من سوريا فهى جزء من المنطقة التى نص الاتفاق على الاحتفاظ بها لها ، ولكن عندما سافر المندوبان الى بتروجراد للتشاور مع الحكومة الروسية ادعى سازونوف وزير الخارجية الروسية ان لدولته حقوقا فى فلسطين نظرا لكثرة عدد المؤسسات الروسية فى القدس والخليل ونابلس والناصرة ، وأبدى انه لذلك يطالب بوضع فلسطين تحت الحماية الروسية ، فلما تبينت فرنسا موقف روسيا وخشيت مغبة عواقبه ، انضمت الى جانب انجلترا وأقرت وضع المنطقة السمراء تحت الادارة الدولية ٠

وقد وصفت اتفاقية « سايكس ـ بيكو » بانها « وثيقة مروعة ، فليست هى فحسب وليدة الجشع فى أسوأ صوره ، حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدى الى الحماقة ، بل هى أيضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر ! ٠٠٠ وأخطر من هذا ما تمثله الاتفاقية من نقض للعهود ٠ فقد جرت المفاوضات ثم عقدت الاتفاقية دون أن يعلم الشريف حسين ، وهى تحوى نصوصا تناقض مناقضة صريحة الشروط التى أبرمها هنرى مكماهون معه ، أسوأ من هذا أن حقيقة عقدها قد أخفيت عنه بخسة (١)٠

تصريح « بلفور » ٢ من نوفمبر ١٩١٧ ، وطن قومى يهودى بفلسطين :

وفى ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ ـ وبعد أن مهدت الحكومة البريطانية للغدر بفلسطين ـ أرسل مستر آرثر جيمس بلفور خطابه الذى عرف فيما بعد باسم وعد بلفور الى لورد روتشيلد وذكر فيه :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بارتياح الى انشاء وطن قومى للشعب اليهودى وستبذل كل ما تستطيع لتسهيل تحقيق هذا الغرض ، على أن يكون مفهوما جليا أنه لن يعمل شىء يضر بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة الآن بفلسطين أو بالحقوق السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أية دولة أخرى »

---

(١) انطونيوس ، الترجمة العربية ، ص ٢٥٤ ٠

وفى ديسمبر عام ١٩١٧ — وفى نفس الوقت الذى كانت المراسلات مستمرة فيه بين سيرماكماهون والشريف حسين ، وهى المراســلات التى رأينا ان الحكومة البريطانية كانت تكرر فيها تعهداتها باعلان حرية الشعوب العربية وتأييد هذه الحرية — نشر اتفاق « سايكس — بيكو » الذى ظل منطويا على الغدر بفلسطين وغيرها من الأقطار العربية • وكان نشره وازاحة الستار عنه مع اتفاق مارس ١٩١٥ الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا وروسـيا عقب تولى الحكومة السوفيتية الحكم فى ديسمبر عام ١٩١٧ ، فأســـرع جمال باشا قائد القوات التركية التى كان يحاربها الجنرال اللنبى ، بارسال نسخة من الوثائق التى أذيع سرها الى الامير فيصل بالعقبة وطلب من فيصل أن ينضم الى جانبه فى محاربة عدو مشترك بعد أن انفضحت نوايا هـــذا العدو واتضح الدليل القاطع على أنه باع العرب وخان ثقتهم • وعرض عليه توقيع صلح عربى تركى ينص فيه على استقلال جميع أجزاء الامبراطورية العثمانية التى للناطقين باللغة العربية أغلبية فيها • (١)

ورد حسين على هذا الغدر بأن أرسل جميع الوثائق والمكاتبات التى وصلت اليه الى الجنرال ونجت ، المعتمد البريطانى فى مصر وطلب ايضاحا صادقا • وقد جاء الرد فى ٨ من فبراير عام ١٩١٨ من الحكومة البريطانية فى رسالة من الكولونيل باسيت المقيم البريطانى فى جدة اذ ذاك ذكـر فيها :

« ان حكومة جلالة الملك وحلفاءها سيقفون ثابتين الى جانب كل حركة ترمى الى تحرير الشعوب المضطهدة ، وقد استقر عزمهم على أن يقفوا الى جانب الشعوب العربية فى كفاحها لانشاء عالم عربى يحل فيه القانون محل الاضطهاد التركى •• ان حكومة ملك بريطانيا تعيد تأكيدها لسابق ضمانها الخاص بتحرير الشعوب العربية • »

وفى تلك الأثناء قدم سبعة من زعماء العرب هم السادة رفيق العظم وحسن حمادة وكامل القصـــاب ومختار الصلح وعبد الرحمن شهبندر وخالد الحكيم وفوزى البـكرى مذكرتهم التاريخية التى طالبـوا فيها أن يقفوا على المصـير المعد للعراق وسـوريا وفلسطين • فوجهت الحـكومة البريطانية تصريحها المعروف الى الزعماء السبعة فى ١٦ من يونيو عام ١٩١٨ بواسطة الضابط «هوجارت» ومستر والروند اعترفت فيه باستقلال المناطق العربية التى كانت مستقلة قبل اعلان الحرب والتى حررت من

(١) ابكاريوس ، ص ٢٩ — ٣١ •

الحكم التركي بواسطة العرب أنفسهم وعلقت الاعتراف باستقلال بقيـة المناطق على شروط تعسفية (١) .

وفي الثالث من أكتوبر عـام ١٩١٨ أعلن انشاء دولة عربيـة في بيروت بعد أن احتلتها قوات الأمير فيصل قبل وصول قوات الحلفاء ببضعة أيام ، وبذلك كان يجب أن تعد تلك المناطق من المناطق المستقلة طبقـا للتصريح البريطاني الى الزعماء السبعة . ولكن بعد أن رفع العلم العربي على بيروت تدخل الفرنسيون لدى الجنرال اللنبي الذي أمر بازالة ذلك العلم وأرسل الى الأمير فيصل الذي كان قد احتل بيروت يزعم أن ذلك الاجـــراء العنيف الذي اتخذه ضـــده انما كان اجراء وقتيا وانه لا يمس التسوية النهائية للموقف وأن « الحلفاء قد ارتبطوا بشرفهم بأن يحاولوا جهدهم الوصول الى تسوية تطابق رغبات الشعوب التي يهمها الأمر » . وطلب القائد البريطاني من الأمير العربي « أن يضع ثقته القلبية في حســـن نيتهم » (٢) (*)

التصريح الفرنسي ـ البريطاني ـ ٧ من نوفمبر ١٩١٨ وضمان استقلال الشـــعوب العربية :

وفي ٧ من نوفمبر عام ١٩١٨ أعلنت الحكومة الفرنسية أنها بالاتفاق مع الحكومة البريطانية قد قررتا اصدار تصريح مشترك لجميع الشعوب غير التركية التي بين طوروس والخليج الفارسي، تؤكد فيه ان الدولتين ـ كلا في منطقتها ـ تعتزمان ان تضمنا لتلك الشعوب استقلالها التام ، يحدوهما هدف ضمان تحريرها وتقدم حضارتها .

ولكن الأمير فيصلا أبعد عن دمشق بمدافع الفرنسيين ومزقت ولايـة سوريا ، فأعطى الجزء الجنوبي منها حتى العقبة الى بريطانيا ، كما أعطيت ولاية حلب وجزء من ولاية بيروت الى فرنسا باعتبار انها أسلاب حرب .

ولقد كان من نتيجة عمل اللجنة الصهيونية التي ذهبت الى فلسطين في ابريل عام ١٩١٨ ، وقوامها ثلاثة من اليهود البريطانيين ويهودي فرنسي وثلاثة يهود ايطاليين يرافقها مراقب عن الولايات المتحدة ، لتحقيق الحالة التي عليها المستعمرات اليهودية في فلسطين ، وللاشراف على اصـــلاح

---

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين : ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ؛ ص ٨٠ .

(٢) وثائق القيادة العسكرية البريطانية رقم ٥٩٦٤ .

Command Paper

الضرر الذى أصيبت به المستعمرات الصهيونية أثناء الحرب الى ذلك الحد الذى تسمح به الظروف ـ كان من نتيجة عمل هذه اللجنة أن أنشئت الى جانب السلطة العسكرية البريطانية هيئة صهيونية كان اختصاصها بادارتها وفروعها مصمما لكى يمتد الى كل النشاط الداخلى الذى يمكن أن يقوم على أساسه حكم دولة عصرية · وقد تبينت السلطات العسكرية البريطانية فى فلسطين منذ بادىء الأمر أنها لا يمكن أن تعمل الى جانب هذه الادارة الصهيونية فأرسل رئيس الادارة العسكرية تقريرا الى حكومته بلندن اعترف فيه بأنه :

« من العبث أن نزعم للمسلمين والمسيحيين من الشعب أن تصريحنا السابق الذى تعهدنا فيه بالاحتفاظ بالحالة التى كانوا عليها عند دخولنا الى القدس قد احترم ، فان الحقائق تكذبنا ، كالاعتراف باللغة العبرية كلغة رسمية واقامة قضاء يهودى وترك اللجنة الصهيونية تؤدى عمل آلة حكومية كاملة ·· اننى أوصى لذلك ولتحقيق السلم والتقدم بل ولتحقيق مصالح الصهيونيين أنفسهم بوجوب الغاء اللجنة الصهيونية فى فلسطين » (١) ·

وفى أول مايو عام ١٩١٩ أذيع رسميا بمدينة نابلس ، وعد بلفور الذى كان قد صدر فى ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ · وكانت اذاعته على لسان الجنرال لويس بولز أى بعد انقضاء ثمانية عشر شهرا على صدوره اذ أن لورد اللنبى كان قد وعد باخفاء أمر ذلك الوعد حتى يحين الوقت المناسب لاذاعته · (٢) ·

---

(١) المرجع السابق ·

(٢) بعد تصريح «بلفور» بعامين لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يتجاوز ٦٥ الفا أى نحو ٧٪ من مجموع السكان الذين كانوا فى عام ١٩٢٢ يتكونون من ٧٨٪ مسلمين ، ١١٪ يهودا ، ١٠٪ مسيحيين . وفى خلال الاعوام الاثنى عشر التالية من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٣٢ لم يهاجر الى فلسطين الا ١١٨٧٨ يهوديا أى ثلاثة أرباع واحد فى المائة من مجموع يهود العالم وقد منح تصريح « بلفور » البريطانى فى مقابل اتفاق سرى تعهدت فيه اليهودية العالمية بتأييد الحلفاء بل بمحاولة جر الولايات المتحدة الى الحرب · وكان مشروع تصريح بلفور كما وضعه وايزمان يدعو الى الاعتراف بفلسطين كالوطن القومى The National Home للشعب اليهودى وكاعادة تأسيس The re-establishment للدولة . ولكن هذا النص عدل الى انشاء وطن قومى a national home فى فلسطين وكان هذا التعديل عقب خطاب القاه ادوار مونتاجو وزير الهند فى الحكومة البريطانية واحد خصوم الصهيونية . ولم تتردد بعض الجماعات اليهودية الهامة فى بريطانيا كالجمعية الانجليزية اليهودية فى أن تساير « مونتاجو » وغيره من اليهود البريطانيين فى عد الصهيونية خيانة غادرة بوطنهم الأصلى الذى ولدوا فيه ·

لجنة « كنج ــ كرين » الامريكية ١٩١٩ ، البرنامج الصهيونى نقض شائن لحق شـــعب فلسطين :

وفى عام ١٩١٩ أرسل الرئيس « وودرو ويلسون » لجنة « كنج ــ كرين » الى فلسطين ٠ وهذه اللجنة ، التى أشرنا اليها أكثر من مرة فى الفصول السابقة ، مؤلفة من الدكتور هنرى تشرشل كنج رئيس جامعة « أوبرلين » وشارلز كرين أحد رجال الصناعة فى شيكاغو وعضو اللجنة الأمريكية التى وفدت الى روسيا عام ١٩١٧ ٠ وقد كلفت اللجنة بزيارة فلسطين وغيرها من الأراضى العربية فى الشرق الأدنى التى كانت تابعة للامبراطورية العثمانية لدراسة أحوالها ٠ وعقب عودتها قررت اللجنة فى تقريرها الذى قدمته بتاريخ ٢٨ من أغسطس ١٩١٩ أن « وطنا قوميـا للشعب اليهودى لا يعنى اقامة دولة يهودية ٠ وان هذه الدولة لا تمكن اقامتها بدون ارتكاب أخطر أنواع الاغتصـــاب للحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية التى تعيش الآن فى فلسطين » (١) ٠

---

(١) جاء فى تقرير هذه اللجنة أن الرئيس ويلسون فى خطبته التى ألقاها فى ٤ من يوليو سنة ١٩١٨ وضع المبدأ التالى كواحد من المقاصد الأربعة الكبرى التى يحارب الحلفاء من أجلها وهو : « حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالأرض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولا حرا ، لا على المصالح المادية أو لفائدة أى دولة أو أمة ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها . فاذا كان هذا المبدأ سيسود واذا كانت رغائب السكان فى فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود فى فلسطين ــ وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريبا ــ يرفضون البرنامج الصهيونى رفضا باتا . والجداول تثبت ان سكان فلسطين لم يجمعوا على شىء مثل اجماعهم على هذا الرفض . فتعريض شعب هذه حالته النفســية لمهاجرة يهودية لا حد لها ولضغط اقتصادى اجتماعى متواصل ليسلم بلاده ــ نقض شائن للمبـدأ العـادل الذى تقـدم شرحه ــ واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية .. ولا ينبغى لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية فى فلسطين وسوريا بالغ أشده ، وليس من السهل الاستخفاف به فان جميع الموظفين الانجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون ان البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة ويجب الا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندى . وهذا فى نفسه برهان واضح على ما فى البرنامج الصهيونى من الاجحاف بحقوق غير اليهود ٠٠ هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين الأساسية فى حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفى سنة وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام ؛ يجب تحديد المهاجرة اليهودية الى فلسطين والعدول بتاتا عن الخطة التى ترمى الى جعل فلسطين حكومة يهودية ٠ » ٠٠ جامعة الدول العربية ، ادارة فلسطين ؛ الشعبة السياسية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ؛ المجموعة الأولى ؛ ١٩١٥ ــ ١٩٤٦ ، ص ١١٦ ــ ١١٧ ؛ ١١٩ وانطونيوس ، الترجمة العربية ؛ ص ٦٠٠ ــ ٦٢١ ٠

وفى ٣٠ من يونيو عام ١٩٢٠ سلم رئيس الادارة العسكرية البريطانية بفلسطين سلطاته الى سير هربرت صامويل الصهيونى البريطانى الذى عين مندوبا ساميا . وبدأت السلطة المدنية عملها فى أول يوليو عام ١٩٢٠ وهى السلطة التى عهد اليها بتنفيذ شروط انتداب بريطانيا لادارة فلسطين من قبل عصبة الأمم .

وقد نص ميثاق العصبة على المبدأ الذى يطبق فى ادارة بعض الاقطار بواسطة العصبة باعتبار ان تلك الاقطار أمانة فى عنق العصبة ائتمنتها المدنية عليها ، وقسمت هذه الاقطار الى ثلاثة أقسام (أ ، ب ، ج) — على أن « بعض الجماعات التى كانت من قبل تابعة للامبراطورية التركية قد وصلت الى درجة من التقدم تسمح بالاعتراف بها مؤقتا كشعوب مستقلة على أن تندب دولة لتتولى ارشادها اداريا ومساعدتها حتى يحين الوقت الذى يمكنها فيه أن تستأثر بحكم نفسها ، ويجب عد رغبات هذه الجماعات كاعتبار رئيسى فى اختيار الدولة المنتدبة » .

وقد بدأ تنفيذ انتداب بريطانيا لادارة فلسطين باسم عصبة الامم فى سبتمبر عام ١٩٢٣ .

وهنا يجب أن نلاحظ ان فلسطين وسوريا والعراق كانت أجزاء من الامبراطورية التركية لا تمييز بينها فى درجة التقدم وتدخل جميعها تحت نص الميثاق .

وقد استقل العراق كما استقلت سوريا وبقيت فلسطين تحت الانتداب البريطانى فاذا خرجت فلسطين من نطاق هذا النص فأين يمكن وضعها ؟

ولكن رغم الخطاب الذى ألقاه فيصل — ممثلا لأبيه الحسين ملك الحجاز — أمام مؤتمر الصلح الذى اجتمع فى باريس فى أول يناير ١٩١٩ فقد تأثر المؤتمرون بالمذكرة التى قدمها المؤتمر الصهيونى فى فبراير من نفس العام مطالبا بانشاء دولة صهيونية فى فلسطين وشرق الاردن .ولم يعر مؤتمر الصلح اهتماما لقرارات المؤتمر السورى الذى انعقد فى دمشق فى يونيو عام ١٩١٩ لتوضيح رغبات الشعب السورى أمام لجنة « كنج — كرين » الامريكية وهى الرغبات التى عارضت كل فكرة ترمى الى تقسيم سوريا أو انشاء دولة يهودية بفلسطين . فانه فى ٢٨ من يونيو ١٩١٩ تم التوقيع بفرساى على ميثاق عصبة الأمم وبعد يومين — أى فى ٣٠ من يونيو — سلمت ادارة فلسطين المدنية الى هربرت صمويل كما سبق أن أشرنا .

المؤتمر الفلسطيني الأول ، القدس ١٩١٩ ،
المؤتمر الفلسطيني الثالث حيفا ١٩٢٠ ،
معارضة الهجرة اليهودية والانتداب :

وقد رد العرب على ذلك بعقد المؤتمر الفلسطيني الاول عام ١٩١٩ بالقدس ، وهو المؤتمر الذى رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني وطالب بوحدة سوريا وسمى فلسطين « سوريا الجنوبية » ، وهو ما أيده المؤتمر السورى العام الذى عقد فى ٢ من يوليو ١٩١٩ والذى سبقت الاشـــارة اليه ، والمؤتمــر الذى عقد فى ٨ من مارس ١٩٢٠ باعلان استقلال سوريا ـ ومنها فلسطين ـ من شرفة بلدية دمشق(١) ٠

وفى ٢٥ من ابريل ١٩٢٠ ـ وبعد أن تلقى مجلس الحلفاء مذكرة من الجمعية الصهيونية باختيار بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين ـ قـــرر هذا المجلس وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، ووضع العراق تحت الانتداب البريطانى ، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور ٠

وفى ديسمبر ١٩٢٠ عقد المؤتمر الفلسطينى الثالث بحيفا ـ لأن المؤتمر الثانى الذى كانت الجمعيات الاسلامية المســـيحية قد دعت اليه منعت السلطات البريطانية عقده ـ وأكد قرارات المؤتمر الاول وألف « لجنـــة تنفيذية » لتوجيه الحركة الوطنية ٠

المؤتمر الفلسطينى الرابع ، ١٩٢١ ـ تأكيد الوحدة السورية :

وفى يونيو ١٩٢١ عقد المؤتمر الفلسطينى الرابع بالقدس فعاد هذا المؤتمر الى رفض تصريح بلفور وتأكيد الوحدة السورية ٠ وندب المؤتمر وفدا الى بريطانيا لشرح القضية الفلسطينية ٠ وأثمر هذا الجهد اذ أصدر مجلس اللوردات البريطانى فى ٢٠ من يونيو قرارا برفض الموافقة على وثيقة الانتداب البريطانى على فلسطين لمناقضته لوعود بريطانيا السابقة للعرب عام ١٩١٥ ٠ (٢)

---

(١) أضافت قرارات المؤتمر السورى العام : اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية أى فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أى قسم من بلادنا لأنه ليس لهم فيها أدنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسى ٠

(٢) أكرم زعيتر ، « القضية الفلسطينية » ، القاهرة ، دار المعارف ، ٥٩٥ ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ ٠

وفى ٢٤ من يوليو ١٩٢٢ أقر مجلس عصبة الامم وثيقة انتداب بريطانيا على فلسطين ، وهى تكاد تكون صورة من المشروع الذى كانت الجمعية الصهيونية قد عرضته على مؤتمر الصلح فى فبراير عـــام ١٩١٩ (١) وأشرنا اليه سابقا ٠

وفى ١٦ من سبتمبر ١٩٢٢ وافق مجلس عصبة الامم على استثناء منطقة شرقى الاردن من تطبيق المواد المتعلقة بانشاء وطن قومى يهودى ٠

وفى ٣٠ من مارس عام ١٩٣٠ وصل الى لندن وفد اللجنة التنفيذية لمؤتمر فلسطين العربىواتصل برئيس الوزارة البريطانية مستر مكدونالد وقد رفضت حكومة العمال طلبات الوفد العربى الخاصة بوقف الهجـــرة وسن تشريع لمنع انتقال الأراضى التى يملكها العرب الى اليهود وتأليف حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى يشترك فيه أهل البلاد بنسبتهـــم العددية ٠

المؤتمر العربى بنابلس والمؤتمر الاسلامى العام بالقدس ١٩٣١ :

وفى ٣ من أغسطس عام ١٩٣١ عقد بنـــابلس مؤتمر عربى أعلن استنكاره لتسليح اليهود ٠ كما دعت اللجنة التنفيذية العربية أهل البـلاد الى الاضراب العام فى ٢٣ من أغسطس ٠ وفى نفس العام انعقد بالقدس المؤتمر الاسلامى العام الذى اشترك فيه مندوبو البلاد الاسلامية والعربية واجمعوا على تأييد عروبة فلســـطين واستنكار السياسية الانجليزية الصهيونية ٠

ويركز « فلورى » ـ فى صدد مؤتمر القدس الذى عقد عام ١٩٣١ ـ على أن هذا المؤتمر قد انبثقت عنه منظمة دولية اسلامية تضمن دستورهـــا الدعوة الى مؤتمر عام يعقد مرة كل عامين فى القدس ولجنة تنفيذيةينتخبها هذا المؤتمر العام وأمين عام ٠ ويقرر « فلورى » أنه كان لزاما الانتظـــار الى ما بعـد الحرب العالمية الثانية لكى تعود الى الظهور مرة أخرى فكرة التجمع الاسلامى بشكل وباعث جديدين ٠ واذ كان مما لاشك فيه ان ذكرى مجد الاسلام الماضى قد ظلت ماثلة فى الاذهان فقد جد فى الموقف أنالقومية العربية أصبحت تلعب نفس هذا الدور الذى كانت تلعبه ذكرى مجـــد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠ ـ ٥٣ ، ٥٥ وقد أشـــار الى ما ورد فى مذكرات « وايزمان » من أن بنيامين كوهين اليهودى الامريكى كان يتولى ، مع سكرتير اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية ، وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه ٠

الاسلام ٠ فباسم هذه القومية العربية تحرر المشرق العربى كما تحـــرر المغرب العربى ٠ (١)

والواقع أن المسألة الفلسطينية قد حققت بوضوح تضامن البــــلاد العربية التى كانت قد اكتسبت طابعها المميز عن العالم الاسلامى ٠ وهذه المسألة الفلسطينية أبرزت تطور فكرة « الأمة » الاســلامية الى « الوطن العربى » ٠ ووضعت « الكتلة العربية » فى موضع العمل على تحقيق هدف عربى مشترك كما سبق أن أشرنا عند الكلام عن مصر ٠

ومنذ مؤتمر القدس (١٩٣١) وقبل انشاء الجامعة العربية بمدة طويلة أوضح المستعرب الانجليزى « جيب » ظاهرتين لهما دلالتهما ٠ فقد حيت هيئة يونانية أرثوذكسية عربية أعضاء ذلك المؤتمر بهذه الكلمات : « أهلا بأولئك الذين يعملون بوعى راسخ على وضع أساس احياء عصـــر عمر ٠ بانى مجد الاسلام » وكان المؤتمر اليونانى الارثوذوكسى ينعقد بفلسطين فى نفس فترة انعقاد مؤتمر القدس فأرسل وفدا يحمل تحيته الى المؤتمر الاسلامى ٠ وقد أضاف « جيب » ان بعض صحف مسيحية كانت أكثـــر تحمسا من الصحف الاسلامية فى الاشادة بحركة الوحدة العربية على أساس الثقافة والمثل العليا الاسلامية ٠

وعند استعراض أثر مؤتمر القدس (١٩٣١) يركز « جارديه » على أن الواقع المسيطر على ذلك المؤتمر كان واقعا اسلاميا ٠ ولكن كان من المعروف أن المبدأ الذى أقره المؤتمر وأكده كان شعارا « عرقيا » أى شعار « عروبة » فلسطينى ٠ وأنه – اذا كفل احترام الدين الاسلامى – فان هذا الشعار يسرى على المسيحيين كما يسرى على المسلمين ٠ (٢)

انشاء « اللجنة العربية العليا »
الثورة العربية ١٩٣٦ والتضامن العربى :

وفى ٢٥ من ابريل عام ١٩٣٦ أنشئت اللجنة العربية العليا لقيــادة

---

(١) M. Flory : Les Conférences Islamiques, Annuaire Français de Droit Intl., XVI, C.N.R.S. باريس ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٤

ويضيف « جارديه » ص ٣٥٨ ان مؤتمر القدس عام ١٩٣١ قد بعث عدة حركات فكرية انبثقت منها مثلا فى الجزائر حركة « حرب المؤتمر » الذى مهد الطريق لظهور « حزب البيان » ٠

(٢) « جارديه » : ص ٢٥٨ – ٩ ٠

الحركة الوطنية الفلسطينية فأعلنت الثورة وأقبل المتطوعون العرب من سوريا وشرقي الاردن لنجدة اخوانهم الفلسطينيين ومنهم جماعة من العراق بقيادة فوزى القاوقجي · ولكن ملوك العرب - ملك العربية السعودية وملك العراق وملك اليمن وأمير شرق الاردن - توسطوا في النزاع · (١)

وفي أول أكتوبر ١٩٣٦ أعلنت « اللجنة العربية العليا » هذا النداء ولبته ، ولكن بعد ذلك ، وقبل سفر اللجنة الملكية البريطانية المعروفة باسم لجنة « بيل » ، صرح وزير المستعمرات البريطانية في ٥ من نوفمبر من نفس العام بأن وقف الهجرة اليهودية أثناء تحقيق اللجنة الملكية لا تبرره أسباب اقتصادية ولا غيرها · فبادرت اللجنة العربية العليا الى اعلان مقاطعة هذه اللجنة ، وقد وصف بعض المؤرخين العرب ثورة عام ١٩٣٦ بأنها تمتاز بكونها « موجهة أولا ضد الانتداب البريطاني وبكونها عنيفة وشديدة وباستمرارها وشمولها طبقات الامة ، وباشتراك العرب غير الفلسطينيين فيها اشتراكا فعليا » · (٢)

وفي ٧ من يوليو عام ١٩٣٧ أعلنت لجنة « بيل » الملكية البريطانية تقريرها الذى أوصى بانهاء الانتداب البريطاني وبتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام : قسم يشمل دولة يهودية في سهل ساحل البحر الابيض المتوسط وفي الجليل ، وقسم يشمل شقة من الأرض تمتد الى البحر بين تل أبيب ويافا وتضم مدينتي القدس وبيت لحم ، واللد والرملة تبقى تحت الانتداب البريطاني على ألا يسرى عليها تصريح بلفور وعلى أن تكون اللغة الانجليزية لغتها الرسمية وعلى أن يشمل هذا الانتداب الناصرة وشواطىء بحيرة طبرية لقداستها ، ثم دولة عربية تضم باقي فلسطين وشرق الاردن · وقد أعلنت الحكومة البريطانية قبولها هذه التوصيات ·· أى ادخال موانىء تل أبيب وحيفا وعكا ومدن طولكرم وصفد في نطاق الدولة اليهودية ·· والاقتصار على اعطاء العرب مينائي خان يونس وغزة ·

---

(١) نص النداء الذى وجهه الرؤساء العرب « الى ابنائنا عرب فلسطين : لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا باننا سنواصل السعى في سبيل مساعدتكم » ·

(٢) زعيتر : ص ١٠٥ ·

المؤتمر العربي ببلودان سبتمبر ١٩٣٧
« أول مؤتمر للوحدة العربية »

وفي ٨ من سبتمبر ١٩٣٧ عقد في بلودان مؤتمر عربي اشتركت فيه وفود مصر والعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين ، وأناب عرب المغرب من يمثلهم لأن السلطات الفرنسية لم تسمح لهم بالسفر وقد قرر ذلك المؤتمر :

١ ـ أن فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي .

٢ ـ رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها

٣ ـ الاصرار على طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي استقلاله وسيادته . وأن تكون حكومته دستورية فيها للأقليات ما للأكثرية من الحقوق وفقا للمبادىء الدستورية العامة .

٤ ـ تأييد طلب وقف الهجرة عاجلا واصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود .

ويطلق « جارديه » على مؤتمر بلودان (١٩٣٧) وصف « أول مؤتمر للوحدة العربية » ويعتقد أن هذا المؤتمر تحقيق وتأكيد للوحدة التي تبينت عبر المؤتمر الاسلامي في القدس (١٩٣١) (١)

وفي ٢٦ من سبتمبر ١٩٣٧ اندلعت نار ثورة فلسطينية أخرى ضد سلطات الانتداب والصهيونيين وعم القطر العربي اضراب عام .

المؤتمر البرلماني الدولي العربي ـ الاسلامي بالقاهرة ١٩٣٨ :

وفي المدة من ٧ الى ١١ من أكتوبر ١٩٣٨ عقد بالقاهرة مؤتمر برلماني دولي عربي ـ اسلامي للدفاع عن فلسطين . وقد قرر رفض تصريح « بلفور » ومشروع تقسيم فلسطين ووقف الهجرة اليهودية والغاء الانتداب واقامة حكومة عربية دستورية .

---

(١) « جارديه » ص ٣٥٨ .

مؤتمر لندن ١٩٣٩ ، اشتراك الدول العربية اشتراكا متسما بطابع الوحـــدة العربية :

وفى ٧ من فبراير ١٩٣٩ افتتح مؤتمر لندن بين البريطانيين والعرب صباحا ، وبين البريطانيين والصهيونيين مساء • وقد اشتركت جميـــع الحكومات العربية فى هذا المؤتمر الذى ظل منعقدا بضعة أسابيع والذى وصفه فريق من المؤرخين الانجليز بأنه « أول اعتراف دولى رسمى بمجموعة دول عربية » • (١)

وقرر هـــذا المؤتمـــر فى ١٦ من فبراير تأليف لجنـــة لدرس المكاتبات التى دارت بين الشريف حسين وسير هنرى ماكماهون فى عامى ١٩١٥ ، ١٩١٦ بعد أن زعمت الحكومة البريطانية أن خطاب ماكماهــون المؤرخ فى ٢٤ من أكتوبر ١٩١٥ أخرج فلسطين من حدود الدولة العربيــة التى وعد العرب بالاعتراف بها عقب الحرب العالمية الاولى • وقد قدم الجانب العربى مذكرة بتاريخ ١٦ من مارس سنة ١٩٣٩ قرروا فيها « كان السير هنرى ماكماهون يحرص ، كلما رأى داعيا الى النص على استثنـاء كما هو الحال فيما يتعلق بالمناطق الساحلية لسوريا الشمالية أو أقاليم العراق ، على تعيين الجزء المستثنى لأن عبء الاستثناء كان واقعا عليه ، وهو لم يذكر فلسطين • وكان الجانب العربى قد قدم مذكرة بتاريخ ٢٣ من فبراير ١٩٣٩ أشار فيها الى أن « كلمة الشام فى تلك الايام كانت تطلق على كل منطقة سوريا التاريخية والجغرافية ، أى على البلاد الواقعة بين جبال طوروس وشبه جزيرة سينا ، وكانت مؤلفة من جزء من ولاية حلب وولاية بيروت وولاية سوريا وسنجق لبنان وسنجق القدس ، وكانت تشمل ذلك الجزء الذى نزع فيما بعد وصار تحت الانتداب باسمفلسطين •• وكان الشريف حسين فى كل مكاتباته يعتبر أن الاجزاء الوحيـــدة من سوريا المعنية بالاستثناء هى المناطق الساحلية الشمالية من ســوريا أى لبنان والساحل • وقد فهم أن بريطانيا تريد أن تحتفظ بهذا الجزء لا لسبب سوى المطالب الفرنسية • أما سوريا الجنوبية فما كان يمكن أن تكون جزءا من المنطقة المحتفظ بها لأن بريطانيا لم تكن فقط غير راغبـــة فى ادخالها فى منطقة النفوذ الفرنسى بل كانت تريد أن تدخلها فى منطقة الاستقلال العربى ، أى فى دائرة النفوذ البريطانى المســتقبل •• ومع أن هناك أجزاء خصصت بالاستثناء من منطقة الاستقلال العربى التام فانه

(١) المعهد الملكى للشئون الدولية : الشرق الأوسط ، ص ٣٢ •

ليس ثمة أية اشارة ولو غير مباشرة أو ضمنية الى ذلك الجزء من سوريا الذى كان يطلق عليه فى التقسيم الادارى العثمانى اسم سنجق القدس»(١)

وفى ١٧ من مارس ١٩٣٩ أعلنت الحكومة البريطانية كتابها الابيض الذى عدلت فيه عن فكرة التقسيم التى كانت قد أوصت بها لجنـــة « بيل » واعترفت بحق فلسطين فى الاستقلال وخولت مندوبها السامى سلطة منع انتقال الاراضى الى اليهود ، وهذا كله نصر للثورة ، وثمرة للجهاد والتضحيات • (٢)

الا أن الكتاب الابيض علق استقلال فلسطين على اشـــتراك الصهيونيين وهو ما كانوا يرفضونه لأن مطالبهم كانت قد بدأت تتجه الى انشاء « دولة يهودية » كما ان العرب رفضوا الكتاب الابيض لأن اعـــلان الاستقلال فيه أرجىء الى ما بعد فترة انتقال حددت بعشرة أعوام ولأسباب أخرى •

وكانت الثورة الجديدة التى بدأت فى ٢٦ من سبتمبر ١٩٣٧ لا تزال مستمرة وظلت مستمرة الى ما بعد بدء الحرب العالمية الثانية •

ولقد لخص بعض المؤرخين الانجليز الموقف فىهذه المنطقة العربية بأن « تقسيم العالم العربى بواسطة بريطانيا وفرنسا بموافقة عصبة الامم ترتب عليه انه منذ عام ١٩٢٠ أصبحت وحدة هذا العالم فى ظل نظام سياسى مستقل هدفا رئيسيا للقومية العربية • وقد عبر أكثر من مؤتمر من مؤتمرات التحرر العربى عن هذه الفكرة • وتفرق عدد من قادة الحركة الاستقلالية العربية بين الاقطار العربية المختلفة شاغلين مناصب سياسية هـــامة فى سوريا وفلسطين والعراق ومصر محتفظين بالكثير من ذكريات الزمالة حريصين على تبادل المشورة • وهو ما كانوا قد اعتادوا عليه أثناء جهادهـم ضد الامبراطورية العثمانية ، وبذلك تجمعت عناصر الوحدة • ان مقاومة عرب فلسطين المستمرة للهجرة اليهودية أيقظت عطف وتعاون بـــاقى الشعوب العربية •ونمو فكرة الوطن القومى اليهودى دفع الدول العربية الى الوحدة لتجابه ما شعر الجميع أنه خطر مشترك » (٣)

---

(١) « الوثائق الرسمية فى قضية فلسطين » ، المجموعة الاولى ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، وقد أشير فى هذه المذكرات المتبادلة الى أن فلسطين تشمل ســنجق عكا والبلقاء فى ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل ، وان دمشق ـ وهى جزء من ولاية سوريا ـ تشمل شرق الاردن •

(٢) زعيتر ، ص ١٤٢ •

(٣) المعهد الملكى للشئون الدولية ؛ ص ٣١ ـ ٢ •

القدس التابعة لولاية سوريا والبلقاء وعكا التابعتان لولاية بيروت فى العهد التركى تلحقان بحكومة دمشق العربية ١٩١٩-١٩٢٠ :

الأراضى التى تقع شرق نهر الاردن والتى كانت تديرها الحكومة التركية ادارة اسمية كانت أثناء الحكم التركى متمتعة بنوع من الاستقلال وكانت تسمى سنجق « القدس » التابع لولاية سوريا وسنجق البلقاء وعكا التابع لولاية بيروت .

وفى خلال عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ألحقت الارض الاردنية بحكومة فيصل العربية فى دمشق وعين لها حاكم عربى . ولما أرغم فيصل على ترك دمشق فى ٢٤ من يوليو عام ١٩٢٠ ظلت هذه الارض بدون حكومة . (١)

وفى ٢٥ من ابريل عام ١٩٢٠ عهد مجلس الحلفاء الأعلى فى « سان ريمو » بها الى بريطانيا كجزء من المنطقة الفلسطينية الخاضعة للانتداب .

وأصبحت المنطقة الصحراوية التى تقع شرق نهر الاردن ضائعة فى فوضى رسم الحدود وحقوق السيادة التى سادت عقب الحرب العالمية الأولى . (٢)

وفى يوليو عام ١٩٢٠ استدعى المندوب السامى البريطانى لفلسطين أعيان السلط ، أهم مدن المنطقة ، وأخبرهم أن الحكومة البريطانية اعتزمت أن تمنحهم حكومة ذاتية بمعاونة نفر من المستشارين البريطانيين وفى ٢٠ من أغسطس أعلن أن بريطانيا اعتزمت فصل الاردن عن فلسطين وأنشئت مجالس محلية على أثر ذلك فى المدن الرئيسية الأربع بتلك المنطقة .

وفى ٢٣ من ديسمبر وقع الاتفاق الفرنسى البريطانى « لبج - هاردنج » الذى عين الحدود بين سوريا ولبنان من جهة والعراق وفلسطين - بما فى ذلك شرق الاردن - من جهة أخرى .

---

(١) يوسف شلالة ، المجلة المصرية للقانون للدول ، ١٩٤٧ ؛ ص ١٠٥ .

(٢) « هورويتز » ج ٢ ؛ ص ١٥٦ .

وفى يناير ١٩٢١ وصل الامير عبد الله مع قوة عربية الى معان ـ التى كانت قد أدخلت موقتا فى حدود الدولة الحجازية التى كانت من نصيب والده ـ وأعلن عبد الله اعتزامه قيادة ثورة ضد الفرنسيين فى سوريا ثم تقدم الى عمان حيث رحبت به المجالس المحلية ٠ ولم يعترض البريطانيون على ذلك التقدم فتولى ادارة المنطقة ٠

وفى ختام جلسات مؤتمر القاهرة الذى سبق أن أشرنا اليه والذى عقد فى مارس من ذلك العام ، بناء على دعوة من تشرشل وزير المستعمرات البريطانى ٠٠ وافق الأخير على أن يعترف بالأمر الواقع ويعبد الله حاكما على شرق الاردن بشرط عدوله عن مهاجمة الفرنسيين وقبوله الحماية والمعونة المالية البريطانيين ٠

وفى ٢٨ من مارس ١٩٢١ اعترفت المملكة المتحدة بالامير عبد الله حاكما مؤقتا على هذه المنطقة لأن المملكة المتحدة كانت تخشى اذا نفذ عبد الله تهديده بمهاجمة سوريا أن ترد فرنسا عليه بمهاجمة المنطقة التى كانت المملكة المتحدة تطالب بها ٠

الانتداب البريطانى وخلق دولة « فاصلة » ، ١٩٢٢ :

وفى ٢٤ من يوليو ١٩٢٢ صدق مجلس عصبة الامم على انتداب بريطانيا لادارة فلسطين ٠ ونصت المادة ٢٥ من نظام الانتداب على شرق الاردن بصفة خاصة ٠ وفى ١٦ من سبتمبر عامئذ حصلت بريطانيا على موافقة مجلس العصبة ـ طبقا للمادة ٢٥ من نظام الانتداب ـ على اعفاء شرق الأردن من أية شروط خاصة بانشاء وطن قومى لليهود بما فى ذلك التزامات الدولة المنتدبة الخاصة بتيسير الهجرة اليهودية واقامة اليهود فى أرض فلسطين ٠ وقد كان هذا التعديل واجبا لأن أراضى شرق الاردن كانت داخلة فى حدود المنطقة التى عينها الاتفاق الفرنسى ـ البريطانى الذى وقع فى ٢٣ من ديسمبر ١٩٢٠ بشأن وضع فلسطين تحت الانتداب كما أن أول مشروع للانتداب على فلسطين لم يكن يخرج تلك المنطقة من نطاق الوطن القومى الذى وعد به اليهود بمقتضى تصريح « بلفور » فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ ٠ وقد لاحظ مستشرق المانى ان شرق الاردن ـ الذى يتبع سوريا فى جميع مراحل تاريخه والذى أدمجه اتفاق « سايكس ـ بيكو » فى نطاق الدولة المستقلة العربية الجديدة التى كان يرمى الى انشائها ـ قد استولت بريطانيا عليه

ضمنا بمقتضى الانتداب الذى عهد اليها به فى « سان ريمو » اذ وصف بأنه الأرض الواقعة بين نهر الاردن وحدود فلسطين الشرقية • وكان مما لا غنى عنه لبريطانيا انشاء هذه « الدولة انفاصلة » كوقاء ضد المملكة السعودية وكهمزة وصل مع العراق بمد حدود هذه الدولة الجديدة من الشمال الشرقى وضم مساحة اليها كانت قد فصلت من سوريا بعد اخراج فيصل منها • (١)

وفى ٢٨ من سبتمبر أعلنت بريطانيا تعيين الحدود بين فلسطين وشرق الاردن •

الاعتراف بالاستقلال ٢٥ من مايو ١٩٢٣
سيادة داخلية محدودة دون أية سيادة خارجية :

وفى ٢٥ من مايو عام ١٩٢٣ اعترفت بريطانيا بقيام حكومة مستقلة فى شرق الاردن تحت حكم الامير عبد الله ، وبذلك حولت النظام المؤقت الى نظام « دائم » بشرط اقامة حكومة دستورية وتوقيع اتفاق يمكن بريطانيا من الوفاء بالتزاماتها الدولية بشأن هذه المنطقة • ومنذ ذلك الوقت جاهد الامير العربى فى استكمال استقلال هذا القطر العربى وفى اعلان نفسه ملكا عليه •

ورغم الاعتراف بالامير عبد الله فان الوضع الدولى لشرق الأرض ظل غامضا • فبقى داخل نطاق فلسطين الذى وضع تحت الانتداب البريطانى ولو انه منح حكومة منفصلة عن حكومة فلسطين خاضعة هى الاخرى لسلطات الانتداب البريطانى • وكانت هذه الحكومة الاردنية تتمتع بسيادة داخلية محدودة ولكن دون أية سيادة خارجية دولية •

وفى ٢ من نوفمبر عام ١٩٢٥ وقع بين بريطانيا وسلطان نجد ـ المغفور له الملك عبد العزيز ـ اتفاق بشأن الحدود بين نجد وشرق الاردن •

وفى ٢٠ من فبراير عام ١٩٢٨ وقعت فى القدس معاهدة مع بريطانيا اعترفت بالانتداب •

---

(١) « بروكلمان » ، ص ٤٠٥ ، و « وولف » ص ٧٦ الذى يضيف ان أهمية شرق الاردن الاستراتيجية وقتئذ تتمثل فى انها كانت ضرورية لان خط انابيب البترول الذى يصل الموصل بحيفا كان يمر بها كما انها « رأس جسر » بريطانيا نحو العراق الأعلى والامارات المحمية فى الخليج العربى •

وفى ٢٥ من يوليو – استنادا الى المعاهدة الاردنية البريطانية والى الدستور الاول الذى كان قد صدر عامئذ – عقد فى عمان مؤتمر وطنى وضع ميثاقا طالب فيه بالاستقلال وسيادة الدولة الكاملة وبنظـــام نيابى :

وفى ١٢ من نوفمبر أودع الوطنيون الاردنيون لدى سكرتير عام عصبة الامم مطالبهم ونددوا بمعاهدة ٢٠ من فبراير ٠

وفى ٢٦ من مارس عام ١٩٣١ وقعت فى عمان معاهدة صداقة مع العراق ٠

وفى ٣١ من أكتوبر صدر البروتوكول الفرنسى البريطانى بتعيين الحدود بين سوريا وجبل الدروز وشرق الاردن ٠

وفى عام ١٩٣٣ دعى مؤدمر الى الانعقاد فى عمان الح المجتمعون فيه على المناداة بالتضامن بين العرب ٠٠ وتحت ضغط قرارات هـــذا المؤتمر أصدرت الجمعية التشريعية لشرق الأردن عامئذ قانونا يحـــرم بيع أية أراضى للصهيونيين أو أية عقود مزارعة تعقد معهم ٠ (١)

وفى ٢٧ من يوليو عام ١٩٣٣ عقدت مع المملكة العربية السعودية معاهدة صداقة وحسن جوار ٠

---

(١) « بروكلمان » ، ص ٤٠٧ .

الفصل الخامس

مذهب « العروبة » بين « الوحدة العربية »
و « الدولة المتحـــدة فيديراليـــا »
و « اتحاد الدول العربيـــة كونفيديراليا »

يذهب بعض المؤرخين العرب المعاصرين الى أن طليعة جامعةالدول العربية قد تمثلت فى المحاولات التى أنتهت بالاتفاق الذى عقد عـــلى ظهر الباخرة البريطانية نيرشس فى ٢٢ من فبراير عام ١٩٣٠ بينالعراق والمملكة العربية السعودية ، وان العراق كان يرى عدم الاكتفاء بتلك المعاهدة لتحقيق الوحدة العربية وكان يأمل تحقيق حلف « عربى » بين العراق وشرق الاردن والحجاز ونجدتنضم اليه جميع الدولالعربية بمجرد استردادها لاستقلالها ٠

وفى عام ١٩٣١ كثر الحديث عن الاتحاد بين ســـوريا والعراق ، وهو الاتحاد الذى ذكرت الصحف المصرية (١) أنه يمكن تحقيقـــه بعد انضمام سوريا الى عصبة الامم وبعد تعديل الدستور السورى ٠

وفى ١٣ من ديسمبر عام ١٩٣١ اجتمع المؤتمر العربى القومى فى القدس وضم ممثلين لمختلف الجمعيات والاقطار العرسية وأصدر الميثاق الآتى :

(١) « الاهرام » فى ٣ من ديسمبر عام ١٩٣١ ٠

١ ـ أن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا نقره ولا نعترف به ٠

٢ ـ توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية ٠٠ وجهه واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية ٠ (١)

وهذه القرارات ـ كما يبدو بوضوح من عباراتها ـ تأكيد لطابع البلاد العربية الخاص ٠ المتميز عن بقية البلاد الاسلامية ولروح الجماعة التى تربط بين البلاد العربية لتحقيق هدف مشترك هو استقلال هذه البلاد « العربية » ووحدتها ٠

وقد اهتم المؤرخون الأجانب فى هذه الفترة بمقال نشره عبد الرحمن عزام فى مجلة « العرب » التى تصدر بالقدس فى ٢٧ من أغسطس ١٩٣٢ بعنوان « العرب أمة المستقبل » ٠ وقد قرر فيه أن الوحدة العربية حقيقة راهنة وحقيقة تاريخية ٠ وأن تمزيق الامة العربية الى شعوب وقبائل لا يدل على فرقتها ولا على افتقارها الى الحيوية وانما هو مجرد ظاهرة من ظواهر ضغط الاجناس الاوروبية على الشرق ٠ ولكن هذه الفرقة لن تمنع الامة العربية من أن تبرز بالقوة التى هى بها جديرة ٠ وأن حاجة العرب الى الوحدة لا شك فيها كما لا شك فى حاجة العالم الى العرب ٠ وطلب أن يوجه العالم بصره الى أمة المستقبل : الأمة العربية ٠ (٢)

وقد اهتم المستعربون الاوروبيون بتبين المقصود بالأمة العربية وبالعربى ولذلك استندوا الى البيان الذى أذاعته « اللجنة الوطنية » فى سوريا عام ١٩٣٦ والذى أعلن ان الأمة العربية تتكون من السكان على الأرض العربية الذين توحد بينهم اللغة والعقلية ٠ والذكريات

---

(١) أبو خلدون ، ساطع الحصرى ، آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١١٨ ، عن « البلاد » بغداد ، ١٩ من ابريل ١٩٣٦ ٠

(٢) « روندو » : « مصير الشرق الأدنى » ص ١١٥ « لويلييه » ص ٧٩ B. Simiot, Lignes de force en Moyen-Orient, Rev. des Deux Mondes. أكتوبر ١٩٥٦ ، ص ٤٤٠ ، وقد أشار الى الجهود التى بذلت بعد ذلك لانشاء دولة عربية من المغرب وشاطىء الأطلسى الى المحيط الهندى ومن آسيا الوسطى الى أفريقيا السوداء ، وأن ثورات النفوس والمظاهرات العامة التى كانت قاصرة على مصر وسوريا والعراق قد امتد الى المغرب والجزائر وتونس ٠

التاريخية ، والأخلاق ، والعادات ، ان وطننا ، الوطن العربى يتكون من مناطق تضمها الحدود الآتية :

فى الشمال : جبال طوروس والبحر الأبيض المتوسط ، وفى الجنوب المحيط العربى (المحيط الهندى) وجبال الحبشة والسودان ، ثم الصحراء ، وغربا : المحيط الاطلسى ، وشواطىء سوريا على البحر الابيض المتوسط ، وشرقا : جبال ايران وخليج البصرة (الخليج الفارسى - العربى) .

ويعد عربيا كل من كانت اللغة العربية لغته الاصلية ، أو كل من يقطن أرضا عربية على أن يشترط فيه - فى الحالتين - ألا يكون خاضعا لأى شعور يمكن أن يجعله عاجزا عن الاندماج فى الجنسية العربية .

وهدف الوحدة العربية هو ايقاظ القوى الدافعة لأمتنا ، وتنظيم عناصرها البشرية فى ظل حكومة مستقلة ، متحدة ، متحضرة ، (١)

أما بشأن المغرب العربى فقد قرر المتوفرون على بحث حركات وحدته مع باقى العالم العربى أنه يمثل مجموعة جغرافية متكاملة .. ووحدة عرقية وثقافية متسقة ، وقد أصبح الصراع ضد الاستعمار بمثابة رابطة دعمت وحدة شعوبه وأتاحت للحركة الوطنية المغربية فرصة الثبات والرسوخ ، ففى مواجهة السياسات الاستعمارية الرامية الى التفرقة بدأ المغرب متحدا ، وأثبتت الحركة الوطنية المغربية وجودها وحيويتها كقطب عقائدى يشع التقارب بين مختلف العناصر المغربية ويعبىء قواها .. وبدأت فكرة الوحدة المغربية فى الانتشار حقا بعد الحرب العالمية الاولى ، فأدرجت فى أول برنامج لأول جمعية وطنية أنشئت فى شمال افريقيا وهى جمعية « نجم شمال افريقيا » ، كما ان هذه الوحدة كانت من الأفكار الرئيسية التى دعت اليها « جمعية الطلبة المسلمين فى شمال افريقيا » ، A.E.M.N.A. (٢)

واقتصر بعض هؤلاء المتوفرين على دراسة أوضاع المغرب العربى على التركيز على « الوحدة المغربية » دون ربطها بالاتجاه العام للوحدة

---

(١) « قلورى » و « مانتران » ، ص ٢ - ٣ .

(٢) J.C. Santucci : L'Unification Maghrébine, réalisations institutionnelles et obstacles politiques, L'Unité Maghrébine, C.N.R.S.

باريس ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٦ .

العربية فعنوا بابراز أن أهم ما دعم الوحدة المغربية هو الصراع المشترك ضد الاستعمار · (١)

ولكن آخرين من الخبراء فى الأوضاع الاجتماعية ـ السياسية للمغرب لم يترددوا فى أن يوضحوا بجلاء أن المنافسات بين الدول الاستعمارية قد دعت هذه الدول ـ لكى تنحت امبراطوريتها وتشذب أطرافها وفق هواها ـ الى تجزئة العالم الاسلامى ـ ومنه العالم العربى ـ واقتسامه · اذن فالمسئولون الاول عن هذه التجزئة للعالم العربى ليسوا العرب · وانما « الآخرون » · وقد اختفى هؤلاء « الآخرون » · أى المستعمرون · فانطلقت الدعوة الى اعادة الوحدة والى أن تسترد الامة العربية قوتها · واشعاعها · هذه هى الخطة التى بلغ من شدة التمسك بها أن احتلت الوحدة فى الاذهان مكانة الاساطير التى تشعل حماسة العرب أجمعين ومن بينهم المغاربة · (٢)

ولذلك · ففى صدد دراسة تطور مذهب الوحدة العربية يحسن عدم التركيز على التفرقة بين المشرق العربى والمغرب العربى · فالمغاربة ـ كسائر العرب الآخرين ـ هم ، فى رأى « جيب » « شعب تجمع حول ذكرى تاريخية » ، وقد أجاب على السؤال الذىطالماوجهه المتعطشون الى ادراك كنه هذه الشعوب العربية : من هم هؤلاء العرب ؟ فقرر « جيب »: هناك أخصائيون فى علم الأجناس قد يردون باجابة واحدة تدنو من حقيقة التاريخ : العرب هم كل من يتمركز محور تاريخهم حول رسالة محمد وذكرى الامبراطورية العربية · والذين يعتزون ـ بالاضافة الى ذلك ـ باللغة العربية وتراثها الثقافى كتراث مشترك بينهم جميعا » (٣)

واستنادا على هذا التعريف يقرر « عيسوى » أن « العلامة التى تميز العالم العربى عن بقية أجزاء المجتمع الاسلامى تتمثل فى واقع أن اللغة العربية هى اللغة الحية التى يتحدث بها العالم العربى · والسبب فى أن « الاستعراب » قد اقتصر على جزء فقط من المجتمع الاسلامى ـ الى جانب أن الدين أقل التصاقا والتحاما بالأرض وأكثر قابلية للانتشار

---

(١) Bruno Etienne : L'*Unité* Maghrébine à l'épreuve des politiques étrangères nationales, L'Unité Maghrébine, dimensions et perspectives. C.R.E.S., C.N.R.S. باريس ، ١٩٧٢ ؛ ص ٩٤

(٢) Flory : Problématiques institutionnelles de l'unité maghrébine. C.N.R.S. باريس ، ١٩٧٢ ؛ ص ١٥٨

(٣) شارل عيسوى : The Basis of Arab Unity, L'Egypte Contemporaine. القاهرة ، ابريل ١٩٥٨ ؛ ص ٨ نقلا عن مجلة « الشؤون الدولية بلندن »

والتنقل من الوطنية ــ يمكن رده الى مجموعة من العوامل الجغرافيــة والتاريخية . ونظرة الى الخريطة توضح أن العالم العربى تحده حدود جغرافية طبيعية : الصحراء والمحيط الهندى والمحيط الاطلسى والبحـر الأبيض المتوسط وجبال طوروس » .

وهذه الحدود تفصله عن بقية العالم . بما فيه العالم الاسلامى .

ويكفى ــ فى هذا الصدد ــ أن نقرر ، مع « تورنو » ان آراء الأمير شكيب ارسلان السورى التى كان ينشرها بين الحربين العالميتين عـلى صفحات مجلته « الأمة العربية » بجنيف والتى اهتمت بالمغرب كجــزء لا ينفصل عن هذهالأمة العربية ــ قد أثرت فى المغاربة تأثيرا أكيدا .

وعلى ذلك فالمغرب ــ منذ القرن السابع ــ أصبح جزءا مكملا للعالم العربى لا ينفصل عنه ، وصراعه ضد الاستعمار شاركه فيه عرب المشرق . وهذا الصراع المشترك ، الى جانب غيره من العوامل الاجتماعية ــالسياسية، هو الذى دعم الوحدة المغربية كخطوة أولى نحو الهدف الاعلى المشترك : الوحدة العربية .

ومما حفز المفكرين العرب على استمرار المناداة بوجوب أن تنضم مصر الى هذه الوحدة العربية بل أن تتولى زعامتها أن بعض المفكـرين المصريين كانوا قد ذهبوا الى أن يقتصر نطاق الوحدة المنشودة على «توحيد برامج التعليم فى جميع الاقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها .. ومن المفيد أن يكون تعاونا اقتصاديا وحتى تحالفا عسكريا ، لا وحدة سياسية ، سواء أكانت بشكل امبراطورية جامعة أم اتحاد مشــــابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى .. ان الفرعونية متأصلة فى نفــوس المصريين وانها ستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى ، ولا تطلبوا من مصر أن تتخلف عن مصريتها والا كان معنى طلبكم : اهدمى يا مصــر أبا الهول والأهرام وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم ، وانسى نفسك واتبعينا » (١) .

وعاد هذا الفريق من المفكرين المصريين فقرروا عن « العقــل العربى الحديث » انه ربما كان من الأمثلة الطريفة الظريفة التى تبين الفرق بين العقل العربى القديم والعقل العربى الحديث فى هذا العصر الذى نعيش فيه مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الاسلامية التى يكثر فيهـا

(١) طه حسين ، مجلة « المكشـوف » ; ١٩٣٨ عن الحصرى ، آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، ص ٩٦ ــ ١٠٠ .

الكلام وتشتد فيها الخصومة ·· وأما أصحاب العقل الحديث فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه فى البلاد المتحضرة بالحضارات الحديثة الأوروبية ، يفهمونها على انها لا تنفع ولا تفيد الا اذا احتفظت بالقوميات والشخصيات الوطنية والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة العامة لهم فى حياتهم الداخلية والخارجية ، وقامت على الحلف الذى لا يفنى أمة فى أمة ، ولا يخضع شعبا لشعب ، وانما يمكن الامم من أن تتعاون على أساس ما يكون بين الانداد من المساواة · (١)

ولكن مما يثبت غرابة هذا الرأى أن صاحبه ــ بعد أن قدم رسالته الدكتوراه الى الجامعة المصرية عن أبى العلاء المعرى المولود فى « معرة النعمان » بشمال سوريا ورسالته الى « السوربون » عن ابن خلدون العربى اليمنى المولود بتونس والمتوفى والمدفون بالقاهرة ــ عين أستاذا للأدب العربى فى جامعة القاهرة ثم عميدا لكلية الآداب بهذه الجامعة· ودأب على نشر عشرات الكتب التى أقبل العرب على قراءتها باهتمام وشغف فى جميع البلاد العربية وكلها كتب عن الأدب العربى قبل الاسلام وبعده ، وعن حياة محمد (صلعم) النبى العربى ، وعن الخلفاء الراشدين العرب ، وعن طائفة من المسائل التاريخية والتربوية العربية الصميمة · حتى انعقد الاجماع بين نقاد الادب العربى فى جميع البلاد العربية على تسميته « عميد الأدب العربى » الى جانب نشأته الأزهرية وهى بداهة نشأة عربية اسلامية بحتة · ومع ذلك فقد أعلن ــ دون سند ثقافى أو لغوى أو دينى ــ ان الدعوة الى اتحاد مصر مع سائر الأقطار العربية معناه طلب التخلى عن « مصريتها » ! ويبدو أنه قد غاب عن أستاذنا العميد الكبير أن التاريخ قد أكد أن العرب قد سكنوا سيناء ــ شبه الجزيرة المصرية ــ كما سكنوا شرق وادى النيل منذ عهد هيرودوت (٤٨٤ــ٤٢٥ ق·م) ، وان البحر الأحمر ــ حد مصر الشرقى ــ سماه المؤرخون القدماء « الخليج العربى » كما يقرر « فورستر » فى كتابه « الجغرافيا التاريخية للبلاد العربية » ، وان العرب الانباط (٥٠٠ ق·م ــ ١٠٦م) قد سكنوا مصر وخلفوا نقوشا فى شرق الدلتا وفى سيناء تدل على اقامتهم بها كما يقرر «جانو » فى كتابه «الانباط فى مصر » وكما يقرر « ليتمان » فى كتابه « نقوش نبطية من مصر » ، والنقوش على العملات التدمرية العربية التى عثر عليها بالاسكندرية تشهد

---

(١) طه حسين « العقل العربى الحديث » مجلة « الهلال » عن الحصرى : المرجع السابق ، ص ١١٠ ــ ١١١ ·

وجود هؤلاء التدمريين العرب فى مصر (٢٦٨ ــ ٢٧١) • وأخيرا فان الطــابع العرقى واللغوى ، والثقــافى ، والدينى الذى خلفه الفتــح الاسلامى لمصر (٦٤١) طابع أصيل وعتيد لا يمكن انكاره •

وقد رد المفكرون من أنصار الوحدة العربية على هذا الاتجاه من بعض المفكرين المصريين بأن « دعوة المصريين الى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجــه من الوجوه حثهم على التنازل عن المصرية ، ان دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا من المصريين لا ضمنا ولا صراحــــة أن يتنازلوا عن مصريتهم بل انهم يطلبون اليهم أن يضيفوا الى شعورهم المصرى الخاص شعورا عربيا عاما ، وأن يعملوا للعروبة بجانب مايعملونه للمصرية • ان فكرة الوحدة العربية لا تستند الى العاطفة وحدها بل تستند الى المنفعة أيضا •• اعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منهــا الاتحاد مع سائر البلاد العربية كما اعتقد بأن منفعة مصر فى هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة بل هى من المنافع الهامة الحيوية • واذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم فلاشك فى أنهم سيكثرون يوما من الأيام » (١) •

وفى عام ١٩٣٨ تنقل أحد وزراء خارجية العراق السابقين بين بيروت ودمشق والقاهرة وتباحث فى مصر مع الزعماء السوريين والفلسطينيين وأشارت الصحف العراقية (٢) ، الى أن السياسى العراقى كان يعتزم العمل على تكوين دولة عربية كبيرة تضم العراق وفلسطين وشــرق الاردن • وعادت نفس الصحيفة (٣) ، بعد أيام فنشرت تصريحا لهــذا السياسى العراقى أكد فيه ان الوحدة العربية يجب أن تتحقق لا للدفاع عن كيان البلاد العربية فحسب وانما لتشجيع تبادل المعونة فى الميادين الثقافية والعلمية والصناعية ولاقتصادية • (٤)

وظهر فى نفس الوقت فريق من العرب ينظر الى الوحدة العربية من زاوية خاصة ويحددها بنطاق خاص ؛ ويسمها بطابع خاص • ففى عــام ١٩٣٨ صدرت فى بيروت الطبعة الاولى من كتاب ذهب مؤلفه الى أن تحديد الأمة باللغة من أكبر الأخطاء لأن اللغة وسيلة من وسائل قيــام الاجتماع لاسبب من أسبابه • انها أمر حادث بالاجتماع فى الأصل لا ان

---

(١) الحصرى ، آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ؛ ص ٩٧ ــ ١٠٦ •
(٢) « البلاد » ، بغداد ، فى ١٤ من يناير ١٩٣٨ •
(٣) « البلاد » فى ٢ من فبراير ١٩٣٨ •
(٤) نصيف ، ص ٥٧ •

الاجتماع حادث باللغة » وقد اعترض على ما قرره المفكر « بلنتشلي » من أنه « متى إستبدل المرء لغة جديدة بلغته ، خسر قوميته » بأن هذا القول لا يصح الا في الأقوام الغافلة عن نفسها وعن وحدة اجتماعها • أما الأقوام المنتبهة الحية الوجدان القـــومي أو الاجتماعي فيمكنها ان تقبل لغـــة جديدة ، ولا تفقد خصائصها القومية الأخرى » (١) •

وقد تكتل أصحاب هذه الفكرة في حزب سياسي أطلقوا عليه اسم « الحزب السورى القومي الاجتماعي » الذى تتلخص مبادئه في ان « سوريا للسوريين والسوريون أمة تامة » • وفى أن « الأمة السورية هي وحدة الشعب السورى المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما قبـــل الزمن التاريخى الحالى » • وفى أن « الوطن السورى هو البيئة السورية التى نشأت فيها الامة السورية ، وهى ذات حدود جغرافية تميزهـــا عن سواها ، تمتد من جبال طوروس فى الشمال الغربى وجبـــــال البختيارى فى الشمال الشرقى الى قناة السويس والبحر الأحمر فى الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ، ومن البحر السورى فى الغرب شاملة جزيرة قبرص الى قوس الصحراء العربية وخليج العجم فى الشرق • ويعبر عنها بلفظ عام : الهلال السورى الخصيب ونجمته جزيرة قبرص » • وفى « فصل الدين عن الدولة وازالة الحواجـز بين مختلف الطوائف والمذاهب » • وفى ان « ايجاد جبهة من أمم العـــالم العربى تكون سدا منيعا ضد المطامع الاجنبية وقوة يكون لها وزن كبير فى اقرار المسائل السياسية الكبرى هو جزء متمم لغاية الحزب السياسية من الوجهـــة الخارجيـــة • وليس يريد الحزب حصـــــر هـــذه الفـكرة السامية وحصر نتائجها الخطيرة فى سوريا بل هو يريد حملها الى الأمم العربية الشقيقة عن طريق العمل الثقافى ، وتبادل الآراء والتفاهم لا عن طريق الغاء شخصيات الأمم العربية وفرض النظريات عليها فرضا » (٢)

وقد أثارت غرابة الدعوة التى كان يبثها هذا الفريق ممن زعموا أنهم قوميون ريبة المفكرين الداعين الى الوحدة العربية فتتبعوا نشاطهم وانتهوا الى ان « هـــذه المنظمة تضم خليطا من اللبنانيين والســوريين

---

(١) « انطون سعادة » نشوء الأمم ص ١٧١ ـــ ١٧٣ ، وقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى دمشق عام ١٩٥١ •

(٢) انطون سعادة ، « الابحاث القومية الاجتماعية » ، حلقة ١٢ ص ١٣ ـــ ١٥ ، وقد استند على مقدمة شكرى غانم لكتاب جورج سمنه الذى أسماه « سورية » المطبوع فى باريس عام ١٩٢١ •

والأردنيين والفلسطينيين يجرى فى عروق بعضهم دماء غير عربية ويصح أن نطلق عليهم من هذه الناحية تعبير الشعوبيين • وقد أقامها منشئوها على أساس انكار القومية العربية والجنسية العربية الشاملة واستحالة قيام وحدة بين أجزاء الوطن العربى الكبير والاهتمام فقط لكيان سورى ووحدة سورية واعتبار سوريا وسكانها كيانا خاصا لا يجمع بينه وبين بلاد العرب الأخرى وسكانها جامعة ومصلحة ، متذرعين بمقاييس وحجج زائفة فيها كثير من المفارقة والتناقض مع حقائق التاريخ والعلم والواقع والشعور العام الشامل لسكان بلاد الشام وسائر أنحاء الوطن العربى الأخرى أشد تناقض وأعجبه » (١) •

وكانت قضية فلسطين وتهديدها بالصهيونية قد بدأت تثير اهتمام العرب على اختلاف الاقطار التى ينتمون اليها فاجتمع ممثلون لهذه الأقطار لأول مرة فى القدس عام ١٩٣١ • وقد تم عقب ذلك انشاء « الشركة العربية لانقاذ أراضى فلسطين » •

وكان وعى الوحدة يتبلور وتتضح معالمه يوما بعد يوم ، فقد نشرت الصحف السورية عام ١٩٣٧ ، رأيا لسياسى سورى ذكر فيه أنه يجب أن نبدأ بوحدة ثقافية واقتصادية بين الاقطار العربية المختلفة • (٢) ثم عاد عام ١٩٣٩ فقرر أنه « اذا أريد بالامبراطورية العربية مجموعة البلدان التى اتحدث فى لغتها وعقيدتها ومبدأ ثقافتها واتصال تاريخها وتجاور أراضيها فهذه الامبراطورية موجودة ، وربما كانت هى — وهى بهذا الشكل — أقرب الى الوحدة المتضامنة منها الى الحلف المتراخى • أما اذا أريد بالامبراطورية العربية بلدانا خاضعة لسلطان واحد وتشريع واحد وهيئة تنفيذية واحدة فهذه غير موجودة طبعا ولكنها يقدر لها الوجود متى اشتدت فيها أنواع الاتحادات المعنوية المذكورة أولا » • وقد تحدث نفس صاحب هذا الرأى عن الروابط المعنوية التى تربط مصر بالشام • فذكر انه قد تغنى بها الكتاب والشعراء ، وان مما يؤيدها « المصلحة المادية الناشئة عن وجودهما على بابى الطريق الذى يربط آسيا بأفريقيا ، ناهيك بما فى هذين القطرين من الخصائص الطبيعية التى يتم بعضها بعضا • فمن الوجهة المعنوية نحن امبراطورية شاء الاقليميون الضيقون منا

---

(١) دروزه ، ص ٣٦٢ — ٣٦٣ •

(٢) عبد الرحمن شهبندر ، « الشهاب » حلب •

أم أبوا ٠٠ واذا قدر لنا أن نرى من يغار على تبادل محصولنا ويهش لزوال الحواجز بيننا ٠٠ فان يوم الامبراطورية العربية بمعنييه الروحى والمادى لا يكون بعيدا » (١) ٠

وعاد صاحب هذا الرأى فقرر عام ١٩٤٠ أن الوحدة العربية يجب أن تتحقق تدريجيا وأن تبدأ بالتعاون الثقافى الذى عليه أن يمهد الرأى العام للتعاون السياسى حتى يمكن الوصول الى جامعة الدول العربية (٢) ٠

وقد وجدت فكرة البدء بالتعاون الثقافى والاقتصادى أنصارا فى تلك الفترة ٠ فقرر مفكر عربى آخر عام ١٩٣٧ أنه يرى أن تبدأ الوحدة مستندة الى ميثاق عربى ، وأن يتضمن هذا الميثاق عوامل التقريب اقتصاديا واجتماعيا بين الأقطار العربية ، وأن الوحدة فى مرحلتها الأولى يمكن أن تكون عسكرية واقتصادية فقط على أن يتمها الزمن والتقدم العلمى ٠ وأننا لن ننتظر قرونا طويلة لدى استكمال هذه الوحدة لأن مذهبها يتطور سريعا فى الأقطار التى يعنيها الأمر بسبب الوعى القومى فى الأمة العربية وأن الوسيلة العملية لتحقيقها هى ترقية وسائل المواصلات بالسكك الحديدية وبالطرق العامة باعتبار أن هذه الوسيلة تقرب المسافات بين الأقطار العربية (٣) ٠ واكتسبت فكرة التدرج بتحقيق فكرة الدولة الاتحادية العربية أنصارا آخرين رأوا أن الوحدة العربية يمكن تحقيقها على مراحل تكون مرحلتها الأولى عقد اتفاقات ذات طابع اقتصادى بين الدول العربية (٤) ٠

وعاد أحد كبار المفكرين العرب فصرح فى نفس تلك الفترة بأنه يرى أن التعاون الثقافى والاقتصادى هما الشرطان الرئيسيان لتحقيق الوحدة العربية (٥) ٠

---

(١) عبد الرحمن شهبندر ، من مقال « الامبراطورية العربية ، هل يقدر لها العودة الى الوجود ؟ » مجلة « الهلال » عدد ابريل عام ١٩٣٦ ص ٦٠ ، وهو العدد الخاص عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » ٠

(٢) عبد الرحمن شهبندر ، « مجلة الرابطة العربية » ، ٦ من مارس ١٩٤٠ ٠

(٣) شكيب ارسلان : من محاضرة فى « النادى العربى » دمشق ، ٢٠ من سبتمبر ١٩٣٧ ، عن البير نصيف ، ص ٥٩ ٠

(٤) خليل ثابت ، « المقطم » ١٩٣٨ : عن نصيف ، نفس المرجع ٠

(٥) طه حسين ، « المقطم » ١٢ من مارس ١٩٢٨ ، المرجع السابق ، نفس الصفحة

وقد ذهب أحد أساتذة العلوم السياسية الأمريكيين الى أن بريطانيا اعترفت بوحـدة العـرب عند ما دعت وزارة الخـارجية البريطانية ممثلى الدول العربية المستقلة فى نوفمبر ١٩٣٨ للاشتراك فى مؤتمر لندن عن فلسطين (١) ٠

وذهب بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين بشأن هذه الفترة الى أنه فى عام ١٩٣٩ كانت حركة العمل على تحقيق الوحدة العربية قد تقدمت تقدما كبيرا وأن الحرب عجلت بتحقيق الكثير من أهدافها ، ولعل أهم ما ساعد على ذلك تقدم الاذاعة باللغة العربية سواء بواسطة هيئات الاذاعة العربية أو الأقسام العربية فى هيئات الاذاعة التابعة للدول العظمى ٠ فقد أسهم ذلك فى نشر الأسلوب العربى السهل أى الأسلوب الصحفى الذى اذا قورن باللهجات العامية المتداولة فى مختلف الأقطار العربية قد يعد بمثابة لغة دولية للعالم العربى ، وهو بذاته اداة فعالة لتحقيق الوحدة ٠ والاذاعة قد قدمت حوادث وشخصيات الأقطار العربية الاخرى بشكل لم يسبق له نظير ٠ وقد بدأت ايطاليا ثم أعقبتها بريطانيا فألمانيا بانشاء أقسام عربية وجهت اذاعتها القوية الى العالم العربى للدعاية ٠ وكانت تلك الأقسام تتنافس فى استرضاء شـعوب العرب وتلتها دول أخرى فى نطاق أضيق فأنشئت اقسام عربية فى هيئات الاذاعة بتركيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحـاد السـوفيتى واسبانيا والصـين واليابان ، وقد أضفى ذلك كله على العالم العربى وحدة جديدة فى الآراء والمثل العليا ، كما أن تحقيق أغراض الحرب من بناء الموانىء والمطارات والسكك الحديدية والطرق وتوسيع ما كان مبنيا منها فى العالم العربى قد قرب بين المسـافات ووثق الصـلات بين أجـزاء هذا العـالم العربى (٢) ٠

ولعل مما يؤيد هذا الرأى أن بعض هيئات الاذاعة الأوروبية قد عمدت ، لأغراض الدعاية ولتملق العرب ، الى اصدار نشرات دورية ذات طابع ثقافى باللغة العربية كانت تعنى بتوزيعها فى العالم العربى وبمعالجة المسائل التى تهم العرب أجمعين ، من ذلك بحث عنى أحد المستشرقين البريطانيين به وقرر فيه أن « أمانى العـرب لا زالت متماثلة وأصبح مشروع التفاهم المشترك فروع دوحة الأسرة العربية العظيمة بقصـد

---

(١) « هورويتز » ج ٢ ، ص ٢٣٦ ٠

(٢) « باربر » ، ص ٢١٢ ٠

التحرر من ربقة ممقوتة يظهر بوضوح يوما بعد يوم • والاضطرابات التى هزت الشرق هزات عنيفة فى السنوات العديدة الماضية ليست مجـــرد حوادث انفرادية فى امكان قوة منظمة أن تكبحها وتردها الى نصـــاب الأمن • فالفكرة العربية قد استيقظت وأخذت تتشكل بل هى جنسية تستعيد مركزها فى مصير الاسلام بعد أن استحقت فى الماضى (١) » •

وفى مستهل عام ١٩٣٩ أى فى نفس الفترة التى نستعرض تاريخها الآن وبيان جهود الطليعة فيها لانشاء جامعة الدول العربية ، بدأت تتردد من بعض السياسيين المصريين الذين قد يتطرق الشك الى أصلهم العربى نغمة أن المصريين عرب و « أن تاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات ، لا بل هـو شبكة محكمة العقـد • واذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة والعربية فى هذه الأقطار أوثق منها فى أى قطر من أقطار الأرض وأن التسامح الدينى الذى نشأ وترعرع ما زال موجودا بين أصحاب الأديان كلها فى الجارات الشقيقة ، أيقنت أن المقصود بقولى « ان المصريين عرب » هو هذه الوشائج وتلك الصلات التى لم تقصمها الحدود الجغرافية ولم تنل منها الأطماع السياسية منالا » •

وقد انتهى صاحب هذا الرأى الى الجزم مقـررا « نحن عرب من هذه الناحية ومن ، ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر وامتداد أصلنا القديم الى الأصل السامى الذى هاجر الى بلادنا من الجزيرة العربية •• فالوحدة العربية حقيقة قائمة ، هى موجودة لكنها فى حاجة الى تنظيم •• فنصير كتلة واحدة وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة (٢) » •

وقد تأكد اسـهام المصريين فى ارسـاء صرح العروبة ، فقرر أحد المفكرين الفلسطينيين « ان الحقائق تثبت لنا أن أهل وادى النيل شعب عربى ، والقول بخلاف ذلك فرار من الحقيقة الواقعة التى لا يمكن تغييرها كما لا يمكن تغيير مجرى النيل بجعله يجـرى من الشمال الى الجنوب بدلا من جريه من الجنوب الى الشمال » (٣) •

---

(١) « دونى ده ريفوار » : « العرب الحقيقيون وبلادهم » الذى صدر بالفرنسية عام ١٨٨٤ من تعليق المستشرق الانجليزى نيفيل باربر فى العدد ٢٤ من مجلة « المستمع العربى » •

(٢) مكرم عبيد ، « المصريون عرب » ، (الهـلال) العدد الذهبى عن « العـرب والاسلام فى العصر الحديث » ابريل ١٩٣٩ ، ص ٣٢ •

(٣) يوسف هيكل « نحو الوحدة العربية » ص ٣٤ ، ٣٥ •

وفى مستهل نفس العام ، أى عام ١٩٣٩ تألفت جمعية ضمت بعض الشبان العراقيين والمصريين والسوريين والفلسطينين للدعاية للوحدة العربية (١) • وقد لاحظ الدارسون لتاريخ هذه الوحدة أن هذه الجمعية قد اضطلعت بمهمة انشاء مراكز ثقافية لتبادل الآراء فى المسائل العامة ، وفى العادات المحلية لبعض المناطق العربية التى قد لا تعرفها المناطق المجاورة معرفة كافية ، وأسندت رئاسة الشرف الى أحد كبار الساسة المصريين •

وفى ٢ من سبتمبر عام ١٩٤٠ ، بمناسبة الاحتفال بذكرة الثورة العربية ، أعلن رئيس الوزارة العراقية فى اذاعة بغداد ان الأمة عندما تتقدم وتحس بحقها فى الحياة لا يمكن لأية قوة فى العـالم أن توقف تقـدمها ، وسيأتى اليوم الذى تصبح فيه الأمة العـــربية أمة عظيمة موحـــدة •

وقد لاحظ المؤرخون العرب المعاصرون أن هذا السياسى العراقى كان بين اتجاهين مختلفين أولهما : أن يتابع استكمال المحالفات الثنائية التى كان يمكن أن تنتهى الى نظام اتحادى « فيديرالى » يضم الدول المتحالفة على أن يحكمها تاج مشترك ، والآخر أن يسلك سبيل التعاون الثقافى والاقتصادى الذى ينتهى الى انشاء هيئة تضم دولا مستقلة (١) •

وفى منتصف عام ١٩٤٢ اهتم المستعربون بموضوع الوحدة العربية أثناء المناقشات التى تناولها مؤتمرهم بجامعة « شيكاجو » خلال شهر يونيو عامئذ ، وهو المؤتمر الذى القيت فيه عدة محاضرات عن الشرق العربى وتحدث فيه الأستاذ « كوينسى رايت » الأستاذ بجامعة شيكاجو ، فذكر أن أقطار الشرق الأدنى تحتوى على كميات كبيرة من زيت البترول، كما أنها تنتج مقادير وافرة من محاصيل البلاد الحارة ، وأن هذا الثراء هو الذى جعلها مسرحا للتنافس السياسى بين الدول العظمى ، وتحدث « الكونت سفورزا » فقرر أن الشرق الأدنى لم يعد بمثابة منطقة مستكنة بين أوروبا وآسيا تتحرك دوله وقبائله بأهواء الدول العظمى • وتحدث الأستاذ « جيب » ـ فسلم بأن اتجاه الأقطار العربية الى انشاء جيش واحد تحت هيئة أركان حرب واحدة والى توحيد السياســة الخارجية معقول وعملى جدا •

---

(١) « البلاد » بغداد ، ٢٤ من ابرل ١٩٣٩ •
(٢) نصيف ، ص ٥٨ •

وفى مستهل عام ١٩٤٣ صرح أحد كبار الدبلوماسيين السعوديين أن شعوب الدول العربية يجب أن تصل الى درجة متساوية فى التعليم لكى تتحقق الوحدة العربية بمعناها الصحيح ، وأن العرب سيقدمون تضحيات كبيرة للحصول على كامل حريتهم السياسية ولتنظيم التعاون الاقتصادى فيما بينهم • ولكن الخطوة الأولى نحو الوحدة العربية يجب أن تكون نشر التعليم بين الشعب العربى (١) •

وكان دبلوماسى آخر كبير من نفس الدولة العربية التى ينتمى اليها صاحب هذا الرأى قد قرر قبل ذلك بمدة يسيرة ، وهو بصدد استعراض أنواع الحكومات العربية ، أنه « من العسير وضع قاعدة عامة أو تحديد شامل لجميع درجات الروابط وأنواع شمولها ، اذ أن ذلك يتطلب بطبيعة الحال أن تكون الأقطار المبحوث عنها موضوعة تحت شرائط عامة متواضع عليها أو تابعة لنظام متقارب متماثل • غير أن الوضع الراهن التى هى عليه بعيد كل البعد عما نريد •• فمن الأقطار العربية ما يسير فى ادارته الداخلية على طريقة شرعية دينية فى بعض النواحى وعلى طريقة عصرية فى النواحى الأخرى كالمملكة العربية السعودية ، وما يسير على طريقة شرعية امامية بحتة كاليمن ، ومنها ما يسير على أحدث أساليب الادارة والتشريع بدون تقيد بالأصول الفقهية الاسلامية كمصر والعراق وسوريا، ومنها ما لا يزال على حالة الفطرة والبداوة العرفية •• ومن رأينا أن محاولة التفتيش على روابط سياسية عامة تشمل جميع الأشكال والأوضاع السياسية فى الأقطار العربية انما هى محاولة فاشلة لا تفضى الى نتيجة مرضية يحسن السكوت عليها ، ومرد ذلك كما رأينا الى الأسباب الجوهرية الآتية :

أولا : اختلاف أشكال الحكومات وأوضاعها وأساليب الحكم فيها سواء فى ذلك المستقل منها والمحمى والمستعمر •

ثانيا : عدم امكان تعميم القواعد والأصول العامة المرعية بين الحكومات المستقلة على نوعين مختلفين أحدهما تام الكفاءة للاستقلال وثانيهما ناقصا •

ثالثا : اختلاف المبادىء السياسية التى تسير عليها فى تطبيق أنظمة الحكم والتشريع والادارة • ثم تساءل صاحب هذا الرأى « ولكن

---

(١) حافظ وهبه من تصريح لوكالة الانباء العربية فى ٢٨ من فبراير ١٩٤٣ ، عن المرجع السابق ، ص ٥٩ •

كيف السبيل الى تحقيق المطامع والآمال ، هل يتأتى ذلك عن نشوء محالفات تدريجية بين الأقطار التى تبلغ مرتبة الاستقلال ؟ أم يتحقق عن طريق الفتح والغلبة ووسائل العنف ؟ أم بالانضمام بمحض الارادة ؟ وهل هناك من يحلم بايجاد جمعية أمم عربية ؟ هذه احتمالات لا يسع الباحث أن يغفل عنها ولكن المستقبل وحده كفيل بالجواب الشافى » (١) ٠

الاتحاد العربى ١٩٤٢ ، القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت :
وحدة اللغة أساس العروبة ، اغفال موضوع الخلافة :

وفى ٢٥ من مايو عام ١٩٤٢ أسست فى القاهرة جمعية « الاتحاد العربى » ٠ وقد نص قانونها على أن أغراض الجمعية ومبادئها « تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربية والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها وهى : مصر والسودان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر بلاد جزيرة العرب وليبيا وتونس والجزائر ومراكش وسائر البلاد التى لغتها العربية » ٠

وهكذا كانت هذه الجمعية أول هيئة عربية استهدفت مصلحة الدول العربية المستقلة والأقطار العربية غير كاملة السيادة فى شمال أفريقيا ٠

ونص قانون هذه الجمعية على « انشاء اتحادات فى البلدان المذكورة تعمل على تحقيق أغراضه ونشر مبادئه بجميع الوسائل المشروعة » ٠ وعلى أن « يسرى قانون الاتحاد على جميع الاتحادات » ٠

وقد ألفت فعلا جمعيات مماثلة تحمل نفس الاسم فى بغداد ودمشق وبيروت ٠

وقد حرص مؤسسو الاتحاد العربى على أن يبرزوا للعرب أن « وحدة اللغة هى الأساس الذى اتجهت اليه الفكرة فى مظهرها الحالى ، ولذلك وجهنا الدعوة الى الاتحاد بين الشعوب التى تتكلم العربية من مسلمين ومسيحيين ، ودفعتنا وحدة اللغة التى اخترناها أساسا للرابطة

---

(١) فؤاد حمزة ، « الروابط السياسية بين الاقطار العربية » ، مجلة « الهلال » ابريل ١٩٣٩ ، ص ٤٠ — ٤٢ ٠

الى ألا يكون فيها اخواننا من أبناء البلاد الشقيقة والاسلامية الصديقة التى تتكلم بغير العربية . وتبع ذلك تنحية فكرة البحث فى الخلافة الاسلامية جانبا ، اذ لا تستطيع احدى الأمم العربية فى الظروف الحاضرة أن تحمل أعباءها الثقال وتنهض بمسئولياتها الخطيرة وتدفع ثمنها الفادح . وهكذا خلصت لنا فكرة الاتحاد العربى واضحة محدودة محررة مما أحاط بها من غموض . فالاتحاد العربى فى مظهره الجديد لا يبغى جمع البلدان العربية تحت حكم سياسى واحد ، ولا يفرض عليها جميعا نظاما واحدا فى الحياة وانما تبقى كل أمة من أممه مستقلة قائمة بذاتها تختار لنفسها ما يوافقها من نظم الحكم وصور الحياة ، ثم يضمها جميعا هذا الاتحاد الذى ندعو اليه ونريد أن يكون مجموعة شعبية دولية يحسب لها حسابها فيما يمس هذه الشعوب ، وليكون الاتحاد العربى قوة تستند عليه الحكومات فى مباحثاتها حول الغاية المنشودة » (١) .

ولقد حرص مؤسسو « الاتحاد العربى » الذين كانوا أعضاء فى « الرابطة الشرقية » التى أشرنا اليها فى الفصل الأول من القسم الثانى من هذا الكتاب أن يبرزوا أيضا أنهم عقدوا عدة اجتماعات تداولوا أثناءها فى احياء فكرة الرابطة العربية ونشروا نداء فى الصحف المصرية .. دعوا فيه الى تحديد فكرة الوحدة العربية وتركيزها فى ايجاد اتحاد شعبى (٢) . وذلك كله قبل أن يدلى مستر انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية بتصريحه المعروف الذى قرر فيه : « ان هذه البلاد (أى بريطانيا) لها تقاليد قديمة مؤسسة على الصداقة مع العرب ولنا بينهم عدد لا يحصى ممن يحسنون الظن بنا ، ولهم أصدقاء كثيرون . وقد قلت منذ أيام ان حكومة جلالة الملك تعطف عطفا عظيما على الأمانى السورية الخاصة بالاستقلال ولكننى أذهب الى أبعد من ذلك .. فكثيرون من المفكرين العرب يرغبون فى أن يتحقق للشعوب العربية قدر من الوحدة أعظم من القدر الذى تتمتع به الآن . ولا يجب ألا يجد مثل هذا النداء من أصدقائنا جوابا . ويبدو لى طبيعيا وحقا ان الصلات الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية والصلات السياسية أيضا يجب أن تتقوى » (٣) .

---

(١) فؤاد أباظة « الكتاب الثانى للاتحاد العربى فى القاهرة » ، ص ٧ — ٩ .

(٢) فؤاد أباظة « المقطم » : ١٦ من سبتمبر ١٩٤١ .

(٣) « لوجول » ص ٢٥١ — ٢ الذى نفى ما تردد أحيانا من ان الوحدة العربية السياسية قد ساعد الانجليز على تحقيقها وأبرز أساس هذه الوحدة من الروابط =

وفى ١٣ من نوفمبر ١٩٤٢ أعلن رئيس الوزارة المصرية أن الصلات التى تجمع العرب وشعوب الشرق من القوة بحيث لا يمكن فضها ، وأن الدول العربية وجاراتها الشرقية ـ ومصر فى طليعتها ـ ستكون جبهة قوية قادرة على تحمل مسئولياتها الدولية واحتلال مكانها اللائق بها بين الشعوب الحرة » (١) .

المبررات الاجتماعية ـ السياسية للتجمع العربى خلال المشاورات السابقة على بروتوكول الاسكندرية التى مهدت لانشاء « جامعة الدول العربية » :

اذا جاز لنا أن نستعير تعبير « الفاريز » فاننا نستطيع أن نقرر أن «الوعى العام» فى الدول العربية هو «الذى تولدت عنه لا الظواهر المختلفة التى أشرنا اليها فى هذا البحث فحسب ، بل « الخلق الدولى » الذى يتمثل فى تقدير العرب للاحداث طبقا لمبادىء خلقية معينة . وهذاالمظهر من مظاهر العاطفة الدولية la sentimentalité internationale والعقلية الدولية mentalité internationale تتزايد أهميته يوما بعد يوم . فهو يسمح بالحكم على تصرف الدول فى علاقاتها المتبادلة من وجهة نظر تختلف عن وجهة النظر القانونية . وقد اكتسبت الحركة الاسلامية مرة أخرى أيضا مكانا هاما فى الحياة الدولية وأثمر تقدمها ثمرات مادية تتمثل فى تكوين جماعة من الدول العربية تتخذ فى تطورها شكلا «كونفيديراليا» . وفيما يتعلق بالدين الاسلامى فانه يضم مذاهب مختلفة ولكن اليوم ، فى العهد الجديد للحركة الاسلامية ، تتجه الخلافات المذهبية الى الزوال (٢) .

وفى تلك الفترة من تاريخ حركة التجمع العربى دارت محادثات بالقاهرة من يوليو عام ١٩٤٣ الى ١٠ من فبراير ١٩٤٤ بين رئيس الوزارة المصرية وممثلى العراق أولا ثم على التوالى ممثلى شرق الأردن والعربية السعودية وسوريا ولبنان واليمن . ومحاضر هذه المشاورات التى مهدت لانشاء جامعة الدول العربية وثيقة تاريخية ذات أهمية قصوى .

= الاجتماعية والعرقية والدينية واللغويةوالثقافية التى تجمع بين العرب والمستعمرين وان ثلاثة عشر قرنا فى تاريخ العرب قد صهرت وحدة سامية جوهرية هى محور التطلعات العربية الحالية وان الجامعة العربية وحى عربى بحت .

(١) « لويلبيه » ، ص ١٠٦ .

(٢) « الفاريز » « القانون الدولى الحديث » ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢ .

ففى الجلسات التى عقدت بين الجانبين المصرى والعراقى تبلور مشروع التعاون لايجاد الوحدة العربية التى تضم الأقطار العربية المستقلة فحسب • وقد قرر ممثل العراق فى الجلسة الرابعة للمحادثات : ان اتحاد البلاد العربية بايجاد حكومة مركزية لها جميعها لا يمكن تحقيقه فى الظروف الحاضرة مهما أردنا ذلك ، ليس فقط بسبب الصعوبات الخارجية ، بل ان ظروف البلاد العربية نفسها وما لها من مشكلات خاصة لكل منها ، وما بينها من تفاوت فى الاقتصاديات والثقافة •• كل ذلك لا يمكن معه تصور حكومة مركزية واحدة للجميع •• وأما التعاون سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا فلا يكون الا بأحد وجهين :

الأول : تكوين اتحاد له سلطة تنفيذية ، ويكون للاتحاد جمعية تمثل فيها الدول العربية الداخلة فى الاتحاد بنسبة عدد سكانها وميزانياتها حسب مايتقرر فى نظام الاتحاد السياسى ، ويكون للاتحاد رئيس ينتخب أو يعين وفقا لأحكام هذا النظام ، ويكون له لجنة تنفيذية لقراراتها قوة تنفيذية على الدول الداخلة فى الاتحاد • وفى هذه الحالة تلتزم كل دولة تنفيذ هذه القرارات ولو كانت مخالفة لرأى مندوبيها مما يحتم على الدول التى تنضم الى هذا النوع من الاتحاد أن تتنازل عن جزء من سيادتها بطبيعة الحال •

والثانى : تكوين اتحاد دون سلطة تنفيذية ، وقراراته لا تكون ملزمة الا لمن يقبلها • وفى هذه الحالة لا يكون محل للتفاوت بين عدد ممثلى الدول فتتساوى الدول المشتركة فى الاتحاد فى عدد المندوبين الذين يمثلونها •

وقد لاحظ رئيس الوزارة المصرية أن هذه الصورة الأخيرة من صور التعاون قريبة الشبه جدا بنظام جامعة الاتحاد الامريكى المعقود بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الامريكتين الوسطى والجنوبية • مع ان النظام الأخير استبعد التعاون السياسى استبعادا تاما واقتصر على النواحى التجارية والصناعية والثقافية • وقد رؤى أن الاختيار بين الوجهين السابقين يستدعى استطلاع رغبات مختلف الدول العربية ، لذا ترك لمصر استطلاع هذه الرغبات فى هذا الصدد •

مشاورات بين رئيس الوزارة المصرية ورئيس الوزارة الأردنية :

وفى يوم ٢٨ من أغسطس سنة ١٤٩٣ افتتحت مشاورات الوحدة العربية بين رئيسى وزراء مصر والأردن • وذكر رئيس الوزارة المصرية فى

مشاوراته انه استعرض وجوه التعاون التى يصح أن تشترك الدول العربية فيها كلها أو بعضها فرئى امكان تحديدها على النحو التالى :

أولا : التعاون السياسى ، ويشمل الدفاع والشئون الخارجية ويلحق بذلك حماية الأقليات ٠

ثانيا : التعاون الاقتصادى ويشمل العملة والمواصلات والجمارك والتبادل التجارى بوجه عام ٠

ثالثا : التعاون الثقافى والاجتماعى : ويشمل التعليم وما يتصل به والتقنين ٠

وسأل رئيس الوزارة المصرية محدثه عما اذا كانت حكومة شرق الأردن ترى الاشتراك فى هذه الوجوه كلها أم تكتفى ببعضها ٠ وفى هذه الحالة ما هى الشئون التى تريد لاشتراك فيها ؟ فأجاب رئيس الوزارة الأردنية أنه تمهيدا للدخول فى الموضوع سيوضح موقف شرق الأردن الذى هو جزء من سوريا الكبرى ٠

وقال : ان مصر دولة مستقلة لها سيادتها ووحدتها السياسية والجغرافية وكذلك العراق ، ومن السهل أن يتم الاتفاق بين مصر والعراق فى جميع وجوه التعاون السابقة ، وكذلك الحال بالنسبة للمملكة العربية السعودية ولكن الأمر يختلف بالنسبة لأقطار سوريا الكبرى الأربعة ٠

واستطرد الرئيس الأردنى قائلا : « وانى أرى كما يرى العراق أن المهم جدا السعى لايجاد سوريا الكبرى على أن تشترك بعد تكوينها فى جميع وجوه التعاون السابق ذكرها » ٠

فسأل رئيس الوزارة المصرية عن رأى الأردن فى كيفية تحقيق الوحدة أو الاتحاد بين سوريا والأردن ولبنان وفلسطين : هل تندمج فى دولة واحدة لها رئيس واحد وحكومة واحدة ، أم يكون لها رئيس واحد وحكومات مركزية متعددة ، أم تكون كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى يجمع بينها اتحاد يتفق على نظامه ؟ فأجاب :

« لو اقتصر الأمر على سوريا وشرق الأردن لسهل أمر الوحدة لأن الاختلاف على نظام الحكم لا يكون سببا لترك الوحدة ، وانى أعتقد أن الوطنيين السوريين اذا رأوا من المصلحة تغيير نظام الحكم فانهم لا يتأخرون عن ذلك ولا يضحون بالوحدة بسبب نظام الحكم واذا كان منهم من يرى

غير ذلك فانهم ينزلون على رأى الأكثرية ، ولكن الصعوبة تأتى من لبنان وفلسطين » •

وفى الجلسة الثانية سئل رئيس الوزارة الأردنية عن الرأى الذى كونه بهذا الخصوص فأجاب :

« فكرت مليا فى موضوع اعادة تأليف سوريا الكبرى فوجدت أن أحسن ترتيب عملى هو - اذا أمكن - تكوين وحدة من الأقطار الأربعة » •

محادثات بين رئيس الوزارة ووفد العربية السعودية :

ووفقا لمحاضر المشاورات عقد رئيس الوزارة المصرية مع الوفد العربى السعودى خمس جلسات أبدى خلالها الوفد الآراء والملاحظات التالية :

١ - ابداء الرغبة فى العمل لما فيه تأييد الصلات بين المملكة العربية السعودية ومصر بصورة خاصة والبحث فى كل ما من شأنه أن يؤدى الى ما فيه الخير للأمة العربية •

٢ - يجب أن يكون هدفنا العمل بكل ما يمكن لمصلحة الأمة العربية جمعاء دون النظر لجر مغنم لبعضها دون الآخر أو على حساب البعض الآخر •

٣ - يجب أن تتقى المخاطر والحبائل التى تضر مصلحة الأمة العربية •

٤ - يجب أن تكون خطانا فى هذا المعترك معقولة مضبوطة حتى لا نتعرض لما يعوق سيرنا ويسد علينا الطريق •

٥ - يجب أن يكون سيرنا فى قضيتنا مبنيا على دراسة دقيقة لأوضاع الأمة العربية حتى نستطيع أن نصف لها العلاج الناجح ، اذ أننا لو أردنا مثلا أن نجمع الأمم العربية كلها فى دولة واحدة لتعارض ذلك مع الأوضاع القائمة ، وقد ينشأ عنه اصطدام ليس لأحد مصلحة فيه •

٦ - يجب أن يكون اشتراك الأقطار العربية على قدم المساواة التامة بعضها مع البعض •

وقد عقب باحث عربى على محضر المشاورات بأن تساءل : لماذا اختارت السعودية مصر لتأييد الصلات معها بصورة خاصة ؟

لا تصعب الاجابة على السؤال : ذلك ان عبد العزيز آل سعود كان لديه ما يسوغ تخوفه من مشاريع الوحدة التى قدمها الهاشميون فى العراق وشرق الأردن ، وسوريا ولبنان على الرغم من اســـتقلالهما المعلن مازالا يناضلان كى لا يرتبطا بالتزامات تربطهما بفرنســـا . ولم يكن أمـــام عبد العزيز آل سعود سوى مصر الدولة المستقلة الكبرى (١) .

مشاورات بين رئيسى الوزارتين المصرية والسورية :

وفى أكتوبر ١٩٤٣ صرح رئيس الوزارة السورية أن سوريا تقرر أمرين : الأول حرصـــها على اقامة أحسن الروابط بينهـــا وبين البـــلاد العـــربية :

والثانى تسليمها بزعامة مصر لما تمتاز به من عناصر القوة .

وانتقل الى نقطة ذات أهمية قصوى فى تفسير تمسك سوريا بالوحدة العربية الكاملة . وبأحسن أداة للتعاون بينها وبين البلاد العربية الأخرى. قال : « فسوريا مستعدة للسير وراء مصر وبذل كل تضحية فى سبيل القضية العربية ، ولهذا الموقف أيضا دافع داخلى فان سوريا تريد أن تربط مصيرها بمصير البلدان العربية الأخرى .

« أما بالنسبة لأداة التعاون المشترك فان سوريا تؤثر أقوى أداة وهى الحكومة المركزية ، وان كانت لا تجهل ما يقوم فى سبيل ذلك من عقبات . فاذا تعذر ذلك ، أقيم نظام آخر من الاتحاد أو الاتفاق أو الحلف. ونحن فى تقرير هذه المبادىء نتكلم باسم سوريا سواء أكانت فى وضعها الحـــاضر أم كانت فى الوضـــع الذى تســـعى لتحقيقه وهـــو ســـوريا الكبرى .

وفى رأينـــا أن يشمل الاتحاد مصر والشـــام والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن ، وكذلك الأقطار التى ينبغى أن تؤلف سوريا الكبرى كلبنان وفلسطين وشرق الأردن » .

وكان رئيس الوزارة السورية قد أبرز فى بيانه أن لبنان – فى نطاق الوحدة السـوريـة – كان يتمتع بمجرد استقلال ادارى فى ظل « متصرفيه » أو « مديرية » يرأسها « متصرف » أو « مدير » ومجلس

---

(١) طربين ، ص ٢٩٣ – ٢٩٤ .

اداری . وان هذا « المتصرف » كان مسيحيا . وان لبنان قبل أن يتحول الى « متصرفية » كان ملحقا بولاية « صيدا » حينا . وبولاية « دمشق » حينا آخر . وهما ولايتان سوريتان . وأنه فى نهاية الحرب العالمية الأولى احتل الانجليز منطقة الساحل اللبنانية وعهدوا بادارتها المدنية الى الفرنسيين طبقا لاتفاقات سرية وأخرى علنية (اتفاق سايكس - بيكو) وكان من نتيجة هذه الاتفاقيات تفتت الأراضى التى تكون سوريا . ففصلت فرنسا بين سوريا ولبنان وضمت الى لبنان جزء من الأراضى السورية وبذلك أقامت ما يسمى « لبنان الكبير » وهو يشمل ما كان يعرف قديما باسم « جبل لبنان » الذى ضمت اليه أراض سوريه معينة بعلبك والبقاع وطرابلس وصيدا وصور ومرجعيون . وأن هذا التعديل قد فرض بقوة السلاح بعد المعركة التى دارت بين الفرنسيين والدولة العربية التى أعلن قيامها فى دمشق وعلى رأسها الملك فيصل .

أما فلسطين - وهو الجزء الجنوبى من سوريا - فقد نكب بوعد « بلفور » .

ملخص البيان الذى قدمه الوفد اللبنانى :

كانت قد أجريت انتخابات عامة فى لبنان فى شهر ابريل ١٩٤٣ فازت فيها جبهة الوطنيين الدستوريين ، وشكلت وزارة تقدمت ببيان الى مجلس النواب على أساس الاستقلال التام الناجز . وصرح رئيسها تصريحه المعروف عن لبنان بأن « اللبنانيين لا يريدون لبنان للاستعمار مقرا وأبناء الدول العربية لا يريدونه للاستعمار ممرا » .

وفى أثناء المشاورات قدم الوفد اللبنانى بيانا اشتمل على النقط الآتيـة :

« ان لبنان لا يألو جهدا للعمل فى سبيل التعاون والتكاتف بين البلدان العربية لما فى ذلك من الخير العميم للجميع . وهنالك عوامل ثلاثة جعلته يقترب من القضية ويقبل على المشاركة فيها :

١ - ضعف المؤثرات الأجنبية التى كانت تسيطر عليه خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة .

٢ - تفهم شقيقاته العربية لموقفه المتحفظ من « الوحدة العربية » تفهما جعلها تعترف بكيانه وحدوده الحالية دولة مستقلة ذات سيادة تامة .

٢ - تفهم لبنان لضرورات التعاون مع البلدان الشقيقة والمجاورة لمصلحة كيانه السياسى والاقتصادى معا . والذى يهم البلدان العربية فى أمر لبنان بالدرجة الأولى ألا يكون أداة للأجنبى يستعملها بما يضر مصلحة البلدان العربية .

فلبنان اذن لا يقل اقتناعا ورغبة عن بقية الأقطار العربية بفوائد التعاون المشترك . وقد كانت أولى خطواته العملية ما أقامه من صلات بينه وبين شقيقته سوريا ، ويأمل أن تقوم صلات مماثلة بينه وبين سائر البلدان الشقيقة » .

وقد عقب باحث عربى على هـذا البيان بأن لبنان ينى خطته من الوحدة العربية على موقف (التحفظ) الذى يفسره وجود الأجنبى ونفوذه فى لبنان كما ذكرنا من قبل . وان موقف لبنان فى الانفراد بمسألتى الدفاع والشئون الخارجية عن سوريا ، وبالتالى عن الدول العـــربية الأخرى ، يذكرنا بموقف المملكة السعودية فى مشاورات الوحدة عندما فضلت تأجيل البحث فى موضوع التعاون السياسى وعندما رغبت فى تأييد العلاقات بينها وبين مصر بصورة خاصة (١) .

ملخص المشاورات مع اليمن :

اقتصرت اليمن على الترحيب بفكرة التعاون الثقافى والاقتصـادى بين البلاد العربية بحيث تحتفظ كل دولة منها بكامل سيادتها وحقوقها . واذا حصل - لا سـمح الله - أى عدوان على أى بلد من البلدان العربية المرتبطة بهذا الاتفاق أو تهديد له فللدولة المعتدى عليها أو المهددة أن تطلب مساعدتها بكل شكل ممكن . وان كان البلد عربيا غير مرتبط بهذا الاتفـاق فلكل دولة عربية أن تطلب مسـاعدته ويكون على جميع الدول العربية فى الصورتين معا تلبية هذا الطلب وتقديم كل ممكن من المساعدات المادية والمعنوية .

الكتاب الأزرق العراقى ١٩٤٣ ، سوريا ولبنان وفلسـطين وشرق الأردن دولة واحـــدة :

وفى ديسمبر عام ١٩٤٣ وجهت العراق الى وزير الدولة البريطانى فى القاهرة المذكرة المعروفة باسم « الكتاب الأزرق » وجاء فى خاتمته :

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

« ان الحل المنصف الوحيد بل الأمل الوحيد لضمان دوام السلم والاطمئنان والتقدم فى هذه المناطق العربية هو :

١ ـ أن يعاد توحيد سـوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن فى دولة واحدة ٠

٢ ـ أن يبت سكان هـذه الدولة أنفسهم فى نوع الحـكومة التى تتخذها هذه الدولة سواء أكانت ملكية أو جمهورية ، وأيضا سواء أكانت وحدة أم اتحادا « فيديراسيون » ٠

٣ ـ أن تنشأ عصبة عربية تنضم اليها العراق وسوريا فورا على أن يباح للدول العربية الأخرى الانضمام اليها متى شاءت ٠

٤ ـ أن يكون لهذه العصبة العربية مجلس دائم ترشحه الدول المنخرطة فى سلك هذه العصبة ويرأسـه أحد رؤسـاء الدول الذى يتم اختياره اختيارا تقبله الدول ذات الشأن ٠

٥ ـ أن يكون مجلس العصبة العربية مسئولا عن الأمور الآتية :

(أ) الدفاع ٠

(ب) الشئون الخارجية ٠

(جـ) العملة ٠

(د) المواصـلات ٠

(هـ) الجمـارك ٠

(و) حماية حقوق الأقلية ٠

(ز) التعـليم ٠

ومن البديهى أن يتم أولا توحيد مختلف أقسام سوريا التاريخية ٠ وقد يكون هذا التوحيد فى بادىء الأمر اتحادا « فيديراسيون » مؤلفا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن على أن تستمر كل دولة على تولى ادارة شئونها المحلية تاركة شئون الدفاع والعلاقات الخارجية والعملة والجمارك للحكومة المركزية (١) ٠

---

(١) « الكتاب الأزرق » ، ص ٢٠ ـ ٢١ ، طبعة « الاتحاد العربى » بالقاهرة ، نقلا عن طبعة مطبعة الحكومة ببغداد ، ١٩٤٣ ٠

مقارنة بين مذهب الوحدة العربية
ومذهب الوحدة الأمريكية :

أثر الوعى الاجتماعى ــ السياسى العربى

يتضح مما تقدم عن تطور العروبة أن مذهبا دوليا خاصا بتحقيق شكل من أشكال الوحدة بين العرب قد دفع ــ عن طريق الدراسات العلمية والعلاقات الدولية والمعاهدات والدساتير وأخيرا مشاورات يوليو ــ نوفمبر ١٩٤٣ فى مصر على مستوى رؤساء وزارات الدول العربية المستقلة ــ نحو ارساء قواعد دولية عربية جديدة على أساس هذه العروبة ٠

ويجدر بنا هنا أن نقارن هذه المرحلة من تطور مذهب الوحدة العربية بنفس المرحلة من تطور مذهب الوحدة الامريكية ٠

وأول ما يلاحظه الباحث عند هذه المقارنة هو حرص رجال السياسة فى الأمم الأمريكية والكتاب الأمريكيين كلما تعرضوا للوحدة الامريكية على « السيادة المطلقة » للدول الامريكية حتى أصبح هذا التعبير تعبيرا معادا مألوفا فى اللغة الدبلوماسية والدولية الامريكية مع أننا نعلم أن هذا التعبير غير مقبول من وجهة النظر القانونية الفنية لأن من البديهى أن السيادة المطلقة اطلاقا تاما التى تنطوى على اختصاص الدولة بكافة التصرفات دون حد يتنافس مع فكرة الجماعة الدولية ٠ (١) وعلى العكس سيطر على مذهب الوحدة العربية اتجاه الى التنازل عن سيادة الدولة لصالح « قاعدة اجتماعية دولية règle internationale ــ هى ــ فى حالتنا ــ التضامن العربى النابع من « العصبية العربية » أو « الشعور بالانتماء الى الجماعة » أو « العروبة » الأساس السياسى ــ الاجتماعى للعلاقات الدولية العربية التى تستهدف « جمع الشمل ٠ وتوحيد الجهود ٠ بتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها ٠ وتأمين مستقبلها ، وتحقيق آمالها وآمانيها » كما نصت على ذلك مقدمة « بروتوكول » الاسكندرية فى ٧ من أكتوبر ١٩٤٤ كما سوف نرى ٠

التضامن العربى فى ضوء وعى المجتمع للطبيعة
الملزمة للقاعدة القانونية وللجزاء المترتب على مخالفتها :

وقد قرر « جوجنهايم » فى دراسته عن « ليون دوجى » والقانون الدولى أنه عندما يتكون الوعى عند جماهير الافراد بأن قاعدة اقتصادية

---

(١) « بويج » ، ص ٣٢ ٠

او خلقية معينة لها أهمية معينة فى العلاقات بين المجتمعات المختلفـــة تقتضى ان يقرر جزاء على مخالفتها ينبثق فى نفس الوقت الاحســـاس الذى يفرض على عامة الناس بان من العدل ان يقرر هذا الجزاء • ولكى يولد هذا الاحساس فان مما لا عنى عنه انه عندما تخالف مثـل هـذه القاعدة التى تنظم العلاقات بين المجتمعات المختلفة يترتب رد فعل آلى لأن المخالفة تحمل اعتداء خطيرا على التضامن الذى يربط أعضاء الجماعات المختلفة • ويدرك « دوجى » بحق أن على الحكومات بوجه خاص ، أى أى الأفراد الذين يتولون الســلطة ، تقــع مسئولية توجيه العلاقات بين المجتمعات المختلفة • وفى هذه الأحوال لا تنطوى القوة الملزمةللقاعدة القانونية اطلاقا على ارادة عليا تفرض نفسها على ارادة أدنى ، وانمـــا تنطوى فحسب على الوعى بالطبيعة الملزمة للقاعدة وبالجزاء المترتب على مخالفة القرارات التى تتخذها الحكومات بالاشتراك طبقا لوعى المجتمعات المختلفة • (١) وهذا التضامن عند « الفاريز » عامل نفسى فى الاحساس بالتعاطف الذى يبدو بين أعضاء مجموعة من الدول حتى لو تكن بينهـــا علاقات مادية : اقتصادية مثلا ، اذ أن هذا الاحساس ينبثق بصفة رئيسية من الأصل المشترك والروابط التى أهمها الروابط الجغرافية التى تجمع بينها أو تطابق مصالحها ومصائرها التاريخية • فالاحساس بالتضامن ــ وهنا يجب ابراز هذه النقطة ــ مستقل عن المصالح الاقتصادية لأن هذا الاحساس لا تعرفه دول أوروبا وخاصة الدول الكبرى فى هذه القارة • فالروابط الاقتصادية الوثيقة والعديدة قائمة بينها ومع ذلك تســـــود علاقاتها الدولية المنافسات العنيفة والمواقف المتعارضة • فطبيعةالتضامن الدولى هى نفس طبيعة الاحساس بالتعاطف الذى يوحد بين أفراد أسرة احساس لا يتعلق بالصلات الاقتصادية التى يمكن أن تنشأ بينهم • (٢)•

وقد قرر « الفاريز » بعد هذا العرض العام للتضامن بين المجتمعات المختلفة انه مما يثير الانتباه فى الحياة الدولية هذا التناقض من جهـــة بين التساند السياسى والاقتصادى والاجتماعى القـــائم فى الواقع بين جميع الدول وخاصة فى أوروبا والذى يطلق عليه خطأ اسم «التضامن»• ومن جهة أخرى التضامن الحقيقى الذى لا يبدو الا بين أعضاء ثـــلاث جماعات دولية داخل الجماعة العالمية •

---

(١) P. Guggenheim : Léon Duguit et le Droit International, Revue Générale du Droit International Public.

باريس ، اكتوبر ــ ديسمبر ١٩٥٩ ، ص ٤ ــ ٦ •

(٢) الفاريز ، القانون الدولى الحديث ، ص ٣١٥ •

ولا ندرى لماذا اقتصر التضامن الحقيقى ، عند « الفاريز » على هذه الجماعات الدولية الثلاث : دول العالم الجـــديد ، ودول « الكومنولث » البريطانية ، والجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، مع أنه أقر فى أكثر من موضع من نفس الكتاب بوجود التضامن الاسلامى والتضامن العربى والتضامن الافرو ــ آسيوى ؟

وكما سبق أن أثبتنا فان الاحساس بالتضامن العربى قد بلغ الى حد التنازل عن بعض سيادة الدولة بعكس ما نودى به ،بل وتمت ممارسته، فى دول العالم الجديد أو فى دول « الكومنولث » البريطانية ، ومذهب العروبة الذى سبق ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفق مع « دوجى » فيما ذهب اليه بشأن السيادة التى لا تمثل عنده حقيقة اجتماعية أو حقيقة فعلية بل انها « خيال قانونى » فرأى الفقهاء المتواتر هو وحـده الذى يعدها حقيقة ، ومع ذلك فقد وصفت السيادة فى القانون العام بانها نظرية غير مقبولة فالدولة لم تعد تمنح سلطة مطلقة وانما هى مكلفة برسالة اجتماعية يجب أن تؤديها طبقا لقواعد القانون . فالســـيادة يجب أن يحتفظ بها للقانون ثم فيما بعد للجامعة الدولية ولم يعد فى الامكان منحها للدولة ، اذ حلت « الدولة الأمة » أى الدولة التى تجمع شمل شعوب أمة واحدة محل « الدولة السلطة » أى الدولة التى تستمد كيانها من مجرد السلطة دون نظر الى ما تضمه من شعوب أمة معينة اذا استخدمنا التعبير الذى استخدمه « دوجى » أحيانا . (١)

وملاحظة أخرى ونحن بصدد المقارنة بين مذهب الوحدة العربيـــة بمذهب الوحدة الامريكية . فالسوابق تثبت فى الواقع وضعا غريبـــا فى الدول الأمريكية التى ثارت ضد كل قيد على استقلالها ولكنها قبلت عددا كبيرا من القيود على اختصاصاتها داخل حدودها وقد حاول أحـد القانونيين الأمريكيين تفسير ذلك بأن شعوب العالم الجديد قد اضطرت للكفاح طويلا فى سبيل اســـتقلالها الذى لم تنله الا بعد تضـــحيات ضخمة ومعارك قاسية . ولما كان أملها الذى طالما نشدته هو الاستقلال المطلق فانها لم تتردد فى اعلان السيادة المطلقة أيضا . (٢)

---

(١) « جوجنهايم » ، ص ٦ ــ ٧ .

(٢) « بوبيج » ، ص ٣٣ ــ ٣٤ .

ولقد جاهدت الشعوب العربيه أيضا طويلا فى سبيل استقلالها الذى لم تنله الا بعد تضحيات ضخمة ومعارك قاسية ولكنه لم يكن ذلك الاستقلال بالمعنى الضيق الذى انطوى عليه مذهب الوحدة الامريكية وانما كان استقلالا على طول شاطىء البحر الأبيض المتوسط تتأصل جذورة يوما بعد يوم . استقلالا بناء فى غالب الأوقات انطوى على روح التعاون ، استقلالا يغطى المساحة بين المغرب والعراق (١) .

بروتوكول الاسكندرية ، ٧ من اكتوبر ١٩٤٤ :

فى ٧ من أكتوبر عام ١٩٤٤ نشر بيان بقرار اللجنة التحضيرية لجامعة الدول العربية . جاء فى صدره « انتهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام من أعمالها كما بدأتها فى جو رائع من الثقة المتبادلة والاخوة الصادقة والود الصميم والشعور بالمسئولية المشتركة فى هذه الظروف الخطيرة التى يتحول فيها مجرى التاريخ ، تحدوها الرغبة الملحة فى جمع شملها وتوحيد جهودها بتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها . وقد كان من أعظم دواعى الغبطة والسرور أن ينضم الى اللجنة العضو الممثل لعرب فلسطين لما لقضية هذا القطر العربى الشقيق من الخطورة البالغة والأهمية الكبرى عند العرب أجمعين .

ونص البروتوكول على أنه « اثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية قد اجتمعوا فى الاسكندرية فى لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتى :

---

(١) « بيرك » ، ص ٢١٩ .

جامعة الدول العربية :

تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات ، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها » .

ونص هذا البروتوكول بشأن التعاون فى الشئون الاقتصادية والثقافية على ما يأتى :

ـ الشئون الاقتصادية والمالية بما فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

ـ شئون المواصلات بما فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

ـ شئون الثقافة .

ـ شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين وما الى ذلك .

ـ الشئون الاجتماعية .

ـ الشئون الصحية :

ويعتقد « جارديه » أن « بروتوكول » أكتوبر ١٩٤٤ انما هو تأكيد لتحقيق الوحدة التى أعلنت خلال المؤتمر الاسلامي الذى عقد بالقدس فى عام ١٩٣١ (١) .

وكان توقيع هذا البروتوكول ، ومن قبله المشاورات التمهيدية بين الحكومات العربية ، قد أثار اهتمام المفكرين العرب الذين توفروا على دراسة الوحدة العربية ، فذهب مؤلف هذا الكتاب ، قبل أن تستكمل الجامعة مقومات تكوينها الى أن « الرأى العملى الذى ينسجم مع منطق التاريخ هو انشاء اتحاد يجمع بين الأقطار العربية وهذا الرأى لا ندعو اليه رغبة فى أن يكون لمصر مركز ممتاز فى هذا الاتحاد

(١) جارديه ، ص ٢٥٨ .

فان جميع أعضائه ــ فلسطين وسوريا ولبنان والحجاز واليمن والسودان ــ سيكون لكل منها ما لمصر من الحقوق ، على أن يحتفظ كل عضو ببرلمانه يسن له التشريع الملائم له ، ولكل عضو ميزانيته الخاصـــة ، ولكل عضو حكومته المحلية الخاصة الا أن البرلمان الاتحادى فى القاهرة يتكون من نواب وشيوخ يمثلون كافة أعضاء الاتحاد كل بحسب عدد سكانه ، كما ان التمثيل السياسى والقنصلى للاتحاد فى الخارج سيكون موحدا وجيشه واحدا وجنسية مواطنيه واحدة • ان اعادة انشاء دولة واحدة من أقطار الشرق الأدنى فى شكل اتحاد مركزى يتفق مع الاتجاه الدولى الجديد الذى نشأ بسبب الحرب الأخيرة من جمع الشعوب التى تربطها بعضها بالبعض الآخر روابط اللغة والجنس فى وحدات اقليمية • وفى يقينى ان مفكرى هذه الأقطار الشقيقة اذا آمنوا بهذه الفكرة كما أومن فان كل عقبة تبدو الآن كأداة فى وجه هذه الدولة المنشودة ستتلاشى ، لأن أية عقبـة يجب ألا تعيق أحياء مجد تاريخى هو كل ما يزهو به على أهل ســائر أقطار العالم (١) •

ويجب علينا ــ الآن ــ أن نلاحظ على هذا الرأى الذى انفعل بالعروبة وما كان يتردد حولها قبل انشاء « الجامعة » أنه اقتصر على أقطار الشرق الادنى العربية دون غيرها من الأقطار العربية الآسيوية كالعراق وامارات الخليج ، أو الأفريقية كالمغرب العربى ، وقد يبرر ذلك أن هـــذا المغرب العربى لم يكن قد نال استقلاله ولكن الواقع أن « العروبة » كأســاس اجتماعى سياسى للتكتل كانت فى تلك الفترة تمر فى مرحلة النضوج • والتبلور • ولم تكن قد استكملت سماتها بعـــد كما ان الدراســات العربية لم تكن قد استقرت على أسس علمية متعمقة شاملة لما أصبح يعرف الآن باسم العالم العربى •

وذهب أحـــد المفـــكرين المعنيين بالوحـــدة العربيـــة الى أن

---

(١) محمود كامل ، القاهرة ، « مجلة الجامعة » ، يوليو ١٩٤٥ ، العمل لمصر : بعث دولة واحياء مجد ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١١٠ ــ ١١١ ، وقد اعترض المؤلف فى هذا البحث على ما كان قد دعا اليه مفكر مصرى آخر من انشاء اتحاد مركزى «فيدرالى» بين مصر وسوريا ولبنان وفلسطين فقط ، يوسف قابيل « التطبيق القانونى للحلف العربى الممكن » ، مجلة « الهلال » نوفمبر ١٩٤١ ، وذكر فى هذا الاعتراض انه « ان كنا توافق على هذا الشطر الا اننا لا ندرى لم يقتصر الاتحاد المقترح على هذه الاقطار فقط مع أن الاعتبارات التاريخية التى قدمناها تقطع بأن هذا الاتحاد لم يكن قاصرا عليها بل جمع غيرها من الاقطار المجاورة لها التى تربطها بها روابط اللغـة والجنس والمصلحة » .

« اللغة هى أهم الروابط المعنوية التى تربط الفرد البشرى بغيره من الناس ، لأنها : أولا واسطة التفاهم بين أفراد ، ثم هى فضلا عن ذلك آلة تفكير ، لأن التفكير حسب تعبير أحد الحكماء ما هو الا تكلم باطنى ، والتكلم انما هو نوع من التفكير الجهرى .. الأديان العالمية لم تنجح فى ذلك الا داخل نطاق محدود والا مدة قصيرة جدا . ومن المعلوم أن الدعوة الاسلامية أيضا سعت الى جمع الأنام تحت راية القرآن ، ولكن التاريخ يشهد على أن المسلمين أنفسهم لم يبقوا متحدين تماما الا لمدة محدودة جدا ، وأن انتشار الاسلام لم يحل دون تفرق المسلمين الى أمم ودول .. فعندما نقول وحدة التاريخ يجب أن نفهم من ذلك الوحدة النسبية والغالبة التى تتجلى فى أهم صفحات التاريخ التى أوجدت ثقافة الأمة الأساسية وأعطتها لغتها الحالية وطبعتها بطابعها الأصلى .. والا لما استطعنا أن نجد أمة واحدة كانت موحدة على طول تاريخها توحيدا تاما .. ان كل من يضع هذه الحقائق الراهنة نصب عينيه ويتصور خريطة العالم الاسلامى ، ويلاحظ موقع العالم العربى فيها يضطر الى التسليم بأن الوحدة العربية أسهل بكثير من الوحدة الاسلامية ، وبأن هذه الوحدة الأخيرة لا يمكن أن تتحقق على فرض امكان تحقيقها الا بالوحدة العربية » (١) .

وقد علق صاحب هذا الرأى على حديث أدلى به شيخ من أئمة شيوخ الاسلام المصريين قرر فيه : « ليس لى رأى فى الوحدة العربية .. لا أشتغل بها .. لست من أنصارها ولا من أعدائها .. غير خاف عليكم أن الدين لم يذهب الى العصبية الجنسية ولم يفرق بين العربى وغير العربى وجعل الأمة الاسلامية وحدة لا فرق بين أجناسها » (٢) فتساءل « اذا كان الدين لم يذهب الى العصبية الجنسية فهل يذهب الى العصبية الاقليمية ، واذا كان الدين لا يفرق بين العربى وغير العربى ، فهل يسوغ التفريق بين المصرى والشامى والعراقى ؟ .. كيف يمكن لأحد أن يأمل بتكوين وحدة من البلاد الاسلامية التى تتكلم بلغات مختلفة دون تكوين وحدة من البلاد التى تتكلم بلغة واحدة ولا سيما التى تتكلم بلغة القرآن ؟ » (٣) .

---

(١) الحصرى ؛ أراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، ص ٢٠ ، ٢١ ؛ ٢٥ ؛ ٣٥ ، ٧٩ ، وقد ظهرت الطبعة الأولى فى مارس عام ١٩٤٤ ؛ بعد أن بدأت الاتصالات بين الدول العربية التى انتهت بتوقيع بروتوكول الاسكندرية .

(٢) محمد مصطفى المراغى « المصرى » .

(٣) الحصرى ؛ آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

وقد ذهب على عبد الرازق ، الذى تثقف نفس ثقافة المراغى الأزهرية ، عندما أصدر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » قبل توقيع « بروتوكول » الاسكندرية بعشرين =

ويركز « جارديه » ، فى هذا الصدد ، على أن الحلم الاصلاحى الكبير الخاص باحيـــاء الأمة الاسلامية يبدو مختفيا ــ فى صمت ــ خلف هذا الاتجاه الى لم شمل « الأمة العربية » ٠ فالشعوب التى تنادى بوحدة الأمة العربية مستعربة أكثر منها عربية بمعنى الكلمة ٠ ولـكن ما يثير هـذه الشعوب هى ارادة عميقة بالانتماء الى اللغة ، والى العقلية ، والى كل ما يمت الى التاريخ العربى ٠ فالكتب المدرسية المصرية تخصص للأصول التاريخية العربية وللجزيرة العـربية ولنشـأة الاسلام من الصفحات أربعة أمثال ما تخصصه لتاريخ مصر فى فترة ما قبل الاسلام ٠ ومن وجهة النظر هذه فان الاسلام يعد عاملا أساسيا فى تاريخ العرب (١) ٠

= عاما ؛ وهو بصدد دراسة الدولة الاسلامية العربية التى انشئت فى القرن الســابع الميلادى الى أنها :

« دولة جديدة انشــأها العرب ، فهى دولة عربية وحكم عربى ، ولكن الاســلام دين البشرية كلها لا هو عربى ، ولا أعجمى . كانت دولة عربية قامت على أساس دعوة دينية . وكان شعارها حماية تلك الدعوة والقيام عليها . أجل . ولعلها كانت فى الواقع ذات أثر كبير فى أمر تلك الدعوة . وكان لها عمل غير منكور فى تحول الاسلام وتطوره ، ولكنها على ذلك لا تخرج عن أن تكون دولة عربية ، أيدت ســلطان العرب ، وروجت مصالح العرب ، ومكنت لهم فى أقطار الارض » .

(١) جارديه ، ص ٣٧١ ــ ٢ ٠

القسم الثالث

إرساء قواعد العلاقات الدولية
التي تستهدف الوحدة العربية

الفصل الأول

ميثاق جامعة الدول العربية

فى الفترة بين ١٠ من ابريل ١٩٤٥ و ٩ من فبراير ١٩٤٦ صدقت الدول العربية السبع المؤسسة على ميثاق الجامعة وهى على التوالى : شرق الاردن ومصر والعربية السعودية والعراق ولبنان واليمن وسوريا ٠

وفى ١١ من مايو عام ١٩٤٥ دخل ميثاق جامعة الدول العربية فى دور التنفيذ وهو الميثاق الذى نص على أن :

« تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقعة على هـذا الميثاق ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم الى الجامعة ، فاذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك »

وعلى أنه .

« لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة فاذا نشأ بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذا وملزما » ٠

ونص على أن :

« تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى الى تغيير ذلك النظام فيه » ٠

كما نص على أن :

« لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه فى هذا الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض » ٠

وعلى أن :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة أن يجتمع فى أى مكان آخر يعينه » ٠

الفرق بين البروتوكول والميثاق :

والفرق الرئيسى بين البروتوكول والميثاق أوضحه أحد المفكرين اذ قرر أن البروتوكول رمى الى الحد تدريجيا من السيادة بينما حرص الميثاق بالعكس على تأكيد هذه السيادة ٠ فمثلا أضافت ديباجة الميثاق بعد عبارة « تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية ، وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها » عبارة « على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها » ٠ وأغفل الميثاق ما ورد فى البروتوكول من أنه « لا يجوز بأية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها » ٠

كما أغفل الميثاق ما ورد فى البروتوكول بشأن الخطوة المباركة التى اتخذت والرجاء « ان توفق البلاد العربية فى المستقبل لتدعيمها بخطوات أخرى وبخاصة اذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب القائمة عن نظم تربط الدول بروابط أمتن » ، بل أن الميثاق أضاف عبارة لم يكن لها وجود فى البروتوكول وهى : « وكذلك من أغراضها ـ أى الجامعة ـ تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها » ٠

وأخيرا فان الميثاق ينص فى المادة ٨ على أن تحترم كل دولة من الدول المشتركة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى الى تغيير ذلك النظام فيها ، وهو نص لم يكن له وجود فى البروتوكول ٠

وهناك نقطة أخرى اختلف فيها الميثاق عن البروتوكول ، هو اغفاله ضمان استقلال لبنان باعتبار ان الميثاق قد احتوى على ما يكفى من ضمان لسيادة جميع الدول الأعضاء ومع ذلك فقد تضمن الميثاق ملحقا خاصا

بفلسطين اعترف بها كدولة مستقلة بحكم القانون de jure ومنحها حق الاشتراك فى أعمال مجلس الجامعة ٠ وهذا الاتجاه يطابق الرأى العام فى العالم العربى الذى لولا هذا النص لبدت الجامعة أمامه بدون فلسطين ناقصة ٠ وهناك نص آخر فى الميثاق لم يكن له وجود فى البروتوكول هو « ان أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها » فان هذا النص يشير بوضوح الى بلاد شـــمال أفريقيا التى كانت تحت السيطرة الفرنسية ٠ (١)

وقد لاحظ الاستاذ « موسكيلى » على المادة ٩ من الميثاق التى تنص على أن « لدول الجامعة أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء » ، أن بروتوكول الأسكندرية كان قد وضح تحفظا هاما يمس أمن الجامعة أو أحد أعضائها وأن من الواجب اعادة هذا التحفظ وتكملة المادة ٩ به ٠ فالحد من حرية الدول فى هذا الصدد طبيعى اذ لا يفهم بعد انشـــاء الجامعة أن يتمكن أعضاؤها من السير على سياسة خارجية تضر بمصلحة الجامعة أو باحدى الدول الأعضاء (٢) ٠

وذهب أحد القانونيين العرب متأثرا بالمزج بين التضامن الاسلامى والعروبة الى ان معاهدات الاخاء المعقودة بين الدول العربية تبدأ بالتذكير بالاصل الاسلامى والاعتبارات الخاصة بالوحدة الوطنية للشعوب التى عقدت تلك المعاهدات باسمها بينما اقتصر الميثاق فى ديباجته على الاشارة الى « الصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية» ٠ كما ان معاهدات الاخاء تعنى عناية أخص بأمن وصالح الممالك التى تعتزم الارتباط بتلك المعاهدات ٠ ولكن الميثاق مد أفقه الى « خير البلاد العربية قاطبة » فنطاق العمل ومجالات التطبيق بالنسبة للميثاق أوسع أفقا بكثير من ذلك الذى فتحته معاهدات الاخاء ، اذ بينما ترمى هذه المعاهدات الى التعاون على توحيد الثقافة الاسلامية العربية والانظمة العسكرية فى الدول المتعاهدة عن طريق تبادل البعثات يتوقع الميثاق تعاونا وثيقا بين الدول الاعضاء فى جميع أنواع الميادين والمجالات ٠ ثم ان الميثاق أضاف جديدا هاما اذ استهدف تنظيم التعاون فى مجال العمل السياسى للمحافظة — بصفة خاصة — على استقلال وسيادة كل من الدول (٣) ٠

---

(١) م ٠ عبد العزيز ، ص ٥٥ — ٥٦ ٠

(٢) M. Mouskeli : La Ligue des Etats Arabes, Revue Générale de Droit International, Pédone. باريس ، ١٩٤٦ ، ص ١٥٨ ٠

(٣) نصيف ، ص ٦١ — ٦٢ ٠

(أ) اختصاص الجامعة الدولى وطبيعته القانونية :

اذا حللنا ميثاق جامعة الدول العربية وجدنا أنفسنا أمام اتحـــاد « كونفيديرالى » جديد للدول العربية . فاننا نعرف ـ بصفة عامة ـ أن المذهب « الفيديرالى » العربى ـ كما سبق أن أشرنا فى القسم الثانى من هذا الكتاب ـ انما استند فى أصوله الى أواصر القربى الوثيقة بين الجماعات العربية التى وصلت الى مستوى واحد من التطور ، والتى تتطابق مراكزها السياسية والاقتصــــادية والثقـــافية ، والتى يواجهها خطر مشترك هو الاستعمار الغربى الذى كان يغتصب أراضيها ، ويجمع بينها وعى بوجوب تبادل العون . ولكن الاتحاد « الفيديرالى » لا يتجسد الا تحت ضـغط الظروف ولا يتطور الا ببطء شديد .

وذلك نتيجة لما يتســـلل الى بعض النفوس من ســـوء الظن ومن الأفكار المتحاملة المكونة ســلفا وروح الاستئثار والانفراد بالنفـوذ بين الجماعات السياسية المندمجة وخاصة بين الدول المندمجة . كما أنه لايتم تحقيقـه الا بعد الوصول الى درجة متقدمة من الرقى الحضارى عنـدما يستوحى الرأى العام فى مختلف الدول المتجهة الى الاتحاد «الفيديرالى» الاعتبارات العقلانية ويرجع هـذا الوحى على التـأثر بالغرائز البشرية . فعندئذ تتطور الظاهرة « الفيديرالية » تطـــورا منظما علميا طبقا لتجربة سابقة معينة . وذلك لتحقيق المنافع التى تتمثل فى تلك الظاهرة لا بغرض المحافظة على مجموع الدول المتحدة « فيديراليا » فحسب (١) .

وفى صدد « الاختصاص الدولى » للجامعة وشـــخصيتها القانونية يجب أن نلاحظ :

ـ أن لها حق التمثيل الدبلوماسى فى الشئون الداخلة فى نطـــاق اختصاصها . فأمين عام الجامعة فى درجة سفير والأمناء المســـاعدون فى درجات الوزراء المفوضين وهم يمثلون الجامعة بهذه الصفة .

ـ أن لها حق عقد الاتفاقات الدولية . فطبقا للميثاق يختص مجلس الجامعة بـ « تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المســـتقبل لكفالة الأمن والســـلام . ولتنظيم العلاقات الاقتصـــادية والاجتماعية » فللمجلس اذن حق عقـــد الاتفاقات مع الأمم ووكالاتها المتخصصة بشرط أن يقر المجلس بالاجماع هذه الاتفاقات .

---

(١) « سيل » ، الوجز ، ص ١٩٠ .

وفى ٢٦ من نوفمبر ١٩٥٧ عقدت الجامعة اتفاقا مع هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة « يونسكو » ونص هذا الاتفاق على :

« بما أنه من أغراض جامعة الدول العربية تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا فى الميدان الثقافى بحسب نظم كل دولة منها واحوالها ، وأنه طبقا للمادة (٤) من ميثاق جامعة الدول قد تألفت لتحقيق هذا التعاون لجنة ثقافية لجامعة الدول العربية .

وبما ان جامعة الدول العربية تقوم ببعض المهام وأوجه النشاط فى اطار اقليمى يماثل ما تقوم به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة فى محيط عالمى .

قد اتفقتا على ما يأتى :

— اتفقت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة وجامعة الدول العربية على التعاون فيما بينهما عن طريق هيئتيهما الخاصتين .

ويشمل هذا التعاون كل مسألة تتعلق بميادين التربية والعلم والثقافة وتدخل فى نطاق أغراض المنظمتين وأوجه النشاط المماثلة بينهما » .

وفى ٢٦ من مايو ١٩٥٨ عقدت الجامعة اتفاقا آخر مع هيئة العمل الدولية نص على :

« أن جامعة الدول العربية تود بالتعاون مع منظمة العمل الدولية أن تنهض برفاهية شعوب الدول الأعضاء فيها .

فان منظمة العمل الدولية وجامعة الدول العربية رغبة منهما فى المساهمة داخل النطاق العام لميثاق الأمم المتحدة فى تحقيق أهداف منظمة العمل الدولية بطريقة فعالة فى الدول العربية .

قد اتفقتا على ما يأتى :

— تتشاور جامعة الدول العربية ومنظمة العمل الدولية بانتظام فى الأمور ذات الأهمية المشتركة بقصد زيادة تحقيق أهداف منظمة العمل الدولية بطريقة فعالة فى الدول العربية .

— تخطر منظمة العمل الدولية جامعة الدول العربية بأية مشروعات

تهدف الى ازدياد نشاط المنظمة الاقليمى فى أراضى الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية • وتنظر بعين الاعتبار أية ملاحظات توافيها بها جامعة الدول العربية بشأن هذه المشروعات ، وذلك بقصد تحقيق تعاون فعال بين المنظمتين » •

وفى ٣٠ من مايو ١٩٦٠ عقد اتفاق ثالث بين الجامعة وهيئة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة نص على :

« ان جامعة الدول العربية ومنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة ، رغبة منهما فى تدعيم وتوسيع مجال التعاون العلمى الذى نما بينهما فى حقل الأغذية والزراعة فيما يتصل بمسئولية كل منهما كما حدث فى كل من ميثاق جامعة الدول العربية من جهة ودستور منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة من جهة أخرى •

وحرصا منهما على تجنب تداخل وتكرار أوجه النشاط اتفقتا على ما يلى :

ـ تتشاور جامعة الدول العربية ومنظمة الأغذية والزراعة فى المسائل ذات المصلحة المشتركة تحقيقا لأهدافهما المشتركة وتنسيقا لأوجه نشاطهما •

ـ يمكن لجامعة الدول العربية ومنظمة الأغذية والزراعة أن تقوما عن طريق أجهزتهما المختصة بالاعداد لعمل مشترك تحقيقا للأهداف الكبرى للمصلحة المشتركة •

ـ تدعو منظمة الأغذية والزراعة جامعة الدول العربية لتمثل فى جميع دورات مؤتمر المنظمة وكل المؤتمرات والاجتماعات الأخرى التى تعقد تحت اشراف المؤسسة والتى تشارك فيها الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية • ويمكن للمراقب عن جامعة الدول العربية أن يشترك فى المداولات فى هذه الجلسات والمتعلقة بالشئون التى تهم جامعة الدول العربية دون ان يكون له حق التصويت » •

(ب) حق المزايا والحصانات :

ففى ١٢ من ديسمبر ١٩٥٣ ، ٨ من مارس ١٩٥٤ ، ٥ من ابريل ١٩٥٤ ، ٢٠ من فبراير ١٩٥٥ و ٢٣ من أكتوبر ١٩٥٧ و ٢٨ من مارس ١٩٧٣ أودعت المملكة الأردنية الهاشمية ومصر والعربية السعودية والعراق

وسوريا والمغرب على التوالى وثائق الانضمام الى اتفاقية المزايا والحصانات الخاصة بالجامعة التى كان قد وافق عليها مجلس الجامعة فى ١٠ من مايو ١٩٥٣ وقد نصت هذه الاتفاقية على أنه :

« بما أن المادة ١٤ من ميثاق جامعة الدول العربية تنص على أن أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفيها الذين ينص عليهم النظام الداخلى يتمتعون بالمزايا والحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم وان تكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة .

وبما أنه يتعين لذلك أن تبين بطريقة مفصلة أنواع المزايا والحصانات التى أشار اليها الميثاق وأن يحدد نطاقها ، وحالات تطبيقها وتيسيرا لقيام الجامعة بأعمالها فى أراضى الدول الأعضاء على قواعد متفق عليها .

لذلك وافق مجلس جامعة الدول العربية على الاتفاق التالى وعرضه على حكومات الدول الأعضاء للانضمام اليه .

ـ تتمتع جامعة الدول العربية بشخصية قانونية من حيث أهلية :

تملك الأموال الثابتة والمنقولة والتصرف فيها

ـ تتمتع أموال جامعة الدول العربية ، ثابته كانت أو منقولة ، وموجوداتها أينما كانت وأينما يكون حائزها بالحصانة القضائية مالم يقرر الامين العام التنازل عنها صراحة على ألا يتناول هذا التنازل اجراءات التنفيذ .

ـ حرمة المبانى التى تشغلها جامعة الدول العربية مصونة ولا تخضع أموالها أو موجوداتها أينما تكون وأينما يكون حائزها لاجراءات التفتيش أو الحجز أو الاستيلاء أو المصادرة أو ما مائل ذلك من الاجراءات الجبرية .

ـ حرمة المحفوظات والوثائق بأنواعها كافة مصونة سواء أكانت خاصة بجامعة الدول العربية أو فى حيازتها .

وقد عقب أحد الأساتذة الأجانب على هذه الاتفاقية فذهب الى أن ميثاق جامعة الدول العربية قد أعلن فى ٢٢ من مارس ١٩٤٥ قبل ميثاق الأمم المتحدة الذى وقع بسان فرانسيسكو فى ٢٥ من ابريل عامئذ بأكثر من شهر ولذلك لم يكن أمام الجامعة العربية من المواثيق التى تنظم الهيئات

الدولية ذات الاختصاص السياسى على نطاق واسع والتى يمكن أن تتبعه الجامعة الا ميثاق عصبة الأمم الذى وان كان موجزا الا أنه حقق الغرض منه طيلة عدة أعوام بالتعاون مع الحكومة السويسرية • وقد أخذ ميثاق الجامعة بما سبق أن أخذ به ميثاق العصبة فنص على درجة السفير للأمين العام ودرجة الوزير المفوض للأمين العام المساعد ، كما نص فى المادة ١٤ على حصانة أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفيها • وواضعو اتفاقية المزايا والحصانات الخاصة بالجامعة قد صادفتهم صعوبة أن ميثاق الجامعة كان قد نص نصا ضعيفا على الامتيازات والحصانة الدبلوماسية ولكنهم تغلبوا على هذه الصعوبة بحكمة وبطريقة عملية فاستندوا على ما جاء فى هذا النص من أن « تكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئا الجامعة » ونقلوا حرفيا ما نصت عليه الاتفاقية الخاصة بمزايا وحصانات الأمم المتحدة بشأن الشخصية القانونية ـ الأموال الثابتة والمنقولة ـ التسهيلات الخاصة بالرسائل • (١)

(ج) حق التمثيل الخارجى :

قرر مجلس الجامعة فى دورة انعقاد شهر مايو ١٩٥٣ فتح مكتب للجامعة بنيويورك على سبيل التجربة • وبدأ مركز الاعلام التابع للجامعة هناك عمله فعلا فى نوفمبر ١٩٥٤ • ولما ثبت نجاحه فتحت ثلاثة مكاتب أخرى خلال عام ١٩٥٦ بجنيف وبون وبونيس ايريس ، ثم فتح مكتب آخر فى عام ١٩٥٨ بريوده جانيرو • وبمقتضى توصية من مجلس الجامعة فى ١٤ من أكتوبر ١٩٥٥ رؤى أن يغطى نشاط مكتب نيويورك كل أمريكا الشمالية • فافتتح ذلك المكتب منذ عام ١٩٥٦ مكاتب فرعية فى شيكاجو (يناير ١٩٥٦) وسان فرانسيسكو (يوليو ١٩٥٧) وواشنطن (يونيو ١٩٥٨) واوتاوا (أوائل ١٩٥٨) • كما قرر مجلس الجامعة فى دورة سبتمبر فتح مكاتب جديدة فى لندن وباريس وروما وستوكهلم وطوكيو •

وفى نوفمبر ١٩٥٤ وسبتمبر ١٩٥٦ تم تشكيل وفدين دائمين للجامعة لدى الأمم المتحدة فى نيويورك وجنيف •

---

(1) H. Reiff : Agreement of the Privileges and Immunities of the League of Arab States.

القاهرة ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٥ ، ص ١٤٦ ـ ٩ •

والوضع القانونى لممثلى الجامعة يختلف باختلاف الاحـــوال · فمن وجهة نظر الجامعة لا يحمل الصفة الدبلوماسية الا الموظفون الدائمون الذين من درجة سكرتير أول · كما تختلف معاملة ممثلى الجامعة باختلاف الدول التى يزاولون فيها عملهم · فليس لهؤلاء الممثلين ــ بحكم القانون ــ حصانة دبلوماسية ، ولكن ــ فى الواقع ــ يتمتع الكثيرون من ممثلى الجامعـة فى الخارج ومن بينهم مرؤوسوهم والموظفون المحليون الذين يعملون فى مكاتب الجامعة بالحصـــانة الدبلوماسـية · فقد تمت الترتيبات مع بعض الدول العربية ومع السلطات المحلية لبعض الدول الأجنبية التى سمحت بمنح ذلك الامتياز · فمن ذلك ادراج أسماء ممثلى الجامعة فى كشف الدبلوماسيين الخاص باحدى السـفارات العربية · وقد قرر مجلس الجامعـة فى دورة مارس ــ ابريل ١٩٥٨ أن تدرج الدول الأعضاء بصفة رمزية موظفى مكاتب الجامعة فى كشوفها الدبلوماسية · ومن ذلك أن يتولى مكتب الجامعة فى الخارج تمثيل احدى الدول العربية التى ترغب فى انشاء علاقات دبلوماسية مع الدولة التى يباشر فيها المكتب عمله · وهى حالة مديرى مكتبى نيويورك وجنيف · ففى نيويورك تولى مدير مكتب الجامعة تمثيل اليمن ــ بناء على طلبها ــ لدى الأمم المتحدة · وفى جنيف مرت التجربة بمرحلتين من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٥٨ · فالمراقب الدائم للجامعـــة كان معتمدا فى نفس الوقت كمندوب دائم لسوريا لدى مكتب الأمم المتحدة الأوروبى · وبعد وحدة سوريا ومصر وبسبب وجود وفد دائم للجمهورية العربية المتحدة لدى مكتب الأمم المتحدة الأوروبى كلف مراقب الجامعة العربية ــ الذى هو فى نفس الوقت مدير مكتب الاعـــلام بجنيف ــ من اليمن بتمثيلها لدى الأمم المتحدة · (١)

وقد اهتم « موسكيلى » بالاختصاص الدولى لأجهزة الجامعـــة التى أسماها « الاتحاد » Union · وأشار الى نص الميثاق على تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية · فلكى يتحقق هذا التعاون يجب أن يدخل « الاتحاد » فى علاقات مع هذه الهيئات الدولية · وقد يكون هذا الهدف هو مادعا الميثاق الى اضفاء درجة السفير على الأمين العام ووضعه توا فى السلك الدبلوماسى · ولكن أى سلك سياسى ؟ أهو السلك التابع لاحدى الدول ؟ لا شك أن الجواب بالنفى · فيبدو أنه لا يستطيع أن يتصرف

---

(1) Le Service Diplomatique des Etats Arabes, Institut Universitaire des Hautes Etudes Internationales.

فرج موسى ، جنيف ، ١٩٦٠ ، ص ٧٨ ــ ٩

الا كموظف فى السلك السياسى التابع للاتحاد ولا يجب أن يغيب عنا أيضا أنه رغم أن هذا الاتحاد لم تعترف به الدول الأجنبية (نشر هذا الرأى في عام ١٩٤٦) فان وجوده الراهن واقع لايمكن تجاهله فى الجماعة الدولية · ونحن ازاء ميثاق الاتحاد العربى أمام وثيقة تقرر قاعدة تنتهى أو هى تتجه الى الانتهاء بانشاء منظمة دولية جديدة ستفرض احترام الدول لها أولا فى الواقع ثم بمقتضى القانون · وقبل أن ينقضى عام على انشـاء الاتحاد اتصل الأمين العام فعلا بالدول الأجنبية مرتين بشـأن فلسطين فقد أرسل الأمين العام مذكرة جماعية الى بعض الدول الأجنبية طبقا لقرار مجلس الجامعة · ولا جدال أيضا فى أن مجرد تنقل الأمين العام بين عواصم العالم حيث يستقبله وزراء الخارجية يساهم هو الآخر فى الاعتراف للاتحاد العربى بكيان دولى معين (١) ·

الجامعة واستقلال ليبيا ، سبتمبر ١٩٤٥ :

عنيت جامعة الدول العربية ، الى جانب عنايتها بربط الدول الأعضاء بهذه المعاهدات مختلفة الأهداف ، بالأقطـار العربية الأخـرى التى لم تستكمل استقلالها ، والتى بالتالى وطبقا لميثاق الجامعة ، لا يمكن أن تكون عضوا فى الجامعة ·

ويكفى فى هذا البحث ان نكتفى بالاشارة الى مافعلته فى سـبيل استقلال المملكة الليبية المتحدة (الجمهورية العربية الليبية الآن) ·

ففى سبتمبر سنة ١٩٤٥ أرسل الأمين العام للجامعة الى حكومات الدول الأعضاء مذكرة جاء فيها :

« ان البلاد المعروفة قديما باسم طرابلس الغرب والمعبر عنها حديثا باسم ليبيا هى عبارة عن المساحة الواسـعة التى تبتدىء من حدود مصر الغربية وتنتهى عند الحدود التونسية والجزائر . والتى تحد جنوبا بأملاك فرنسا والصحراء الكبرى · وهى يسكنها العرب ويدين أهلها الأصليون جميعا بدين الاسلام منذ أكثر من عشرة قرون · وقد كانت طوال الفترة الاسلامية ، أى فى الثلاثة عشر قرنا الأخيرة ، بلادا واحدة لم ينفصـل بعضها عن بعض الا فترات قصيرة أيضا · كذلك استمرت أثناءها تناضل حتى استردت وحدتها وحريتها ، فكل تغيير بتجزئتها يناقض تاريخهـا

(١) « موسكيلى » ، ص ١٣٧ ـ ٨ · وهو يقصد هنا المذكرة المؤرخة فى ١١ من نوفمبر ١٩٤٥ الخاصة بمسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين والمذكرة المؤرخة فى ٥ من ديسمبر ١٩٤٥ بالرد على تصريح مستر « بيفين » بشأن موضوع فلسطين ·

الطويل ، بل ان وحدتها هذه كانت موجودة منذ فجر المسيحية . وهذه الوحدة ليست ضرورية من الناحية الادارية فحسب بل هي ضرورة اقتصادية واجتماعية لا سبيل لتجاهلها » .

وفي ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٥ من نفس العام وجه الأمين العام باسم الجامعة مذكرة الى وزراء خارجية الدول الكبرى جاء فيها :

« ليبيا بلد عربي ، تحده تونس وبلاد المغرب غربا ومصر شرقا والصحراء الكبرى جنوبا ، ويقطن هذه البلاد منذ قرون قوم من أصل عربي يتكلمون لغة واحدة ويتبعون تقاليد وعادات واحدة ويدينون بدين واحد » .

وفي ١٠ من يونيو عام ١٩٤٦ أرسل مجلس الجامعة البرقية التالية الى وزراء خارجية الدول الكبرى :

« علم مجلس جامعة الدول العربية المنعقد الآن في بلودان بسوريا بما ذكرته بعض وكالات الاخبار من اقتراح بريطاني بارسال وفد من الدول الأربع الكبرى لتبين رغبات أهل طرابلس وبرقة وفزان ، فكلفني المجلس بأن احيطكم علما بأن كل تحقيق في هذا الشأن يهم الجامعة العربية التي تعتبر ليبيا شعبا من الشعوب العربية ، كما يقضي ميثاقها أن تنظر شئونه ومصالحه ، وتحرص على أن تشترك في الهيئة التي أشار اليها الاقتراح البريطاني وتود ، اذا اتفق على هذا الاقتراح ، أن تدعى للاشتراك وأن تحاط علما بالاجراءات والمواعيد » .

وفي مارس عام ١٩٤٧ وجه الأمين العام الى الشعب الليبي وهيئاته السياسية النداء التالي :

« ان قضيتكم ولا ريب من القضايا العربية التي نوليها اهتماما منذ ثلاثين سنة ونرجو لها النجاح ، وان شعبكم العربي في مقدمة الشعوب التي ناضلت وجاهدت وضحت بكثير من خير أبنائها في سبيل الحرية والاستقلال .

وان هذا الظرف لمن أنسب الأوقات لكي تجنوا ثمار أعمالكم وتظفروا بحريتكم ، فقد ازال الله عنكم الظلم والاستعمار ، وهيئت لكم فرصة التحرر فاغتنموها » .

وقد والت « الجامعة » جهودها في سبيل تحرير ليبيا حتى أعلن استقلالها في أول يناير ١٩٥٢ ، وانضمت الى الجامعة في ٢٨ من مارس ١٩٥٣ فأصبحت الدولة الثامنة في دول الجامعة .

وكان قد أعلن استقلال السودان فى أول يناير ١٩٥٦ عقب استفتاء أجرى بموافقة مصر فانضمت « جمهورية السودان الديموقراطية » الى الجامعة العربية فى ١٩ من يناير ١٩٥٦ وأصبحت الدولة التاسعة من دولها ٠

وبعد استعراض بعض عناصر « الاختصاص الدولى » و « الشخصية الدولية » و « الشخصية القانونية » للجامعة يجدر بنا أن نعود الى «سيل» الذى يرى أن مما يثيره الاهتمـــام فى اتحـــاد الدول « الكونفيديرالى » الاختصاص الدولى والسلطات الدبلوماسية للحكومات « الكونفيديرالية » ٠ ففى هذا النظام «الكونفيديرالى» تتقاسم الحكومات والممثلون «الكونفيديراليون» هذا الاختصـــاص مع الحكومات والممثلين للدول المتحدة « كونفيديراليا » وينظم الميثاق «الكونفيديرالى» هذا التقاسم ٠ وفى الحالات النموذجية لهذه النظم تحتفظ حكومات الدول المتحدة باختصاص دولى واسع ، وفى حالة الشك يفترض احتفاظها به ٠ والنظام «الكونفيديرالى» يتطور عادة تطورا دائما فيتراخى أحيانا حتى يسمح لحكومات الدول المتحدة بأن تسترد كل سلطاتها الأصلية أو جزءا منها أو يضغط فيحصل من الدول المتحدة على تنازلات جديدة عن اختصاصها ويتحول شـــيئا فشـــيئا الى النظـــام « الفيديرالى » ٠ وهذا الشكل الأخير من أشكال التطور هو الذى يتحقق غالبا ٠ (١)

ويؤكد « سيل » بعد ذلك أن ميثاق عصبة الأمم كان يكون فى رأيه اتحادا « كونفيديراليا » للدول باتجاه عالمى ٠

وبمجرد توقيع ميثاق جامعة الدول العربية وقبل أن تحقق ما حققته من انجازات فى الثلاثين عاما التالية ، ذهب « موسكيلى » الذى أســـمى الجامعة « الاتحاد العربى » ـ كما سبق أن أشرنا ـ الى أن الاتحاد جماعة دولية لدول مستقلة فى دور التكوين ولها شخصية قانونية مفترضـــة ، قوية ولكن دون عمل ٠ فهى اذن أكثر من مجرد تحالف ، ولكن أقل من اتحاد « كونفيديرالى » ، انها تحالف منظم ٠ (١)

وقد تبين ـ بعد ثلاثين عاما من عمر « الجامعة » وتضخم حجمها حتى أصبحت تضم عشرين دولة ٠ وتزايد أنشطتها المتسمة بطابع العمل العربى المشترك بين أعضـــائها على المستويين الاقليمى والدولى ٠ والتطور المطرد

---

(١) « سيل » الموجز ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ٠

(٢) « موسكيلى » ، ص ١٣٨ ٠

السريع لاختصاصها الدولى ـ تبين أن « الجامعة » اتحاد « كونفيديرالى » كما سوف يتضح من الفصول اللاحقة ٠

روح الجماعة من خلال « الميثاق » :

فى ملحق خاص بفلسطين قررت الدول الموقعة على ميثاق جامعة الدول العربية انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة التى تمنعه من التمتع بحقه فى الاستقلال فان مجلس « الجامعة » يقوم باختيار ممثل عربى لفلسطين يشترك فى أعماله ٠ فالدول العربية تعترف بوجود « دولة » فلسطين واستقلالها ٠ الا أنه نظرا لهذه الظروف الخاصة فان مجلس الجامعة هو الذى يختار مندوبها فيه حتى تستكمل استقلالها فتستطيع هذه الدولة الفلسطينية اختيار مندوبها ٠

ولما كانت جامعة الدول العربية هى رمز وحدة العالم العربى جميعه ٠ وكانت بعض البلاد العربية لا تستطيع بحكم عدم تمتعها بالاستقلال الانضمام لعضوية « الجامعة » فقد نصت المادة الرابعة من الميثاق ٠ وكذلك الملحق رقم ٢ للميثاق على جواز اشتراكها فى اللجان المتخصصة للجامعة التى تبحث الشئون غير السياسية ٠ كما نص الملحق أيضا على الا يدخر مجلس الجامعة وسعا لتعرف حاجات هذه البلاد ٠ وتفهم أمانيها ٠ وأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها ٠ وتأمين مستقبلها بكل ما تهيؤه الوسائل السياسية من أسباب ٠ (١)

وفى صدد تحليل العناصر الضرورية والكفيلة بتكوين « اتفاق اقليمى » ركز أحد رجال العلوم السياسية المصريين على أن أول العناصر الرئيسية لكل « اتفاق اقليمى » هو التعاهد على حفظ السلم ٠ ومع ذلك فدراسة الجامعة العربية تبرز مشكلة معينة ٠ اذ أن ميثاق هذه الجامعة ينص على أن مجلس الجامعة لا يستطيع أن يغفل أمانى البلاد العربية التى لا تنتمى الى عضوية الجامعة وأن عليه أن يبذل كل جهوده لتحقيق هذه الأمانى (وهى الأمانى التى قد لا يمكن تحقيقها الا بالكفاح المسلح) كما أضاف ملحق الميثاق أن الدول الموقعة عليه تدعو مجلس الجامعة الى التعاون الوثيق مع هذه البلاد غير الأعضاء عند اشتراكها فى أعمال اللجان التى أشار اليها الميثاق ٠

فوجهة النظر العربية ترى أن هذا الموقف الذى قرره الميثاق ازاء

---

(١) م ٠ حافظ غانم : محاضرات عن جامعة الدول العربية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ ، ص ٤٦ ٠

البلاد العربية التى لم تستكمل استقلالها موقف شرعى ، سليم ، ومطابق أيضا لأهداف ومبادىء الأمم المتحدة ولكن وجهة النظر الأخرى · أى وجهة نظر الذين كانوا يدافعون عن « الأمر الواقع » فى منطقة البحر الأبيض المتوسط الأفريقية (تونس والجزائر والمغـــرب فى عام ١٩٤٩ عند نشر الدراســـة التى استعرضت هـــذا التحليل) ترى أن هـــذا الموقف موقف تعسفى ·

أما ثانى العناصر الضرورية لانشاء « اتفاق اقليمى » فهو أن يرتكز هذا الاتفاق على أساس مادى من تضامن اجتماعى معين · فالاتفاق الاقليمى هو تعبير عن تضامن خاص · وليس سببا من أسباب هذا التضامن ·

ومما يفسر شكل « التضامن الاجتماعى المعين » ·

ــ سلسلة من العناصر الأولية السابقة على كل ارادة بشرية خاصة بانشاء « الاتفاق » والايمان برابطة عرقية مفترضة · والانتماء الى نفس الأصل التاريخى · والاشتراك فى وضع جغرافى معين ·

ــ وعى معين بروح الجماعة يسيطر ــ بصفة خاصة ــ فى أوقات الازمات ·

ــ مجموعة من أوجه التعاون المتاحة التى يمكن تقديمها الى الدول أعضاء « الاتفاق الاقليمى » فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ·

أما بشأن صـــلات التقارب والتجانس العرقية فان هـــذا الباحث قد أبرز أنه اذا كان قد تقرر من وجهة نظر علم الاجناس « الاتنولوجية » أنه لا يوجد «جنس» معين وانما توجد « تركيبات عرقية » الا أنه من وجهة النظر الاجتماعية فان هذه « التركيبات العرقية » هى التى تخلق ما يمكن تسميته بـ « روح الجماعة » · وهذا الشعور عندما تخضعه للتحليل يتبين أنه يرتكز على قاعدة أعرض بكثير من قاعدة القرابة الطبيعية · أى قرابة أفراد الاسرة كل منهم للاخر · وروح الجماعة ــ اذا دعمتها لغة مشتركة ــ تتولد عنها بمضى الزمن أوجه شبه وتقارب تؤثر على النفسية الجماعية ، وتخلق ما يسمى « الانبهارات الاقليمية » (١) ·

الميثاق انشأ اتحاد دول عربية ، اتحادا « كونفيديراليا » :

وقد ظل موضوع الشخصية الدولية لجامعة الدول العربية موضوع اهتمام رجال القانون الدولى وتزايد الاهتمام به كلما استكملت الجامعـــة

Contribution à l'Etude des Ententes Régionales, Pédonc.

بطرس ب . قالى ، بارس ، ١٩٤٩ ، ص ٢٢ ــ ٣٤ ، وقد استند على « سيل » .

كيانها في الأسرة الأولية وكلما اتضحت معالم شـــخصيتها . وقد ذهب أحدهم الى : « ان هذا الميثاق الاقليمى ولو أنه جمع شمل الدول العربية فى رابطة اتحادية الا انه لم يتعرض سيادات الدول الأعضاء ، كما انه لم ينشيء أجهزة قوية لها من السـلطات والامكانيات ما يجعلها قادرة على تحقيق أهداف الجامعة . فجاءت الجامعة العربية اتحادا ضعيفا يقترب من النوع الذى يسميه القانون الدولى بالاتحاد الكونفيديرالى » (١) .

وقد أشار الى رأى مجيد خدورى (٢) والى رأى « جورج سيل » (٣) اللذين نازعا فى الاعتراف بالشخصية الدولية للجامعة العربية . ونقل عن « سيل » ماذهب اليه من أنه يصعب تمييز الاختصاصات الذاتية الممنوحة لهيئات الجامعة العربية ، ويظهر ان الدول الأعضاء لم تتنازل لها تنازلا فعليا عن أى من اختصاصها ، سواء فى العلاقات بين الدول العربية أو بينها وبين الدول الأجنبية . ويختم الأستاذ سيل كلامه مصرحا « بأنه لا يرى كيف يجوز فى هذه الاحوال حصول اعتراف دولى بها » .

وأجاب على ذلك بأنه يعتقد على العكس من ذلك ان الجامعة العربية تملك ارادة ذاتية واختصاصا دوليا وأن العرف يؤيد من الجهة الواقعية هذا الرأى ، وأن مجلس الجامعة العربية يستطيع فى حدود ميثاق الجامعة ان يبدى ارادة ذاتية مستقلة عن ارادة الدول الأعضاء . وتشترك الدول الأعضاء عن طريق الاجماع أو الأغلبية فى اصدار قرارات مجلس الجامعة العربية .

الخلاصة :

نعتقد ، على ضوء وضع ميثاق جامعة الدول العربية موضع التنفيذ ، والعرف الذى تكون حول هذا الميثاق ، والفقه الذى تولى شرحه خـلال ثلاثين عاما ، ونضوج الوعى العربى العـام ، والاتفاقات الدولية المتسمة بالطابع « الكونفيديرالى » البحث التى عقدتها الجامعة فيما بين دولها ـ وهو موضوع الفصل الثالث من هذا القسم ـ أن ميثاق « الجامعة » قد أنشـأ اتحاد دول عربية اتحادا « كونفيديراليا » يرتكز على « العروبة » كأساس سياسى ـ اجتماعى .

---

(١) م . ح . غانم ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٣ .
(٢) المجلة الامريكية للقانون الدولى ، ١٩٤٦ ، ص ٧٥٨ .
(٣) المجلة العامة للقانون الدولى العام ، ١٩٤٧ ص ١٣٨ .

ففى البلاد العربية ـ الاسلامية بدت « العروبة » ، أو بتعبير أدق ، بدا مذهب « الوحدة العربية » كرد فعل فى وجه عجز الخلافة العثمانية عن حماية الشعوب العربية أو عن تنفيذ مبادىء الاسلام الرئيسية ، فقد كانت تلك الخلافة ـ كجهاز فوق مستوى البلاد الاسلامية ـ تجمع بين شعوب هذه البلاد فى نطاق رابطة ولاءلها دون نظر الى اختلاف الجنسية ، أو اللغة . أو العرق ، أو المنطقة الجغرافية · وهذا الشعور بالولاء للخلافة كان نابعا من علاقة قانون عام داخلى على النطاق الواسع الذى تمثله وحدة العالم الاسلامى ، وهذه العلاقة من علاقات القانون العام الداخلى ـ على مستوى العالم الاسلامى ـ كانت ترتكز أساسا على « التضامن الاسلامى » · وبذلك انبثق ما يشبه « جنسية روحية » من هذه الرابطة التى تجمع مختلف الشعوب الاسلامية تحت ظل الولاء للخلافة · رمز الوحدة الاسلامية المفترضة .·

وقد خلف التطور التاريخى للأحداث فى العالم الاسلامى آثاره فى بادىء الأمر عندما تفتتت الامبراطورية العثمانية ونشأت على أنقاضها بضع دول عربية ـ اسلامية كاملة السيادة·أو ناقصة السيادة·وعندما تحولت علاقة القانون العام الداخلى ـ على نطاق العالم الاسلامى ، متمثلة فى رابطة ولاء للخلافة مرتكزة على شبه « جنسية روحية » ـ الى علاقات أخرى من علاقات القانون الدولى العام الحديثة تربط بين مختلف الدول العربية ـ الاسلامية التى نشأت عقب تفتت الامبراطورية العثمانية · والغاء الخلافة ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الأولى اعترف هذا القانون الدولى ، فى نطاق الشرق العربى ـ الاسلامى ، بنشوء عدد من الدول المستقلة التى تضم جماعات اسلامية لها « جنسيات » مختلفة ترتبط كل منها برابطة ولاء لسلطات مختلفة · ومع ذلك فان هذه الجماعات العربية ـ الاسلامية التى تحمل جنسيات دول عربية اسلامية مستقلة قد ظلت مرتبطة مع الجماعات الاسلامية غير العربية برابطة « تضامن اسلامى » رغم اختلافها عن تلك الجماعات الاسلامية خارج الشرق العربى جنسية ، ولغة ، وعرقا ، وانبثقت عن هذا الشعور بالتضامن الاسلامى علاقة قانون دولى عام · يمكن عدها قاعدة من قواعد القانون الدولى الاسلامى · وأساسا للعلاقات الدولية بين الدول والجماعات الاسلامية ·

ولقد أكدت هذا « التضامن الاسلامى » وتحوله الى قاعدة من قواعد قانون دولى المعاهدات المختلفة التى عقدت بين الدول الاسلامية والتى أشرنا اليها فى الفصل الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب · كما

أكدتها الدساتير التي أصدرتها هذه الدول وأبرزت فيها أن الاسلام دين الدولة ٠

وأما بعد الغاء الخلافة ، وتفتت الامبراطورية العثمانية ، واستقلال عدد من « ولايات » هـــذه الامبراطورية فان العلاقات الدولية بين الدول العربية ـ الاســـلامية ، كمجموعة لها كيانهـــا الخاص فى أسرة الدول الاسلامية ، قد أصبحت ترتكز على قاعدة « التضـــامن العربى » ، ومن الواضح أن هذه القاعدة ـ كما سبق أن أشرنا فى مستهل هذه الخلاصة ـ هى ثمرة تحول تاريخى نابع من قاعدة « التضامن الاســـلامى » الذى خصصنا لدراسته القسم الأول من هذا الكتاب ٠ وقد تم هذا التحول فى ضوء الحركات الوطنية فى البلاد العربية ـ الاسلامية ، والكفاح المشترك الذى خاضته شعوب هذه البلاد ضد الاستعمار ٠ تدعمها فى هذا الكفاح « روح الجمـــاعة » ، واللغة المشـــتركة ، والثقافة المشـــتركة ، والحدود المشتركة ٠ أى أن هذا التحول من « التضامن الاســـلامى » البحت الى « التضامن العربى » دون انفصال عن جذوره التاريخية الاسلامية ، انمـــا تم تحت لواء « العروبة » ، اذا أردنا أن نستخدم كلمة واحدة تعبر عن كل المعانى التى أشرنا اليها ، فهذه « العروبة » كان زخمها واضحا فى نضج هذا التحول الاجتماعى ـ السياسى ٠

ولقـــد استخدم « جارديه » أســـلوبا آخر اذ قرر أن « العروبة فى الوقت الحاضر تجسد وتوجه ما كانت تجسده وتوجهه فكرة « الأمة » فى الجماعة الاسلامية ٠ أو بتعبير أوضح أنها تولت ، لحسابها وفى ســـبيل الشعوب العربية أو المستعربة ، القيم والأفكار التى كانت أساسا لفكرة « الأمة » فى تلك الجماعة الاسلامية ولكن بعد أن طورت هذه الفكرة وعدلتها لتلائم حقائق العصر الحاضر ٠٠٠ فالعرب يشـــعرون ان اخاء يوحد بين شعوبهم ، وأن هذا الاخاء العربى كفيل بالاجهاز على أشد الخلافات خطورة فتعبير « الشعوب الشقيقة » الذى يتبادله هؤلاء العرب يدل على حقيقة أعمق مما يبدو من التحليلات السياسية السطحية ٠ ولا شك أن العرب المسيحيين يشتركون فى تأكيد هذه الحقيقة » (١)

وفى صـــدد تحليل العناصر الاجتماعية ـ السياسية التى حققت انشاء جامعة الدول العربية يعتقد « عيسوى » :

---

(١) « جارديه » ، ص ٣٧٢ ٠

« ان أول هذه العناصر وأقواها هي العناصر الثقافية ، أى الاشتراك في اللغة ، والدين ، وأسلوب الحياة ، فمن المشكوك فيه أن أثر الدين فى العالم العربى قد ضعف ضعفا ملحوظا فى الوقت الحالى ، أما أثر اللغة فلاشك أنه تزايد • كما أن زخم التطور الاقتصادى الحديث على أسلوب الحياة فى العالم العربى كان متشعبا فهو يعمل على التقريب بين البلاد العربية ، اذ أن العرب عندما تجاوزوا مستوى اقتصاد البلاد التى لاتنتج الا سلعة أو بضع سلع تقتصر موارد هذه البلاد عليها اكتشفوا تنوع مواردهم وبالتالى تبينوا امكان بل ضرورة التعاون فيما بينهم ، وأخيرا فهناك العناصر السياسية •

فقد أدرك العرب أنهم قد أصبحوا يحسب حسابهم فى الشئون الدولية بعد أن تجاوز عددهم مائة مليون نسمة (أصبحوا الآن ١٤٠ مليون) يتحكمون فى النصف الجنوبى من البحر الأبيض المتوسط وفى مدخليه الشرقيين (برا وبحرا) وفى أكثر من نصف احتياطى العالم من الزيت الى جانب مواردهم الأخرى الطبيعية والبشرية (١) • أى أن « جامعة الدول العربية » قد بلورت ــ الى حد ما ــ « العروبة » ، فى شكل منظمة « كونفيديرالية » لها كيانها الخاص المستقل عن كيانات الدول الأعضاء •

ولا يتردد « فلورى » و « مانتران » فى ابراز أن آخر عناصر تحرر الشرق الأدنى كان انشاء « جامعة الدول العربية » فى ٢٢ من مارس ١٩٤٥ • التى تعد أول خطوة نحو اتحاد البلاد العربية وأول اعلان حقيقى واضح عن بعث العروبة ، فان أول وأعظم نجاح للجامعة العربية انما كان يتمثل فى انشائها وفى استمرارها • فقد وفقت الشعوب العربية فى التغلب على ما كان بينها من خلافات قديمة لكى تحقق وحدتها فى ظل منظمة مشتركة ، واذا كانت قد اعترضتها ، ولا تزال تعترضها ، بعض الصعوبات فان المسيرة نحو الوحدة قد بدأت • واشترك الجميع فيها (٢) •

---

(١) شيسوى ، ص ١٤ ــ ١٥ •
(٢) « فلورى » و « مانتران » ، ص ١٠٦ ، ٤١٤ •

الفصل الثانى

الأثر الاجتماعي ــ السياسي
فى الاتفاق المعقودة فى نطاق الجامعة
أثناء الأعوام العشرة الأولى من حياتها

معاهدة الصداقة بين مصر واليمن ،
٢٧ من سبتمبر ١٩٤٥ :

بعد انقضاء ستة أشهر على توقيع ميثاق الجامعة عقدت مصر مع اليمن معاهدة فى ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٥ نصت مقدمتها على أن الطرفين « رغبة منهما فى تقوية ما بينهما من الرابط وتوثيق عرى الصداقة والمودة قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها علاقاتهما الودية » ثم نصت المعاهدة على أن :

١ ــ يحافظ كل من الطرفين المتعاقدين على حسن العلاقات بينهما ويوثق أواصر المودة والصداقة التى تربط رعاياه برعايا الطرف الآخر ، ويمنع بكل ما لديه من الوسائل أى عمل فى بلاده ضد السلم والسكينة فى بلاد الطرف الآخر .

٢ ــ تنشأ بين الطرفين المتعاقدين علاقات التمثيل الدبلوماسى والقنصلى عند اتفاقهما فى الوقت المناسب ، ويعامل الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لكل طرف لدى الطرف الآخر وفقا للأصول المرعية فى القانون الدولى العام وذلك على أساس التبادل .

٣ ــ قد وافق الطرفان المتعاقدان على عقد إتفاق تجارى مؤقت وفقا للكتابين الملحقين بهذه المعاهدة » .

المعاهدة الثقافية العربية ، ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٥ :

بتاريخ ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٥ أقر مجلس الجامعة المعاهدة الثقافية بين الدول الموقعة على الميثاق وهى المعاهدة التى وقعتها ـ فى الفترة بين ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٦ و٢٠ من مايو ١٩٤٧ ـ سوريا ولبنان والعراق ومصر والتى كان أهم ما راعته :

ـ تبادل المدرسين والأساتذة والموظفين الفنيين بين البلاد العربية •

ـ توثيق الصلات والتعاون بين العلماء والأدباء ورجال الصحافة وأهل الفن والتمثيل والموسيقى والاذاعة فى البلاد العربية •

ـ تشجيع الرحلات الثقافية والرياضية بين البلاد العربية •

ـ توثيق الصلات بين المعاهد العالية والتعليمية لتستفيد كل منها من طرائق الأخرى وأعمالها وتضع وسائل بحثها العلمى ومختبراتها تحت تصرف علماء البلاد الأخرى •

ـ توثيق الصلات بين دور الكتب والمتاحف وتبادل النسخ المكررة فى محتوياتها وتنظيم استفادة بعضها من بعض بالتصوير والاستعارة •

ـ احيـاء التراث الفـكرى والفنى العـربى والمحافظة عليه ونشره وتيسيره للراغبين •

ـ تنشيط الجهود التى تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية وتنشيط الانتاج الفكرى فى البلاد العربية •

ـ انشاء معاهد للبحث العلمى والأدبى •

ـ اقامة معارض دورية للفنون والمنتجات الأدبية ومهرجانات عامة ومدرسية •

ـ العمل للوصـــول باللغة العربية الى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث » •

وقد اســتهدفت هذه المعاهدة الثقافية توحيـد الاتجاه التعليمى والتربوى ونصت على تعادل مراحل التعليم فى البلاد العربية وشهاداتها وعلى أن تدخل دول الجامعة فى مناهجها التعليمية ، من تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها وادبها ، ما يكفى لتكوين فكرة واضحة عن حياة هذه البلاد وحضارتها مما يعطى الناشئة قوة معنوية ينتفعون بها فى وحدة اتجاهاتهم ومشاعرهم •

وكونت الادارة التى تضطلع بتنفيذ هذا البرنامج من :

ـ اللجنة الثقافية لوضع الانظمة ٠

ـ المكتب الدائم للجنة الثقافية للتعبير عن رغبات البلاد العربية فى تنفيذ تلك الانظمة ووضع مشروعاتها ٠

ـ الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية كمركز لتنظيم المشروعات ووسائل تنفيذها ٠

ـ الشعب القومية فى البلاد العربية وهى أداة العمل فى كل بلد عربى ٠ (١)

وقد انقضت هذه المعاهدة وحل محلها ميثاق الوحدة الثقافية ودستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اللذان وافق عليهما مجلس الجامعة فى ٢١ من مايو ١٩٦٤ كما سوف نرى ٠

معهد الوثائق العربية ١٩٤٦ :

وقد أسست جامعة الدول العربية فى منتصف عام ١٩٤٦ « معهد احياء المخطوطات العربية » بعد أن تبين القائمون على الادارة الثقافية أن عدد المخطوطات العربية المبعثرة فى أنحاء العالم يبلغ نحو مليون كتاب مخطوط ووضع هذا المعهد خطة لتحقيق غرضه تتلخص فى :

ـ انتخاب القيم من الكتب الموصـــوفة وصفا دقيقا صـحيحا فى الفهارس المطبوعة ليستقر الرأى على تصوير ما ينبغى تصويره منها ٠

ـ ان يعهد الى مراسلين اخصائيين فى أنحاء العالم بالرجوع الى دور الكتب التى لم تفهرس فهرسة جيدة لينتخبوا منها ما يجدونه قيما ويصفوه وصفا وافيا فيقابل بغيره ويستقر الرأى على تصوير ما يحسن منه ٠

ـ أما البلاد التى يصعب وجود الاخصائيين فيها أو البعيدة عن مقر معهد المخطوطات فترسل اليها بعثـات من الخبراء فى الكتب يدرســـون المخطوطات التى فيها ويصفون ما عساهم أن يستحسنوه منها ٠

ـ معرفة أحسن ما ألف العرب فى مواد العلم والآدب والفن ليكون أصلا يرجع اليه فى الانتخاب النهائى وحين تصوير الكتب النفيسة » ٠

---

(١) « نظرة عامة فى الاعمال الثقافية لجامعة الدول العربية » ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨ ، ص ٦ ـ ٧ ٠

وقد اجتمع لدى الادارة الثقافية نحو من خمسة آلاف اسم لكتب اشتهرت عند القدماء بنفاستها . (٢)

المؤتمر العربى الثقافى ومؤتمر الآثار ، سبتمبر ١٩٤٧ : العروبة ليست مقتصرة على دين معين :

وفى المدة من ٢ الى ١٠ من سبتمبر عام ١٩٤٧ عقد المؤتمر الثقافى الاول الذى نظمته اللجنة الثقافية فى « بيت مرى » والذى حضره ممثلو دول الجامعة ومشتركون آخرون من المثقفين بلغ عددهم مائتين وأصدرت القرارات الآتية :

« التوكيد فى الدراسات الابتدائية والثانوية أن العروبة لم تكن فى الماضى ولا فى الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان وأن التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قويا فى الماضى كما كان كذلك فى النهضة العربية الحديثة ، ولم يفرق اختلاف الاديان بين العرب الا فى العصور التى سادها الحكم الأجنبى ، لهذا ينبغى العناية ببث روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف وان التطور العالمى سائر نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطور» .

وقد وافق مجلس الجامعة على هذه القرارات .

وفى المدة من ١٣ الى ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٤٧ عقد فى دمشق المؤتمر الاثرى الاول وكان أهم ما أصدره من قرارات أن تعمل جامعة الدول العربية على تأليف هيئة من المؤسسات العلمية الاثرية فى الدول العربية المختلفة لتقوم بأعمال التنقيب ، وأن تعمل على أن تحصل على اذن حكومتى جلالتى ملك اليمن وملك المملكة العربية السعودية بأن تبدأ هذه الهيئة عملها بدراسة الاثار فى هاتين المملكتين واقتراح ما يلزم للقيام بأعمال التنقيب فيهما ، نظرا لمكانة تاريخ اليمن والبلاد العربية فى تاريخ الامة العربية . كما قرر هذا المؤتمر :

— أن تتبادل المطبوعات فى الاثار والصور ونماذج التحف والخرائط وغير ذلك من الاسانيد فى البلاد العربية .

— أن يتبادل الاختصاصيون فى الاثار بين دول الجامعة العربية فى فترات مختلفة وأن يزور الاختصاصيون فى هذه الدول المختلفة حقول الحفر والتنقيب عند الدول الاخرى .

---

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

ـ أن تعمل سلطات الاثار فى بلاد الجامعة العربية على تبادل التحف التى يمكن الاستغناء عنها وذلك لامكان تمثيل مختلف الطرز الفنية فى متاحف تلك الدول ٠

ـ أن تعمل دول الجامعة العربية على انشاء متحف فى أحداها أو فى كلها خاص بازياء الدول العربية ومظاهر حضارتها فى العصور الحديثة ٠

الجامعة وعروبة فلسطين ، مايو ١٩٤٨ :

وفى ١٥ من مايو ١٩٤٨ ـ وبعد أن اضطربت الأحوال فى فلسطين عقب تخلى بريطانيا عن التزاماتها بمقتضى نصوص الانتداب من عصبة الأمم ـ اتخذت دول الجامعة العربية ، اجراء حربيا جماعيا لرد اعتداء الصهيونيين على أرض فلسطين العربية ٠ وقد جاء فى رسالة موجهة من أمين عام الجامعة الى أمين عام هيئة الامم المتحدة أن الاضطرابات الحالية فى فلسطين تكون تهديدا جديا ومباشرا للسلم وللامن فى داخل أراضى الدول العربية نفسها ٠ ولهذه الاسباب رأت الحكومات العربية نفسها مضطرة الى التدخل باعتبار أن أمن فلسطين أمانة مقدسة لديها وبغرض وقف كل تدهور جديد للاحوال الراهنة ومنع امتداد الاضطرابات والفوضى الى الاراضى العربية المجاورة ولسد الفراغ الذى نشأ بانتهاء مدة الانتداب وهو فراغ لم يتيسر سده بسلطة مكونة تكوينا شرعيا ٠ وهدف هذه الحكومات العربية الوحيد اعادة السلم والامن وعلاء حكم القانون والنظام فى فلسطين ٠

مشروع تعاون عربى مع الهيئات الدولية غير الحكومية ابريل ـ مايو ١٩٤٩ :

وفى مارس عام ١٩٤٩ ، أوفدت الامانة العامة للجامعة أحد المعنيين بالشئون العربية الى مقر الامم المتحدة فى « ليك سكسيس » بالولايات المتحدة الامريكية لاستخدام ما يمكن استخدامه من وسائل الاعلام لعرض قضية اللاجئين العرب الفلسطينيين على الضمير العالمى ٠ وقد قدم عقب عودته تقريرا عن مهمته الى الامانة العامة تضمن ما تبينه من أوجه النقص فى الدعاية للدول العربية والاعلام عن عدالة قضاياها ٠ وجاء فى هذا التقرير بشأن « الهيئات غير الحكومية » كأداة من أدوات الاعلان أن :

« الهيئات الدولية غير الحكومية » المعتمدة من المجلس الاقتصادى

والاجتماعى كهيئات استشارية لهذا المجلس ، مقسمة الى ثلاث طوائف وهى :

أ ـ الهيئات التى توجه أكبر اهتمامها الى معظم نواحى نشـــاط المجلس والتى لها صلات وثيقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للمناطق التى تمثلها ٠

ب ـ الهيئات التى لها اختصاص معين والتى تهتم على وجه الخصوص ببعض نواحى نشاط المجلس ٠

ج ـ الهيئات التى تهتم على الاخص بتطور الرأى العـــام ونشر الاعـلام ٠

وقد اقترح التقرير أن تعمل جامعة الدول العـربية ، بالتعاون مع الهيئات غير الحكومية على اعطاء طابع « دولى » فى نطاق الدول العربية ، للجمعيات الاقتصادية والاجتماعية ، وما يماثل هذه الجمعيات فى ســائر الدول العربية ، فاذا ما استكملت هـذه الهيئات غير الحكومية طابعها « الدولى » أى ان يمتد نشاطها الى مجموعة دول عربية ، واذا ما نسقت صلاتها بما يماثلها من جمعيات فى غير الدول العربية ، فانها تستطيع أن تعتمد كهيئات استشارية لدى المجلس الاقتصادى والاجتماعى تحت الطائفتين (ب) أو (ج) ، كما أن جامعة الدول العربية تستطيع ان تدعم اقسامها الاقتصادية والاجتماعية هيئات غير حكومية تدرج تحت الطائفة(أ)، لأن هذه الجامعة وان كانت جامعة حكومات ، الا أن نشاطها الاقتصـادى والاجتماعى يمكن أن يتخذ صبغة غير حكومية ٠ ولا شك أن لدى جامعة الدول العربية من الوســائل ما يمكنها من تنســيق صلتها بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى الذى تعد لجانه الرئيسية ولجانه الاقليمية معظم مشاريع القرارات التى تعرض على الجمعية العامة للامم المتحدة ٠

وأن الدول العربية تستطيع أن تسمع صوتها عاليا بواسطة هيئاتها غير الحكومية اذا ما اعتمدت كهيئات استشارية ـ أى فى نطاق المادة ٧١ من ميثاق الامم المتحدة ـ الى جانب اصوات وفود الدول العربية فى الامم المتحدة ، بل أن هذه الهيئات غير الحكومية تستطيع بتحررها من القيود الحكومية ، أن تحقق للعرب عن طريق لجان المجلس الاقتصادى والاجتماعى مصالح اقتصادية واجتماعية قد لا يتسع وقت الساسة والدبلوماسيين ورجال القانون من أعضـاء هذه الوفود لتحقيقها أو قد تعوزهم الخبرة الخاصـــة فى تفاصـيل المســـائل الاقتصـادية والاجتماعية عنـد مناقشتها أمام الأمم المتحدة ، وهى خبرة لا شك فى توفرها لدى الهيئات

غير الحكومية المتخصصة فى نوع معين من النشاط الاقتصادى والاجتماعى (١) ٠

معاهدة الدفاع المشترك والتعاون
الاقتصادى بين دول الجامعة ، ١٩٥٠
وانضمام العراق : فبراير ١٩٥١ ٠

بتاريخ ١٣ من ابريل ١٩٥٠ وافق مجلس الجامعة على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة ٠

وفى ١٧ من يونيو عام ١٩٥٠ وقع المعاهدة مندوبو سوريا والمملكة السعودية ولبنان ومصر والمملكة المتوكلية اليمنية ٠ وفى الفترة بين ٣١ من أكتوبر ١٩٥١ و١١ من آكتوبر ١٩٥٣ صدقت على هذه المعاهدة : سوريا ومصر والأردن والعراق والعربية السعودية ولبنان واليمن وهى التى تنص على أن :

« تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو آكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعا ، ولذلك فانها عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانها ، تلتزم بأن تبادر الى معونة الدولة المعتدى عليها ، وبأن تتخذ على الفور منفردة ومجتمعة جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الامن والسلام الى نصابهما » ٠

وتطبيقا لاحكام ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة :

« يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الامن بوقوع الاعتداء وما اتخذ فى صدده من تدابير واجراءات » ٠

ونصت المعاهدة على أن :

« تؤلف لجنة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه ٠

---

(١) محمود كامل ، تقرير مقدم الى أمين عام جامعة الدول العربية فى ٦ من مارس ١٩٥٠ ٠ وكان المؤلف قد أوفدته « الجامعة » لحضور الجزء الثانى من الدورة الثالثة للجمعية العامة للامم المتحدة بنيويورك فى ابريل ـ مايو ١٩٤٩ ٠ كما ان المؤلف ـ كعضو فى مجلس ادارة « الاتحاد العربى » قد تمكن من ادراج اسم « الاتحاد » فى سجل امين عام الامم المتحدة كمنظمة دولية غير حكومية استشارية للمجلس الاقتصادى والاجتماعى من الطائفة (ج) ٠

وتحدد فى ملحق هذه المعاهدة اختصاصات هذه اللجنة الدائمة بما فى ذلك وضع التقارير اللازمة المتضمنة عناصر التعاون والاشتراك بين الدول الموقعة على المعاهدة ٠

وترفع هذه اللجنة الدائمة تقاريرها عما يدخل فى دائرة اعمالها الى مجلس الدفاع المشترك ٠

ومما يثير الاهتمام ما نصت عليه المعاهدة من أنه :

« يؤلف تحت اشراف مجلس الجامعة مجلس للدفاع المشترك يختص بجميع الشئون المتعلقة بتنفيذ أحكام المواد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من هذه المعاهدة ويستعين على ذلك باللجنة العسكرية الدائمة المشار اليها ٠

ويتكون مجلس الدفاع المشترك المشار اليه من وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم ، وما يقرره المجلس بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزما لجميع الدول المتعاقدة » مما يكشف عن اتجاه « فيدرالى » استثناء من القاعدة « الكونفيدرالية » التى يقوم عليها ميثاق جامعة الدول العربية والتى تتطلب الاجماع لصحة القرارات ٠

كما نصت المعاهدة على ما يأتى :

« ينشأ مجلس اقتصادى من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشئون الاقتصادية أو من يمثلونهم عند الضرورة لكى يقترح على حكومات تلك الدول ما يراه كفيلا بتحقيق الاغراض المبينة فى المادة السابقة ٠

وللمجلس المذكور ان يستعين فى أعماله بلجنة الشئون الاقتصادية والمالية المشار اليها فى ميثاق جامعة الدول العربية » ٠ (١)

وقد ارجأ ممثل العراق التوقيع على المعاهدة بسبب اقتراح دولته الخاص بتأليف هيئة استشارية من رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ٠

---

(١) نص الملحق العسكرى لهذه المعاهدة على أن تختص اللجنة العسكرية الدائمة بالأمور الآتية :

(أ) اعداد الخطط العسكرية لمواجهة جميع الأخطار المتوقعة أو أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول المتعاقدة أو على قواتها وتستند فى اعداد هذه الخطط على الأسس التى يقررها مجلس الدفاع المشترك ٠

(ب) تقديم المقترحات لتنظيم قوات الدول المتعاقدة ولتعيين الحد الأدنى حسبما تمليه المقتضيات الحربية وتساعد عليه امكانيات كل دولة ٠

وأثبت ممثل المملكة المتوكلية اليمنية التحفظ التالى عند التوقيع :

أولا — لا تعتبر اليمن الاعتداء اعتداء على أية دولة من الدول العربية الا اذا كان الاعتداء لذات الدولة لا لارتباطها بمعاهدة واتفاقيات مع أية دولة أخرى ولا لوجود جيش أجنبى فى اراضيها لاى سبب آخر ٠

قررت اليمن ألا تعتبر قرارات مجلس الدفاع المشترك نافذة عليها الا اذا وافقت على تلك القرارات وذلك باعتبار موقعها الجغرافى وامكانياتها العامة واعتباراتها الخاصة ٠ ثم صدقت اليمن بعد ذلك فى ١١ من أكتوبر ١٩٥٣ كما أشرنا ٠

وفى ٢ من فبراير عام ١٩٥١ عندما وقفت العراق على هذه المعاهدة وعلى ملحقها العسكرى أثبت رئيس وزرائها التصريح التالى عند توقيعه :

« ازاء ما ورد فى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية من أن تهيئة الوســـائل الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح تكون بحسب موارد كل دولة وحاجاتها ٠

وازاء ما ورد فى نفس المعاهدة من أن ما يقرره مجلس الدفاع المشترك بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزما لجميع الدول المتعاقدة ٠

« فان المفهوم أن حكم هذه الفقرة الاخيرة لا يسرى فى شأن تهيئة الوسائل الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح ، اذ ان لهذا الشأن حكما خاصا » ٠ ثم صدقت العراق بعد ذلك فى ٧ من أغســـطس ١٩٥٢ على هذه المعاهدة كما أشرنا ٠

= (جـ) تقديم المقترحات لزيادة كفـاية قوات الدول المتعـاقدة من حيث تسـليحها وتنظيمها وتدريبها لتتمشى مع أحدث الأساليب والتطورات وتنسيق كل ذلك وتوحيده ٠

(د) تقـديم المقترحات لاسـتثمار موارد الدول المتعـاقدة الطبيعيـة والصناعية والزراعية وغيرها وتنسيقها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك ٠

(هـ) تنظيم تبادل البعثات التدريبية وتهيئة الخطط للتمارين المشتركة بين قوات الدول المتعاقدة والبلوغ بكفايتها الى أعلى درجة ٠

(و) اعداد المعلومات والاحصائيات اللازمة عن موارد الدول المتعاقدة وامكانياتها الحربية ومقدرة قواتها فى المجهود الحربى المشترك ٠

(ز) بحث التسهيلات والمساعدات المختلفة التى يمكن أن يطلب الى كل من الدول المتعاقدة ان تقدمها وقت الحرب الى جيـوش الدول المتعـاقدة الأخـرى العـاملة فى أراضيها تنفيذا لأحكام هذه المعاهدة ٠

دعوة بريطانية ـ فرنسية ـ تركية ـ امريكية لاشتراك عربى فى هيئة قيادة الشرق الاوسط ، ١٣ من اكتوبر ١٩٥١ :

وفى ١٣ من أكتوبر ١٩٥١ وجهت بريطانيا وفرنسا وتركيا والولايات المتحدة الامريكية دعوة الى مصر لتشترك فى هيئة قيادة جديدة للشرق الأوسط . وقد رفضت مصر تلك الدعوة وقرر أحد أساتذة العلوم السياسية الامريكيين فى تبرير هذا الرفض ان التحليل النهائى يقضى بأن الدول الغربية من جانب ومصر من جانب آخر كانا على طرفى نقيض . فالحلفاء كانوا متلهفين على تقوية دفاعهم ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بينما كانت مصر متلهفة على التخلص من كل سيطرة أجنبية ولذلك لم يكن هناك مناص من رفض مصر لعرض الدول الاربع . (١)

مذكرة سوريا تهدف الى اتحاد « فيديرالى » بين الدول العربية ١٩٥١ :

وفى نفس العام ـ أى عام ١٩٥١ ـ قدم رئيس وزراء سوريا اذ ذاك ـ مذكرة الى جامعة الدول العربية ـ جاء فيها :

« نرى لزاما اقتراح مشروع عملى يشمل الدول العربية جميعا ويكفل التوحيد فى السياسة الخارجية وفى الدفاع القومى والاقتصادى والمرافق الرئيسية ويكون بنظر الرأى العام العربى وبنظر الكتل العالمية موضع اهتمام وأمل أو خشية .

ويدل التاريخ القريب أن لهذه الوسيلة العملية ثلاثة أشكال :

أولها قيام الدولة المتحدة العربية وهى المثل الأعلى لكل عربى ، وقد أثبتت حوادث القرنين الماضيين صلاحه وتأثيره فى أمم أوروبا وامريكا وهو ليس بدعا فى تاريخ العرب فقد كانوا لاثنى عشر قرنا دولة واحدة وهذه أقوى من الدول المتحدة .

أما الشكل الثانى وهو أقل أثرا من الاول فى نتائجه كما أثبت التاريخ فهو الاتحاد بين الدول العربية .

---

(١) « هورويتز » ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

والشكل الثالث وهو أضعفها هو « الكونيفدراسيون » ٠

وانا اذ نتقدم بهذه الاقتراحات نعلن بأننا بأرجحية الشكل الاول حتما ، واذا كنا أشرنا الى الشكلين الثاني والثالث فذلك دفعا للصعوبات والعقبات التي قد تعترض سبيل الاول أو تؤدى الى البحث في الشكلين الآخرين ٠

مؤتمر وزراء المال والاقتصاد العرب ،
بيروت مايو ١٩٥٣ :

دعت الامانة العامة لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر يضم وزراء المال والاقتصاد في دول الجامعة لتنسيق التعاون الاقتصادى العربى ، وذلك تحقيقا لما نص عليه ميثاق الجامعة من وجوب قيام تعاون وثيق بين دولها فى الشـــئون الاقتصـــادية والمالية ، ورغبة في تنظيم العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية تنظيما يؤدى الى التعاون في شتى الميادين الاقتصادية على أوسع نطاق ممكن ٠

وقد اجتمع المؤتمر في الخامس والعشرين من أيار (مايو) فى بيروت برعاية رئيس الجمهورية اللبنانية وقدمت الحكومة اللبنانية كافة المساعدات وتهيئة الوسائل اللازمة لنجاحه ٠

وقد تضمن جدول أعمال هذا المؤتمر المواضيع الآتية :

ـ تيســـير تبادل الانتاج الزراعي والحيوانى والصناعى بين البلاد العربية على أساس الافضلية ٠

ـ تجارة الترانزيت ٠

ـ حرية انتقال رؤوس الاموال والاشخاص من رعايا دول الجامعة العربية ٠

ـ انشاء مؤسسة مالية مشتركة لتمويل المشروعات العربية ٠

ـ انشاء شركة ملاحة عربية ٠

ـ تنسيق السياســـة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية تمهيدا لوحدة الكيان الاقتصادى العربى ٠

ـ استغلال أملاح البحر الميت ٠

اتفاقية تسهيل التبادل التجارى بين
دول الجامعة العربية ، سبتمبر ١٩٥٣ :

وفى ٧ من سبتمبر ١٥٩٣ وقعت دول الجامعة على اتفاقية بشـــأن تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت جاء فى ديباجتها أن « الدول رغبة منها فى تنمية الروابط الاقتصادية وتحقيقا لما نص عليه ميثاق جامعة الدول العربية من وجوب قيام تعاون وثيق بين دول الجامعة فى الشئون الاقتصـادية والمالية بمافى ذلك تســـهيل التبادل التجارى والجمارك وأمور الزراعة والصناعة » ٠

ونصت هذه الاتفاقية على اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية المدرجة بجدول ملحق من رسوم الاستيراد الجمركية على أن يكون منشؤها أحد بلدان الاطراف المتعاقدة ٠ كما نصت على أن :

« تعامل المنتجات الصناعية العربية والتى يكون منشؤها أحد بلدان الاطراف المتعاقدة والمدرجة فى جدول ملحق بهذه الاتفاقية معاملة تفضيلية فيما يتعلق برسوم الاستيراد الجمركية ، فتخضـــع الى تعريفه جمركية مخفضة بنسبة ٢٥ ٪ من التعريفة المطبقة فى البلد العربى المستورد »

وفى نفس اليوم وقعت دول الجامعة اتفاقية بشأن تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية ٠

مذكرة عراقية الى الجامعـة العربية
تقر بأن اتحاد الشـعوب العربية
ضرورة للشعب العربى ، يناير ١٩٥٤

وفى يناير عام ١٩٥٤ قدم رئيس وفـد العراق الى جامعة الدول العربية مذكرة جاء فيها :

١ ــ لم يعد اتحاد الشعوب العربية خيالا يداعب مخيلة المعنيين بالمثل العليا بل أصبح ضرورة قومية لازمة للأمة العربية كافة يتوقف عليها وجودها كما يتوقف عليها فى الوقت نفسه القدرة الأكيدة على درء الأخطار التى تحدق بالأمة العربية وحل المشاكل التى تواجهها ٠

٢ ــ وعليه فان الواجب على الدول ذات الممكنات الراهنة لتحقيق الاتحاد أن تسرع فورا وان تمضى قدما على أن تســاعدها الدول الاخرى ريثما تستطيع بدورها الانضمام الى هذا الاتحاد بصورة طبيعية ٠

٣ — ولاشك فى أن أى اتحاد يتم بين دولة وأكثر يجب أن ينبعث عن قناعة شعوب تلك البلاد وحكوماتها بما تمليه وحدة المصالح والاهداف ولا يجوز السير بالاتحاد على أسس غير ديمقراطية ونحن مطمئنون الى أن شعوب الدول العربية سائرة عاجلا أم آجلا نحو هذه الغاية ٠

موقف موحد فى مواجهة مشاكل معينة
مؤتمر القمة العربى الأول انشاص ، ١٩٤٦
المتسم بطابع اجتماعى سياسى

وهناك بضعة أمثلة يمكن أن تدل على التعاون العربى المتسم بطابع اجتماعى سياسى فى مواجهة مشاكل تمس دولة عربية أو عددا من الدول العربية خلال الأعوام العشرة الأولى من حياة الجامعة :

(أ) ففى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ وجهت مصر مذكرة الى بريطانيا العظمى قررت فيها أن المعاهدة المصرية — البريطانية التى كانت قد عقدت فى عام ١٩٣٦ قد استنفدت أغراضها فسارعت « الجامعة » الى تأييد هذا الموقف المصرى بقرارها رقمى ٢٣ ، ٢٤ الصادرين فى ٢٥ من مارس ١٩٤٦ ، كما أن قرار « الجامعة » رقم ٢٥ دعا كل دولة من الدول الاعضاء الى تأييد موقف مصر تأييدا « شخصيا » ، ودعى مؤتمر القمة العربى الاول للانعقاد بأنشاص (مصر) فى ٢٨ ، ٢٩ من مارس ١٩٤٦ لاعلان هذا التأييد ، ، فلما ألغت مصر معاهدة ١٩٣٦ فى ٨ من اكتوبر ١٩٥١ كررت « الجامعة » بقرارها رقم ٣٨٨ مطالبتها بوحدة وادى النيل وبجلاء القوات البريطانية التام عن مصر ٠

(ب) فى ١١ من يونية ١٩٤٦ أوضحت « الجامعة » بقرارها رقم ٦٣ رغبة الدول الاعضاء فى أن تحتفظ البلاد العربية التى لم تكن قد أنضمت الى عضوية « الجامعة » بحريتها فى العمل لكى تمكن هذه البلاد من الحصول على استقلالها أو من الاندماج فى الامة العربية التى تعد شعوب هذه البلاد جزء منها ٠

(ج) عندما القى سلطان مراكش خطابه فى ٩ من ابريل ١٩٤٧ بطنجه الذى أعلن فيه استقلال بلاده بادر أمين عام « الجامعة » فأبرق الى السلطان مؤكدا تأييده التام له ، ويعود الفضل الى « الجامعة » فى تمكين « مكتب المغرب العربى » من العمل فى القاهرة لتوحيد صف قادة الحركات الوطنية فى تونس والجزائر ومراكش ٠

(د) أوفدت « الجامعة » ـ عقب مقتل ملك اليمن فى عام ١٩٤٨ ـ لجنة مكونة من ممثل عن كل دولة من الدول الاعضـاء وأمين عام الجامعة لتقوم بدراسة الوضع فى اليمن كدولة من اعضاء « الجامعة » ، وقد أوصت اللجنة السياسية فى اجتماعها بتاريخ ١٧ من مارس ١٩٤٨ بوجوب ادخال اصلاحات معينة فى اليمن وبدعوة الدول الاعضاء الى المساعدة فى تحقيق هذه الاصلاحات ٠

(هـ) لمواجهة قرار الحكومة البريطانية بانشاء اتحاد « فيديرالى » من السلطنات والامارات والشـياخات فى محمية عدن التى تعرف تاريخيا باسم « الجنوب اليمنى » ـ وجهت « الجامعة » فى عام ١٩٥٤ احتجاجا الى الحكومة البريطانية أوضحت فيه تأييدها لليمن ، وفى ضوء تحقيق أجرته بعثة أوفدتها « الجامعة » الى منطقة النزاع أوضحت « الجامعة » بقرارها رقم ٣٥٠ فى ٣ من ابريل ١٩٥٤ انها على استعداد ـ بالاتفاق مع اليمن ـ لان تقدم كل مساعدة ضرورية لدعم موقفها ولوحدة أراضيها ٠

وقد أصدرت « الجامعة » ، ايضا ، عدة قرارات دالة على موقف موحد فى مواجهة مشاكل دولية لا ترتبط ارتباطا مباشرا بالشئون العربية ، وهذه القرارات يمكن أن تترك الانطباع بأن « الجامعة » تتبع بانتظام سياسـة دولية منسقة ، وفى دراسة عن « الجامعة » ابرزت القرارات التالية كأمثلة على هذه السياسة :

استقلال اندونسيا رغم أن هذه الدولة ليست دولة عربية وان كانت دولة اسلامية كما أنها لم تكن قد انشـأت أية علاقات مع « الجامعـة » (قرار ٨ من ابريل ١٩٤٦) ، الاعتراف بحكومة كوريا (٢٩ من مارس ١٩٥٠) ، تأييد انضمام النمسا الى منظمة الصحة العالمية (٩ من ابريل ١٩٥٣) تأييد كينيا فى كفاحها الوطنى (٧ من سبتمبر ١٩٥٣) ، الاهتمام بالاحداث فى فيتنام (٢٥ من اكتوبر ١٩٥٦) ، وقد أشير الى المجموعة الافرو ـ آسـيوية للمرة الاولى فى قرار من قراراتها الاولى الخاصـة باستقلال مراكش (٩ من أبريل ١٩٥٣). ثم عادت « الجامعة » الى اصدار توصيات بانشاء علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وثيقة مع الدول الافرو ـ آسيوية ، والى دعوة أعضائها الى الاشتراك دوريا فى اجتماعات مشتركة مع هذه الدول داخل نطاق الأمم المتحدة (٢١ من يناير ١٩٥٤ ، ٣١ من مارس ١٩٥٥) ٠

وقد أبرز واضح هذه الدراسة أن من ثمار تكوين هـــذه المجموعة الافرو ـ آسيوية فى الأمم المتحدة إن اشتركت « الجامعة » فى « مؤتمر باندونج » • رغم أن هذا الاشتراك لم يكن فعالا الى درجة كافية لأن أمين عام الجامعة اشترك فى المؤتمر المذكور كعضـــو فى وفد مصر ، ومفتى فلسطين حضر ذلك المؤتمر كعضو فى وفد اليمن ، كما أن ممثلى بلاد المغرب العربى الثلاثة مراكش والجزائر وتونس حضروا كأعضاء فى وفد العراق •

وخلال دورات انعقاد « الجامعـــة » المتتاليه اتخذت قرارات عديدة بشأن تنسيق عمل الدول اعضائها فى مختلف المنظمات الدولية ، وهـــذه الجبهة المتحدة التى تضم الآن ثمانية عشر (أصبحت عشرين) صوتا فى بعض المنظمات الدولية ميزة هامة استخدمتها الجامعة استخداما كاملا • (١)

الخلاصة :

بين توقيع بروتوكول الاسكندرية (أكتوبر ١٩٤٤) وحرب السويس (نوفمبر ١٩٥٦) نشأ وعى جديد بالعروبة فى العالم العربى • وقد تمثل هذا الوعى فى اقتناع « المواطن » العربى بانتمائه الى أمة واحدة : « الأمة العربية » على اختلاف شكل الجماعة التى يعيش فيها : ملكية ، أو جمهورية أو حتى محمية لم تستكمل بعد استقلالها • فقد عاش العرب خلال هذه الفترة تحت زخم الاصلاحات التربوية التى رفعت مستوى التعليم فى كثير من أنحاء العالم العربى ، واعلان الدســـاتير العربية التى أكدت كل منها أن الدولة التى أصدرته جزء من الوطن العربى وأن شعب هذه الدولة جزء من « الأمة العربية » ، وهو ما سوف نعود اليه فى الفصل الرابع من هـــذا القسم ، والكفاح المشـــترك الذى اضطلعت به الدول العربية أعضاء الأمم المتحدة لتحرير بلاد المغرب العربى وهو ما ســـوف نعود اليه فى الفصل الثالث من هذا القسم ، والتوسع الضخم فى وسائل الاعلام التى تدعم القضايا العربية وتنادى بالعروبة بين صحف ومجلات وصل عـــدد المطبوع منها الى أرقام قياسية ، واذاعة بما فى ذلك « صوت العرب » الذى

---

(١) ب•ب• غالى « الجامعة العربية » بالانجليزية ، القاهرة ؛ المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٦٩ ؛ المجلد ٢٥ ؛ ص ١٠١ •

كان ينطلق من القاهرة ويدوى فى كافة أرجاء العالم العربى ليجمع العرب ـ على اختـــلاف مناطقهم الجغرافية ونظمهم السياسية وعقائدهم الدينية وأوضاعهم الاقتصادية ـ حول أجهزة الاستماع • وقد تزايد حجم هــذه الوسائل الاعلامية وتضخم حتى وصل ـ خلال بضعة أعوام قليلة ـ الى مستوى لم يســـبق له مثيل • تحت زخم كل هـــذه العناصر اكتشف « المواطن » العربى ـ من خـلال هـذا الوعى العربى ـ « ايديولوجية » ديموقراطية عربية ، وهـــذه « الأيديولوجية » ـ كمـــا تقرر قواعد علم الاجتماع السياسى ـ « تنتج من صـــهر واتحاد ثلاثة تيارات مختلفة • ومتميزة : فكرة سيادة الشعب ، وفكرة المســـاواة ، وفكرة الحـــرية الفردية » (١) •

واذا بحثنا عن الظروف التى توائم استكمال هـــذه الديموقراطية المستوحاة من العروبة لوجدنا ـ ونحن فى ذلك نهتدى دائما بما قـــرره علماء الاجتماع السياسى ـ أننا نستطيع التمييز بين ثلاثة أنواع من هذه الظروف • فهنـــاك ، أولا ، الظروف « المورفولوجية » أى التركيبـــات الخاصة بالجماعات الانســانية أو الســكانية ••• فتزايد حجم الجماعات الانسانية يقترن عادة بتقدم نحو تحقيق المساواة بين أفراد هذه الجماعات •• ويجب أولا ان ندرك أن اتساع وامتداد المجتمعات الآهلة يساعدنا على أن نعتنق فكرة وجود جماعة انسانية • يمثلها جميع من يعيشون فيها • ونحن منهم ••• ولكن التطور نحو الديموقراطية يتوقف ، أيضـــا ، على ظروف اقتصادية ترتبط بها الى حد ما الظروف «المورفولوجية» التى أشرنا اليها ••• فعلى امتداد التاريخ الاثينى كله ثبت أن هناك صلة دائمة بين تقدم الصناعة والتجارة وتقدم الديموقراطية •••• والحرية لم تعد الى الظهور فى العهد الاقطاعى ـ بأوروبا ـ الا بعد نشوء مصدر من مصادر الثروة والنفوذ الاقتصادى ، غير الاراضى ، وهذا المصدر الجديد هو التجارة التى ركزت النقود التى حققتها أرباح هذا المصدر بين أيدى التجار ••• وأخيرا يجب أن نحسب أيضا حساب العوامل « الايديولوجية » أو العقائد الجماعية التى وان لم تكن من الأسباب الرئيسية (فى ارساء قواعد الديموقراطية وتطويرها) فهى من الأسباب الفعالة ، وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بعقائد

---

(١) Armand Cuvillier : Manuel de Sociologie, tome 2 (Sociologie Politique), Presses Universitaires. باريس ، ١٩٦٨ ، ص ٦٣٤ •

دينية أو مذاهب سـيـاسـيـة ، وهمـا طائفتان تبدوان ، احيـانا ، متشابهتين (١) ·

ان الشعوب العربية تمثل ، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وبخاصة عبر الفترة من ١٩٤٤ الى ١٩٥٦ ، تطبيقا يؤكد هذه المذاهب الاجتماعية ــ السياسية التى سبق تلخيصها · فوعى العروبة قد غذاه · ونماه · التزايد السريع الذى ربما كان قياسيا فى حجم الشعوب العربية ، واكتشـاف المصادر المعدنية ذات الموارد الضخمة (وخاصة البترول) فى عدة بلاد عربية ، وتقدم الصناعة والتجارة ، ووسائل المواصلات (جوا وبحرا) وأخيرا نضوج الاتجاهات العقائدية للجماعة العربية · دينية وسياسية ، وابراز أواصر القربى التاريخية والعرقية ··· وتبلورت هذه العوامل كلها فى الاستجابة الاجماعية الى نداء (العروبة) ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣٦ ــ ٦٤٠ ·

الفصل الثالث

كفاح الجامعة « الكونفيدرالى » في سبيل استقلال المغرب العربى

يجمع المؤرخون والدارسون الاجتماعيون للمغرب على أن الاستعمار قد فصل عرب المشرق عن عرب المغرب ، فصلا مصطنعا · يكاد يجافى الطبيعة · (١)

استرد المشرق العربى استقلاله في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وظلت بلاد المغرب العربى ـ الاسلامى الخمس ترزح تحت السيطرة الأجنبية ، واستردت ليبيا ـ لظروف خاصة ـ استقلالها بمساعدة « الجامعة العربية » في عام ١٩٤٥ ولكن البلاد الأربعة الأخرى ، تونس والجزائر ومراكش وموريتانيا ، واصلت كفاحها في سبيل تحررها ، وتوجه قادة حركات التحرير في المغرب الى عرب المشرق معتمدين على مساعدتهم لتحقيق الهدف المشترك ، وهو التحرر من السيطرة الأجنبية ، ومستوحين هذه المساعده من العوامل الاجتماعية ـ السياسية التى توحد الشعوب العربية في المشرق والمغرب معا ، وكما أشرنا سابقا ، فان هذه العوامل الاجتماعية ـ السياسية نفسها هى التى قدمت العناصر الأساسية لفكرة التجمع العربى التى أكدها ميثاق المؤتمر العربى بالقدس (١٩٣١) الذى نادى

(١) ابن يوسف ، باريس ، ١٩٧٢ ؛ ص ٢٢ Recherches des fondements économiques de l'intégration au Maghreb ; L'Unité Maghrébine, C.N.R.S.

بوجوب تضافر الجهود العربية لتحقيق استقلال ووحدة البلاد العربية دون تفرقة بين المشرق والمغرب ، وقد ركز البيان الذى أعلنته اللجنة الوطنية فى سوريا (١٩٣٦) على حدود « الوطن العربى » اذ أوضح انه يمتد من المحيط الأطلسى غربا الى خليج البصرة شرقا ، كما أن قانون « الاتحاد العربى » الذى اتخذ القاهرة مقرا له قد نص صراحة على أن الاقطار العربية هى الى جانب اقطار المشرق : ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وسائر البلاد التى لغتها العربية (الفصل الخامس من القسم الثانى) ، وعلى المستوى الحكومى الدولى لم يتردد رئيس الوزارة السورية ، أثناء الاجتماعات التى سبقت توقيع بروتوكول الاسكندرية (١٩٤٣) ، فى أن يؤكد أن الوحدة العربية يجب أن تشمل كل البلاد العربية كما يوضحها النشيد الوطنى العربى ، أى أن هذا « الوطن العربى » يمتد من دمشق الى بغداد ، ومن نجد الى اليمن والى مصر وتطوان ٠

وقد أبرزت دراسة عن الاتجاهات الوحدوية فى المغرب ان جامعة الدول العربية التى أنشئت فى مارس ١٩٤٥ قد رحبت بعمل فريق من مهاجرى شمال افريقيا الى القاهرة الذين نظموا عقد مؤتمر عن الشمال الافريقى بالاشتراك مع « جبهة الدفاع عن شمال افريقيا » (١٩٤٥) وأن « الجامعة » قد اهتمت مرات عديدة بالمغرب وطالبت بتحريره ٠

وفى فبراير ١٩٤٧ عقد مؤتمر عن المغرب العربى بالقاهرة ولم يكد ينقضى وقت قصير حتى أصبحت هذه المدينة مركز التقاء عدد من رجال السياسة الذين كونوا قبل انقضاء ذلك العام لجنة لتحرير المغرب العربى ٠ (١)

أ ـ الجامعة واستقلال مراكش :

بعد اجتماع عقدته اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى شهر مارس ١٩٥١ بناء على تقارير وضعت عن التدابير العنيفة التى استخدمت لقمع المظاهرات الوطنية فى مراكش قدمت مصر والعراق ولبنان والاردن وسوريا واليمن احتجاجا الى الحكومة الفرنسية التى حاولت تكذيب ما ورد بتلك التقارير ٠ (٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ ـ ١١ ٠

(٢) عبد الحميد خالد ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٤ ، ص ٤١ ٠
The Question of Morocco,

وفى ١٥ من أكتوبر ١٩٥٢ قررت اللجنة العامة بالأمم المتحدة ـ بناء على طلب مصر والعراق ولبنان والعربية السعودية وسوريا واليمن ـ التوصية بادراج المسألة المراكشية فى جدول أعمال الجمعية العامة ·

وفى ١٦ من اكتوبر قررت الجمعية العامة التوصية بادراج المسألة فى جدولها · وفى ١٧ من أكتوبر قررت الجمعية العامة احالة المسألة الى اللجنة الاولى ·

تصريح لبنان أمام الامم المتحدة ، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٢ :

وقد قرر ممثل لبنان أمام هذه اللجنة فى ١٣ من ديسمبر ١٩٥٢ :

« فى عام ١٩٢٤ اعترفت محكمة النقض الفرنسية وهى أعلى الهيئات القضائية الفرنسية بالسيادة المراكشية · وفى عام ١٩٥٢ اعترفت بها محكمة العدل الدولية أعلى الهيئات القضائية الدولية · كما اعترف بها أيضا السيد « شومان » وزير الخارجية الفرنسية أثناء الدورة الحالية للجمعية العامة · وأمام هذا الاعتراف يكون انتهاكها بواسطة سلطة الحماية أساءة لاستعمال الحق · وقد استخدم السيد بوليتيس هذا التعبير فى المحاضرات التى ألقاها عام ١٩٥٢ بأكاديمية القانون الدولى بلاهاى أذ قرر انه اذا استخدمت دولة حرية غير منظمة للاعتداء على حرية مماثلة فى دولة أخرى فان التشاور بينهما لا يتيسر مادام أحد الطرفين متعارضا مع الآخر فى تبرير مسلكه أو لتأييد مطلبه بشأن الحرية التى لا رقابة عليها ·» (١)

تصريح مصر أمام الامم المتحدة ، ١٣ من ديسمبر ١٩٥٢ :

وفى نفس الجلسة صرح ممثل مصر امام نفس اللجنة « لا يجب أن ننسى أن مراكش قبل الحماية وبعدها دولة ذات سيادة · فقد قال الماريشال « ليوتى » (المندوب السامى الفرنسى بمراكش) فى نوفمبر ١٩١٩ كلمته المعروفة : ان مراكش دولة مستقلة ضمنت فرنسا حمايتها ولكنها بقيت تحت سيادة السلطان بوضعها الخاص · وأول شروط الدور الذى على أن أؤديه هو أن أضمن سلامة هذا النظام واحترام هذا الوضع · وقد دعا الماريشال الى تأكيد هذا الوضع فى عام ١٩٢٠ عندما صرح : ان الفرنسيين قد وجدوا فى مراكش دولة وشعبا ، ومعاهدة الحماية تحترم

Nations Unies : Documents officiels de l'Assemblée Générale, septième session, Première Commission. ص ٢٨٧ ·

سيادة مراكش واهليتها القانونية فى القانون الدولى ٠ وهذه الحقيقة أقرتها محكمة العدل الدولية بحكمها الصادر فى ٢٧ من أغسطس ١٩٥٢ فى القضية الخاصة بحقوق رعايا الولايات المتحدة الامريكية فى مراكش ، اذ ورد فى هذا الحكم : ان الخصوم متفقون على التسليم بأن الوضع فى مراكش ــ كما تقرر بمقتضى اتفاقية الجزيرة فى ٧ ابريل ١٩٠٦ ــ يقوم على احترام المبادىء الثلاثة المنصوص عنها فى ديباجة الاتفاقية : سيادة واستقلال عظمة السلطان وسلامة دولته والحرية الاقتصادية بدون أية تفرقة ٠ قررت المحكمة أيضا أن الحكومة الفرنسية لا تنازع فى أن مراكش ــ حتى تحت الحماية ــ قد احتفظت بشخصيتها كدولة فى القانون الدولى، وأنه طبقا لمعاهدة « فاس » قد ظلت مراكش دولة ذات سيادة ٠ وقد صرح النقيب «نيجيل» فى عام ١٩٤٩ أمام مؤتمر المحامين فى الدار البيضاء بأن طابع النظام الحالى فى مراكش هو امتهان تام للحرية الشخصية ٠ والاحترام الواجب لمبادىء ولنصوص اتفاق الجزيرة قد رفع الصوت بالمناداة به الرئيس تيودور روزفلت مخاطبا الشعب الأمريكى عند نشر الاتفاقية فى عام ١٩٠٦ : كل مادة وكل نص يجب أن يحترم وأن ينفذ بحسن نية (١) ٠

تصريحا العراق أمام الأمم المتحدة ، ١٥ ، ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ :

وأمام نفس اللجنة أوضح ممثل العراق بجلسة ١٥ من ديسمبر ١٩٥٢ : « من الطبيعى أن تطلب ثلاث عشرة دولة مسالمة لها صلات بالشعب المراكشى من الأمم المتحدة أن تتدخل ٠ ولا يستطيع أحد يدعى العضوية فى العالم المتحضر العصرى أن يجهل أن هذا الوضع يخل بالامن وبالطمأنينة ٠ والقلق الذى تحدث عنه ممثل مصر والذى ساد القاهرة عقب حوادث المغرب واضح فى جميع البلاد العربية والاسلامية وفى جميع العالم المتحضر ٠ فهو اذن وضع دولى يجب أن تحسب هيئة الأمم المتحدة حسابه ٠ »

وفى ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ أمام نفس اللجنة عاد ممثل العراق فأكد أن دولته تربطها بمراكش روابط قديمة من الحضارة ، واللغة ، والدين ، ولذا فلا يمكن الا تكترث لمصير المراكشيين ٠ ان شعوب شمال افريقيا تكافح فى سبيل حريتها ٠٠ ان الوطنيين قد رجوا الجامعة العربية

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ٠

أن تتدخل باســمهم ، ولكن فرنســا لم تجب الجامعة العربية • كما كان تدخل الدول الصديقة عبثا •

ولما عرض الامر على الامم المتحدة فى دورة الجمعية العامة الاخيرة تقرر تاجيل نظر هذه المســألة • وفى هذه الدورة لم تطلب الدول اعضـــاء الجامعة العربية فحسب نظرها أمام الجمعية العامة بل انضمت اليها دول أخرى أسيوية وافريقية • واذ كان الواقع الراهن فى العالم أن أمما ضعيفة قد نالت مع ذلك اســتقلالها فليس هنـــاك ما يبرر رفض اســتقلال مراكش • (١)

قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، ١٩ من ديسمبر ١٩٥٢ وتصريحا العراق واليمن :

وفى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٢ وافقت الجمعية العامة على القرار التالى :

« بعد بحث المسألة المراكشية طبقا للاقتراح المقدم من الثلاث عشرة دولة فان الجمعية العامة :

ادراكا لواجب أن تنمو بين الأمم علاقات الصداقة المبنية على احترام مبدأ تساوى حقوق الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها ، واعتبارا بأن هيئة الامم المتحدة ــ مركز التنسيق بين جهود الامم نحو مصائرها المشتركة طبقا لاحكام الميثاق ــ يجب أن تعمل جاهدة لاستبعاد كل الاسباب وكل العوامل التى تثير سوء الفهم بين الدول الاعضاء •• لكى تعيد بذلك تأكيد المبادىء العامة الخاصة بالتعاون وحفظ السلم والامن الدوليين •

١ ــ تبدى ثقتها فى أن الحكومة الفرنسية ــ طبقا لسياستها التى اعلنتها ــ ستعمل جاهدة على اجابة الشعب المراكشى ، الى مطالبه بشأن الحريات الرئيسية طبقا لاهداف ومبادىء الميثاق •

٢ ــ تبدى أملها فى أن الطرفين سيتابعان بدون تأخير مفاوضاتهما بغرض تنمية الانظمة السياسية الحرة للشعب المراكشى مع مراعاة الحقوق والمصالح الشرعية طبقا للمبادىء والعرف فى القانون الدولى » (٢) •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٠ ــ ٣١٣ •

(٢) الامم المتحدة ، القرارات التى أصدرتها الجمعية العامة فى دورتها الســابعة فى الفترة بين ١٤ من أكتوبر ، ٢١ من ديسمبر ١٩٥٢ ، ص ٥ •

وفى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٢ أضاف ممثل العراق : ليست الصلات الدينية ، والثقافية ، والتاريخية التى تربط شعبى وبلدى بمراكش هى السبب فحسب الذى دعانا الى أن نتمنى استقلال مراكش ، وانما بصفة خاصة لان المراكشيين شعب يلتهب ايمانا بالحرية ٠ وقد استمد ثقافته من آسيا وعاش تاريخا مجيدا ولم يتوقف المراكشيون قط عن الكفاح فى سبيل حريتهم ٠ وحقهم فى هذه الحرية لاشك فيه اطلاقا عندنا ٠ واذا تمسكنا بمبادىء الميثاق واذا وجهت العلاقات الدولية على أساس المساواة بين البشر والكرامة الانسانية ، فان مراكش يجب أن تكون اليوم دولة مستقلة (١) ٠

وفى نفس الجلسة قرر ممثل اليمن : ان القرار الذى أصدرته هذه الجمعية هو كما يمكن ان تشعروا متردد وهزيل ، ومع ذلك فقد صوتنا له ٠ ان وفد اليمن قد صوت الى جانب هـذا القرار الهزيل لكى يستر هيئتنا الدولية ٠٠ لاننا لا نود أن نفقد الامل فى هيئة الامم المتحدة ٠ نحن بلاد الشرق ، البلاد التى ليست من الدول العظمى نود أن نحتفظ بايماننا بهذه الهيئة وأن نقف موقفا ايجابيا ٠ لهذا السبب وحده ٠٠ صوتنا الى جانب مشروع قرار الدول الاحدى عشرة (٢) ٠

تصريحا مصر وسوريا، ٨ من أكتوبر ١٩٥٣ :

وفى ٧ من أكتوبر ١٩٥٣ لفت ممثل مصر نظر اللجنة الاولى الى أن « كل المحاولات التى بذلت لحمل الحكومة الفرنسية على نبذ سياسة القمع قد خابت ٠ ان شـعوب افريقيـا وآسـيا ، ادراكا للروابط الوثيقة التى تربطها بالأمة المراكشية وتأثرا بايمانها الذى لا يتزعزع فى هيئة الأمم المتحدة ، قد اتجهوا الى هذه الهيئة التى تستطيع وحدها أن تعمل على سيادة السلم والعدل فى العالم ٠ (٣)

وفى نفس الجلسة قرر ممثل سـوريا أن مجموع المعاهدات الخاصة بمراكش من جهة والميثاق من جهة أخرى يكونان نظاما قانونيا وسياسيا

(١) الامم المتحدة ، الوثائق الرسـمية للجمعيـة العـامة ، الدورة السـابعة ، ص ٤٤٨ ٠

(٢) المرجع السـابق ، ص ٤٤٩ ٠

(٣) الأمم المتحدة ، الوثائق الرسـمية للجمعية العامة ؛ الدورة الثامنة ، اللجنة الأولى ، ١٦ سبتمبر — ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ؛ ص ٢١ ٠

يتضح منه أن اختصاص فرنسا بهذه المسألة لا قيمة له • من المؤكد أن فرنسا تستطيع ان تقول ان الحكومة المراكشية ليست ممثلة فى هيئـــة الأمم المتحدة • ولكن ما هو أكثر أهمية أن شئون مراكش قد اقلقت السلم الدولى عدة مرات ، وخاصة فى عام ١٩٠٧ • كمـــا أن ست عشرة دولة افريقية وآسيوية تمثل — مع الدول التى تؤيدها — أكثر من نصف العالم قد رأوا ان المسألة المراكشية سبب للتوتر الدولى (١) •

تصريح العربيـــة الســـعودية امام
الأمم المتحدة ، ١٣ من أكتوبر ١٩٥٣ :

وأمام نفس اللجنة استند ممثل العربية السعودية بجلسة ١٣ من أكتوبر ١٩٥٣ على أقوال لعدد من الشخصيات الفرنسية البارزة كادجارفور وزير المـالية في عدد مارس ١٩٥٣ من مجلة « نيف » وفرانسوا ميتران وزير الدولة فى عدد ٥ من سبتمبر من مجلة « ماتش » والجنرال « جويوم » المقيم العام الفرنسى بمراكش فى صحيفة « لوموند » بتاريخ ٢٥ من أغسطس والجنرال « جـوان » نقـــلا عن كتـــاب « لاندو » عن مراكش والجنرال « بوييه ده لاتور » فى صحيفة « لوبويل » بتاريخ ٢٥ من يونيو ، وان هذه التصريحات تبرز بما لايدع سبيلا للشك أن خلع السلطان كان من عمل الحكومة الفرنسية وأن المراكشيين الذين زعم أنهم طالبوا به انما كانوا صنائع طيعة بين أيدى السلطات الفرنسية (٢) •

تصريح لبنان ، ١٥ من أكتوبر ١٩٥٣ :
الحركة الوطنية فى مراكش تحظى بتاييد الحركات الوطنية العربية :

وفى ١٥ من أكتوبر ١٩٥٣ صرح ممثل لبنان أمام نفس اللجنة أن فى مراكش حركة وطنية تستفيد من تأييد الحركات الوطنيـــة الأفريقية والآسيوية • وهدف هذه الحركة هو استقلال البلاد • ان المسألة المراكشية والمسألة التونسية تضعان مشاكل هامة فى مجال العلاقات بين المسيحية والاسلام • والحكمة تناشـــد أولئك الذين يتخذون القرارات السياسية الكبرى أن يعالجوا حركة الاستقلال فى نطاق الأمل القوى فى أن مراكش المستقلة ستقرر بحرية أن تنشىء صلات وثيقة بالغرب وخاصة بفرنســا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧ •
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ •

وأسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية • وكل سياسة بشـــأن الاستقلال والديموقراطية تبنى على غير هذه المبادىء لا تدرك حقيقة الحركات الروحية الكبرى التى انطلقت فى آسيا وأفريقيا (١) •

استقلال مراكش (المملكة المغربية) ، ٢ من مارس ، ٧ من باريل ١٩٥٦ : الانضـمام الى الجامعة العربية ، أول أكتوبر ١٩٥٨ :

وفى ٢ من مارس ١٩٥٦ وقع فى باريس التصريح المشترك المراكشى الفرنسى الذى ألغى معاهدة الحماية المفروضة فى ٣٠ من مارس ١٩١٢ وأقر أن الطرفين وقد تحقق لديهمـــا ــ لما اجتازه المغرب من التطور فى ميدان الرقى ــ أن عقد الحماية المبرم فى فاس والمؤرخ فى ٣٠ مارس ١٩١٢ قد أصبح لا يتلاءم ومقتضيات الحياة العصرية ، وأنه لا يمكن من الآن فصاعدا للعلاقات الفرنسية المغربية أن تبقى خاضعة لمقتضيات بنوده •

وبناء على ذلك فان حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذى يقتضى بالأخص دبلوماسية وجيشا كما تؤكد عزمها على ان تحترم وحدة تراب المغرب المضمونة بحكم المعاهدات الدولية وتعمل على احترامها •

وفى ٧ من ابريل ١٩٥٦ وقع التصريح المشترك المراكشى ــ الأسبانى الذى ألغى معاهدة ١٢ من مارس ١٩١٢ واتفاق مدريد الموقع فى ٢٧ من نوفمبر من نفس العام وقد تضمن هذا التصريح الاعتراف باســـتقلال مراكش (المغرب) ووحدة أراضيه •

وفى أول أكتوبر ١٩٥٨ انضمت المملكة المغربية الى جامعة الدول العربية فاصبحت الدولة العاشرة من دول الجامعة •

(ب) الجامعة واستقلال تونس ، ١٩٥٢ :

فى ٣٠ من يناير ١٩٥٢ وجه ممثلو العربية السعودية ومصر والعراق ولبنان وسوريا واليمن الرسالة الآتية الى رئيس مجلس الأمن جاء فيها :

« ان الموقعين على هذه الرسالة قد جاءهم من مصادر مختلفة وخاصة من ممثل الحكومة التونسية الموجود الآن بباريس ما يدل على الطابع الخطير

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٦ ــ ٦٧ •

جدا للوضع السائد بتونس فى الوقت الحاضر ، وهم يعلنون قلقهم العميق من الاخبار المفزعة التى تشير الى تدخل عسكرى والى القبض على قادة الشعب ، وهى اجراءات تكون فى رأيهم تهديدا للسلم والأمن الدوليين • وقد أخطر ممثلون لدول أفريقية ـ آسيوية رئيس الجمعية العامة مرتين بهذه المسألة وطلبوا أن يستخدم وساطته لازالة التوتر الحالى • ولما كانت حوادث تونس مستمرة كسبب للقلق فان الموقعين يرون من واجبهم لمصلحة السلم والأمن وحقوق الانسان أن يرجوكم لفت نظر أعضاء مجلس الأمن الى العواقب الوخيمة التى يهدد استمرار الوضع الحالى باثارتها » • (١)

رسالة مصر والعراق والسعودية واليمن
الى مجلس الأمن ، ٢ من ابريل ١٩٥٢ :

وفى ٢ من ابريل ١٩٥٢ وجه ممثلو مصر والعراق والعربية السعودية واليمن الرسالة التالية :

« بناء على طابع السرعة الذى تحمله هذه المسألة فان من المهم ان يجتمع مجلس الأمن فورا لدراستها واتخاذ الاجراءات التى نص عليها الميثاق لوضع حد لها » • وطلبوا ـ طبقا للمادة ٣٧ من اللائحة الداخلية لمجلس الأمن ـ ان يدعوا للاشتراك فى مناقشة المسألة أمام المجلس » •

وقد أرفق الموقعون من ممثلى الدول العربية بهذه الرسالة مذكرة ايضاحية جاء فيها :

« ان التوتر يتزايد فى البلاد الآسيوية والأفريقية • فالشعوب تشعر شعورا واضحا بأن سيطرة الدول الاستعمارية على البلاد والشعوب الضعيفة ليس لها أى مبرر خلقى كما انها تتنافى مع روح عصرنا • فاذا لم يتخذ اجراء لتحسين الوضع الدقيق الذى يسود تونس فى الوقت الراهن ، فان هذا الوضع ستكون له عواقب وخيمة جدا لدى جميع الشعوب التى تؤمن بمبادىء الحرية والديمقراطية ، وعلى الأخص بين شعوب آسيا وأفريقيا التى ترى فى هذه المبادىء آخر فرصة لخلاصها والتى سوف لا تتردد اذ ذاك فى أن تفقد ايمانها بأهداف هيئة الأمم المتحدة ••• ان التوتر الشديد وعدم الاستقرار اللذين فى تونس يثيران الى حد كبير قلق

---

(١) المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٣ ، ص ٣٠٠ ـ ١ •

حكومتي وشعب بلدى • ولما كانت حكومتي تخشى العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج اذا لم يبحث مجلس الأمن القضية بحثا كاملا ، فانها تعلق أعظم الأهمية على الطلب الذى تضمنته الرسالة الموجهة الى رئيس مجلس الأمن والتى أوفقت بها هذه المذكرة • وحكومتي مقتنعة بأن مجلس الأمن اذا بحث بلا ابطاء الوضع فى تونس واتخذ الاجراءات المناسبة فانه يسهم اسهاما عظيما فى تيسير تفاهم أفضل بين الشعب التونسى والشعب الفرنسى كما أنه يرضى التطلعات الوطنية التونسية ويؤكد بذلك نفس الأسس التى تقوم عليها هيئة الأمم المتحدة » (١).

تصريح مصر أمام الأمم المتحدة ،
٦ من ديسمبر ١٩٥٢ :

وفى ٦ من ديسمبر ١٩٥٢ صرح ممثل مصر أمام اللجنة الأولى : انه خلال الحرب العالمية الثانية قد قطعت مجموعة الشعوب الحرة على نفسها عهودا رسمية للشعوب المضطهدة • وقد ألهبت مبادىء ميثاق الاطلنطى التى أكدتها اتفاقيات يالتا وبوتسدام روح الكفاح والجهد الحربى لدى جميع الشعوب المستعمرة والتابعة بأمل أن تشرق حياة حرة مستقلة يعيشونها على أنقاض الخرائب والمقابر بعد أهوال ستة أعوام • وهكذا حيى الشعب التونسى نصر الحلفاء فى عام ١٩٤٥ كفجر عهد جديد بعد أن تكبد تضحيات ثقيلة فى سبيل قضية الحرية ، وروى ساحات المعركة بدم سبعين ألف جندى من أبنائه • ان الأهداف التونسية قد حددها رئيس الوزارة التونسية فى المذكرة التى قدمها فى ٣١ من أكتوبر ١٩٥١ الى وزير الخارجية الفرنسية ، فبعد أن أعلن أن الاستقلال الداخلى يجب ان يعنى تمتع تونس بسيادتها الداخلية وبحكومة ذاتية وتطوير أنظمتها طبقا لاهليتها الخاصة طلب رئيس الوزارة التونسية أن تحدد فى أقصر وقت ممكن خطة ثلاثية للأنظمة الحكومية والتشريعية والادارية ، أى تحقيق :

ـ الانسجام والتناسق فى الحكومة التونسية •

ـ انشاء هيئة نيابية تضع القوانين وتراقب الحكومة فى ادارتها وسياستها العامة •

ـ اقرار وضع قانونى للسلطة العامة يتفق مع النظام الجديد •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ •

ولم تجب الحكومة الفرنسية على هذه الطلبات المعتدلة الا فى ١٥ من ديسمبر ١٩٥١ ، فأثارت مجرد دفع بعدم قبول الطلبات التونسية الثلاثة • ورفضت مبدأ الاستقلال الداخلى بتمسكها بايجاد سيادة ثنائية فرنسية — تونسية لمحاولة تبرير اشتراك الفرنسيين فى ادارة شئون البلاد على عكس ما تنص عليه معاهدة الحماية التى أقرت لتونس بسيادة تونسية موحدة • الى جانب أن فرنسا تمسكت بصلة تربطها بتونس برباط حاسم ، أو بتعبير آخر حاولت أن تستمر على وضع الحماية والتحلل من وعودها • لا يجب أن تظن فرنسا أنها مقدمة للمحاكمة للدفاع عن تهم موجهة اليها • بالعكس ان هيئتنا يجب أن تعمل جاهدة على ايجاد حل معقول وعملى لمشكلة خطيرة تهدد بالعصف بالعلاقات الودية والتقليدية التى تربطها بالعالم العربى • ان كل محاولة لاستمرار سيطرة شعب على آخر محكوم عليها بالخيبة فى عالم تطالب فيه الشعوب المضطهدة بحقوقها فى الاستقلال وتمارس فيه الشعوب التى كانت من قبل تحت السيطرة الاستعمارية حقوقها فى السيادة • ليس فى الامكان وقف سير الزمن • ومن الواضح أن وفد بلادى يتمنى تسوية سلمية للمسألة ولكنه يرغب فى الا يتنافى هذا الحل مع مبادىء الميثاق ، بل يكون تسوية تفتح عهد صداقة مثمرة بين شعوب شمال أفريقيا وفرنسا ويدعم تعاونهم فى خدمة السلم فى نطاق المساواة والحب (١) •

تصريح العراق أمام الأمم المتحدة ،
١١ من ديسمبر ١٩٥٢ :

وأمام نفس اللجنة بدأ ممثل العراق فى ١١ من ديسمبر ١٩٥٢ بقراءة برقية مرسله من رئيس البرلمان الليبى الى أمين عام الجامعة العربية الذى كان يحضر جلسة اللجنة المذكورة كمراقب • وفى هذه البرقية يبدى الشعب الليبى تأييده للجهود المبذولة لكى ينال الشعب التونسى استقلاله • كما ان البرقية تضيف أن البرلمان الليبى يطالب بالاستقلال التام لمراكش وتونس وان مما يتعرض للخطر فى هذه القضية ليست هيبة الأمم المتحدة فحسب بل الفكرة الرئيسية عن كرامة الانسان والعلاقات بين الشرق والغرب • ان شعوب آسيا وأفريقيا قد استيقظت من سباتها فاما

---

(١) الامم المتحدة ، ادارة الاعلام ، نشرة صحيفة ب • م ٢٤٥٥ .

احترام لمصالح جميع الشعوب واعتراف بها واما هوة أكثر عمقا تفصل شعوب آسيا عن الدول الغربية ٠ (١)

تصريح لبنان أمام الأمم المتحدة ، ٢١ من أكتوبر ١٩٥٢ :

وفى ٢١ من أكتوبر ١٩٥٣ ألقى ممثل لبنان أمام اللجنة الأولى بيانا جاء فيه : « ان المعاهدات تثبت ان باى تونس انما عهد الى فرنسا بممارسة بعض حقوقه فحسب فالمعاهدتان المعقودتان تعترفان صراحة بسيادة الباى ٠ وقد قرر « اندريه جوليان » فى كتابه « شمال أفريقيا على الطريق » ان معاهدة « المرسى » لا تتضمن قط تنازل الباى عن سيادته ولا انابة غيره فيها ٠ وقد تضمن التقرير الذى قدمه الماريشـال « ليوتى » فى ٣ من ديسمبر ١٩٢٠ رأيه فى الحماية : فالبلد المحمية تحتفظ بأنظمتها وتحكم نفسها وتدير شئونها بنفسها وبواسطة أجهزتها الخاصة وتوضـع تحت اشراف دولة أوروبية بالنسبة للتمثيل الخارجى وتنظيم جيشها وماليتها وتنميتها الاقتصـادية ٠ فعنده ان الحمـاية مجرد الاشراف دون الادارة المباشرة ودون أية ممارسة لسيادة ثنائية ٠ وقد قرر الأستاذ « جوليان » فى كتابه أن هذا التفسير الفقهى قد ابتعد عنه كثيرا التطبيق العملى ٠ فان فرنسا قد طبقت الادارة المباشرة وتركت للقانونيين فيما بعد تبرير الأمر الواقع ! ان وفد لبنان كغيره من الوفود الأخرى قد اعتزم أن يتابع جهوده فى سبيل نصرة مبادىء الميثاق ٠ ان شعب تونس من حقه ان ينال استقلاله وسـيادته ٠ انهـا مبادىء الميثاق التى تطالب الجمعية العامة بالاعتراف بها ٠ ولذلك يقتضى الاسراع باتخاذ الاجراءات التالية :

١ ـ ايقاف الاجراءات العرفية الاستثنائية لكى يضـمن للشعب التمتع بالحريات العادية فى الاجتماع وابداء الرأى ٠

٢ ـ عفو سياسى عام من جميع الزعماء المسـجونين أو المنفيين أو المشردين فى أنحاء العالم الأخرى ٠

٣ ـ انشاء أنظمة دسـتورية ديمقراطية تسـمح بالتمهيد لاجراء انتخابات على أساس الانتخاب المباشر ٠

---

(١) الامم المتحدة ، الوثائق الرسمية للجمعية العامة ، الدورة السابعة ، ١٤ أكتوبر ـ ٢١ ديسمبر ١٩٥٢ ، ٢٤ فبراير ـ ٢٣ ابريل ١٩٥٣ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ ٠

٣ ـ زيادة المسئولية السياسية المعهود بها الى التونسيين واجراء مفاوضات بين فرنسا وممثلى تونس الحقيقيين بقصد انهاء التوتر الحالى واعادة السلم والرفاهية • (١)

تصريح العربية السعودية امام الأمم المتحدة ، ٢٢ من أكتوبر ١٩٥٣ :

وفى ٢٢ من أكتوبر ١٩٥٣ صرح ممثل العربية السعودية أمام نفس اللجنة : ان الحوادث التى وقعت بين فرنسا وتونس فى عامى ١٨٨١ ، ١٨٨٣ يعرفها الجميع ولكن القليلين مع ذلك هم الذين يعرفون ان المبرر المزعوم للتدخل العسكرى الفرنسى فى تونس لم يكن له من سند الاخلاف بين جزائرى وتونسى على ملكية بقرة كما يقرر « برودلى » مراسل « التايمز » فى كتابه « حرب قرطاجة الأخيرة ، تونس ماضيها وحاضرها » ، كما أن الرسالة المؤرخة فى ٥ من مايو ١٨٨١ التى وجهها باى تونس الى وزارة خارجية بريطانيا وغيرها من الدول ونشرت فى « الكتاب الأصفر » قد أشارت الى أنه رغم أن الفرنسيين قد ادعوا أنهم ماقصدوا الا معاقبة قبيلة حمير التونسية عن أعمال سرقة مزعومة نسبت اليها على الحدود الجزائرية فانهم احتلوا مدينة « الكاف » واتجهوا الى « باجه » ، ثم وصلوا الى ثغر بنزرت • وفى نفس الرسالة دعا الباى الممثلين القنصليين فى تونس ليشهدوا على جهوده الرامية الى تقديم الترضية للحكومة الفرنسية فى موضوع قبيلة « حمير » • وفى رسالة من وزير الخارجية البريطانية ، لورد جرانفيل ـ نشرت فى نفس الكتاب الأصفر ـ يشير الى أنه قد فهم تماما أن هدف الفرنسيين لم يكن معاقبة احدى القبائل المتمردة وانما انشاء نظام شبيه بالحماية ، ولو أن الحكومة الفرنسية تدعى ان ذلك لم يكن قصدها • (٢)

تصريح العراق أمام الأمم المتحدة ، ١١ من نوفمبر ١٩٥٣ :

وأكد ممثل العراق أمام الجمعية العامة فى ١١ من نوفمبر ١٩٥٣ : « بعد أن أعلنا أن انتهاك حق شعب ما فى التمتع باستقلاله يبرر تدخل

---

(١) الامم المتحدة ، الوثائق الرسمية للجمعية العامة ، الدورة الثامنة ، اللجنة الاولى ، ١٦ من سبتمبر ـ ٧ من أكتوبر ١٩٥٣ ، ص ٨٤ ـ ٨٥ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ •

الأمم المتحدة بالقوة ، فان الجمعية العامة لا يتسنى لها الآن أن تحرم شعبا من حقه فى التطلع الى الحرية والاستقلال • فليس هناك ما هو أشد اضعافا لهيئتنا ولايمان الشعوب فى الدول الكبرى من هذا التفاوت فى الاهتمام بالمسائل التى لها طابع جوهرى واحد اننا نأمل مخلصين أن تقر الجمعية العامة مشروع القرار المعروض عليها حتى لاتشعر شعوب شمال أفريقيا بخيبة الأمل وبأن هذه الهيئة قد تخلت عنها » (١) •

وقد بحث مجلس الأمن المسألة التونسية فى ثلاث جلسات خلال شهر ابريل ١٩٥٢ •

وتولت دول الجامعة مهمة الدفاع « الكونفيديرالى » الاجماعى فى خريف ١٩٥٣ عن مسألتى مراكش وتونس الا ان الأمم المتحدة اكتفت باصدار القرار الآتى :

« ان الأمم المتحدة توصى فرنسا بالدخول فى مفاوضات مباشرة مع تونس ومراكش بقصد اعادة الحقوق والمصالح الشرعية الى شعبيهما على أساس العرف والاحكام المقررة فى القانون الدولى • وهذه المفاوضات يجب أن تدور فى جو من الثقة وحسن النية والاحترام المتبادل ، والنزاع الحالى يجب أن يسوى على أساس روح الميثاق • ويجب أن تمتنع فرنسا عن أى عمل أو اجراء يمكن أن يتفاقم معه التوتر القائم » •

استقلال تونس ، ٢٠ من مارس ١٩٥٦
الانضمام الى الجامعة العربية ، أول أكتوبر ١٩٥٨ :

وفى ٣ من يونيو ١٩٥٥ وقعت تونس مع فرنسا اتفاقية نص فيها على أن :

« الاتفاقات الحالية تكون كلا واحدا وهى تقرر بين فرنسا وتونس تعاونا هما عازمتان على توثيقه وتنميته فى جميع الميادين » •

ونصت على أنه :

« يبقى العمل جاريا بالمعاهدة المبرمة فى ١٢ من مايو ١٨٨١ فى القصر السعيد وبالاتفاقيات المبرمة منذ ذلك التاريخ بين الجمهورية الفرنسية وجلالة باى تونس • أما المادة الأولى من اتفاقية المرسى فقد ألغيت » •

---

(١) الامم المتحدة ، الوثائق الرسمية للجمعية العامة ، الدورة الثامنة ، ص ٣١٢

وفى ٢٠ من مارس ١٩٥٦ عقد اتفاق بين تونس وفرنسا نص على سيادة الشعب التونسى الكاملة وعلى المساواة بين الدولتين ، وعلى الغاء المعاهدة التى كانت معقودة فى ١٢ من مايو ١٨٨١ باعتبار أنهـا لم تعد كفيلة بتنظيم الصلات الفرنسية والتونسية ، وعلى الغـاء الأحكام التى تضمنها اتفاق ٣ من يونيو ١٩٥٥ والتى تتعارض مع وضع تونس الجديد كدولة مستقلة ذات سيادة أو على تعديل تلك الاحكام • كما نص هـذا الاتفاق على أن تونس تمارس مسئولياتها فى الشئون الخارجية وفى الأمن والدفاع وانشاء جيش وطنى تونسى •

وفى ١٢ من نوفمبر ١٩٥٦ قبلت تونس فى عضوية الأمم المتحدة ، وفى أول أكتوبر ١٩٥٨ قبلت فى عضوية جامعة الدول العربية فأصبح عدد الدول الأعضاء أحد عشرة •

(ج) الجامعة واستقلال الجزائر ، القاهرة مقر « جبهة التحرير الوطنى » ١٩٥٧ ، انضمام « الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية » للجامعـــة العربية ، ١٩٥٩ :

كان انشاء حكومة جزائرية فى المنفى نتيجة لتطور فى الحركة الوطنية بهذا القطر العربى •

ففى يوليو ١٩٥٤ انقسمت « حركة انتصار الحريات الديموقراطية » المعروفة باسم .M.T.L.D • الى فريقين : فريق المصاليين أنصـار رئيس الحركة مصالى الحاج وفريق المركزيين أنصـــار تركيز السلطة فى اللجنة المركزية •

وقد خاب أمل فريق من المجاهدين الشبان الذين لم يكونوا أعضاء فى أى من الفريقين المتنازعين بل كانوا ينتمون الى هيئة تسمى الهيئة الخاصة لحركة انتصار الحريات الديموقراطية عندما تبينوا أن هذه الحركة قد شلت على أثر الصراعات بين الاشخاص والتنافس على النفوذ فقرروا أن ينتقلوا من تلك الحركة الى ميدان العمل الوطنى المباشر • والفورى • واعلان الثورة الجزائرية •

ولما فجر هؤلاء القادة فى أول نوفمبر ١٩٥٤ الحركة الثورية اجتمعوا تحت ظل « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » المعروفة باسم C.R.U.A. ومنذ مستهل عام ١٩٥٥ تحول اســـم هذه الهيئة الى « جبهة التحـرير

ولما تزايد عدد المنضمين الى الحركة الثورية F.L.M. أو « الوطنى » نظمت « جبهة التحرير الوطنى » على أساس انشـــاء « المجلس الوطنى للثورة الجزائرية » أو C.N.R.A. و « لجنة التنســيق والتنفيذ » أو C.C.E. ووفـــد الثـــورة خارج الجـــزائر • اذ أن الهيئتين الأوليين كانتا تعملان داخل الجزائر • وفى ٢٦ من أغسطس ١٩٥٦ عند انعقاد مؤتمر منطقة القبائل تقرر أن يكون مقر عمل « لجنة التنسيق والتنفيذ » بالقاهرة ونفذ هذا القرار فى عام ١٩٥٧ • ومنذ بداية عام ١٩٥٨ تبينت ضرورة تحويل « جبهة التحرير الوطنى » الى حكومة وقد كونت هذه الحكومة وأعلنت رسميا فى ١٩ من سبتمبر ١٩٥٨ • وتم فورا اخطار جميع الدول عن طريق البعثات الدبلوماسية المعتمدة فى القاهرة • ولم يكد يتم هذا الحدث العربى حتى حذرت وزارة الخارجية الفرنسية جميع البلاد التى تتبادل صلات دبلوماسية مع فرنسا من الانسياق الى الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية • ولكن رغم تهديدات فرنسا اعترفت تسع حكومات عربية فورا بتلك الحكومة المؤقتة ولحق لبنان بالحكومات التسع فى ١٤ من يناير ١٩٥٩ • (١) وقبلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالجامعة العربية فى سبتمبر عام ١٩٥٩ كعضو مراقب دائم •

وفى مارس ١٩٦٢ عقب مفاوضات « افيان » بين فرنسا و « جبهة التحرير الوطنى الجزائرية » اتفق الطرفان على تشكيل حكومة مؤقتة وعلى استرداد الجزائر لاستقلالها وسيادتها بعد استفتاء عام ، ولما اجرى هذا الاستفتاء فى يوليو عامئذ صوت أكثر من سبعين فى المائة ممن لهم حق الانتخاب الى جانب استقلال الجزائر وسيادتها •

وفى ١٦ من أغســطس ١٩٦٢ انضـــمت « الجمهورية الجزائرية الديموقراطية » الى الجامعة العربية فأصــبحت الدولة الثالثة عشرة لأن الكويت كانت قد انضمت الى الجامعة فى ٢٠ من يوليو ١٩٦١ •

وفى ٨ من أكتوبر ١٩٦٢ قبلت الجزائر فى عضوية الأمم المتحدة •

من هـــذا الكفاح المشترك والاجماعى الذى قامت به دول الجامعة العربية فى سبيل استقلال المغرب العربى يمكن بوضوح استخلاص المبادىء الآتية للعمل العربى المشترك •

١ ـ كل شعوب البلاد العربية أجزاء من الأمة العربية •

---

(١) ف • موسى ، ص ٨٦ ـ ٨٧ •

٢ ــ عمل الفريق الواحد والتعاون الوثيق بين الدول العربية يتسم بطابع اتحاد « كونفيديرالى » •

٣ ــ كل تدخل أجنبى فى شئون الدول أو البلاد العربية يعد عملا غير مشروع حتى لو تم برضاء الدولة أو البلد التى وقع عليهــا التدخل رضاء صريحا أو ضمنيا •

٤ ــ حق الشعوب فى تقرير مصيرها حق يبرر شرعا اســـتخدام القوة لممارسته •

وبصدد جهود الدول العربية فى سبيل تحرير الجزائر من السيطرة الفرنسية أبرز « فلورى » و « مانتران » أن هذه الجهود قد أدت الى ادخال القضية الجزائرية فى الامم المتحدة وهو ما يدل على عمل ومتابعة انتهيا بادراجها فى جدول الأعمال ، وبمناقشتها وبالتصويت على القرار الخاص بها ، ولكى يتم انجاز هذا العمل على وجه أفضــــل دعت الاخوة العربية وفود عدة دول عربية وخاصة وفد اليمن الى أن تضم لعضويتها ممثلين لجبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، مما مكن هؤلاء الممثلين من التمتع بحقوق أعضاء الوفود فى دهاليز وأروقة الامم المتحدة للاتصالات والمشاورات والاعلام ، وهكذا يمكن ادراك أن نجاح جبهة التحرير الوطنى على المستوى الدبلوماسى الذى انتهى بالاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من قبل ثلاثين دولة وبقرار من الامم المتحدة يضعها على قدم المســـاواة مع فرنسا انما يعود الفضل فيه ، بلا شك ، الى عمل الدول العربية فى الامم المتحدة أكثر مما يعود الى عمل جيش التحرير الوطنى ، فى أرض المعركة • (١)

(د) استقلال موريتانيا : ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠

اذا لم تكن جهود شعب هذه الدولة العربية فى سبيل التحرر قد لفتت أنظار العالم العربى لبعدها جغرافيا عن مراكز الانشطة الاعلامية سواء فى المغرب العربى أو المشرق العربى ولاعتراض المغرب فى بادىء الامر على قبولها ــ بعد اعلان استقلالها فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٦٠ ــ عضوا فى الجامعة العربية ، فان من الواجب ، وقد زال هذا الإعتراض وقبلت موريتانيا كالدولة التاسعة عشرة من دول الجامعة كما سوف نرى واسهمت

---

(١) « فلورى » و « مانتران » ، ص ٤٤٣ •

بنشاطها على المستوى الدولى فى دعم العمل العربى المشترك ، أن نقدم لقارىء هذه الدراسة فكرة موجزة عن عراقه عروبة هذه الدولة التى لم تنل فى الواقع حقها من الاعلام عن هذه العروبة ومن التنويه بهذه العروبة. ويجدر بنا قبل كل شيء ان نشير الى أن بعض العلماء الذين توفروا على دراسة « مهد » العرب . أو وطنهم الاصلى قد ذهبـوا الى أن العرب قد نشأوا فى افريقيا ــ كما سبق أن اشرنا فى الكلام على الصومال فى الفصل الأول من القسم الثانى ــ وقد حاول بعض هؤلاء العلماء أن يحددوا بطريقة أكثر دقة المنطقة الجغرافية التى نزح منها أجداد عرب الجزيرة العربيـة الاقدمون فذهب « برنتون » فى كتابه « مهد الساميين » الذى أصدره فى عام ١٨٩٠ الى أن التقاليد الشعبية ودراسة اللغات المقارنة وعلم الاجناس، وعلم الآثار . والحفريات كلها تشير الى وديان جبال الاطلس فى المغرب على أنها منبع الهجرات البشرية العربية ، كما ان « كين » يرى ــ فى دراسته عن « علم الاجناس » وفى دراسته عن « الانسان : ماضيه وحاضره» أن موريتانيا بالذات هى الوطن الأصلى والمصدر الذى انطلق منه الحاميون والساميون بل انه المنبع الذى انطلق منه كل الجنس القوقازى وهو بذلك يقطع بأن العرب من أصل افريقى هاجر من منطقة موريتانيا كما أنه يرى أن جنوب شبه الجزيرة العربية هو أول موطن للساميين العرب بعد هجرتهم من الأرض الافريقية (١) .

ويكفى هنا أن نشير الى ان صلة موريتانيا الوثيقة بالعرب تعود الى عصر صدر الاسلام . أى الى القرن السابع الميلادى ، فقد تضمنت خريطة الخوارزمى فى عام ٨٣٣ موقع مدينة غانا وهو اسم الدولة التى أرست قواعد مجد اسلامى فى هذه المنطقة وقد أطلق هذا الاسم « غانا » أى اسم الدولة على مدينة كومبى صالح التى تقع فى أقصى جنوب موريتانيا حاليا على مقربة من حدود مالى حاليا والتى كشفت الحفريات التى أجريت أخيرا فيها عما يدل على ما أورده الرحالة والجغرافيون العرب عنها فى عصور مجـــدها .

وقـد قام بهـــذه الحفــريات فى عام ١٩١٤ كل من « بونيل » و « ميزيير » و « توماس » و « مونى » وقد استندنا على دراسة هذا الأخير عن تاريخ هذه المنطقة من غـرب أفريقيا ، ويلاحظ أن هذه الحفريات قد قام بهـــا علماء فرنسيون فى الوقت الذى كانت خاضـــعة فيه للنفوذ

---

(١) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى : نفس المرجع ، ص ٥٠.

الفرنسي ، ولكن مجد « كومبى صالح » لم يهمله المؤرخون الأفريقيون الذين كتبوا بالعربيـــة أو بالفرنســـية ، فان « جوزيف كي – زوربا » الذى أصدر كتابا ضخما بالفرنسية فى عام ۱۹۷۲ عن «تاريخ أفريقيا السوداء» عنى بأن يبرز ما كتبه بالعربية عن هذه المدينة الموريتانية التى اتخذت عاصـــمة لدولة غانا المؤرخ « محمود كعت (١٤٦٨ – ١٥٩٣) مؤلف كتاب « تاريخ الفتاش والجيوش وأكابر الناس » وقد تولى ترجمة هـذا الكتاب الى الفرنسية المستعربان « هودا » و « دولافوس » كما توليا نشر مخطوطة الأصل العربى ·

وامبراطورية غانا – التى كانت كومبى صالح عاصمتها – امتدت فى منتصف القرن العاشر من « تيشيت » فى جنوب موريتانيا حاليا الى وادى السنغال الأعلى ، ووادى النيجر الأعلى ، وفى نفس المنطقة التى كانت موريتانيا مركزها قامت فيما بعد امبراطورية مالى وامبراطورية سونغى ·

واذا كان تاريخ امبراطورية غانا حتى عام ۷۰۰ م لا يزال مجهولا لأن قبائل « السونانكية » والبربر الذين كانوا يعيشون فيها لم يكونوا قد عرفوا الكتابة حتى ذلك الوقت فان الثابت تاريخيا أن العلاقات التجارية الوثيقة كانت متبادلة بين هذه الدولة والمراكز التجارية فى شمال غرب أفريقيا ، الى أن بدأت أولى جهود العرب المسلمين حوالى عام ٦٨١ م فى الوصول الى الأجزاء الشمالية التى تسمى الآن موريتانيا من دولة غانا ، واذا كانت هذه الجهود لم تكلل فى بادىء الأمر بالنجاح فان العرب قد انشأوا اتصالا مباشرا بين تلك المنطقة الافريقية والعالم الاسلامى ، ومند ذلك التاريخ ازدهرت التجارة بواسطة القوافل عبر الصحراء لنقل الذهب من الجنوب الى الشمال ، والملح والجياد والأقمشة والتوابل والكتب وغيرها من الشمال – الذى كان العرب قد استقروا فيه – الى الجنـوب · وفى نفس الوقت – كما يقرر مؤرخ أمريكى أسود توفر على دراسة امبراطوريات غرب أفريقيا – بدأ الاسلام ينتشر فى غرب أفريقيا · ووصلت الثقافة الاسلامية كما وصل الفكر الاسلامى مع ما هو أهم منهما وهى اللغة العربية المكتوبة الى هذا الغرب الافريقى (١) ·

وأضاف مؤرخ فرنسى فى دراسة له عن عصر ما قبل التاريخ وتاريخ أفريقيا الغربية أن العرب قد جلبوا مع الدين الاسلامى ما لا يمكن فصله عن هذا الدين وهى الحضارة العربية التى نفذت الى عالم الأحراش · كما

---

(1) Elliot Skinner : A Glorious Age of Africa, New York, Doubleday and Co., 1965, p. 67.

جلب هؤلاء القادمون الجدد نباتات جديدة كالأرز والقطن وقصب السكر والليمون ، ومهارات فنية جديدة ، وفنا معماريا وثيابا وكتابة عربية ، واذا كنا لم نتزود الا بالقليل من المعلومات عن بداية الوجود العربى فى غرب أفريقيا - وبالذات فى منطقة موريتانيا - فان ابن حوقل (٩٨٨م) قد زار وحده هذه المنطقة في القرن العاشر ، ومما له علاقه بالخلفية الحضارية العربية المشتركة لموريتانيا بالذات ماكتبه ابن حوقل عن «أوداجست» وهى تقع فى جنوب موريتانيا ، وقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة جميلة وانها أقرب مدن العالم شبها بمكة المكرمة ،وما كتبه عن غانا أو كومبى صالح عاصمة دولة غانا ، واستطرد هذا المؤرخ الفرنسى فقرر أننا سعيدو الحظ لأن فى استطاعتنا الحصول على معلومات من الطراز الأول عن فترة من أكثر الفترات أهمية فى تاريخ غرب أفريقيا عبر ما كتبه المؤرخ العربى أبو عبيد البكرى (١٠٦٨) فانه فى كتابه « المسالك والممالك » أعطانا أكمل لمحة وصلت الينا عن العصر الوسيط الأعلى لغرب أفريقيا قبيل تغلغل نفوذ المرابطين فيها ، وأشيق فصل من فصول هذا الكتاب هو ما يتصل بدولة غانا لأنه كتبه قبل تدمير المرابطين لعاصمة هذه الدولة أى كومبى صالح أو غانا (التى يقع مكانها فى موريتانيا حاليا) فنحن نجد فى هذا الفصل وصفا لملك هذه الدولة « التونكا » يعأونه الاشراف والمترجمون وهو يمارس تحقيق العدالة طبقا لطقوس رائعة ، ولمدينة التجار المسلمين المبنية من الأحجار بمساجدها الاثنى عشر فى مواجهة مدينة الملك ، كما أن البكرى قد قدم لنا ما لا يقل أهمية عن ذلك وهو بداية تاريخ المرابطين (١) .

وهؤلاء المرابطون أصلا من قبيلة صنهاجة الذين يتصلون بعـــرب ما قبل الاسلام فى اليمن ، وقد تزعمهم عبد الله بن ياسين ويحيى بن ابراهيم واســتولوا على أوداجست (١٠٥٤ - ١٠٥٥) وهى تقـع فى موريتانيا حاليا ، ثم تغلب المرابطون على مملكة غانا .

وظلت البصمات العربية واضحة على تاريخ موريتانيا ، فقد انتقل العلماء والتجار المسلمون الى ولاته (فى موريتانيا حاليا) بعد نشوء دولة مالى التى خلفت دولة غانا وبعد أن دمر « سندياتا » مؤسس أسرة كيتا ومؤسس دولة مالى ما بقى من أبنية كومبى صالح عاصمة غانا القديمة عام ١٢٤٠ ، فان معظم مؤرخى هذه المنطقة يذكرون أن أسلاف ملوك أسرة كيتا من العرب ، وفى هذا الصدد يقرر « دولافوس » فى كتابه « الروايات

(1) Raymond Mauny. : Préhistoire et Histoire Ouest-Africaine, Paris, Hachette, 1958, pp. LXX.

التاريخية والأساطير الخاصة بالسودان الغربى » أن جد مؤسس أسرة كيتا قدم من الحجاز فى عام ١٢٠٠ ، ويقرر « فيدال » أن هذا الجد من اليمن كما أشار فى كتابه « الاسلام فى أفريقيا الغربية » (١) .

وقد اشتهرت دولة مالى باسم « بلاد تكرور » وهى منطقة تقع فى راضى موريتانيا حاليا عند التقاء حدودها الجنوبية بالسنغال ، وقد بلغت مساحة « مالى » فى عهد « سندياتا » قبيل وفاته فى عام ١٢٥٥ ما يزيد عن نصف مساحة أوروبا .

وأثناء عهد خلفاء « سندياتا » فى حكم دولة مالى توثقت صلة هذه الدولة — التى كانت تضم أجزاء عديدة من جنوب موريتانيا — بالشرق العربى وخاصة بمصر ، فقد زار « منسى على » الذى خلف « سندياتا » عام ١٢٥٥ مصر فى طريقه الى الحج فى زمن السلطان الظاهر بيبرس ، ولما اغتصب « سيكره » الحكم فى مالى زار مصر عام ١٣٠٠ وهو فى طريقه الى الحج فى زمن الناصر بن قلاوون . » وكانت رحلة « سيكره » الى الأراضى المقدسة أول رحلة (من غرب أفريقيا الى شرقها) نعرف عنها بعض التفاصيل ، فقد اتخذ طريق القوافل الشرقى عبر النيجر الى تشاد الى واحات مصر ، وبعد مقتل « سيكره » عاد عرش مالى الى أسرة كيتا ، والسلطان موسى (١٣٢٢ — ١٣٣٧) أعظم سلاطين مالى على الاطلاق ، وقد جرى مؤرخو العرب على نسبته الى اقليم « تكرور » فى موريتانيا ، فان ابن حجر يذكر فى كتابه «الدرر الكامنة» عنه انه «موسى .. التكرورى ، ملك التكرور» ، ومن أشهر مدن التكرور مدينة « سلى » التى وصفها الادريسى (١١١٧ م) فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق « بانها « مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان — أى الأهالى السود — ومتاجر صالحة ، وأهلها أهل نجدة » . وقد أدى السلطان موسى فريضة الحج عام ١٣٢٤ فى زمن السلطان قلاوون ، ، ويجدر بنا هنا أن نذكر ان « تكرور » يعبر عنها بالانجليزية Tuculor وبالفرنسية Toucouleur وهو يطلق على مجموعة القبائل التى تقطن هذه المنطقة من موريتانيا ومن السنغال بحدودهما الحالية وان كانت هذه القبائل التى تكون فريقا هاما من سكان موريتانيا الحاليين منتشرة أيضا فى كثير من دول أفريقيا الغربية ، « ولعل أبرز الدلائل الحية الباقية الى اليوم (بين المشرق العربى ، ومصر بصفة خاصة وغرب افريقيا واقليم التكرور بصفة خاصة) تلك المعالم التى ما زالت

---

(١) ابراهيم طرخان : دولة مالى الاسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتب ، ١٩٧٢ ص ٣٥ .

بالقاهرة . وتنبيء عن الصلات القوية المستمرة عبر العصـــور منذ حي (بولاق الدكرور) المحرفة عن التكرور ، وينتسب الى أحد صلحاء التكاررة الذين دفنوا في مصر وهو الشيخ الصالح أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري ، المعاصر للخليفة العزيز الفاطمي (٩٩٦ م) ، كما ان تخصيص رواق للتكاررة ، من أروقة الازهر ، شاهد حي على مدى ما لقيه مسلمو غرب افريقيا وطلاب العلم من ترحيب ، وهذا بجانب انشاء مدرسة ابن رشيق في فسطاط مصر وهي المدرسة التي أنشـــأها حجاج التكاررة على نفقتهم الخاصــة لتدريس الفقه المالكي والاقامة فيها عند مرورهم وقد بنيت هذه المدرسة في أواخر عهد الدولة الأيوبية وأوائل عصر أسرة كيتا ملوك دولة مالي التي كانت تضم أجزاء من جنوب موريتانيا كما سبق أن أشرنا .

وازدادت الصلات بمرور الزمن ، وتضخم حجم التجارة .. وبجانب الصلات الثقافية والدينية كان بين السلع الهامة التي تستوردها مالي من مصر الثياب الحسان في نظير الذهب والنحاس المستورد من مالي .. وأقام في مالي - ويجدر تكرار أن الحدود الحالية التي تفصل بين موريتانيا وجارتها مالي والسنغال لم تكن قد وجدت - عدد كبير من التجار والفقهاء والعلماء (القادمون من الشرق العربي) ، حتى الطبيب الذي عالج ابن بطـوطة أثناء رحلته الى تلك المنطقة من غرب أفريقيا ، كان مصريا » (١) .

الخلفية العربية المشتركة للمغرب الاقصى

وليس من اليسير فصل تاريخ هذه الدولة العربية عن تاريخ ما نطلق عليه اسم « المغرب العربي الأقصى » لان تاريخ هذا المغرب الأقصى كان متداخلا ، متشابكا منذ ما قبل الفتح العربي ، وظل متداخلا متشابكا بعد هـذا الفتح الى ما قبل التسلل الاستعماري الأوروبي وحتى بعد هـذا التسلل ، فان موريتانيا هي المنطقة التي كان العرب يسمونها «شنقيط» ، وقد استقر العرب في هذا المغرب بأجزائه الثلاثة : المغرب الأدنى ويشمل ليبيا وتونس ، والمغرب الأوسط ويشمل الجزائر ، والمغرب الأقصى ويشمل المملكة المغربية وجمهورية موريتانيا ، وما كان يسمى الصحراء الاسبانية التي ضم جزء منها الى المملكة المغربية وجزء آخر الى موريتانيا ، وهي نفس المنطقة التي أعلن فيها في فبراير ١٩٧٦ عن قيام « جمهورية الصحراء

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ١٦٩ ، مع ملاحظة ان ابن بطوطة قد زار ولاته ومناطق موريتانيا الجنوبية في الفترة بين فبراير ١٣٥٢ وديسمبر ١٣٥٣ .

العربية الديموقراطية » ، وكان هذا المغرب ـ قبل الفتح العربى ـ تسكنه قبائل من البربر ، وقد خضع المغرب الاقصى ـ بعد غزو موسى بن نصير لمراكش وساحلها ـ لحكم أمويى الشام من عام ٧٥٠ حتى عام ٧٨٩ ، ثم لحكم الأدارسة بين عامى ٧٨٨ و ٩٨٥ ، وكانت الأرض المتاخمة للساحل فى حكم البربر فأدخلها الأدارسة فى الاسلام ، وكانت « شنقيط » موطن قبيلة لمتونة ، وهى مهد دولة « المرابطين » التى سبقت الاشارة اليها والتى قامت فى القرن الحادى عشر وبسطت سلطانها على المغرب الأقصى والمغرب الأوسط بين عامى ١٠٥٦ و ١٠٨٤ ، وظلت سيادة المرابطين ـ من قبيلة لمتونة فرع من فروع صنهاجة ـ على المغرب الأقصى حتى عام ١١٤٧ وان نازعهم عليها الموحدون منذ عام ١١٣٠ ، وكانت دولة الموحدين تنتمى الى قبيلة مصمودة البربرية ـ وهى الأخرى فرع من صنهاجة ـ التى مدت سلطانها من طرابلس فى ليبيا حتى الأندلس واحتفظت بسيادتها على المغرب الأقصى حتى عام ١٢٦٩ ، وقد تغلب المرينيون على المغرب الأقصى ـ بما فى ذلك المملكة المغربية وموريتانيا والصحراء العربية المغربية (الاسبانية سابقا) ، وهم ينتمون الى قبيلة زناته ، احدى قبائل بربر المغرب الأقصى كقبيلة لمتونة التى ينتمى اليها المرابطون ومهدها«شنقيط»الموريتانية ، وقبيلة مصمودة التى ينتمى اليها الموحدون (١) ، وظل المغرب الأقصى تحت سلطان المرينيين حتى عام ١٤٦٥ ، وفى عهدهم نهب الأسبان تطوان فى عام ١٣٩٩ ، وانتزعت البرتغال آسفى وآزمور ـ على المحيط الأطلسى ـ وسبته على البحر الأبيض بين عامى ١٤١٥ و ١٤٦٥ ، كما انتزع الاسبان مليلة على البحر الأبيض عام ١٤٧٠ واحتل البرتغاليون طنجة عام ١٤٧١ بعد أن هزموا أمام أسوارها عام ١٤٣٧ وقد تمكن الأشراف السعديون الذين حكموا مراكش بين عامى ١٥٥٤ و ١٦٥٨ من اجلاء البرتغاليين عن « أغادير » و « آسفى » و « آزمور » ولم تبق لهم الا منطقة « مازاجان » ،

---

(١) اندمج العرب ببربر شمال آفريقيا اندماجا تاما مع توالى السنين وتحقق ذلك الاندماج باعتناق البربر لدين العرب الجديد ؛ وبالتزاوج ، والتصاهر ، واستيعاب اللغة العربية « السامية » التى تربطها بلغة البربر أكثر من صلة ، فالرأى المستقر أن الابجدية الليبية ، اى أبجدية بربر ليبيا قبل الفتح العربى ؛ تنتسب الى أصل فينيقى ، اذ أن العرب الفينيقيين قد اتصلو بشمال افريقيا اتصالا تاريخيا طويلا قبل الفتح العربى وتركوا الطابع العربى على لغة أهل ليبيا من البربر كما يقرر « هاليفى » فى دراسته عن نقوش هذه اللغة الليبية ، ومن المستقر علميا ان الابجدية الفينيقية هى أصل الكتابة الارامية التى أخذت عنها الكتابة النبطية وهى أصل اللغة العربية الحالية ، ويذهب المستعرب « ليتمان » فى بحثه عن « أصل الأبجدية الليبية » الى ايجاد صلة بين لغة أهل ثمود العرب التى كانت مستعملة فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام واللغة الليبية .

وتزعزع استقرار الحكم في المغرب الأقصى بعد ذلك الى أن تولت أسرة الشرفاء الفلالية العلوية الحكم في عام ١٦٦٤ ، وفي عهدها حررت «العرائش» و «أصيلا» من الاسبان كما أجلى البريطانيون عن « طنجة » في عام ١٦٨٤ التي كان البرتغاليون قد قدموها الى البريطانيين في عام ١٦٦١ كمهر لزواج الأميرة البرتغالية « كاترين » ، الا انه في عام ١٨٦٠ تغلبت القوات الاسبانية على المغرب في موقعة « تطوان » وفرضت اسبانيا على المغرب معاهدة قاسية أقرت لأسبانيا بالسيادة على « افني » التي تقع على المحيط الأطلسي بقرب حدود ما أصبح يعرف فيما بعد باسم «الصحراء الاسبانية» أو «ريودىأورو» أو «وادي الذهب» ، ولم تسكت «المغرب» بعد استقلالها في عام ١٩٥٦ عن المطالبة باسترداد «افني» ولكن اسبانيا ضمتها اليها وعدتها في يناير ١٩٥٨ مقاطعة اسبانية خشية الوعي القومي العربي الذي بدأ ينضج حول ضم « الصحراء الاسبانية » الى الوطن العربي ، أما « طنجة » التي كان «المغرب» قد استعادها في عام ١٦٨٤ كما سبق أن أشرنا فقد قررت معاهدة «فاس» في عام ١٩١٢ عدها « منطقة دولية » ، ولكن اسبانيا احتلت « طنجة » في عام ١٩٤٠ وأدمجتها فيما أسمته «مراكش الاسبانية» الا ان مؤتمر باريس الذي عقد عام ١٩٤٥ وضم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي دعا اسبانيا الى سحب قواتها ونظم أوضاعها كمنطقة دولية ، وفي ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٦ اتفقت الدول المعنية ــ بعد الاعتراف باستقلال المغرب ــ بانهاء الوضع الدولي لطنجة ابتداء من أول يناير ١٩٥٧ .

وأما « سبته » التي كان البرتغاليون قد غزوها في عام ١٤١٥ ثم انتقلت الى أيدي الاسبان في عام ١٥٨٠ فقد عادت الى الوطن الأب عقب استقلال المغرب في عام ١٩٥٦ مع غيرها من الأراضي العربية المغربية التي كانت بين أيدي الاسبان بعد أن مانعت اسبانيا في بادىء الأمر في اعادة « سبته » و « مليلة » وهو الاقليم العربي المغربي الواقع على ساحل البحر الأبيض وأذعنت أسبانيا فتخلت عن اقليم « طرفاية » على المحيط الأطلسي عند أقصى الحدود المغربية المتاخمة لوادي الذهب أو « الصحراء الأسبانية » وأعادته للمغرب في أول ابريل ١٩٥٨ ولكن اصرار « المغرب » على استعادة بقية أراضيه وقيام جيش التحرير المغربي بالهجوم على الاسبان في منطقة « افني » ، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي صدر بالاجماع في ١٦ من ديسمبر ١٩٦٥ ولم يشذ عن هذا الاجماع الا اسبانيا والبرتغال والذي نص على مطالبة اسبانيا بتحرير منطقتي « افني » على المحيط الأطلسي والصحراء الاسبانية « وادي الذهب » من السيطرة الاستعمارية

تطبيقا للمبادىء التى أقرتها لجنة تصفية الاستعمار وللقرار الذى أصدرته الأمم المتحدة فى ١٤ من ديسمبر ١٩٦٠ والذى سبق أن أشرنا اليه عند استعراض اعادة الأقطار العربية التى كانت خاضعة لبريطانيا وغيرها الى الوطن العربى ، وعودة الأمم المتحدة الى تكرار مطالبة أسبانيا فى أعوام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ بالتخلى عن المناطق العربية المغربية المحتلة والالحاح على تطبيق حق تقرير المصير على العرب أهل هذه المناطق ــ كل ذلك أرغم اسبانيا على توقيع معاهدة فاس فى عام ١٩٦٩ التى بمقتضاها أعادت اسبانيا « افنى » للمغرب ٠

وبقى « وادى الذهب » أو ما كان يسمى « الصحراء الاسبانية » وما أطلق عليه دعاة الاستقلال من أهل الاقليم اسم « جمهورية الصحراء العربية الديمقراطية » فقد ظلت الأمم المتحدة تلح فى مطالبة اسبانيا بتطبيق حق تقرير المصير على أهل هذه المنطقة العربية ٠

وفى مجال العمل العربى المشترك أشارت الجزائر والمغرب فى بيان بتاريخ ٢٧ من مايو ١٩٧٠ الى قرار الأمم المتحدة المتضمن حق تقرير المصير وأكدتا « العمل المنسق لتحرير هذه الأراضى وتصفية الاستعمار الأجنبى منها » ، كما وقع المغرب وموريتانيا معاهدة فى ٨ من يونيو ١٩٧٠ نصت على تخلى المغرب عن مطالبه الخاصة باقامة « المغرب الكبير » وهو موضوع الخلاف الذى كان قد وقف عقبة دون قبول موريتانيا عضوا فى الجامعة العربية (١) ٠

---

(١) آثارت المملكة المغربية موضوع الاعتراف بجمهورية موريتانيا الاسلامية أمام مؤتمر القمة الافريقى الذى عقد فى الدار البيضاء من ٤ الى ٧ من يناير عام ١٩٦١ فاصدر المؤتمر القرارات الآتية : « نظرا للمناورات الاستعمارية التى ترمى الى تقسيم الدول الافريقية بغية اضعافها ونظرا لان فرنسا اقتطعت من المغرب جزءها الجنوبى موريتانيا رامية من وراء ذلك الى دعم سلطتها فى افريقيا ، واستغلال خيرات البلاد وايجاد منفذ لها تجاه المحيط الاطلسى ونظرا الى ان الاكثار من الدول المصطنعة فى أفريقيا يشكل تهديدا مستمرا على سلامة القارة الافريقية ويقوى فى الوقت نفسه الاستعمار ونظرا لأن الدفاع عن حرية كل دولة افريقية ووحدة أراضيها هو فى الوقت نفسه دفاع عن حرية أفريقيا ، فان المؤتمر :

١ ــ يستنكر ويندد علانية بكل نوع من أنواع الاستغلال الاقتصادى والسياسى والعسكرى لافريقيا ٠

٢ ــ ويعلن المؤتمر عزمه على احباط كل محاولة لتقسيم اجزاء القارة الافريقية وجعلها من التوابع ٠

= ٣ ــ ويؤيد المؤتمر كل عمل يقوم به المغرب فى موريتانيا لاسترجاع حقوقه المشروعة فيها ٠

وأعادت الأمم المتحدة فى أعوام ١٩٧٠ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ مطالبتها لاسبانيا بتطبيق حق تقرير المصير على سكان الصحراء الاسبانية ، واعلانها شرعية كفاح أهل هذه المنطقة فى سبيل هذا الحق ، ومنذ أكتوبر ١٩٧٣ أعلن أن المغرب وموريتانيا قد اتفقا على الوضع فى الصحراء الاسبانية ثم عادا الى اعلان هذا الاتفاق فى ديسمبر ١٩٧٤ ٠

وفى أكتوبر ١٩٧٥ قدمت « الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب » مذكرة الى الأمم المتحدة تطالب فيها بالاستقلال باعتبارها ممثلة لشعب المنطقة ، وفى ٢٧ من فبراير ١٩٧٦ أعلنت هذه الجبهة التى أصبحت معروفة باسم « بوليزاريو » قيام « جمهورية الصحراء العربية الديموقراطية » وأعقبت ذلك باعلان تشكيل حكومة لها اعترفت بها الجزائر وذلك فى اليوم التالى لاتمام انسحاب القوات الاسبانية من الصحراء طبقا لما سبق أن تم الاتفاق عليه بين الدول الثلاث : اسبانيا والمغرب وموريتانيا ٠

ولما كان المغرب وموريتانيا قد عدا الصحراء الاسبانية جزء من حدودهما التاريخية فقد ردا على ذلك بقطع علاقاتهما الدبلوماسية بالجزائر ٠

ولم تقف جامعة الدول العربية ولا الحكومات العربية مكتوفة الأيدى أمام هذا الصدع فى صرح التضامن العربى ، فقام نائب رئيس جمهورية مصر بالوساطة لتجميد النزاع فى فبراير ١٩٧٦ اذ سافر والتقى بأطراف هذا النزاع ٠ كما قام أمين عام الجامعة بالوساطة لنفس الغرض ٠ وفى آخر مارس ١٩٧٦ أعلن أن المملكة السعودية ومصر وسوريا والعراق والسودان وتونس قد أسهمت فى مساع عربية حميدة لحسم النزاع بين الجزائر من جهة والمغرب وموريتانيا من جهة أخرى حول «وادى الذهب» ٠

من هذا العرض التاريخى الموجز يتضح ان محاولات التسلل الاستعمارى الى منطقة موريتانيا ، « شنقيط » الداخل أو منطقة « وادى الذهب » أو منطقة الساحل قد بدأت فى « موريتانيا » — والمناطق العربية المتاخمة — فى القرن الخامس عشر ٠

وقبل استقرار الاستعمار الأوروبى فى موريتانيا وباقى المنطقة المتاخمة لها من غرب أفريقيا أبرز المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله السعدى (١٥٩٦ — ١٦٥٥) الافريقى المسلم فى كتابه « تاريخ السودان » البراهين التى « تؤكد وجود مجتمع ثقافى عربى يحاكى المجتمعات (العربية) فى

شمال أفريقيا » وقد تولى المستعرب « هودا » ترجمة هـــذا الكتاب الى الفرنسية ونشر مخطوطة الأصل العربى عام ١٩٠٠ (١) ·

وقد بدأت أولى محاولات التسلل الاستعمارى الى موريتانيا فى القرن الخامس عشر بواسطة البرتغاليين ، وبعد قرنين من تلك المحاولات الأولى مارس الهولنديون تجارة الرقيق والصمغ العربى فيها ، ثم تلاهم الفرنسيون والبريطانيون الذين نافسوا الهولنديين منافسة ضـــارية للفوز باحتكار الصمغ ، ولما احتل الفرنسيون السنغال فى القرن التاسع عشر أسرعوا الى مد نفوذهم الى موريتانيا ، فأعلنوا الحماية الفرنسية عليها فى مايو ١٩٠٣ . ثم اتخذ النفوذ الفرنسى فى أكتوبر ١٩٠٤ شكل « ادارة مدنية » خاضعة لاشراف حكومة « أفريقيا الغربية الفرنسية » وفى ٤ من ديسمبر ١٩٢٠ تحولت موريتانيا الى مستعمرة فرنسية تديرها حـكومة « أفريقيا الغربية الفرنسية » فى « ســـان لويس » بالســنغال ، وفى عام ١٩٥٦ استطاعت موريتانيا أن تحصل على حق تكوين مجلس لادارة حكومتها ، وفى سبتمبر سنة ١٩٥٨ – عقب استفتاء للشعب الموريتانى – أصبحت دولة مستقلة داخل نطاق « المجموعة الفرنسية » ، وفى أعقاب المفاوضات التى أجراها مختار ولد داده زعيم حزب الشعب الموريتانى مع فرنسا أعلن استقلال موريتانيا فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٦٠ · وفى أكتوبر ١٩٦١ تبلت موريتانيا فى عضــوية الأمم المتحـدة وتوالت بعـد ذلك طلبات موريتانيا للانضمام الى الجامعة العربية للاسهام فى العمل العربى المشترك مع أسرة الدول العربية ·

الاتجاهات الاندماجية العربية : تطلع الى « الجامعة الاسلامية » أم بالأحرى دعوة الى « الأمة العربية »

ولقــد وقف الأســـــتاذ « هوريو » أمام هــــذه الظـــاهرة من ظواهر التكتل العربى والاتجـــاه الى الاندماج فتســـــاءل : ما هى الأسباب العميقة التى لهذا الاتجاه الذى تبديه الشعوب العــربية بالشرق الأوسط الى الذوبان فى أمة واحدة ؟ ان أول جواب يرد على الخاطر أننا نجد أنفسنا أمام ظاهرة ذات طابع دينى · أمام جهد للعمل على بعث الجماعة الاسلامية ، الأمة التى تشير اليها الكتب المقدسة · والواقع ان كل الذين عاشوا ولو بضعة أشهر فى البلاد الاسلامية قد استطاعوا أن يتبينوا وجود رابطة قوية جدا تربط بين جميع المسلمين الذين يشعرون حقاً بأنهم

---

(١) عبد الرحمن زكى : المراجع العربيــة للتــاريخ الاســلامى فى غرب افريقيا ، القاهرة : الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ – ٧.

أعضاء فى جماعة عقائدية سوف يقدر لها أن تعود الى الوجود . والطابع الدينى للسلطة العامة فى البلاد الاسلامية يقوى هذه العقيدة ، اذ أن الدولة الاسلامية تمتد حدودها بطبيعتها الى حيث يؤمن الناس بالاسلام . وعلينا أن نضيف أن هذه الرابطة الدينية تدعمها لغة مشتركة : العربية التى يتكلمها فى الواقع أهل جميع البلاد الاسلامية الا تركيا وايران وباكستان وأندونيسيا وماليزيا .

ولكن فى الحق ان هذا الاتجاه انما هو دعوة الى « الأمة العربية » أكثر منه تطلعا الى الجماعة الاسلامية . فالتطلع الى « الأمة العربية » اذن انما هو قبل كل شىء تعبير عن شعور بالقرابة العرقية الى جانب عاملين آخرين : أولهما ادراك الجوار الجغرافى الذى يسمح فى الوقت المناسب بانشاء اتحاد « فيديراسيون » . وذلك بالنسبة لبلاد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .. وعلى أية حال فمن المؤكد ان اتحادا فيديراليا بين البلاد العربية ذا سياسة دولة واحـدة سيكون له وزن كبير فى ميزان القـوى العـالمية (١) .

ويبدو جليا أن « هوريو » لا يزال واقعا تحت زخم الفكرة القديمة عن الجماعة الاسلامية التى تضفى « جنسية روحية » على كل المسلمين التى تربطهم برابطة ولاء لجهاز فوق مستوى الدول والبلاد الاسلامية هو جهاز الخلافة ، ولكن تطور هذه الفكرة والتمييز بين « العالم العربى » بما يضمه من دول عربية — اسلامية والعالم الاسلامى أصبح لا يحتاج الى تدليل بعد الغاء الخلافة عام ١٩٢٤ (لويلبيه ، الفصل الثالث من القسم الثانى) . كما أن وحدة اللغة قد أصبحت أحد الأسس الرئيسية للوحدة العربية بعد التجاوز عن الدعوة الى احياء الخلافة (الاتحاد العربى : ١٩٤٢ ، الفصل الأول من القسم الثالث) وعلى مستوى الجامعة العربية الكونفيديرالى تبين أن « العروبة » لم تكن فى الماضى ولا فى الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان (المؤتمر الثقافى العربى : ١٩٤٧ ، الفصل الثـانى من القسم الثالث) ، وأخـيرا فقد غاب عن « هوريو » ما قرره « جارديه » من أن العروبة « اليوم تجسد وتوجه وتمثل ماكانت تجسده وتوجهه وتمثله فكرة « الأمة » الاسلامية فى الماضى (الفصل الأول ، القسم الثالث) . مع الابقاء فى نفس الوقت على التضامن الاسلامى كقاعدة تدعم العلاقات بين الشعوب الاسلامية .

(1) A. Hauriou : Cours de vie politique en France et à l'étranger, Les Cours de Droit. باريس ، ١٩٥٨ — ٩

استجابة الجماعة لمواجهة التدخل الأجنبي :

وفي رسالة مقدمة لنيل « الدكتوراه » من كلية الحقوق بجامعة باريس في عام ١٩٤٩ عن « الاتفاقيات الاقليمية » أبرز مقدم الرسالة المصرى عناصر العامل السياسي فى عقد الاتفاقيات الاقليمية فأفرز من هذه العناصر عنصر النفسية الجماعية التى يبرز «هاكسلى» سماتها فى هذه العبارة : « يجب أن نذكر استجابة الجماعات · أورد فعلها ضد التدخل الأجنبى فى شئونها بين كل العواطف والانفعالات الداعية الى وحدة هذه الجماعات · فان هذه الاستجابة أقوى من الرابطة المتخيلة عن القرابة الطبيعية · بل أقوى حتى من القرابة العرقية الثابتة على مدى التاريخ » ·

وانتهى الباحث المصرى ـ مستندا الى رأى فقيه فرنسى ـ الى أن الجامعة العربية انما هى استجابة ورد فعل ضد سياسة التدخل الانجليزى ـ الفرنسى فى الشرق الأوسط ·· وأن هذا الدفاع من جانب العالم العربى عن نفسه ضد كل سيطرة خارجية انما كان ، اذن ، الأصل النفسى (السيكلولوجى) للوحدة العربية على المستوى الواقعى » (١) ·

ومع ذلك فان الباحث ـ فى تلخيصه لرأيه عن العناصر اللازمة والكفيلة بتكوين رابطة اقليمية · وبالذات عند استعراضه لعنصر الحدود الجغرافية للمنطقة التى تنشأ فيها مجموعة اقليمية ـ قد ذهب الى أن « الجامعة العربية الفتية محدودة غربا بالحدود الليبية · واذا زادت قوتها فان هذه الحدود سوف تمتد الى الحدود التونسية » (٢) ·

الا أن « الجامعة » لم تقتصر على القيام بكفاح « كونفيديرالى » لتحرير البلاد العربية الأربعة : ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، فى شمال افريقيا، فان هذه البلاد ـ بعد أن استردت استقلالها وأصبحت أعضاء فى «الجامعة» ـ اشتركت مع دول « الجامعة » الأخرى فى الكفاح « الكونفيديرالى » لتحرير البلاد العربية الأخرى الرازحة تحت السيطرة الأجنبية : (اليمن الجنوبية ، عمان ، دولة الامارات العربية المتحدة ، البحرين ، قطر) ، و « الجامعة » ـ اليوم ـ ليست محدودة لا بالحدود الليبية ولا بالحدود

---

(١) ب · ب · غالى : اسهام فى دراسة الاتفاقات الاقليمية ، نفس المرجع ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ·

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ ·

التونسية كما خيل لهذا الباحث فى عام ١٩٤٩ وانما أصبحت حدودها تمتد الى المحيط الأطلسى غربا • وتغطى نحو ثمانية ملايين من الكيلومترات المربعة يعيش فوقها أكثر من مائة وأربعين مليونا من العرب • هم شعوب عشرين دولة • أعضاء « الجامعة » •

ولقد لوحظ على نشاط الدول العربية فى الأمم المتحدة أن المجموعة العربية تضم ممثل الجامعة العربية التى اعتمدت كمراقب فى المنظمة الدولية وهذا الممثل يرأس فى معظم الأحيان اجتماعات الوفود الى هذه المنظمة ، وهذه المجموعة العربية جمة النشاط وهى تعنى بدراسة المسائل التى تعرض عليها وخاصة ما يتعلق بالشرق الأوسط • وبالأخص المشكلة الفلسطينية الى جانب مشكلة تصفية الاستعمار والتنمية الاقتصادية •• فالمجموعة العربية لا تمارس عملها كمجموعة مستقلة فحسب ولكن كوحدة منظمة داخل المجموعة الأفرو ـ آسيوية » (١) •

---

(١) « فلورى » « مانتران » ، ص ٤٤٢ •

الفصل الرابع

تأثير العروبة على الدساتير
وبرامج الأحزاب السياسية العربية

ا ـ تأكيد دستورى لانتماء الشعوب العربية الى « الأمـــــة العــــربية » :

عقب توقيع ميثاق جامعة الدول العربية صدرت ثلاثة دساتير عربية اتخذت العروبة قاعدة أساسية للعلاقات الدولية التى تتسم بطابع الوحدة والتى تربط الدول التى أصدرتها بغيرها من الدول والأقطار العربية .

أولها الدستور السورى الصادر فى ٥ من سبتمبر عام ١٩٥٠ .

ويبدو فيه جليا تأثر الشارع الدستورى بالوحدة العربية ، اذ جاء فى مقدمته « نحن ممثلى الشعب الســـورى العربى المجتمعين فى جمعية تأسيسية بارادة الله ورغبة الشعب الحرة ، نعلن أننا وضعنا هذا الدستور لتحقيق الأهداف المقدسة التالية ، ونعلن أن شعبنا الذى هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله ، يتطلع الى اليوم الذى تجتمع فيه أمتنا العـــربية فى دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة فى ظل الاستقلال والحرية » :

ونص على أن :

« سوريا جمهورية عربية ديمقراطية نيابية ذات سيادة تامة .

والشعب السورى جزء من الأمة العربية » .

وقـــرر أن :

« تحـدد شروط الجنسية السـورية بقانون ويكون تسهيل خاص للمغتربين وأبنائهم وأبناء الأقطار العربية » ٠

كما نص أنه :

« قبل أن يتولى النواب عملهم يقسم كل واحد منهم علنا أمام المجلس اليمين التالية :

« أقسم بالله العظيم أن أعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية » ٠

وقبل أن يمارس رئيس الجمهورية ولايته يحلف أمام مجلس النواب اليمين التالية :

« أقسم بالله العظيم أن أعمل على تحقيق وحدة الاقطار العربية » ٠

أى أن الدستور السورى الذى اقتصر على اعلان أن الشعب السورى « عازم على توطيد أواصر التعاون بينه وبين شعوب العالم العربى والاسلامى وعلى بناء دولته الحديثة على أسس من الأخلاق القويمة التى جاء بها الاسلام والأديان السماوية الأخرى » ٠

عنى – للمرة الأولى فى تاريخ العــرب – بأن يحدد معالم العروبة فأكـــد :

– أن سوريا جمهورية عربية٠ وبذلك تفادى أن يصفها بأنها جمهورية اسلامية أو حتى عربية – اسلامية ٠

– أن الشعب السورى جزء من الأمة العربية ٠

– أن الشعب « يتطلع الى اليوم الذى تجتمع فيه هذه الأمة العربية فى دولة واحدة » ٠ وأن رئيس الدولة يلتزم – تحت القسم – بأن « يعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية » ، كما أن نواب الشعب وممثليه يلتزمون – تحت القسم – بتحقيق هذه الوحدة ٠

أما الدستور الثانى فهو الدستور الاردنى الصادر فى أول يناير ١٩٥٢ الذى نص على أن :

« المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية ٠٠ والشعب الأردنى جزء من الأمة العربية » ٠ ونص على أن :

« الاسلام دين الدولة . واللغة العربية لغتها الرسمية » .

أما الدستور الثالث وهو الدستور المصرى فقد نص فى مقدمته التى أعلنت يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٥٦ :

« نحن الشعب المصرى : الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها » .

وقد قرر الرئيس جمال عبد الناصر فى الخطاب الذى قدم به مشروع هذا الدستور :

« اننا عضو فى الكيان العربى الكبير وهذا الشعب يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى ، ويشعر أيضا أن ما يحيق بأى بلد عربى لا بد أن يؤثر علينا ، مصر تتفاعل مع العروبة جمعاء من أجل تحقيق الحرية بين ربوع العالم العربى كله ، فنحن اليوم حينما نعلن أننا نتفاعل مع الشعوب العربية ، ونعلن أننا جزء من الكيان العربى ، نعلن هذا من أجل مصلحتنا ومن أجل مصلحة العالم العربى كله .

نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا حتى لا يتكرر ما مضى . وحتى لا يتكرر ما فات .. نعلن أننا نتكاتف مع العرب جميعا من المحيط الأطلسى الى الخليج الفارسى من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ومن أجل الحق فى الحياة » ..

ونص هذا الدستور على أن :

« مصر دولة عربية .. والشعب المصرى جزء من الأمة العربية » .

كما أن دستور « الجمهورية العربية المتحدة » – بعد وحدة مصر وسوريا – الذى صدر فى ٥ من مارس ١٩٥٨ قد نص فى مادته الأولى على أن شعب هذه الدولة « جزء من الأمة العربية » .

وفى ٢٧ من يوليو ١٩٥٨ أصدرت الجمهورية العراقية دستورها المؤقت الذى نص على أن الشعب العراقى جزء من الأمة العربية .

ولما صدر الدستور العراقى فى ٣ من مايو ١٩٦٤ أعلن أن العراق جمهورية تقوم على التقاليد الاسلامية وعلى الايمان بالاخوة العربية . وأنها تستهدف تحقيق الوحدة العربية وخاصة مع الجمهورية العربية المتحدة .

وفى ١٨ من نوفمبر ١٩٥٨ ، بعد انقلاب عسكرى فى السودان ،

صدر مرسوم أعلن أن الحكومة ترجو وتعمل على انشاء علاقات أخوية مع جميع البلاد العربية وخاصة مع مصر .

أما دستور المغرب الصادر في عام ١٩٦٢ فقد قرر أن المغرب دولة اسلامية ، وأبرزت مقدمة الدستور أن اللغة العربية لغة هذه الدولة . ويقر المستعربون المتخصصون في شئون المغرب العربي وهم بصدد التعليق على هذا الدستور ، أن كل مغربي يؤكد انتماءه العربي . ولا يخلو التأكيد على هذا الانتماء من التأثر بهيبة القومية العربية التي تشع نشاطا وحركة ومن التطلع الى أمــة عربية قوية وموحــدة ينضــم هؤلاء المغــاربة تحت لوائها » (١) .

وفي ١١ من نوفمبر ١٩٦٢ صــدر دستور الكويت الذي نص في مقدمته على :

« الايمان بدور الوطن في ركب القومية العربية ، وعلى السعي نحو مستقبل يرسي دعائم ما جبلت عليه النفس العربية » .

كما نص على أن :

« الكويت دولة عربية مستقلة .. وشعب الكويت جزء من الأمــة العربية » — وعلى أن :

« دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع » و « لغة الدولة الرسمية هي اللغة العربية » .

وفي ٢٨ من ابريل ١٩٦٤ صدر دستور الجمهورية العربية اليمنية الذي انفرد بالنص على أنها دولة عربية — اسلامية .

وبعد أن تولى الرئيس محمد أنور السادات رئاسة جمهـورية مصر العربية صدر دستور سبتمبر ١٩٧١ الذي عاد الى اعلان أن الشعب المصري يلتزم « الى غير ما حد ، وبدون قيد أو شرط أن يبذل كل الجهود لتحقيق : الوحدة : أمل أمتنا العربية عن يقين بأن الوحدة العربية نداء تاريخ . ودعوة مستقبل . وضرورة مصير . وأنها لا يمكن أن تتحقق الا في حماية أمة عربية قادرة على دفع وردع أي تهديد مهما كان مصدره . ومهما كانت الدعاوى التي تسانده » .

كما عاد الدستور المصري الى تأكيد أن :

---

(١) « فلوري » « مانتران » ، ص ٢٠٦ .

« الشعب المصرى جزء من الأمة العربية · يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة » · ونص فى مادته الثانية على أن .

« الاســلام دين الدولة ، واللغــة العربية لغتها الرســمية ومبادىء الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع » ·

(ب) الأحزاب السياسية :

ويبدو أثر ميثاق جامعة الدول العربية والجهود التى بذلتها الجامعة جليا فى برامج الأحزاب السياسية ونكتفى فى هذا البحث بضرب بعض الأمثلة على ذلك :

الاحزاب السورية : (١)

فقد جاء فى برنامج « الحزب الوطنى السورى » :

ـ « ان العرب فى انحاء وطنهم أمة واحدة والسوريون جزء مُنها وسياسة الحزب تقوم على هذا الاساس ·

ان الحزب يسعى الى تحرير سائر أجزاء الوطن العــربى واستكمال سيادته ويتضامن فى هذا الســـبيل مع مختلف المنظمــات والجماعات الوطنية ·

فالتركيز ، فى برنامج هذا الحزب ، على « الأمة العربية الواحدة » التى يعد السوريون جزءا منها ، وعلى الالتزام بتحرير الأجزاء الأخرى من هذا « الوطن العربى » من السيطرة الأجنبية ، ولكن « الوطن العربى » الذى يضـــم كل البلاد العربية ، و « الامة العربية » التى تنتمى اليها الشعوب العربية لم تحدد معالمها بدقة فى هذا البرنامج ، فماهى الحدود الجغرافية لهذا « الوطن العربى » وما هى السمات أو الخصائص اللغوية ، والعرقية ، والثقافية التى تؤهل شعبا لكى يكون جزءا من الأمة الغربية ؟ وقد حاول واضعو هذا البرنامج تلمس اجابة على هذه التساؤلات فقرروا :

ـ ان الحزب يعمل على تمكين الروابط السياســية والاقتصــادية والثقافية والاجتماعية والتشريعية وغيرها بين أجزاء الوطن العربى توصلا

---

(١) فى ١٢ من مارس ١٩٥٨ صدر القانون رقم ٢ لســنة ١٩٥٨ على ان « تحــل الأحزاب والهيئات السياسية القائمة حاليا فى الاقليم السورى » من الجمهورية العربية المتحدة « ويحظر تكوين احزاب او هيئات سياسية جديدة » .

لتحقيق غاياته القومية على الوجه الصحيح ، والحزب يعتبر جامعة الدول العربية مؤسسة قومية يعلق عليها آمالا كبيرة فى الاهداف القومية ويسعى لتقويتها وتعزيزها .

ــ يقاوم الحزب كل نزعة أو سياسة أو حركة مخالفة لامانى الامة العربية ، ويعتبر الصهيونية عدائية خطرة على كل الكيان العربى فيسعى بكل الوسائل لمناهضتها ، ويعمل على صيانة عروبة فلسطين وتحريرها . »

وجاء فى برنامج « حزب الشعب السورى » :

« العرب فى مختلف ديارهم أمة واحدة ذات كيان واحد تتوافر فيه عناصر الوحدة الشاملة من روحية وسياسية واقتصادية واجتماعية والى أن تتحقق الوحدة المنشوده يرى الحزب أن يسعى اليها بالطريقتين التاليتين :

ــ اقامة اتحاد « فيديرالى » بين سوريا والأقطار العربية » .

ولكن أية أقطار عربية ؟ الاردن ؟ لبنان ؟ أو كلاهما والعراق ؟ والبرنامج ــ رغم هذا الالتزام الغامض بانشاء اتحاد « فيديرالى » غير محدد المعالم ــ يدعو الى :

ــ اتخاذ الجامعة العربية وسيلة الى :

توحيد السياسة الخارجية فى البلاد العربية وتوحيد التمثيل الخارجى ، توحيد قوى الدفاع العربى فى قيادته وأنظمته ، توحيد التشريع ، اعتبار بلاد دول الجامعة العربية وحدة جمركية ، اعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية وتوحيد المنهاج الاقتصادى، توحيد مناهج التعليم، الغاء جوازات السفر بين بلاد دول الجامعة العربية ، توحيد النقد العربى وتأسيس مصرف اصدار مشترك ، مساعدة الاجزاء العربية التى لم تستكمل سيادتها بعد على استكمال هذه السيادة وبذل الجهود لتحرير الاجزاء الرازحة تحت نير الاستعمار ، مقاومة تسلل النفوذ الاجنبى فى شتى أشكاله وصوره الى أى جزء من أجزاء الوطن العربى ، فلسطين بكاملها جزء لا يتجزأ من الوطن العربى وعلى سلامتها تتوقف سلامة هذا الوطن فيرى الحزب أن من أول واجباته مكافحة الصهيونية والوطن القومى اليهودى فيها مهما كلف الامر من جهود وتضحيات ، السعى لتنظيم وتوجيه

الرأى العام العربى نحو الاهداف العربية المشتركة وذلك بايجاد الاتصال بين الاحزاب السياسية العاملة على تحقيق تلك الاهداف » ·

وجاء فى برنامج « الحزب التعاونى الاشتراكى » :

« تعمل التعاونية الاشتراكية على اقامة اتحاد بين العرب يضم الدول الحالية الممثلة بمجالس نيابية وحكومات شعبية ترأسه حكومة اتحادية تعمل بارشادات مجلس اتحادى » ·

وجاء فى المبادىء الاساسية « لحزب البعث العربى » :

« وحدة الأمة العربية وحريتها ·

العرب أمة واحدة لها حقها الطبيعى فى أن تحيا فى دولة واحدة وأن تكون حرة فى توجيه مقدراتها ·

ولهذا فان حزب البعث العربى يعتبر :

ــ الوطن العربى وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ ولا يمكن لاى قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلا عن الاخر ·

ــ الأمة العربية وحدة روحية ثقافية وجميع الفوارق القائمة بين أبنائها عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربى ·

ــ الوطن العربى للعرب ولهم وحدهم حق التصرف بشئونه وثرواته وتوجيه مقدراته » أى أن هذا البرنامج ، بعد أن وصف « الوطن العربى » المنشود بأنه « وحدة روحية ثقافية » وبذلك أبرز العوامل الاجتماعية ــ السياسية وأغفل وضع الدين فيها ــ أوضح حدود هذا الوطن العربى بالنص على أنه :

« هذه البقعة من الارض التى تسكنها الامة العربية والتى تمتد ما بين جبال طوروس وخليج البصرة والبحر العربى وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الاطلسى والبحر الابيض المتوسط » ·· كما أن هذا البرنامج حاول تلافى التعريفات الغامضة التى استخدمتها البرامج السياسية الاخرى · فنص على أن « العربى » :

« هو من كانت لغته العربية وعاش فى الارض العربية أو تطلع الى الحياة فيها وآمن بانتساب الى الامة العربية » ·

وجاء فى برنامج « الحزب العربى الاشتراكى » :

« العرب أمة واحدة ، وعليهم أن يؤلفوا دولة واحدة فى وطن عربى واحد .. الوطن العربى هو كل أرض سكنها العرب ونشروا فيها لغتهم وطبعوها بطابعهم فأصبحت ضرورية للدفاع عن كيانهم .. القومية العربية ايمان عميق بعبقرية الامة العربية ومقدرتها على التجدد وعلى المساهمة فى انشاء الحضارة الانسانية .. يستهدف الحزب ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف الدينية والمذهبية والعنصرية والطبقية » .

وجاء فى برنامج « الحزب الجمهورى الديمقراطى » :

« ـ يعتبر الحزب القطر السورى جزءا من الوطن العربى الاكبر ، ويدعو الى أن تبذل الجمهورية السورية وسعها لنصرة القضية العربية العامة .

ـ يرى الحزب فى جامعة الدول العربية وسيلة تساعد على توثيق الصلات القومية والسياسية والاقتصادية بين كافة الاقطـار العربية ، وتمهد بذلك السـبيل الى الوحدة العربية الشـاملة التى يجب أن تكون هدف العرب الاسمى .

ـ والحزب يدعو الى تعزيز الجامعة العربية باصلاح ميثاقها وتوسيع صلاحيتها وتكوين جبهة واحدة منها للدفاع .. »

وبذلك يتضح أن الخطوط الرئيسية لبرامج هذه الاحزاب السورية الستة هى :

ـ العرب « أمة » واحدة

ـ « الوطن العربى » يشمل كل البلاد العربية

ـ العربى من كانت لغته العربية وآمن بانتمائه الى الأمة العربية ،

ـ ازالة الحواجز الدينية فى صـــدد العمل على تحقيق المشروعات العربية الوحدوية .

ـ حتى تتحقق وحدة « الوطن العربى » فان سوريا تنشىء اتحادا بينها وبين الدول العربية المستعدة للانضمام الى هذا الاتحاد

ـ تقوية ودعم الجامعة العربية كوسيلة لتحقيق النظام «الفيديرالى» المنشود للوطن العربى

ـ فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربى

الاحزاب العراقية : (١)

من برنامج « حزب الاستقلال » :

« .. العمل على تقوية الجامعة العربية وجعلها عاملا فى تكوين نظام اتحادى بين البلاد العربية .. العناية بالبلاد العربية كافة ولا سيما الاجزاء المستقلة منها وتمكينها من تقرير مصيرها واتحادها مع دول الجامعة العربية .. فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربى ويجب أن تبقى عربية ومن أولى واجبات الحزب مكافحة الصهيونية ومقاومة الوطن القومى لليهود ومقاومة انشاء دولة يهودية فيها او فى أى قسم منها » .

ومن برنامج « حزب الاتحاد الدستورى » :

« .. توثيق روابط الاخاء والتفاهم بين الدول والشعوب العربية وذلك بوضع وتشجيع المشروعات التى تستهدف تعزيز وتوسيع مختلف الصلات بين الامة العربية .. مواصلة الجهاد لنصرة فلسطين وانقاذها ومكافحة الصهيونية لدرء أخطارها عن البلاد العربية » .

وجاء فى برنامج « الحزب الوطنى الديمقراطى » :

« .. يعمل الحزب على تحقيق استقلال البلاد العربية المحرومة من استقلالها وتحرير فلسطين بما يضمن حقوق وكيان شعبها العربى » .

ومن برنامج « حزب الامة الاشتراكى » :

« .. تنظيم العلاقات بين العراق والدول العربية الاخرى على اساس اتحاد « فيديرالى » يشملها جميعها ، على أن يبدأ هذا الاتحاد بالدول التى ترغب فى الانضمام قيه ، ويرى الحزب أن جامعة الدول العربية يجب أن تكون وسيلة لتحقيق هذا القصد .. العمل على تحقيق استقلال البلاد العربية غير المستقلة » . أى أن برامج هذه الاحزاب السياسية العراقية الاربعة تتبع ــ فى خطوطها الرئيسية ــ نفس « الايديولوجيات » الوحدوية التى تنادى بها الاحزاب السورية .

« الاحزاب اللبنانية » :

من مبادىء « الجبهة الاشتراكية الوطنية » :

---

(١) صدر تشريع بالغاء الاحزاب عقب ثورة ١٤ من يوليو ١٩٥٨ .

« السعي لتجديد الجامعة العربية وجعل سياستها اكثر ايجابية ثم تدعيم العلاقات العربية فى نطاق ميثاق الجامعة بتعزيز التعاون الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، الغاء التأشيرات ، حرية التبادل الزراعى والصناعى، تنسيق التشريع ، تبادل البعثات الدراسية والتدريسية ، حرية انتقال المؤلفات والمنشورات » ٠

ومن مبادىء « حزب النداء القومى »

« ايضاح الفكرة العربية ونشرها فى داخل البلاد اللبنانية بحيث تصبح قاعدة لسياسة الدولة » ٠

ومن بين الشروط في طالب الانتماء الى هذا الحزب « **أن يكون أمينا لقوميته العربية** » ونظرا لظروف لبنان الخاصة عنى هذا الحزب بايضاح وشرح الفكرة العربية باسهاب فقرر :

« الفكرة العربية ذاتها حقيقة حية أزلية ، ولكن تصور العرب لها وتشخيصهم اياها اختلف، بل يختلف حسب أجيالهم وبيئاتهم وأهوائهم، واختلافهم هذا يتفاقم فى اختيار الطرائق وتحديد المراحل وتعيين الاساليب التى يتخذونها للوصول الى تنفيذ تلك الفكرة ، ولقد آن للعرب أن يصطلحوا على معنى لها ، واحد واضح ، استيفاء لحظ الفكرة من الحقيقة نفسها ومن العلم » ٠ ثم انتهى الى التقرير بأن « لبنان بلد عربى الارومة والطابع والمقصد » ٠

وجاء فى برنامج « حزب الاتحاد الجمهورى » الذى اندمج فى أواخر سنة ١٩٥٠ مع « حزب الكتلة الوطنية اللبنانية » :

« القواعد التى يجب أن ترتكز عليها السياسة اللبنانية ازاء الدول العربية ٠٠ يجب أن يحل التعاون الصادق الصحيح مكان التعاون الشكلى وأن يسود الاخلاص وصفاء النية العلاقات بين الدول العربية جميعا » ٠

وجاء فى برنامج « حزب عصبة العمل القومى » :

« ـ العرب أمة واحدة ، والعروبة روحية تصنع أخوة يتساوى فيها العرب بالحقوق والواجبات ٠

ـ الامة العربية جسم اجتماعى واحد ، كل عضو فيه يقوم بوظيفته التى هى وحدها مقياس افضليته ٠

ـ البلدان العربية بكليتها وطن عربى واحد

ـ القومية العربية تنبذ كل ما عداها من العصبيات الطائفية والقبلية والأسرية والأقليمية ·

ـ الحركة العربية هي حركة بعث وتحرير وانشاء » (١)

وهكذا يتضح ، أيضا ، أن برامج هذه الأحزاب السياسية اللبنانية الاربعة تتبع نفس الاتجاهات الوحدوية العربية التى تسير فيها الأحزاب السورية والأحزاب العراقية فيما يختص بالأمة العربية والوطن العربى ودعم الجامعة العربية ، ومع ذلك فمن اليسير أن نلاحظ ـ من خلال البرامج اللبنانية ـ أن الترحيب السـوري ـ العراقى بالفكرة « الفيديرالية » لا يبدو في البرامج اللبنانية ، والفقرات الخاصة بدعم الجامعة العربية فى هـذه البرامج اللبنانية يركز على أن يظل هـذا الدعم فى نطـاق ميثاق الجامعة ، أى أن هذا الدعم لا يستهدف اتخاذ الجامعة وسيلة لتحقيق اتحاد أوثق بين الدول العربية كما تنص الأحزاب السورية والعراقية ·

(ج) اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى الشـعبى العام : القاهرة ، ١٩٥٠ :

وفى ١٠ من مايو عام ١٩٥٠ عقد باحدى ضواحى القاهرة اجتماع بدعوة من أحد كبار المعنيين بالشئون العربية كان الغرض منه تكوين لجنة تأسيسية لمؤتمر عربى ·

وقد عرض الداعى فكرته على المجتمعين ، وملخصها أن مما لا شك فيه أن هناك ضغطا من الدول الاستعمارية على الحكومات العربية ، وأن هذا الضغط هو الذى عاق جامعة الدول العربية عن أداء رسالتها باعتبار أنها جامعة حكومات ، وأن هناك وعيا فى الشعوب العربية يجب الاستفادة منه لتحقيق مصالح العرب يجمع كلمتهم ودراسة قضـاياهم ومقاومة آثار الضغط التى توصل بعض المسـتعمرين في بعض الحالات الى ايقاعه على الحـكومات العربية والذى يبـدو فى الجـو أن النية مبيته على ايقاعه فى المستقبل ، وأشار الى أن الفكرة من الدعوة الى هذا المؤتمر هو أن يكون مؤتمرا دائما تتمثل فيه ارادة الشعوب العربية وأن يترك للجنة التأسيسية وضع نظام المؤتمر وتحديد أغراضه وباقى المسائل التفصيلية (٢) ·

---

(١) استندنا فى بيان برامج هذه الاحـزاب العربيـة الى كتاب سـاطع الحصرى « العروبة بين دعاتها ومعارضيها » الطبعة الثانية ، ١٩٥٤ ، ص ١٦٣ ، ١٨٢ .

(٢) محمد على علوبة ، من محضر اجتماع هذه اللجنة .

وتكلم آخر فأشار الى نفوذ المهاجرين العرب الذين من أصل لبنانى أو سورى أو فلسطينى فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية والى أن المؤتمر المنشـــود لو توصـــل الى توثيق صلته بهؤلاء المهاجرين العرب لأمكنت الاستفادة من نفوذهم الكبير هناك . (١)

واشترك فى المناقشة آخرون وأشاروا الى ما أصاب الشعوب العربية من أثر قضية فلسطين ومن موقف بعض الحكومات العربية من مصر خاصة ومن جامعة الدول العربية عامة ، وطالبوا بتحديد أهداف المؤتمر قبل اعلان فكرة الدعوة اليه .

وأعيد الاجتماع بعد أيام بدار « الاتحاد العربى » ، وتكلم البعض فى وجوب تحديد الغرض من المؤتمر قبل اعلان فكرته وأشار بوجوب البعد عن التدخل فى الشئون الداخلية لأى قطر عربى . (٢)

وتناقش المجتمعون فى خير الوسائل لأخراج فكرة المؤتمر الى حيز العمل وانتهوا الى تاليف لجنة فرعية لوضع مشروع القانون الأســـاسى للمؤتمر . (٣)

واقترح ثالث أن تســـتعين هذه اللجنة بآراء بعض رجال الفكر من الأقطار العربية المقيمين بمصر .

وقد اجتمعت هذه اللجنة فى ١٦ من مايو ســـنة ١٩٥٠ ، وتناقش المجتمعون فى اسم المؤتمر واتفقوا على تسميته « المؤتمر العربى العالمى » كما اتفقوا على أن يوصف هذا المؤتمر بأنه :

« هيئة دائمة تضم أعضاء من مختلف الشعوب فى الأقطار العربية وفى غيرها يجتمعون فى فترات دورية للنظر فيما يعرض عليهم من قضايا هذه الشعوب مما يدخل فى أغراض هذا المؤتمر .

ولا يتعرض المؤتمر فى قيامه بمهمته للشئون الحزبية أو الطائفية أو الدينية الداخلية فى مختلف الأقطار العربية .

---

(١) محمود كامل ، من محضر اجتماع هذه اللجنة .

(٢) محمد زكى على ، من محضر اجتماع هذه اللجنة فى ١٤ من مايو ١٩٥٠ .

(٣) تكونت هذه اللجنة من محمد على علوبة ومحمد زكى على وعلى أيوب وخليل ثابت ومحمد الشافعى اللبان واسماعيل الازهرى ومحمود كامل .

وتناقش المجتمعون فى أغراض المؤتمر فاتفقوا على تحديدها كما يأتى :

ـ رعاية الفكرة العربية وتنميتها بين العرب فى مختلف أقطار العالم وأشعارهم بما تمليه هذه الفكرة على كل منهم من واجبات نحو العروبة والأقطار العربية •

ـ العمل بصفة خاصة على استمرار الروابط بين العرب فى أوطانهم وبين العرب فى المهجر وتنمية هذه الروابط على وجه يبرز العرب فى الأسرة الدولية كشعب واحد يهدف الى غرض واحد ويعمل فى سبيل تحقيق غاية واحدة •

ـ التعاون بين الأقطار العربية وخدمة مصالحها والدفاع عن حقوقها وبحث شئونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتحقيق نهضة تعيد للعرب سابق مجدهم •

ـ اسماع صوت الشعوب العربية فى المحافل والهيئات الدولية والعمل بصفة خاصة على اشراك مختلف الهيئات الممثلة للشعوب العربية فى هيئة الأمم المتحدة كهيئات استشارية فى حدود احكام المادة ٧١ من ميثاق الأمم المتحدة •

ـ الاتصال بالمفكرين الأحرار من أصدقاء العرب فى مختلف أقطار العالم وتغذيتهم بالدراسات والبيانات والاحصائيات التى تسهل لهم مهمتهم فى الدفاع عن حقوق العرب •

واتفق المجتمعون على تكوين اللجان الآتية :

ـ اللجنة السياسية ، اللجنة الاقتصادية ، اللجنة الاجتماعية ، لجنة المهاجرين العرب فى الأميركتين ، لجنة الشعوب الأفريقية والآسيوية الصديقة ، لجنة الدعاية والاعلام •

وقد احتضن « الاتحاد العربى » فكرة هذا المؤتمر بعد ذلك وأطلق عليه اسم « المؤتمر العربى الشعبى العام » وكونت له لجان عديدة ، منها « لجنة درس الوسائل العملية لتقوية الروابط السياسية بين البلاد العربية » التى اجتمعت واقترح مقررها أن يتسع عمل اللجنة لدراسة الوسائل العملية لتقوية الروابط بين البلاد العربية وبين المهاجرين العرب الى الأقطار الأجنبية وخاصة الى أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية ، وأشار الى أن

للتجربتين اللتين قام بهما أثناء رحلته الى أمريكا فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ قد اقنعتاه بأن فى الامكان الاستفادة الى حد كبير من مئات الآلاف من المهاجرين العرب الى مختلف جمهوريات أمريكا ، وقرر أن جمهوريات أمريكا اللاتينية بالذات وان كانت دولا بعضها محدود عدد السكان الا أن أصواتها فى المحافل الدولية لها نفس قيمة أصوات الدول الكبرى فى أكثر الظروف، وأن الدول العربية ــ مع الأسف الشديد ــ لم تستفد من نفوذ الكثيرين من هؤلاء المهاجرين العرب أثناء عرض موضوع تقسيم فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة ولا أثناء عرض المسألة المصرية على مجلس الأمن ، وأنه اذا كانت الروابط السياسية بين البلاد العربية قد أصابها بعض الوهن فان ذلك يعود الى ما أصيبت به بعض القضايا العربية من صدمات فى المحافل الدولية وهى صدمات كان يمكن العمل على تلافيها اذا تكتلت الجهود الشعبية للمهاجرين العرب · (١)

ثم عادت هذه اللجنة الى الاجتماع بعد أيام فقرر احد أعضائها : « أن الروابط السياسية التى كلفت اللجنة بدراسة الوسائل العملية لتقويتها تحتم أن يقرر المؤتمر تكوين « تشكيلات » دائمة فى كل بلد عربى تقوم على تنفيذ قرارات المؤتمر ولاحظ أنه لكى يضمن نجاح المؤتمر فى عمله فان من الأفضل أن توجه الدعوة الى كل عربى يشهد ماضيه بأنه وضع قلمه أو سيفه فى خدمة العروبة وأنه يخشى اذا وجهت الدعوة الى الهيئات دون توجيهها الى الأفراد أن يندس فى المؤتمر أشخاص لا يبعث ماضيهم السياسى على الاطمئنان الى استقامة اشتراكهم فى أعمال المؤتمر » (٢) ·

ولاحظ عضو آخر من المتوفرين على دراسة تاريخ الوحدة العربية « أن دعوة الأفراد دون الهيئات قد تثير مشاكل لا يمكن تلافيها وأن دعوة الهيئات هى أسلم الطرق لأن الهيئات فى البلاد العربية كالأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات تضم فى الواقع كافة المشتغلين بالشئون العربية . ولاحظ أيضا على مناقشات اللجنة فى اجتماعها السابق أن من الأسلم أن يبدو المؤتمر عربيا بحتا والا يتعرض للعلاقات بين البلاد العربية والبلاد الاسلامية وان يترك هذا الشأن لهيئات أخرى تتوفر عليه » (٣) ·

---

(١) محمود كامل ، من محضر اجتماع هذه اللجنة فى ٨ من يناير ١٩٥٢ ·
(٢) اسعد داغر ، من محضر اجتماع هذه اللجنة فى ١٣ من يناير ١٩٥٢ ·
(٣) ساطع الحصرى ، من محضر اجتماع هذه اللجنة فى ١٣ من يناير ١٩٥٢ ·

وفى اجتماع لاحق لهذه اللجنة تكلم أحد أعضائها طويلا عن المهاجرين العرب فى أمريكا الجنوبية وعما يمكن الاستفادة به منهم وذكر أنه قام برحلة فى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وأنشأ لجانا فى معظم جمهورياتها وأن المؤتمر العربى المدعو يستطيع اذا تحول الى هيئة دائمة كالمؤتمر الهندى أن يستفيد من جهود هؤلاء المهاجرين العرب فائدة عظمى ٠ (١)

الخلاصة :

التأكيد على وجود « الأمة العربية » التى ينتمى اليها كل شعب عربى ، و « الوطن العربى » الذى يشمل كل البلاد العربية يرتكز على مذهب اجتماعى سياسى تسجله الدساتير العربية ، وبرامج الأحزاب السياسية العربية ، والمنظمات غير الحكومية العربية ٠

والمناقشة الخاصة ب « الجنس العربى » وهل هو جنس نقى مستقل أو هو خليط من الجنس السامى أو « الجنس الشرقى » الذى يسكن شبه الجزيرة العربية كما يذهب « فيشر » و « الجنس الأسمر » كما يذهب « ايليت سميث » أو الجنس الأبيض المتوسط الذى يسكن شمال أفريقيا ، كما يذهب « سيرجى » ـ هذه المناقشة ، مهما كانت نتيجتها ، لا تؤدى الى اكتشاف العنصر الحاسم فى الوحدة القومية ، فعلماء الاجتماع السياسى يقررون أن النمط ٠ أو الطراز العرقى ـ بعكس ما يعتقد عادة ـ ليس عنصرا حاسما من العناصر التى تحقق الوحدة الوطنية ٠ وأن هذه الوحدة انما هى نتاج حياة مشتركة لمجموعة من الناس ٠ فالجماعة العرقية نتيجة وليست سببا ، أنها تكرار الحياة فى مجتمع واحد والاستقرار فى نطاق هذا المجتمع ٠ (٢)

وثابت أن العرب قد عاشوا أكثر من أربعة عشر قرنا حياة مستمرة فى مجتمع واحد ٠ واستقروا فى نطاق هذا المجتمع ٠

وأما بشأن « الأمة العربية » فمن المعروف ، بداهة ، أن الأمة ٠ أية أمة ٠ لا ترتجل ارتجالا ٠ أى أنها لا يمكن أن تبدأ من الصفر ٠ فأية أمة انما هى تطبيق معقول للقاعدة التى يقررها علم الاجتماع السياسى والتى عبر عنها « رينان » عندما قرر أن الأمة ثمرة عمل طويل فى الماضى ، ولكن

---

(١) أكرم زعيتر ، من محضر اجتماع اللجنة فى ٢٠ من يناير ١٩٥٢ ٠

(٢) « كوفيلييه » ، نفس المرجع ، ص ٦٦٦ ٠

هذا العمل الطويل يتمثل أو يترجم فى وعى أفراد هذه الأمة بإجماع معنوى يتكون من أمرين . أحدهما فى الماضى والآخر فى الحاضر ، فالأمر الأول أو العنصر الأول هو اشتراك أفراد هذه الأمة فى ملكية تركة ثرية من الذكريات . أما العنصر الثانى فهو اتفاق هؤلاء الأفراد فى الحاضر على الحياة معا . ورغبتهم فى هذه الحياة المشتركة . وحرصهم – فى الانتفاع بتركة الذكريات التى ورثوها – على أن تظل هذه التركة شائعة . دون قسمة . أو فرز أو تجنيب ، وبهذا المعنى فان الأمة «روح» . أو هى «مبدأ روحى» ... واذا كانت الأمة تفترض ماضيا سابقا على نشوء هذه الأمة . فانها مع ذلك تبدو فى الحاضر متمثلة فى واقع ملموس : هو الرضا . أو الاتفاق . أو الرغبة فى استمرار الحياة المشتركة التى يعبر عنها أفراد هذه الأمة بوضوح . (١)

فتعلق العرب المشترك بالتركة الثرية من الذكريات الخاصة بمجد الامبراطوريات العربية ليس محلا لأى شك ، كما أن اعتزازهم الفذ بأصالة الثقافة العربية وتصميمهم على الانتفاع بتراثهم الثقافى العربى واضحان كل الوضوح . واجماع الدساتير وبرامج الأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية العربية على وجود « الأمة العربية » يعد – من وجهة النظر الاجتماعية – السياسية – من قبيل « الواقع الملموس » الذى يبرز اتفاق الشعوب العربية على الحياة المشتركة معا .

والأمة يمكن تعريفها – كما قرر « مارسيل موس » – بأنها جماعة مندمجة ماديا ومعنويا ، لها سلطة مركزية مستقرة ودائمة ، وحدود معينة، والى حد ما وحدة معنوية وذهنية وثقافية بين أفرادها الذين ينتمون برضاهم الى الدولة وقوانينها .

فهذا المظهر المزدوج للدولة : وحدة طبيعية وشبه عضوية من جهة. ووحدة روحية وشبه ارادية من جهة أخرى تفسر بسهولة المظهر المزدوج لـ « الوطنية » .

فالوطن – كما استقر اجتماعيا – سياسيا هو « الاسم العاطفى للأمة ، فهو الأمة وقد أصبحت – فى وجدان أفرادها – ايمانا . وعقيدة أو عاطفة « وطنية » خاصة تقوم على أساس من الاعتراف بالفضل . ومن الحب (٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٦٧ – ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٦٩ ، وقد استند عى « ده لابراديل » .

وفى ضوء الأدب العربى الحديث الضخم عن الوحدة العربية ، سواء داخل العالم العربى أو خارجه من المستعربين المهتمين بهذا العالم ، واصرار الدساتير العربية والمعاهدات المعقودة بين الدول العربية ، لا يبقى هناك مجال للشك فى أن هذا « الوطن العربى » ايمان · وعقيدة · وعاطفة «وطنية» ، ومواقف الحكومات العربية ـ برغم اختلاف إتجاهاتها بشأن هذا الوطن العربى ـ إنما هو رد فعل · أو استجابة للعاطفة الوطنية العربية الخاصة التى تبديها شعوب هذه الحكومات والتى تترجم اعترافهم بفضل هذا الوطن وحبهم له ·

الفصل الخامس

نضوج مذهب العروبة الاتحادى

العمل العربى المشترك فى عشرة اعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤

التطلع الى تكتل الدول العربية فى « اتحاد فيدرالى »
دعوة الى ان تحقق مصر هذه الرسالة التاريخية ، يناير ١٩٥٦

فى ٢٥ من يناير ١٩٥٦ صرح رئيس مجلس نواب احدى الدول أعضاء جامعة الدول العربية : « اذا نظرنا الى البلاد العربية التى تمتد من حدود ايران مبتدئة من العراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ـ نرى سلسلة متصلة من البلدان التى تسكنها شعوب تتكلم لغة واحدة وتدين أكثريتهم بعقيدة واحدة ، وعاشوا فى ماض مجيد واحد ، وشعروا فى حاضر قريب بنفس الآلام والاحلام ، ولا يفصل بينهم أى شعب أو أى قوم لا يمت اليهم بصلة أو يتكلم بلغة غير لغتهم ٠

ان الذين يطلبون الاتحاد العربى لا يخترعون جديدا ، بل يقررون تجديد ماض تاريخى مجيد بذلت فى سبيله مهج وأرواح من أجل تأسيس الامبراطورية العربية القديمة ٠٠ وفى رأيى أنه يصعب على أية دولة عربية أن تدافع عن ثرواتها ومواقعها من طمع الطامعين وعبث العابثين ونهم المستعمرين بمفردها ، ولا يمكن ذلك الا باتحادها حتى تشكل قوة تفرض على المستعمرين فى الحاضر والطامعين فى المستقبل هيبة تمنعهم من الطمع والاستعمار والاستثمار ٠

وفي اعتقادي أن مصر أكثر الدول العربية عددا وعدة ، وأن عليها واجبا كبيرا في سبيل تحقيق هذه الرسالة التاريخية من أجل مصلحة العرب ومصلحتها معهم .

ان مركز مصر وعدد سكانها ، ثم موقعها الذي يجعلها في قلب الأمة العربية المترامية الأطراف ، يحتم عليها أن تباشر تبني حمل الرسالة وأن تبدأ بدراسة الخطوات الواجب اتخاذها بدقة وامعان وسرعة .

وفي رأيي الشخصي أن يبدأ هذا الاتحاد بين الدول المستعدة على شكل اتحاد فيدرالي يوحد مصالح الجيش والاقتصاد والمعارف والمشاريع الانتاجية المشتركة ، ثم يعمل على ضم الدول الأخرى الراغبة في دخول هذا الاتحاد حتى اذا استكملت جميع الأقطار العربية حريتها واشتركت في هذا الاتحاد ... حينئذ يبحث في تحويله من اتحاد فيدرالي الى دولة عربية متحدة على غرار النظام القائم بين الولايات المتحدة الأمريكية . » (١)

مؤتمر الخريجين العرب ، ٢٧ من يناير ١٩٥٦ :

وفي ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٦ صرح ممثل « مؤتمر الخريجين العرب » .

« من ضمن المشروعات التي يدرسها المؤتمر مشروع الولايات المتحدة العربية . وقد وضعت المشروع لجنة فرعية من أساتذة القانون الدستوري وعرض على المكتب في اجتماعه الأخير وقرر ادخال تعديلات على المشروع الأصلي . وسيبلغ المشروع معدلا الى الأعضاء لابداء ملاحظاتهم عليه ، وتدرس في اجتماع المكتب في ابريل المقبل تمهيدا لعرضها على المؤتمر في دورته المقبلة بالاسكندرية في شهر يوليو المقبل . وكان من أهم الموضوعات التي رأى المؤتمر بحثها بواسطة المختصين وضع ميثاق عربي تلتزمه الأحزاب والهيئات السياسية العربية وسائر الهيئات الشعبية في البلاد جميعا . وسنحتاج في وضع هذا الميثاق الى دراسة دساتير هذه الأحزاب وتحليلها تحليلا علميا لاستخلاص القدر المشترك من الأهداف

---

(١) ناظم القدسي رئيس مجلس النواب السوري ورئيس الوزارة السورية الأسبق من تصريح في ٢٥ من يناير ١٩٥٦ . وكل بلاد المغرب العربي داخلة في الاتحاد « الفيدرالي » الذي دعا الى انشائه .

والمبادىء حتى يمكن وضع الميثاق الذى يرتضونه جميعا ، والذى يعبر عن آمال العرب ويوجد جبهة الكفاح العربى » (١) ٠

مؤتمر المحامين العرب : توصية باقرار مبدأ «الأمة العربية» و «الوطن العربى» ، ١٩٥٦ :

وفى ٤ من مارس ١٩٥٦ انتهت لجنة القانون الدولى بمؤتمر المحامين العرب المنعقد بالقاهرة الى التوصية بمبدأ توحيد الأمة العربية عن طريق اصدار تشريع يقضى باعتبار الأراضى العربية جميعها أراضى اقليم واحد ، وجميـــع رعايا الدول العربية رعايا دولة واحـدة ، وذلك فيما يختص بالخلافات الناشئة عن العلاقات القانونية ، والمبادرة الى توحيد اجراءات تنفيذ الاحكام والغاء قيود جوازات السفر والاقامة ٠

وقررت لجنة أنظمة المحاماة اباحة الحق لكل محام من محامى الدول العربية أن يدافع فى أى بلد عربى آخر ، وقبول الدرجات العلمية من جميع الدول العربية الصادرة من كليات الحقوق فى أى بلد عربى دون امتحان معادلة ٠

وأوصت لجنة الاجراءات المدنية والمرافعات بتوحيد أسماء القوانين ، وذلك بتوحيد التشريع الأصولى ، وتبسيط الاجراءات وتقصير المواعيد وخفض نفقات التقاضى ٠

وأوصت لجنـة الاحوال الشـــخصية بوضـــع تشريع عام للاحوال الشخصية مستمد من الشرائع الســـماوية ليطبق على جميع الشـــعوب العربية ، وتكوين لجنة دائمة لبحث التشريعات تمهيدا لوضع تشريع موحد للاحوال الشخصية على أن يكون للجنة فروع فى الدول العربية ٠

وأوصت لجنة توحيد المصطلحات القانونية بأن تقوم كل نقابة عربية بدراسة فرع من فروع القانون بقصد توحيد المصطلحات القانونية ٠

واتفقت لجنة الضرائب مبدئيـــا على توحيد القوانين الضريبية فى جميع الدول العربية على أساس تحقيق العدالة الاجتماعية ٠

وقد عقب أحد المحامين العرب على هذا الاتجاه التشريعى بأن ظاهرة

---

(١) محمـد فؤاد جلال ، من تصريح فى ٢٨ ينـاير ١٩٥٦ ٠ ومشروع « الولايات المتحدة العربية » لا يستبعد دول المغرب العربى ٠

توحيد الأنظمة القانونية فى البـــلاد العربية المختلفة لا تثير الالتفات فى غمار الحركة الحالية نحو الوحدة العربية · ولو أن هذا التوحيد هدف لم يتحقق بعد الا أن الاتجاه الى التوحيد قائم بالتأكيد ··· ولقد كان اصدار القانون المدنى المصرى حافزا الى لفت نظر القـانونيين بسرعة فى البلاد العربية الكبرى التى شعرت بالحاجة الى تعديل تشريعها المدنى المستند الى « المجلة » العثمانية · ولقد كان القانون المدنى المصرى الذى تضمن أحكاما من الشريعة الاسلامية : القانون التقليدى للبلاد ، ومن المبادىء والصيغ الفنية القـانونية الغربية الحديثة نموذجا احتذته بـاقى البلاد العربية · ولقد برر هذا الترحيب بالقانون المدنى المصرى لسببين أولهما تشابه الأحوال الاجتماعية فى مختلف البلاد العربية ، وقيام اطار تاريخى واحد يتمثل فى اشتراك جميع البلاد العربية فى الأخذ بتقاليد الشريعة الاسلامية ·· إننا هنا نواجه معالجة متشابهة لمشاكل قانونية فى شعوب تنتمى الى نفس الأسرة العرقية ، وهى معالجة تنبع من حصيلة مشتركة لتقاليد قانونية انطوت عليها ثقافة الأمة العربية قبل أن تتمزق الى عدة دول ·

ومما يستحق الملاحظة أن الأخذ بنفس القانون فى عدة دول لم يكن نتيجة طلب او اقتراح من الجامعة العربية ، بل أنه قرار تلقائى اتخذته الحكومات المعنية منفردة · ان الوحدة التشريعية بين الدول العربية عندما تتم يمكن أن تكون طليعة الوحدة السياسية التى ينشـدها الوطنيون العرب اليوم · (١)

مشروع محكمة عدل عربية اقليمية ، ١٩٥٥ :

وتجب الاشارة هنا ـ ونحن بصدد توحيد التشريع فى دول الجامعة العربية ـ الى المحاولات الخاصة بانشاء محكمة عدل عربية · فقد تولت عدة ادارات فى الجامعة دراسة هذا المشروع على امتداد عدة أعوام سـابقة على عام ١٩٥٥ · وعقب قانونى مصرى فى رسالة قدمها الى احدى الجامعات الهولندية على المشروع بأن محاولة توحيد الأنظمـــة القانونية العربية ومشروع انشاء محكمة عدل عربية اقليمية تعبيران عن الايمان بالشريعة

---

(١) ج · م · بدر ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٥ ، ص ١١٥ ـ ١٢٠
Unification of the Laws of the Arab Countries.

الاسلامية التقليدية وبنظام موحد للقضاء ينبع من تراث العرب الخاص ٠ وانشاء محكمة العدل لاينطوى على مواقف عدائية للقانون الدولى الغربى ولا على اضعاف لسلطة محكمة العدل الدولية وانما يدل على أن العالم العربى قد بدأ يحتل مكانة فى جماعة الأمم أى أنه رغم تقديس العرب للتعاون الدولى ولمثل العدل العالمية وللأنظمة العالمية فانهم يقدرون فائدة مبادئهم التقليدية ويرغبون أن يصوغوا منها نماذج جديدة أكثر ملاءمة لحاجاتهم ٠ (١)

وقد أضاف أن القواعد القانونية التى سوف تطبقها المحكمة العربية ستكون مطابقة للقواعد القانونية التى تطبقها محكمة العدل الدولية وهى ـ بالاضافة الى مبادىء الشريعة الاسلامية التقليدية ـ قواعد القانون الدولى العام ٠ والعرف والتقاليد التى تكونت حوله والمبادىء العامة للقانون المعترف به من الأمم المتحضرة ٠ ولأهمية اكتشاف وتفسير وتطبيق ومد آفاق مبادىء الشريعة الاسلامية فان محكمة العدل العربية يمكن أن تؤدى دورا فى هذا النطاق عن طريق أبحاثها وأحكامها ٠ (٢)

ومما يلفت النظر فى هذه الرسالة ما ورد بها بشأن القانون الذى تطبقه محكمة العدل العربية المقترحة ، فقد اقتصر واضع الرسالة على أن هذه المحكمة سوف تطبق القانون الذى تطبقه محكمة العدل الدولية ومبادىء القانون الدولى الاسلامى وقواعد القانون الدولى العام ، وأغفل تطبيق مبادىء القانون الدولى العربى ، ولو أن المؤلف استدرك فيما بعد فأشار الى أنه فى جامعة ما أو فى أى شكل من أشكال الوحدة القائمة على كيان «فيديرالى» أكثر مما تقوم على وحدة مركزية وطنية والمؤسسة على فكرة السلم والعدالة ـ يكون انشاء مثل هذا الجهاز القضائى ضروريا٠٠٠ ودور محكمة العدل العربية وعملها كجزء من أداة السلم العربى الدولى هو توضيح القانون الأساسى لمنظمة العرب الاقليمية وتنفيذه ودعم كيان الجامعة العربية وتنمية الوحدة العربية ٠ كل ذلك فى الاطار الأعظم ، اطار التنظيم العالمى ٠ (٣)

---

(١) فوده ، ص ١٦٢ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٦ ٠

اتفاقيتا الدفاع المشترك بين مصر وسوريا ،
وبين مصر والعربية السعودية : أكتوبر ١٩٥٥

وفى ٢٠ من أكتوبر ١٩٥٥ عقدت مصر وسوريا اتفاقية دفاع مشترك نصت على :

« ان حكومتى سوريا ومصر توطيدا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وتوكيدا لاخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء •

ورغبة منهما فى تقوية وتوثيق التعاون العسكرى حرصا على استقلال بلادهما ومحافظة على سلامتهما ، وايمانا منهما بأن اقامة نظام أمن فيما بينهما يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منهما وتحقيقا لأمانيهما فى الدفاع المشترك عن كيانهما وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافهما •

قد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية :

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو قواتهما اعتداء عليهما ، ولذلك فانهما عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما الى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الأمن والسلام الى نصابهما •

وتنفيذا لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدولتان المتعاقدتان انشاء الجهاز التالى : مجلس أعلى ــ مجلس حربى ــ قيادة مشتركة •

ويتكون المجلس الأعلى من وزير الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتين المتعاقدتين وهو المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته » •

وفى ٢٧ من أكتوبر ١٩٥٥ عقدت مصر والعربية السعودية اتفاقية دفاع مشترك تضمنت نفس الاحكام التى تضمنتها الاتفاقية المصرية السورية •

اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، ١٩٥٦ :

بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٦ اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية القرار الآتي :

« لما كانت الوحدة الاقتصادية من أهم الأهداف التي تسعى اليها جامعة الدول العربية ، فان اللجنة السياسية توصي بتشكيل لجنة من الخبراء العرب تتولى اعداد مشروع كامل لهذه الوحدة والخطوات التي يجب أن تتبع من أجل تحقيقها ٠

وتنفيذا لهذا القرار قامت الأمانة العامة بتوجيه الدعوة الى اجتماع لجنة الخبراء في ٦ من أغسطس ١٩٥٦ في بحمدون (لبنان) ، وتسهيلا لمهمة اللجنة كانت الأمانة العامة قد أعدت مشروع اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة مع مذكرة اضافية حول هذا الموضوع اتخذتهما اللجنة أساسا لدراستها ، كما استعانت اللجنة باتفاقية الوحدة الاقتصادية بين المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية ٠ وكذلك المشروع المقدم من الجانب اللبناني ٠

وقد اشتركت حكومات الدول الأعضاء في الجامعة ـ باستثناء حكومة السودان ـ في اجتماعات لجنة الخبراء بلبنان في أغسطس ١٩٥٦ وانتهت اللجنة الى اقرار مشروع اتفاقية للوحدة الاقتصادية الشاملة مع مشروع بالخطوات التي يجب أن تتبع لتحقيق هذه الوحدة ٠

وتنفيذا لقرار اللجنة السياسية قدمت لجنة الخبراء تقريرها مع المشروع الى اللجنة السياسية في دور الانعقاد العادي لمجلس الجامعة فاتخذ المجلس قرارا باحالة المشروع الى المجلس الاقتصادي استكمالا لبحثه من الناحية الفنية ٠

وتنفيذا لهذا القرار عرض تقرير اللجنة مع المشروع الذي أعدته على المجلس الاقتصادي في دور انعقاده الذي افتتح في القاهرة بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٥٧ فأحاله المجلس الى لجنة فرعية هي لجنة الشئون الاقتصادية والوحدة والتخطيط ٠

وبعد أن أدخلت هذه اللجنة الفرعية التعديلات التي رأت ادخالها على مشروع لجنة الخبراء انتهت الى تقرير ومشروع عرضا على المجلس الاقتصادي في ٣ من يونيو ١٩٥٧ فاقر المجلس اتفاقية الوحدة

الاقتصادية بين دول الجامعة العربية مع ملاحظة ما أبداه وفد لبنان من تحفظ ٠

كما قرر المجلس اعادة المشروع الى اللجنة السياسية للبت فيه من الناحية السياسية ٠

وتنص الاتفاقية على أن تقوم بين دول الجامعة العربية وحدة اقتصادية كاملة تضمن بصورة خاصة لتلك الدول ولرعاياها على قدم المساواة ما يلي :

ـ حرية انتقال الأشخاص ورءوس الأموال ٠

ـ حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية

ـ حرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى

ـ حرية النقل والترنزيت واستعمال وسائل النقل والمرافىء والمطارات المدنية ٠

ـ حقوق التملك والايصاء والارث ٠

وللوصول الى تحقيق هذه الوحدة الاقتصادية تعمل الدول الأعضاء بالآتى :

ـ جعل بلادها منطقة جمركية واحدة تخضع لادارة موحدة وتوحيد التعريفة والتشريع والأنظمة الجمركية المطبقة فى كل منها ٠

ـ توحيد سياسة الاستيراد والتصدير والأنظمة المتعلقة بها ٠

ـ توحيد أنظمة النقل والترانزيت ٠

ـ عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الأخرى بصورة مشتركة

ـ تنسيق السياسة المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية وتوحيد التشريع الاقتصادى بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلاد المتعاقدة فى الزراعة والصناعة والتجارة والمهن شروطا متكافئة ٠

ـ تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى

ـ تنسيق تشريع الضرائب والرسوم الجمركية والبلدية وسائر الضرائب والرسوم الأخرى المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة والعقارات

وتوظيف رءوس الأموال ، بما يكفل مبدأ تكافؤ الفرص وتلافى ازدواج الضرائب والرسوم على المكلفين من رعايا الدول المتعاقدة ٠

ـ تنسيق السياسات النقدية والمالية والأنظمة المتعلقة بها فى بلدان الأطراف المتعاقدة تمهيدا لتوحيد النقد بها

ـ توحيد أساليب التصنيف والتبويب الاحصائية

على أنه يمكن التجاوز عن مبدأ التوحيد فى حالات وأقطار خاصة بموافقة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية المنصوص عليه فى المادة الثالثة من هذه الاتفاقية ٠

ويتألف المجلس من ممثل متفرغ أو أكثر لكل من الأطراف المتعاقدة٠

وتكون القاهرة المقر الدائم لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية وللمجلس أن يجتمع فى أى مكان آخر يعينه ٠

وتكون رئاسة المجلس لمدة سنة وبالتناوب بين الأطراف المتعاقدة ٠

ويتخذ المجلس قراراته بأغلبية ثلثى الأصوات للأطراف المتعاقدة ولكل دولة صوت واحد ٠

وتساعد المجلس فى مهمته لجان اقتصادية وادارية تعمل تحت اشرافه بصورة دائمة أو لمدة مؤقتة ويحدد المجلس اختصاصها ٠

وقد قرر مجلس الوحدة الاقتصادية المنعقد بالقاهرة فى أغسطس ١٩٦٤ انشاء سوق عربية مشتركة ٠ وقد صدقت على هذا القرار الكويت وسوريا ومصر والعراق والأردن واليمن ، وهذا القرار خطوة فى المسيرة نحو الوحدة الشاملة التى هى الهدف الرئيسى للاتفاق ٠

وقد عقب أحد الاقتصاديين العرب وهو فى صدد تحليله للاتفاق الخاص بمجلس الوحدة الاقتصادية بقوله : « انه عهد الى المجلس باختصاصات هامة بينما حرمه من الوسائل التى لا غنى عنها لتحقيق الوحدة أو على الأقل الاندماج الاقتصادى ، فبينما ينص الاتفاق على أن القرارات تصدر بأغلبية الأصوات مما يضفى على مجلس الوحدة طابعا « فيدراليا » ، نرى أنه لم يستبعد السمة المتواضعة للقرارات التى لا تصدر ـ فى معظم الأوقات ـ الا بعد تسويات سابقة بين الدول الأعضاء خارج نطاق المجلس أو بعد مشاورات دبلوماسية تعد مشروعات هذه القرارات ٠٠٠٠ ان الأمة العربية مجموعة انسانية توحد بينها روابط قائمة تسمح بالعبور مباشرة

الى الأجهـــزة « الفيديرالية » ، فنصوص الاتفـــاق تمنح مجلس الوحدة الاقتصادية اختصاصا واسعا ومتشعبا ٠ ولكن هذه النصوص لا تتسق مع الحقائق السياسية فى البلاد العربية فشـــعوب هذه البلاد آكثر تعلقا بالوحدة مما تدل عليه الأجهزة الحالية » (١) ٠

وعقب باحث عربى آخر على صدور قرارات مجلس الوحدة الاقتصادية بأغلبية الثلثين بقوله : وهنا نجد كيف يبتعد المجلس عن قاعدة الاجماع المطبقة في مجلس الجامعة ، الا أنه يتعين لنفاذ هذه القرارات صدورها داخل كل دولة عضـــو وفقا لنظامها الدستورى ٠٠٠ كما نص الاتفاق الخاص بمجلس الوحدة الاقتصادية العربية على أن يؤلف والأجهزة المرتبطة به وحدة ٠ فيتمتع باستقلال مالى وادارى ويكون له ميزانية خاصة ، وبذلك يتضح أن مجلس الوحدة الاقتصادية جهاز مركب ومتشـــعب يتميز كل التمييز عن اللجنة الاقتصادية التى نص على انشائها ميثاق الجامعة » ٠

ووافق المجلس الاقتصـــادى فى ١٦ من مايو ١٩٦٨ على انشـــاء « صندوق عربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى » ونصت الاتفاقية الخاصة به على تأسيس هيئة مالية اقليمية عربية ذات شخصية قانونية مستقلة لهذا الغرض يكون مقرها الكويت ، وللصندوق أن ينشىء فروعا ووكالات له فى أى بلد ، ويقوم الصندوق بالأسهام فى تمويل المشاريع الاقتصادية ذات الطابع الاستثمارى ، وتشجيع توظيف الأموال العامة ، وكذلك توفير الخبرات والمعونات الفنية فى مختلف المجالات الاقتصادية ٠

وبين الأجهزة المتصلة بالتعاون الاقتصادى يمكن أن نذكر « المنظمة العربية للمواصـــفات والمقاييس » التى وافق المجلس الاقتصـــادى على انشائها فى ١٢ من فبراير ١٩٦٥ للعمل على توحيد المصطلحات الفنية ، وطـــرق الفحص ، والتحليل ، والقياس بين الدول العربية ، والحث على انشـــاء مؤسسات وأجهزة خاصـــة للمقاييس والمواصفات فى الدول العربية » (٢) ٠

---

(١) اسماعيل أغا Etude Analytique de l'Expérience Arabe d'Union Economique.
مجلة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، مجلد ٢٧ ، ١٩٧١ ، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢) أحمد عثمان : تطور أجهزة الجامعة العربية ؛ دراســات فى القانون الدولى ، الجمعية المصرية للقانون الدولى ، المجلد الثانى ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٣ ـ ٤ .

اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والعربية السعودية واليمن ، ٢١ من ابريل ١٩٥٦ :

وفى ٢١ من ابريل ١٩٥٦ عقدت اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والعربية السعودية واليمن على نسق الاتفاقيتين اللتين سبقت الاشارة اليهما المعقودتين بين مصر وسوريا وبين مصر والعربية السعودية فى أكتوبر ١٩٥٥ .

ولقد لخصت مبادىء هذه الاتفاقيات الثلاث فى أصلين :

١ ـ ان الغرض من هذه الاتفاقيات المحافظة على استقلال وأمن الدول المشتركة فيها عن طريق التعاون العسكرى فيما بينها فى وقت السلم وفى وقت الحرب .

٢ ـ يتم التعاون العسكرى عن طريق وضع جيوش الدول المتعاقدة كلها أو جانب منها تحت اشراف مشترك تباشره مجالس عليا ومجالس حربية وقيادات مشتركة فى وقت السلم وفى وقت الحرب . وتعد هذه الجيوش المشتركة لرد أى عدوان يقع على احدى الدول المشتركة وتتعهد هذه الدول بألا تعقد أى منها صلحا مفردا مع المعتدى أو أى اتفاق معه دون موافقة الدول الأخرى . (١)

الاتفاق الخاص بالتضامن العربى ، التأكيد على « الوطن العربى » و « الوحدة العربية » : ١٩ من يناير ١٩٥٧

وفى ١٩ من يناير ١٩٥٧ عقدت مصر والعربية السعودية وسوريا اتفاقية التضامن العربى التى أكدت ديباجتها ما سبق ان تقرر فى ديباجة كل اتفاقية من الاتفاقات السابقة ذات الاتجاه الاتحادى « الكونفيديرالى » من الاشارة الى المسئوليات الكبيرة التى تقع على الدول العربية بشأن كيانها واستقلالها واستجابة لرغبة وأمانى شعوبها فى التضامن لتحرير الوطن العربى ، ثم أضافت ان تحقيق هذا التضامن خطوة ايجابية نحو الوحدة العربية المنشودة ، ونحو دعم الامن والسلم طبقا لمبادىء ميثاق الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحدة . وقد نصت هذه الاتفاقية على الاسهام فى الالتزامات الخاصة بحكومة المملكة الاردنية الهاشمية طبقا لسياسة التعاون والتضامن بقصد دعم الكيان والاستقلال العربيين بمبلغ كبير .

---

(١) غانم ، جامعة الدول العربية ، ص ٧٦

الجمهورية العربية المتحدة :

باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى : أول فبراير ١٩٥٨

وفى أول فبراير ١٩٥٨ اجتمع فى القاهرة رئيسا جمهورتى مصر وسوريا وممثلو الجمهوريتين وأصدروا البيان التاريخى الذى قرروا فيه أنهم :

• انتهوا الى أن الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية هى طريق العرب الى الحرية والسيادة وسبيل من سبل الانسانية للتعاون والسلام، ولذلك فان واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة ، من نطاق الأمانى الى حيز التنفيذ ، وفى عزم ثابت واصرار قوى » • ثم خلص المجتمعون من هذا كله الى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت بعد أن جمع بينهما فى الحقبة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا وأكد أنها حركة بناء وتحرير وعقيدة وتعاون وسلام •

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وايمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سوريا ومصر فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة •

كما يعلنون اتفاقهم الاجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رئاسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ويكون لهذه الجمهورية علم واحد ، يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا فى وحدة يتساوى فيها أبناؤها فى الحقوق والواجبات ويدعون جميعا لحمايتها بالأنفس والمهج والأرواح ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها • وسيقدم كل من الرئيسين بيانا الى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى فى يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨ يبسطان فيه ما انتهى اليه هذا الاجتماع من قرارات ويشرحان أسس الوحدة التى تقوم عليها دولة العرب الفتية •

كما سيدعى الشعب فى مصر وسوريا الى استفتاء خلال ثلاثين يوما على الوحدة وشخص رئيس الجمهورية •

والمجتمعون اذ يعلنون قراراتهم هذه يحسون بأعمق السعادة وأجمل

ألوان الفخر ، اذ شاركوا فى الخطوة الايجابية فى طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل . والمجتمعون اذ يقررون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب ، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى يريد أن يشترك معهم فى وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الأذى والسوء ، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها » .

وقد أصدر مجلس الأمة المصرى قراره الذى نص على :

« ان مجلس الأمة ليرى فى اقامة الدولة العربية المتحدة ايذانا بفجر جديد ، تتضافر فيه كل الجهود والقوى فى سوريا ومصر فى سبيل واحد ونحو هدف واحد وايمان مشترك لتحقيق مجد العروبة . »

وفى نفس اليوم أصدر مجلس النواب السورى قراره الذى نص على :

« ان أعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تم انما يعبرون عن ارادة الشعب العربى فى الاقليم السـورى ويؤدون الأمانـة ويوفون بالعهد حين أقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الاقطـار العربية » (١)

الاتحاد « الفيدرالى » بين العراق والاردن ، ١٤ فبراير ١٩٥٨ :

وفى ١٤ من فبراير ١٩٥٨ أعلن أنشاء اتحاد « فيدرالى » بين العراق والاردن سمى » الاتحاد العربى » (٢)

---

(١) وبصدد وحدة مصر وسـوريا ذهب « صعب » ، ص ٧٤ الى أن أول حاكم مستقل لمصر ضم سوريا هو ابن طولون ، وعقب « حتى » ص ٤٥٣ على هـذا الضم الذى تم فى عام ٨٧٧ بأن سوريا ظلت تحكم لعدة قرون لاحقة من وادى النيل ، وأشار « اوليرى » فى كتابه « موجز تاريخ الخلافة الفاطمية » ، ص ١٠٧ الى ان من المؤكد ان الصلات بين مصر وسوريا لم تنقطع قط سواء فى التاريخ القـديم أو تاريخ العصـور الوسطى أو التاريخ الحديث .

(٢) نص البيان الخاص باعلان هذا « الاتحاد » على ما يأتى :

« قررت الدولتان الهاشميتان انشاء اتحاد بينهما وتحقيقا لهذه الغاية تم الاتفاق على ما يأتى :

اولا : انشاء اتحاد عربى بين المملكتين باسم الاتحاد العربى اعتبارا من يوم الجمعة ١٤ فبراير ويكون مفتوحا للدول العربية الأخرى التى ترغب فى الانضمام اليه .

وقد أرسل رئيس ال ج ٠ ع ٠ م عقب اعلان هذا الاتحاد برقية جاء فيها :

« ان الأيام التى تعيشها الأمة العربية الآن أيام خالدة مجيدة ومامن شك فى أن الأحداث التى عاشتها أمتنا فى الفترة الأخيرة تبشر بأن فجر الوحدة الذى أشرق على كل الآفاق العربية هو مطلع تاريخ جديد للأمة العربية المناضلة » ٠

وقد تردد البعض فى تحليل الطبيعة القانونية للاتحاد العربى فذهب الى أن « له طبيعة « كونفيديرالية » اذ أنه يحافظ على شخصية الدول الأعضاء كقاعدة عامة فى الخارج وفى الداخل » ٠ ولكنه عاد فقرر « ومع ذلك فان انشاء الحكومة الاتحادية برئاسة ملك العراق ومنحها بعض الاختصاصات الخارجية والداخلية يجعله يقترب فى بعض الأحوال من معنى الاتحادات « الفيدرالية » (١) ٠

وفى ١٤ من يوليو ١٩٥٨ — عقب ثورة قام بها الجيش العراقى — أعلن انفصال العراق عن « الاتحاد العربى » الذى لم يعد له وجود بعد الغاء النظام الملكى واعلان الجمهورية العراقية ٠

وفى مايو ١٩٥٩ عقب مستشرق بلجيكى على هذه الأحداث فى تاريخ العراق المعاصر فقرر أن جمهورية العراق تقف على مفرق الطرق اليوم أكثر

ثانيا : تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية ونظام الحكم القائم فيها .

ثالثا : تكون المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التى سبق الارتباط بها قبل عقد اتفاق الاتحاد مرعية بالنسبة للدولة التى عقدتها أما الاتفاقات الدولية التى ستعقد فى المستقبل فتكون من اختصاص الاتحاد .

رابعا : تنفذ اجراءات الوحدة بين البلدين اعتبارا من تاريخ الاعلان الرسمى للاتحاد وذلك فى السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسى وتوحيد الجيشين فى جيش عربى واحد تحت قيادة واحدة وازالة الحواجز الجمركية .

خامسا : اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوحيد النقد فى البلدين .

سادسا : علم الثورة العربية هو علم دولة الاتحاد العربى .

سابعا : تتخذ الاجراءات اللازمة لتوحيد أى أمر من الأمور الأخرى عندما تقضى الضرورة .

ثامنا : يتولى شئون الاتحاد حكومة اتحادية تنبثق عن مجلس تشريعى واحد ٠

تاسعا : يكون ملك العراق رئيسا لحكومة الاتحاد .

عاشرا : يكون مقر حكومة الاتحاد بصورة دورية لمدة ستة أشهر فى بغداد وستة أشهر فى عمان .

(١) غانم ، المجتمعات الدولية الاقليمية ؛ ص ١٠٣ ٠

ثباتا من أى وقت مضى • واذا كانت نذر العواصف تبدو فى مستقبلهـــا فيجب ـ على أية حال ـ أن نثق فى شعبها الذى يصمم ـ رغم محـاولات بعض قادته ـ على أن يلحق بطريق القومية العربية الحقة • (١)

الدول العربية المتحدة ـ الميثاق ، ٨ من مارس ١٩٥٨ :

وفى ٨ من مارس ١٩٥٨ وقعت الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ميثاق « الدول العربية المتحدة » الآتى :

ـ ينشأ اتحاد يسمى « الدول العربية المتحدة » يتكون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التى تقبـــل الانضمام الى هذا الاتحاد •

ـ تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحـــكم الخاص بها

ـ مواطنو الاتحاد متساوون فى الحقوق والواجبات العامة •

ـ لكل مواطن فى الاتحاد حق العمل وتولى الوظائف العامة فى البلاد المتحدة دون تفرقة وفى حدود القوانين • (٢)

---

(١) « وولف » ، ص ١١٨ •

(٢) قرر الميثاق أيضا :

ـ حرية التنقل فى الاتحاد مكفولة فى حدود القانون •

ـ تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التى يضعها الاتحاد •

ـ يتولى التمثيل السياسى والقنصلى للاتحاد فى الخارج هيئة واحدة • فى الأحوال التى يقرر فيها الاتحاد ذلك •

ـ يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة •

ـ تنظم الشئون الاقتصادية للاتحاد وفقا لخطط مرسومة تهدف الى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادى •

ـ ينظم القانون شئون النقد فى الاتحاد •

ـ ينشأ بين البلاد المتحدة اتحاد جمركى وذلك بالشروط والأوضاع التى يحددها القانون •

ـ ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة فى الاتحاد •

ـ يشرف على شئون الاتحاد مجلس يسمى المجلس الاعلى يشكل من رؤساء الدول الأعضاء •

ـ يعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الاتحاد •

ـ يشكل مجلس الاتحاد من عدد متساو من ممثلى الدول الأعضاء ويبين القـانون عدد أعضاء المجلس ومدة عضويتهم والأحكام الخاصة بهم •

وفي نفس اليوم ، ٨ من مارس ١٩٥٨ صدر القانون الاتحادى رقم ٢ بتحديد موارد الميزانية العامة للدول العربية المتحدة ، كما صدر القانون رقم ٥ بانشاء المؤسسة النقدية للمملكة المتوكلية اليمنية والقانون رقم ٤ بتنسيق النظام النقدى فى الدول العربية المتحدة ، والقانون رقم ٥ بالنظام الدفاعي للدول العربية المتحدة والقانون رقم ٦ بشأن المجلسين الثقافى والاقتصادى · كما صدر فى نفس اليوم قرار بأن يكون المقر الدائم للدول العربية المتحدة مدينة الحديدة بالمملكة المتوكلية اليمنية وقرار آخر بتعيين القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد ·

وقد اهتم القانونيون الدوليون العرب بهذا الحدث الهام فى العلاقات الدولية فقرر أحدهم :

« ومع أنه يمكن ادراج الدول العربية المتحدة فى دائرة الاتحادات الكونفيدرالية الا أننا نجد فيها اتحادا محكما وقواعد موحدة تقترب أحيانا من القواعد التى تأخذ بها الأنظمة الفيديرالية ·

ففى المجال الخارجى تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية فى علاقاتها مع الدول الاجنبية ومع المنظمات الدولية · ومع ذلك فهى لا تدخل فيما بينها فى علاقات دولية عادية ولا تتبادل فيما بينها التمثيل الدبلوماسى بل تخضع لسلطة المجلس الاعلى للاتحاد الذى يرسم السياسة الخارجية وينظم علاقاتها فيما بينها عن طريق القوانين الاتحادية لا عن طريق المعاهدات ·

— يختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للاتحاد فى المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية واصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحديد الاختصاصات وتصدر قرارات المجلس بالاجماع ·

— يصدر المجلس الاعلى القوانين الاتحادية التى يختص باصدارها وفقا لأحكام هذا الميثاق وذلك بعد موافقة السلطات المختصة فى كل دولة .

— يعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد .

— تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الأعلى ويعين القانون مواردها والحصة التى تؤديها كل دولة من الدول .

— تتبع مجلس الاتحاد الهيئات الاتية :

(أ) مجلس الدفاع — ب — المجلس الاقتصادى — جـ — المجلس الثقافى . وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الاتحاد للتصديق عليها .

— تكون للقوانين الاتحادية قوة الزامية فى البلاد المتحدة ويعمل بها بعد خمسة عشر يوما من تاريخ نشرها فى الجريدة الرسمية للاتحاد مالم ينص القانون على غير ذلك .

— يعين رئيس كل دولة وزيرا لدى الدول العربية المتحدة ، ويختص بالاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد فى الاقليم الذى يتبعه .

أما في المجال الداخلي فنجد أنه ـ خلافا لما عليه الحال فى الاتحادات الكونفيديرالية ـ أوجد ميثاق الدول العربية المتحدة علاقة بين الافراد التابعين لدول الاتحاد وبين الاتحاد نفسه • فلقد نص على المســـــاواة فى الحقوق والواجبات العامة ، وفى حق العمل وتولى الوظائف العامة بين جميع مواطنى الاتحاد • كما نص على حرية مواطنى الاتحاد فى التنقل فى البلاد المتحدة • وهكذا أوجد الميثاق جنسية مشتركة لرعايا الاتحاد يترتبعليها التمتع بمركز قانونى خاص •

كما أقام الميثاق جهازا دفاعيا موحدا للدول المتحدة ، وجعل من حق مجلس الاتحاد اصدار قوانين تكون لها قوة الزامية فى البلاد المتحدة تنظم المسائل المتعلقة بالدفاع أو بالاقتصاد أو بالثقافة ، وبصفة عامةكل المسائل التى تدخل فى اختصاص الاتحاد •

فالدول العربية المتحدة وسيلة لتقوية الرابطة الاتحادية بين الدول العربية المشتركة فيها • وهى على هذا النحو تتمشى مع أهداف ومبادىء ميثاق الجامعة العربية وبصفة خاصة التى تقرر أن لدول الجامعة الراغبة فيما بينها فى تحقيق تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هـــذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض » • (١)

وذهب آخر الى أنه اذا كان كل عضو من أعضاء هذا الاتحـــــاد « الكونفيديرالى » قد احتفظ بشخصيته الدولية فانه مع ذلك حددسيادته تحديدا جادا لصالح الاتحاد ،اذ أنه :

١ ـ قد ألغى التمثيل الدبلوماسى بين الدول الأعضاء فى الاتحاد •

٢ ـ ان الدول الأعضاء فى الاتحادسيكون لها تمثيل دبلوماسيوقنصلى مشترك فى بعض حالات عينها الاتحاد •

٣ ـ الدول أعضاء الاتحاد ستكون لها سياسة خارجية موحدة •

٤ ـ سينشأ اتحاد جمركى بين بلاد الاتحاد •

٥ ـ الاتحاد سوف يكون له جيش واحد يعلو على جيـــوش الدول الأعضاء • (٢)

---

(١) غانم ، المجتمعات الدولية الاقليمية ، ص ٨٠ و « جامعة الدول العربية » ص ١٠٩ ـ ١١٠ •

(٢) غالى : المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٥ •

الكتلة العربية :

خطة موحدة في مؤتمر باندونج ، ١٩٥٥ :

ولما اشتركت الدول العربية المستقلة فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ استرعى نظر المحللين السياسيين التعاون بين المثل العقائدية العربيـة فى العلاقات الدولية وبين هذه الاتجاهات التحررية الافريقية والافرو ـ أسيوية فاهتم البعض ـ وهو بصـدد تحليل مقدمات المؤتمر الآسـيوى الافريقى بباندونج ونتائجه ـ بملاحظة أن الجامعة العربية كان يتنازعهـا منذ البداية اتجاهان ، اتجاه رجعى يهدف الى ابقاء الجامعة ودولها وشعوبها فى اطار التعامل الغربى ، واتجاه أكثر تحررا وأكثر تمثيلا لأمانى الشعوب العربية ويرمى الى أن تكون لها شخصية مستقلة عن الاطار الغربى ، وأكد هذا البعض أن الاتجاه الثانى كان بحكم الضرورة يهدف الى أن تقف الجامعة العربية موقف الحياد فى صراع الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية. وكان مما يشجع على هذا الاتجاه المستقل أو « الحيادى » تأزم العـلاقات بين الشعوب العربية والغرب بعد الحرب العالمية الثانية وبالذات حـول المسألة الفلسطينية من ناحية و « مسألة العلاقات المصرية البريطانية » من ناحية أخرى . وفى مقال للكاتب هارولد هلتون فى مجلة « ذى كومنولث» يرى الكاتب أن مصدر الحياد فى الشرق عامة هو الاستعمار . وهـذه فكرة صائبة تماما فنحن يجب ألا ننسى أن الحياد يعنى بالدرجة الأولى الاستقلال الوطنى والاصرار على المحافظة على هذا الاستقلال باعتبارا أن الانحياز الى معسكر من « معسكرات القوى » يفقد الدول الصغيرة استقلالها أو ينقص منه . فالكفاح فى سبيل الحياد مرتبط فى الشرق العربى أوثق الارتباط بالكفاح فى سبيل الاستقلال والتحرر . ولما كان رفض الاحلاف الاستعمارية العلامة الاولى لهذا الحياد لذلك نرى الحركات الوطنيـة فى المشرق العربى حريصة بصفة دائمة على رفض الارتباط بأى صورة من الصور بمشروعات الأحلاف » (١)

ثم أضـاف أن أوضـح النقص فى مؤتمـر باندونج ان الشعوب الافريقية لم تمثل بدرجة كافية والسبب فى ذلك أن المؤتمر سار على قاعدة دعوة الدول المستقلة أو التى فى حكم المستقلة فقط ، فلم يدع الى المؤتمر أكثر من ست دول أفريقية . (٢)

---

(١) محمد انيس : « المؤتمر الآسيوى ـ الافريقى » ، القاهرة ، ص ٤٣ ـ ٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

وأن مؤتمر باندونج قد فتح حقبة تاريخية جديدة فى العلاقات بين العالمين العربى والأسيوى .

وأنه أخرج القومية العربية من عزلتها وربطها بالتيارات الانسانية المتحررة فى العالم الاسيوى الافريقى ، الأمر الذى ساعد على خروج القومية العربية من نطاقها المحلى الى الصعيد الانسانى الكبير .

ثم استعرض القضايا العربية التى عملت مصر على كسب تأييد المؤتمر لها وهى :

« أولا – ان مصر والدول العربية كذلك استطاعت أن تعزل اسرائيل عن المجتمع الاسيوى الافريقى وذلك بعدم دعوتها للمؤتمر ، وكذلك باتخاذ قرار يطالب بتنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بحقوق عرب فلسطين . ولا يمكن انكار أهمية هذا الكسب حين نذكر أن الكثير من الدول التى اتخذت هذا القرار ، تعترف باسرائيل وبينها وبين اسرائيل علاقات دبلوماسية ممارسة .

ثانيا – اتخذ المؤتمر قرارات بتأييد استقلال تونس ومراكش وحق شعب الجزائر فى تقرير مصيره ، وهو كسب أيضا حين نذكر أن بلدا مثل تركيا قد وافقت على هذا القرار رغم انها حليف فرنسا بحكم عضويتهما المشتركة فى حلف شمال الاطلنطى .

ثالثا – اتخذ المؤتمر قرارا بتأييد وجهة نظر اليمن فى عدن .

رابعا – اتخذ المؤتمر قرارا بحق الدول فى الدفاع المشترك « على ألا يخضع هذا الدفاع المشترك لخدمة مصالح دولة أجنبية » – وفى هذا تنديد واضح – اذا فسر تفسيرا سليما – بحلف بغداد ، وتأييد لوجهة النظر المصرية فى مسألة الدفاع عن الشرق الاوسط القائلة بأن الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبثق من داخل المنطقة وعلى هدى من مصالحها الحقيقية .

ثم يضاف الى هذا أن اتجاه المؤتمر العام كان نحو الحياد الايجابى والتعايش السلمى . وكان من الواضح أن الحكومة المصرية سوف تتخذ من مبادىء باندونج ولا سيما الحياد الايجابى والتعايش السلمى هديا لها فى مجال العلاقات الدولية والسياسة القومية » . (١)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦١ – ١٦٢ .

الكتلة العربية : خطة موحدة فى مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ :

ولما اجتمع مؤتمر الشعوب الاسيوية الافريقية بالقاهرة فى المدة بين ٢٦ من ديسمبر ١٩٥٧ وأول يناير ١٩٥٨ نص قرار لجنة الجزائر على أن المؤتمر :

ـ يستنكر الحرب الاستعمارية التى تشنها القوات الاستعمارية الفرنسية والفظائع التى تقترفها ضد الشعب الجزائرى الذى يكافح فى سبيل استقلاله ٠

ـ يؤكد تعضيده للكفاح البطولى الذى يقوم به الشعب الجزائرى ٠

ـ يصر على :

ـ الاعتراف باستقلال شعب الجزائر فورا ٠

ـ يستنكر تجنيد الافريقيين فى الجيش الفرنسى الذى يحارب فى الجزائر ويوجه نداء الى هؤلاء ليرفضوا مقاتلة اخوانهم ٠

ـ يطلب من جميع شعوب العالم وخاصة شعوب افريقيا وآسيا أن ٠٠٠ يتخذوا جميع الوسائل لتعبئة الرأى العام ضد الابادة فى الجزائر وحمل فرنسا على احترام حقوق الانسان واتفاقيات جنيف الخاصة بقوانين الحروب ٠

كما نص قرار فلسطين على أن :

ـ دولة اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الاوسط وسلامته وسياستها العدوانية خطر على السلم العالمى ٠

ـ يؤكد المؤتمر حقوق العرب فى فلسطين ويعلن عطفه على اللاجئين الفلسطينيين ويؤيد جميع حقوقهم وعودتهم الى وطنهم ٠

وقرار المؤتمر بشأن اليمن نص على أن :

ـ يؤيد المؤتمر نضال الشعب اليمنى ومطالبه فى الشمال والجنوب (عدن والمحميات) فى سبيل تحرير الجنوب ووحدته مع الشمال ٠ ويستنكر الحوادث الدامية التى تقع فى الجنوب كما يستنكر المؤتمر أيضا الفظائع التى يتعرض لها الشعب كنتيجة لوجود القواعد البريطانية فى هذه المنطقة ، ويطلب المؤتمر الجلاء عن تلك القواعد ، وسحب القوات الاجنبية من المنطقة ٠

وقرار المؤتمر بشأن الخليج العربى الذى نص على أن :

— يؤيد المؤتمر حق الشعب العربى فى الخليج العربى وفى البحرين العربية فى الاستقلال ويطالب بوقف العدوان على عمان وسحب الجيوش الأجنبية من منطقة الخليج العربى . ويناشد المؤتمر الشعوب الآسيوية والأفريقية أن تعترف باستقلال عمان . ويؤيد المؤتمر مطلبى شعب عمان الخاصين باطلاق سراح الزعماء المسجونين سياسيا وبايفاد لجنة محايدة لتحقيق الفظائع التى يرتكبها البريطانيون ضد الشعب .

وفى عام ١٩٥٨ خطا هذا الفكر العربى فى نطاق الفقه الدولى خطوة أخرى اذ أوضح ان : « القانون الدولى التقليدى يعترف بالاستعمار ، ولا يقر حق تقرير المصير ، ويعترف بشرعية المعاهدات التى تفرض على الشعوب برضاها ، ولا يضمن حقوق الانسان ، ولا يكفل حماية تملك كل دولة لمواردها الاقتصادية ، ويضع أنظمة تبيح تسلط الدول الكبرى على أنواع من مياه الدولة الداخلية والاقليمية . كل هذا يفسر عدم رضاء الشعوب الاسيوية والافريقية — عن كثير من قواعد القانون الدولى العام .

ولا جدال فى أن اشتراك الدول العربية فى المجتمع الدولى الحديث سوف يتيح لها مناقشة قواعد القانون الدولى والاشتراك فى تعديلها ، وهذا أمر اتضح بالفعل فى خلال اجتماع المؤتمرات الدولية كمؤتمر سان فرانسيسكو سنة ١٩٤٥ وفى مناقشات وقرارات المنظمات الدولية، حيث كانت الدول العربية تحاول على الدوام أن تجعل قواعد القانون الدولى تتمشى مع مصالحها ومصالح الشعوب الاسيوية والافريقية ، ومع مبادىء المساواة والعدالة واحترام حقوق الانسان » . (١)

الكتلة العربية : خطة موحدة ازاء الترشيحات لمناصب الأمم المتحدة وازاء القضايا الأفريقية :

ولعل أدق مثل على رسوخ التعاون التام بين أسرة الدول العربية وأسرة الدول الافرو اسيوية هو قرارات مجلس جامعة الدول العربية فى سبتمبر ١٩٥٩ بالدار البيضاء . فقد قرر المجلس ، بالنسبة للترشيحات لمناصب الأمم المتحدة ، ترك الأمر للوفود العربية لدى الأمم المتحدة ، لتعمل بخطة عربية موحدة وفق القواعد المقررة الآتية :

(١) غانم ، المجتمعات الدولية الاقليمية ، ص ٤١ — ٤٢ .

أولا ـ يؤيد المرشح العربى ٠

ثانيا ـ ثم يؤيد مرشح دول المجموعة الاسيوية الافريقية ٠

ثالثا ـ حين يوجد مرشح من خارج المجموعة أو أكثر من مرشح من داخلها يؤيد من توحى المصلحة العربية بتأييده ٠

وبالنسبة لقضية الكمرون قرر المجلس :

ـ تضامن الدول العربية مع سائر الدول الافريقية فى بذل المساعى التى تحقق رغبات شعب الكمرون وتحفظ وحدته ، وتؤمن استقلاله ٠

وقرر المجلس أيضا الموافقة على عقد مؤتمر اقتصادى من دول باندونج ودعوة الدول الاعضاء الى الاشتراك فى هذا المؤتمر على الاساس المقرر فى مجلس الجامعة للاشتراك فى المؤتمرات الاقليمية ، مع بذل الجهود لتوثيق الروابط الاقتصادية بين الدول العربية وسائر الدول الآسيوية والافريقية ٠

وبالنسبة لقرارات مؤتمر مونروفيا الذى عقد فى أغسطس ١٩٥٩ وكانت الموضوعات الرئيسية التى عرضت عليه قضية الجزائر ، وقرار فرنسا اجراء التجارب الذرية فى الصحراء ، وقضايا نياسالاند والجنوب الغربى لأفريقيا ، والشعوب الافريقية غير المستقلة ، والاضطهاد العنصرى ، فلما أحيطت اللجنة السياسية بالجامعة العربية علما بقراراته أعربت عن عظيم التقدير لجهود المؤتمر الموفقة فى خدمة القضايا الافريقية العادلة ، وسائر قضايا الحرية والعدل الدولى ودعت الى « مواصلة التعاون الصادق المثمر بين الدول العربية وسائر الدول الافريقية ، خدمة للمصالح العامة العادلة المشتركة وسبيلا للتقدم الاقتصادى والاجتماعى وكفالة للأمن الجماعى فى منطقتنا ، ودعماً للتعاون الدولى والسلام العالمى » ٠

بريطانيا وايطاليا تحاولان فصل الصومال عن العالم العربى ،
كفاح الشعب الصومالى فى سبيل التحرر والوحدة ،
جمهورية الصومال الديموقراطية : يوليو ١٩٦٠ ٠

كانت الصومال قد ضمتها مصر فى الفترة بين عامى ١٨٦٦ و١٨٨٤ كما رأينا فى الفصل الاول من القسم الثانى من هذا الكتاب تجاوبا مع خلفية حضارية عربية مشتركة وتأثرا بنفس العوامل الاجتماعية السياسية التى حققت الأشكال المختلفة من الوحدة أو التكتل أو التقارب بين الشعوب العربية والمستعمرية ، ولكن الدول الأوربية الاستعمارية ، وفى

مقدمتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا لم تلبث أن تكتلت لفصل الصومال عن مصر ٠

وتطلع بريطانيا الى الصومال يعود الى الأعوام الأولى للقرن التاسع عشر فقد عقدت بريطانيا فى عام ١٨٢٧ معاهدات مختلفة مع سلطان تاجورا (الصومال الفرنسى فيما بعد) وحاكم زيلع (الصومال البريطانى فيما بعد) تعهد فيها الجانب الصومالى بعدم ابرام معاهدات مع أية دولة أخرى ٠ وفى نفس الوقت اشترت بريطانيا جزيرة موشا بخليج تاجورا فى مقابل عشرة أكياس من الارز ! ثم اشترت جزيرة أخرى فى نفس الخليج وجزيرة تجاه زيلع ، ولكن بريطانيا لم تستطع أن تمارس نفوذا حقيقيا فى هذه المنطقة بينما تمكنت مصر من أن تثبت أقدامها فيها ، وفى عام ١٨٨٤ ، كنتيجة للثورة المهدية فى السودان ، اضطرت مصر لسحب قواتها من الصومال ، وعندئذ سارعت بريطانيا ــ لحماية طريق بواخرها الى الشرق عبر قناة السويس ــ الى احتلال زيلع وبربره وبلهار ، وعلى امتداد أعوام ١٨٨٤ و ١٨٨٥ و ١٨٨٦ عقدت عدة معاهدات مع قبائل صومالية مختلفة ، وفى عام ١٨٨٨ اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على الحدود بين منطقتى نفوذهما فى الصومال وبذلك تنازلت بريطانيا عن نفوذها فى خليج تاجورا ، وفى عام ١٨٩٤ اتفقت الحكومتان البريطانية والايطالية على الحدود بين منطقتى نفوذهما كما اتفقت بريطانيا والحبشة على الحدود بين منطقتى نفوذهما فى عام ١٨٩٧ ٠

ولم يستكن الشعب الصومالى للاحتلال البريطانى ، فمنذ عام ١٨٩٩ تزعم الملا محمد بن عبد الله الذى كان قد أدى فرائض الحج عدة مرات حركة تحرير الشعب الصومالى العربى المسلم من ربقة الاحتلال البريطانى ، وظلت الحرب مستعرة بين الصوماليين بزعامة محمد بن عبد الله والبريطانيين حتى مايو عام ١٩٠٤ عندما اضطر محمد بن عبد الله الى مغادرة الصومال والالتجاء الى احدى القبائل فى الداخل ، ولكنه فى عام ١٩٠٨ عاد الى مهاجمة المناطق التى كان البريطانيون يحاولون تثبيت أقدامهم فيها ، وانتهى قرار الحكومة البريطانية الى تركيز قواتها فى منطقة الساحل والانسحاب من الداخل فى عام ١٩١٠ بعد أن يئست من التغلب على المقاومة الصومالية الشعبية فى الداخل ، وقد ظلت المنطقة بين ما أصبح يسمى فيما بعد الصومال الفرنسى شمالا والصومال الايطالى جنوبا على خليج عدن ــ محمية بريطانية من عام ١٨٨٦ الى عام ١٩٦٠ وكانت عاصمتها « هارجيسا » ، وقد انتهت الحماية البريطانية فى ٢٦ يونيو ١٩٦٠ بانشاء

دولة الصومال المستقلة التى انعقدت جمعيتها الوطنية فى اليوم التـالى لاقرار قانون يقضى بالاتحاد مع الجزء الجنوبى من الصومال الذى كانت الامم المتحدة قد تولت الوصاية عليه والذى أعلن استقلاله فى أول يوليو ١٩٦٠ كما سوف نرى . وكانت كتلة الدول العربية تؤيد على الدوام رفع الوصاية الأجنبية عن الشعب الصومال وتأكيد حقه فى تقرير مصيره .

أما ما عرف باسم الصومال الايطالى فقد سبق أن أشرنا الىالبصمات الحضارية العربية ـ الاسلامية التى تركها عليه توالى الهجرات العربيـة من الساحل المقابل له فى جنوب الجزيرة العربية ، وكان آخر هـذه البصمات حكم أئمة مسقط فى القرن السابع عشر وسلاطنة زنجبار فىعام ١٨٦٦ ، وقد تطلعت ايطاليا بدورها الى هذه المنطقة منذ عام ١٨٨٩ فعقدت بضع معاهدات مع السلاطين الصوماليين كما عقدت اتفاقات مع بريطانيا وزنجبار والحبشة عدت بمقتضاها المنطقة التى تقع شرق الصومال الواقع تحت الحماية البريطانية منطقة نفـوذ ايطالية ، وفى عام ١٩٠٢ أجـر سلطان زنجبار موانى بنادر الى ايطاليا لمدة خمسين عاما ، وفى عام ١٩٠٥ تنازل هذا السلطان عن حقوقه فى هذه الموانىء الى ايطاليا فى مقابل مبلغ اجمالى قدره ١٤٤ ألفا من الجنيهات !

ومن الحـوادث الهـامة فى تاريخ هـذه المنطقـة تعـاون السلطات الايطالية فى الحملات التى كان يشنها محمد بن عبد الله . وقد أسفرت المفاوضات التى دارت فى عام ١٩٠٤ عن اتفاق بين الايطـاليين والصوماليين وسلطان « أوبيا » على أن تسلم المنطقة بين رأس بوين وراس اسود (على ساحل المحيط الهندى شمال ميناء مقديشو) الى ابن عبد الله ، وهذه المنطقة تشمل ميناء ايليج ، وقد تولى ابن عبد الله حـكم هذه المنطقة تحت الاشراف الايطالى وبمقتضى اتفـاق مارس ١٩٠٥ تم الصلح بينه وبين البريطانيين والايطاليين والاحباش ، ولكن الحرب لم تلبث أن اشتعلت ثانيا بين ابن عبد الله وخصومه البريطانيين فى عام١٩٠٨ كما سبق أن أشرنا .

وقد ظلت هذه المنطقة مستعمرة ايطالية من عام ١٩٢٥ عندما تنازلت بريطانيا عنها الى ايطاليا ، ولكن بريطانيا عادت فاحتلتها فى فبراير ١٩٤١ ثم أعيدت الى ايطاليا كأرض تحت الوصاية بمقتضى اتفاق ابرم فى ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم اتحد القسم الشمالى والقسم الشرقى الجنوبى فى دولةواحدة عرفت باسم جمهورية الصومال الديموقراطية منذ أول يوليو ١٩٦٠ ، واتخذت مقديشيو عاصمة لها .

الكتلة العربية : خطة موحدة امام
الأمم المتحدة ، أغسطس ١٩٥٨ :

دعى مجلس الأمن للانعقاد فى ٧ من أغسطس ١٩٥٨ للنظر فى مسائل الشرق العربى بعد تدخـل الولايات المتحدة الأمريكية والولايات المتحدة الاميريكية والمملكةالمتحدة بقواتها المسلحة فى هدهالمنطقة عقب الاضطرابات التى نشبت فى لبنان ، ولكن الدول العربية العشر الاعضاء فى الامم المتحدة اذ ذاك بدت أمام الجمعية العامة للمنظمة العالمية وقد أجمعت على اصدار قرار فى ١١ من أغسطس ١٩٥٨ دون أن تشذ واحدة منها عن هـــذا القرار ، رغم ما كان يبـــدو من وجـــود أزمة حادة بين البعض منهـــا والبعض الآخر واتهامهذا البعض بالتدخل فى الشئون الداخلية لدولعربية أخرى ، عقب الأحـــداث التى وقعت بلبنان بين بعض الطوائف المختلفة عامئذ وبفضـــل الحكمة العظيمة التى اتسم بها الموقف العربى صـــدر قرار أغسطس الذى اعترف صراحة بمزايا وقيم الجامعة العربية ، وسجل مبادىء عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء واحترام نظم الحكم فى كل منها وهو ما تنص عليه المادة ٨ من ميثاق الجامعة كما ان هـــذا القرار — بهذه الصيغة — أغنى الدول العربية عن التحـــذيرات التى كان يتضمنها المشروع الترويجى الذى كان مقدما الى الأمم المتحدة والذى كان يطالب بأن « الدول العربية يجب أن تمتنع عن ٠٠ » واكتفى باثبـــات تجديد تأكيداتها بعدم التدخل ، وبذلك صدر القرار أقرب الى أن ينفى بطريقة غير مباشرة وجود أزمة بين الدول العربية من أن يلتمس الوسائل لمعالجة هذه الازمة ، وهذا القرار يعترف — فى الواقع — للدول العربيةبأن تنفرد وحدها باختصاص معالجة الشئون التى تهمها ، وقد وصف هـــذا المظهر الدبلوماسى بانه يحمـــل على الاعجاب أكثر مما ينبىء عن الوحدة العربية ٠ أو الالتحام العربى ، ولذا وصف الموقف العربى بانه حكيم ٠ بل فى غاية الحكمة ، والتضامن العربى الذى أعلن بهذا الشكل فى أعقاب أزمة واضحة لم يكن تضامنا سطحيا ، اذ سرعان ما تحقق تحققا مدويا لكى يبدو ، بحق ، تضامنا عميقا ٠ راسخا ٠ (١)

وعبر المطامع ، والانتصـــارات ، والترددات ، والهزائم ، والمآسى التى تكون منها أحيانا تاريخ العالم العربى خلال الاعوام الاخيرة — يجب أن نعترف أن الجامعة كانت علما ، ورمزا لا ينكر للوحدة ، وبطـلا لايكل للتقدم الاجتماعى ، ولقد أدت أيضا عمل القاضى الذى يفصل فىالمنازعات

(١) « روندو » ، مصير الشرق الادنى ، ٢١٢ ٠

وألقت بثقلها لتحقق التوازن بين الدول الأعضاء ، وكانت عامل استقرار (١) ٠

ويعتقد « بيرك » أن الجامعة قد أسهمت بقوة فى تأكيد « العاطفة العربية » ، وهو يرى أيضا أن فترات التقلب التى مرت بها قد أرست قواعد نقد نافع ودعمت الشعور بالكيان العربى الذى يعلو على الجنسيات التى تتكون منها الجامعة ، ومن المفارقات أن الجامعة قد عملت على تنمية الشعور بالعروبة العالمية الشاملة ذات الخلفية الاسلامية فى نفس الوقت الذى دعمت فيه الفكرة العصرية عن الأمة بل عن جامعة الأمم ٠ (٢)

مؤتمرات القمة

الاجتماع التحضيرى لمؤتمر الدول غير المنحازة : ١٩٦١ :

استجابة لدعوة وجهها رؤساء ال ج٠ع٠م ويوجوسلافياوأندونيسيا ورئيس وزراء الهند عقد بالقاهرة فى يونيو ١٩٦١ اجتماع تحضيرى لمؤتمر الدول غير المنحازة وقد اشتركت فى هذا الاجتماع وفود تمثل الدول العربية الآتية : العراق ، والعربية السعودية والسودان وال ج٠ع٠م واليمن والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ٠

وقد أوصى المجتمعون بمشروع جدول أعمال تضمن :

١ ــ احترام حق تقرير المصير للشعوب ، والكفاح ضد الاستعمار ، وتصفية الاستعمار والاستعمار الحديث ٠

٢ ــ احترام سيادة وسلامة أراضى الدول ، وعدم التعرض أو التدخل فى الشئون الداخلية للدول ٠

٣ ــ التفرقة العرقية والعنصرية

٤ ــ نزع السلاح العام والشامل ، وتحريم التجارب النووية ، ومشاكل القواعد العسكرية الاجنبية ٠

٥ ــ التعايش السلمى بين الدول ذات النظم السياسيةوالاجتماعية المختلفة ٠

٦ ــ دور الأمم المتحدة وضمان تنفيذ قراراتها ٠

---

(١) « وولف » ، ص ٢٢ ٠
(٢) « بيرك » ، ص ٣٣١ ــ ٢ ٠

٧ – مشاكل التنمية الاقتصادية ، ودعم التعاون الاقتصادي والفنى على المستوى الدولى .

وبالنسبة للجزائر وافق المؤتمر على القرار الآتى :

« المؤتمر التحضيرى لمؤتمر القمة للدول غير المنحازة يعبر عن أمله فى أن تنتهى المباحثات الجارية الآن بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية الى اقرار سلام بين الشعبين الفرنسى والجزائرى والى تأكيد استقلال الجزائر وسلامة أراضيها » .

وفى صدد تحليل هذا الاتجاه للدول العربية يقرر « فلورى » أن : « الحياد انما هو فى البداية عدم الالتزام بالنسبة لأمر ما . والموضوع الذى دعى مؤتمر عدم الانحياز لبحثه هو بداهة موضوع الخلاف بين الشرق والغرب .. وفى هذه المرحلة يبدو الموقف (أى موقف بلاد العالم الثالث بصفة عامة) سلبيا . فهو موقف ينطوى على رفض مزدوج . وهذا الرفض يتمثل أولا بالنسبة لأن هذه الدول – أى دول العالم الثالث – حديثة الخروج من نطاق الاندماج فى الاستعمار الغربى الذى ترك عليها بصمة عميقة ، كما أنه يتمثل أيضا بالنسبة للشيوعية . وهى مذهب عقائدى ولد فى الغرب ولم يعتنق الا فى حدود ضيقة من البلاد الافريقية أو الأسيوية .. ولما سعت الدول العظمى (فى المرحلة الثانية) الى تحقيق توازن نووى رأينا العالم الثالث داعيا الى الحياد الايجابى . أى الى مذهب للعلاقات الدولية يكشف الاسباب الموضوعية لعدم الالتزام فى الخلاف بين الشرق والغرب ، انها سياسة مستقلة ولكنها موجهة الى الخارج . فهى لا تسعى الى تكوين قوة ثالثة وانما الى تكوين جماعة ضغط معنوى ، فالعالم الثالث وقد تنبه وعيه الى أهمية التضامن الدولى قدر أن الوقت قد أزف لكى يلعب دورا ايجابيا فى العالم ، وفى هذه المرحلة الثالثة أصبح الحياد يسمى غالبا عدم انحياز » (١)

الكويت : تآزر على تحقيق امانى الأمة العربية وانتماء الى الجامعة العربية ، تشكيل قوات الأمن العربية ، ١٩٦١ :

عقب اعلان استقلال الكويت فى ١٩ يونيو من عام ١٩٦١ وجه أميرها الى شعبه رسالة جاء فيها :

(١) M. Flory : Le Neutralisme des Etats d'Afrique du Nord, Gagliari. ١٦٦٥ ، ص ٤

« اننا نرجو ونحن على أبواب عهد جديد أن تبدأ الكويت انطلاقها بتقوية أواصر الصداقة والاخوة مع شقيقاتها الدول العربية للعمل بتكاتف وتآزر على ما فيه خير العرب وتحقيق أماني الامة العربية . كما أن الوضع الجديد يتطلب منا العمل على الانتماء الى الجامعة العربيـــة وهيئة الأمم المتحدة وغيرهما من الهيئات التى تعمل لخير العالم وأمنه وسلامته » .

وفى اليوم التالى مباشرة أرسل الامير الى الجامعة يطلب انضمـــام بلاده اليها .

ولكن حكومة العراق أثارت نزاعا ذهبت فيه الى أن الكويت جزء من الأراضى العراقية ..

فأصدرت حكومة الكويت بيانا تمسكت فيه باستقلالها وبأن جميع الدول المحبة للسلام ، ولا سيما الدول العربية الشقيقة ، ستساندهـا فى المحافظة على استقلالها .

ولما عرض الموضوع على مجلس الامن فى يوليو ١٩٦١ تحدث مندوب ال ج.ع.م ، فأعرب عن أسفه لقيام نزاع بين بلدين عربيين ، وعن أمله فى تسوية النزاع طبقا للمبادىء والتقاليد العربية ، وقال أنه لا يمكن قبول قيام نزاع بين دولتين عربيتين على أرض عربية ، لأنها ملك للشعب العربى جميعا .

وعاد مندوب ال ج.ع.م ، فقال ان حكومته تتبعت باهتمام عظيـم تطور هذا النزاع بين دولتين شقيقتين ، وبحثت هذه القضية بحثا قصرته على مصلحة الدول العربية جميعا ، وأضاف أنه واثق من أن هذه المشكلة يجب أن تحل بواسطة العرب أنفسهم وذلك فى نطاق الجامعة العربية .

وختم حديثه بالتركيز على نقطتين هامتين :

الأولى : ان الجمهورية العربية المتحدة تعترف باستقلال الكويت القائم على مبدأ تقرير المصير .

الثانية : ضرورة انسحاب القوات البريطانية من الكويت .

وأعرب عن أمله فى تمسك العراق بتصريحها الذى أعلنت فيـــه عن استخدام الوسائل السلمية وحدها فى تصفية هذا النزاع .

ثم عقد مجلس الأمن جلسة قدم فيها مندوب ال ج . ع . م مشروع قرار يشير الى تصريح حكومة العراق بأنها : ستستخدم الوسائل السلمية فى حل المشكلة .

وكان المندوب البريطانى قد قدم مشروع قرار آخر يشير الى أن المملكة العربية السعودية وبريطانيا قد وضعت قواتهما تحت تصـــرف الكويت ، ويرحب بأية خطوات بناءة تقوم بها جامعة الدول العربيـــة ويحث جميع الدول التى يعنيها الامر على العمل على حفظ الســـلام فى المنطقة . فلم يصوت أحد ضد مشروع القرار العربى ولكنه لم ينل الاغلبية المطلوبة لامتناع الكثيرين عن التصويت ، وفى ٢٠ من يوليو ١٩٦١ قرر مجلس الجامعة :

— التزام حكومة الكويت بسحب القوات البريطانية من أراضى الكويت فى أقرب وقت ممكن .

— التزام حكومة الجمهورية العراقية بعدم استخدام القوة فى ضم الكويت الى العراق .

— تاييد كل رغبة يبديها الكويت للوحدة أو الاتحاد مع غيره من دول الجامعة العربية طبقا لميثاق الجامعة .

— الترحيب بدولة الكويت عضوا فى جامعة الدول العربية .

— مساعدة دولة الكويت على الانضمام الى الامم المتحدة .

— التزام الدول العربية بتقديم المساعدة الفعالة لصيانة استقلال الكويت بناء على طلبها .

وفى ضوء هذا القرار تم تشكيل « قوات الأمن العربية » التابعة الجامعة .

وأوفدت الجامعة بعثة عسكرية الى تونس والمغرب وليبيا والسودان والاردن والسعودية . وقعت اتفاقات مع وزراء خارجية أربع دول منها بشأن اشتراك قوات منها فى قوات الأمن العربية الى الكويت :

وفى ١٤ من أكتوبر سافر الأمين العام الى الكويت ووجه الى قوات الأمن العربية التعليمات الآتية :

« انكم تأتون الى الكويت أخوة عربا فى قسم من وطننا العربى الكبير ، وتقفون على الحدود الكويتية العراقية ضيوفا على البـــلدين ، فمهمتكم عربية قومية .. وان أمتكم العربية ، والشعب العراقى فى مقدمتها لا يمكن أن تتصور أحد من بينها أن يشهر عربى سلاحه على أخيـــه العربى . فلتكن رسالتكم رسالة الاخوة العربية والمحبة والوئام » .

وفى ۳۰ من نوفمبر اجتمع مجلس الأمن للنظر فى طلب ال ج٠ع٠م ضم الكويت الى عضوية الامم المتحدة ٠

وفى ۲۰ من يوليو ۱۹٦۱ انضمت الكويت ـ كما سبق أن ذكرنا ـ الى الجامعة العربية فأصبحت الدولة الثانية عشرة من دولها ٠

الكتلة العربية :
خطة موحدة فى مؤتمر الدول غير المنحازة ، بلجراد ، ۱۹٦۱ :

وقد اجتمع مؤتمر القمة للدول غير المنحازة ببلجراد فى سبتمبر ۱۹٦۱ ٠ والدول العربية التى كانت قد أسهمت فى الاجتماع التحضيرى بالقاهرة اشتركت فى هذا المؤتمر وانضمت اليها دولتان عربيتان هما لبنان وتونس ٠ وقد أبدى المؤتمر تأييده التام للقضايا العربية الآتية :

ـ كفاح الشعب الجزائرى فى سبيل الاستقلال وفى سبيل استعادة اراضى وطنه ، بما فى ذلك الصحراء ٠

ـ جلاء القوات الفرنسية عن كافة الاراضى التونسية ٠

ـ استعادة الشعب العربى الفلسطينى لكافة حقوقه طبقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ٠

الجمهورية العربية المتحدة الثانية
دولة «فيديرالية» صميمة ، ابريل ۱۹٦۳ :

بعد الانقلاب العسكرى السورى الذى وقع فى ۸ من مارس ۱۹٦۳ اقترح رئيس مجلس الثورة الوطنى السورى على الرئيس المصرى اعادة تكوين ال ج٠ع٠م وتوسيع قاعدتها بضم العراق ، ورغم أن مصر كانت متحفظة فى قبول هذا العرض الا أنها باعتبارها زعيمة فكرة الوحدة العربية لم تستطع أن تتوارى عنه ، وقد بدأ المفاوضون فى العمل واضعين نصب أعينهم الدروس المستفادة من الماضى ولذا اقترحوا شكل الدولة « الفيديرالية » الصميمة كما طالبوا بالنظام البرلمانى ، وقد أعلن الاتفاق الخاص بانشاء هذه الدولة فى ۱۷ من ابريل ۱۹٦۳ وتضمن نظام هذه الدولة « الفيديرالية » الأخذ بالشكل التقليدى البرلمانى ذى المجلسين التشريعيين ، مجلس نواب ومجلس اتحادى وهذا البرلمان هو الذى ينتخب رئيس الجمهورية ونوابه الثلاثة الذين ينتمى كل منهم الى بلد من البلاد الثلاثة : مصر وسوريا والعراق ٠ كما تضمن أن الحكومة مسئولة أمام البرلمان ولكنها مسئولة أيضا أمام رئيس الجمهورية الذى له أن يقيل الوزارة بأجمعها ٠ أو بعض وزرائها ، ولما كان رئيس الجمهورية قد احتفظ

ـ الى جانب هذا ـ بسلطة حل البرلمان فانه بذلك قد تجاوز السلطات المخولة لرئيس الجمهورية فى النظام البرلمانى ، وكان اتفاق ١٧ من ابريل ١٩٦٣ يرسم الخطوط الكبيرة التى يجب أن تلتزمها ـ فى المستقبل ـ الدول الراغبة فى الانضمام الى الاتحاد ٠

وقد نشبت الخلافات فورا بين الدول الثلاث وبذلك لم يطبق اتفاق ١٧ من ابريل ١٩٦٣ ٠ (١)

وقد عنى السياسى الامريكى تشارلز كريمنز بتحليل المتغيرات التى طرأت على العالم العربى فى الفترة بين انشاء ال ج٠ع٠م (مصر وسوريا) فى عام ١٩٥٨ حتى خريف عام ١٩٦١ فى كتابه « العرب والعالم » الصادر عن « مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية » فقرر :

« لقد أمكن تشكيل سياسة عربية مشتركة ، بسبب سلسلة من التغيرات فى السياسة العالمية وفى الشئون الداخلية للبلاد العربية على سواء ، وفى مقدمة هذه التغيرات ما حدث بالنسبة لعدد من الدول الكبرى ومواقفها ، والدور الجديد للدول الصغرى ، والثورة السياسية والاجتماعية داخل المجتمع العربى ، وتبلور القضايا العربية ، ونمو فكرة الوحدة العربية » ٠

وأضاف معلقا على نتائج مؤتمر الدول غير المنحازة الذى عقد فى عام ١٩٦١ عندما وقفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وجها لوجه بالنسبة لموضوع نزع السلاح واعادة تنظيم الامم المتحدة بأن المبادرة الى عقد ذلك المؤتمر من أربع دول : ا لج٠ع٠م واندونيسيا وغانا والهند ، كانت ذات أهمية كبرى ٠٠ من حيث أنها كانت رمزا لوضع عالمى جديد ، يمكن فيه لزعيم عربى أن يقف مع زعماء آخرين فى لحظة

---

(١) « فلورى » و « مالتران » ، ص ٢٦١ ـ ٢ ٠

تنص مقدمة الاتفاق « الفيدرالى » على أن الأطراف المتعاقدة انما انشأت هذا الاتحاد تلبية لرغبة شعوبها العربية ، وان قوة أية دولة من الدول التى يتكون منها الاتحاد انما هى قوة لكل دولة من الدول التى يتكون منها الاتحاد وقوة للأمة العربية بأجمعها، وقد تضمن ملحق الاتفاق النص على أن كل من له جنسية احدى الدول أعضاء « الاتحاد » يتمتع بجنسية الدولة « الفيدرالية » التى سوف يقتصر عليها كجنسية عربية واحدة ؛ وان القاهرة عاصمة الدولة ، وان سلطات الدولة « الفيدرالية » تشمل السياسة الخارجية ، والدفاع ؛ والأمن القومى ؛ والمالية ، والاقتصاد ؛ والتخطيط ، والتنمية والاعلام والارشاد القومى الاتحادى والتخطيط الثقافى، والقضائى والتنسيق التشريعى؛ والمواصلات «الفيديرالية»

حرجة بالنسبة للشئون العالمية ، ويلعب دورا رئيسيا على الصــــعيد العالمى » (١)

الخلاصة :

عقب اعلان استقلال البلاد العربية التى كانت خاضعة للاحتلال الايطالى (ليبيا فى عام ١٩٥١ والصـــومال فى عام ١٩٦٠) والاحتـــلال الفرنسى (المغرب وتونس فى عام ١٩٥٦ وموريتانيا فى عام ١٩٦٠ والجزائر فى عام ١٩٦٢) والاحتلال البريطانى (السودان فى عام ١٩٥٦ والصومال فى عام ١٩٦٠ ، والكويت فى عام ١٩٦١) بفضل الكفاح « الكونفيديرالى » الذى قامت به حكومات « الكتلة العربية » داخل المنظمات الدولية وعبر وسائل الاعلام بل أحيانا بفضل الدعم العسكرى العربى لحركات التحرير العربية ـ عقب ذلك كله أصبح الرأى العام العربى آكثر اقتناعا بانتماء الشعوب العربية الى كيان واحد ، والى أمة واحدة ، والى وطن واحد ، فقد انضمت كل البلاد التى تحررت من السيطرة الأجنبية (ما عدا موريتانيا والصومال) ـ على امتداد عشرة أعوام من عام ١٩٥٢ الى ١٩٦٢ ـ الى جامعة الدول العربية ، فارتفع عدد دول هـــذه الجامعة من سبع دول فى عام ١٩٥٢ الى ثلاث عشرة دولة فى عام ١٩٦٢ ، واشتركت هذه الدول مع باقى أعضـــاء الجامعة فى الكفاح المشترك لتنمية الايمان بمذهب العروبة الذى أخذت قواعده الاجتماعية ـ السياسية ترســـخ رغم التأرجح بين الاتجاه الى دعم الطابع «الكونفيديرالى» للجامعة أو انشاء اتحاد «فيديرالى» أكثر التزاما وأكثر ترابطا من نظام «الجامعة» .

ومن وجهة نظر الاجتماع السياسى يجب عدم الخلط بين « الأمة» و « الدولة » ، ففى الفترة السابقة على عام ١٩١٨ كانت « الامة »البولونية موزعة على ثلاث « دول » مختلفة . كما كانت «دولة » النمسا والمجـــر تضم عدة « أمم » ، ففكرة « الأمة » أصعب تحديدا من فكرة « الدولة » ومع ذلك فمن الواضح أنه رغم ما يمكن أن ينطوى عليه النظام السياسى لدولة ما من افتعال أو من عوامل مصطنعة فان هذا النظام يتضـــمن عناصر تلقائية معينة عملت على تكوين هذا النظام ، فالأمة هى الجمـــاعة الشاملة اذ تتميز عن الكيان السياسى للدولة التى تنتمى اليها ، ولكن

---

(١) سيد نوفل : « العمل العربى المشترك فى المجال الدولى » ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١ ، ص ١٩٣ ـ ٤ .

كل جماعة شاملة لا تكون بالضرورة « أمة » ، فان « هوريو » يضع ثلاث سمات لتعريف « الأمة » :

(١) مجموعة سكان يعيشون حياة ثابتة مستقرة على أرض معينة ولو أن هذه السمة ليست سمة حتمية لتكوين « الأمة » فان العرب الرحل رغم تنقلهم من أرض الى أخرى كونوا أمة ، ولكن هذا العامل ، فى الواقع تبدو أهميته فى تحقيق التطور السياسى للأمة ·

(٢) رابطة قرابة روحية تحل محل القرابة الطبيعية · أو الاسرية التى كانت تتخيلها أو تفترضها الجماعات البدائية فى العصور القديمة ·

(٣) العمل على اذابة الفرد فى المجموع الذى ينتهى بافراز فكرة وارادة الوحدة الوطنية ·

والحق أن « الأمة » هى ، أساسا ، ظاهرة توحيد ونضوح وعى ، وهذه الظاهرة انما هى نتيجة عمل تاريخى دائب يمكن أن يستمر على امتداد عدة قرون ·

والأمة الحديثة هى نتيجة تاريخية لسلسلة من الأحداث تتجمع فى اتجاه واحد ·· فعبر هذه الاحداث والوقائع التاريخية يمكن للتحليل الاجتماعى أن يكشف عن عنصرين رئيسيين ترتكز عليهما النظريتان اللتان تهتمان بنشوء الامم ، فأحيانا يتجه التفكير الى اعتبار الامة واقعا طبيعيا ، رابطة حيوية تمتد جذورها سواء فى الارض أو فى العرق أو فى الوحدة اللغوية أو فى الوحدة العقائدية الدينية ، وقد وصل الامر الى حد القول بأن هذه الرابطة تعود الى وقت سابق على نشوء الانسان، وأحيانا أخرى يتجه التفكير الى أن الأمة انما هى انتاج ارادى · أى ثمرة اتفاق حر لمجموعة من الافراد ، وهاتان هما النظريتان اللتان تهتمان بنشوء الامم : النظرية الطبيعة ، والنظرية التعاقدية · (١)

فالتحليل الاجتماعى ـ السياسى للاتجاهات الوحدوية العربية يدل بوضوح ، فى ضوء تاريخ العرب ، وتطور مذهب الوحدة الاسلامية بانبثاق مذهب الوحدة العربية ، وفى ضوء دراسة العلاقات الدولية العربية ، ونضوج المذهب الاتحادى « الفيديرالى » فى الأدب السياسى

---

(١) « كوفيلييه » ، نفس المرجع ، ص ٦٦٢ ـ ٤ ·

والاجتماعى العربى عبر الاعوام العشرة بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٤ التى شهدت تحطيم هيبة الاستعمار الاوروبى فى أعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ واستعادة العرب لهيبتهم فى الاسرة الدولية بما حققته مصر ـ كنتيجة لهذه الحرب ـ من تحرير اقتصادها والاسهام فى تحـــرير المستعمرات الانجليزية والفرنسية فى أفريقيا ، والمحاولات المتعاقبـة المتعددة لانشاء اتحادات « فيدرالية » عربية ـ التحليل الاجتماعى السياسى فى ضوء هذه الوقائع التاريخية كلها يدل على أن هذه الظاهرة من ظواهر التوحيد ونضوج وعى التكتل فى العالم العربى تكشف العوامل الرئيسية التى تستند عليها النظرية الطبيعية فى نشوء الأمم ، أما النظرية التعاقدية فقد طبقت عبر الاستفتاءات التى أجريت فى مصر وسوريا عام ١٩٥٨ على الوحدة الاندماجية بين البلدين ، كما طبقت هذه النظرية مرة أخرى عام ١٩٧١ فى الاستفتاء الذى أجرى فى مصر وليبيا وسوريا على الوحدة بين البلاد الثلاثة • وهو ما سوف نعود اليه فى الفصل التالى •

الفصل السادس

القوى الاجتماعية ـ السياسية العربية تتكتل لاقامة جهاز مؤتمرات القمة ولتصفية الاستعمار فى المنطقة العربية ولارساء قواعد الاتحادات «الكونفيديرالية» و «الفيديرالية» والاندماجية بين الدول العربيـــة : ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤ •

مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : القاهرة يناير ١٩٦٤

كان عام ١٩٦٤ مرحلة تطور هام فى كفاح الامة العربية لتحقيق أملها العتيد فى الوحدة ، وقد بدأ ذلك على أثر الدعوة التى وجهتها مصر لاجتماع ما سمى بالدورة الاولى لملوك ورؤساء دول الجامعة العربية الذى عقد بالقاهرة بين ١٣ ، ١٧ من يناير ١٩٦٤ ، فقد تضـــمن البيـــان الذى صدر عن هذه الدورة النص على :

« انهاء الخلافات ، وتصفية الجو العربى من جميع الشوائب ، وايقاف حملات أجهزة الاعلام ، وتوثيق العلاقات بين الدول العربيـــة الشقيقة ضمانا للتعاون البناء الجماعى ، ودرء للمطامع التوسعية العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على السواء » ، كما نص على أن : « العرب ، فى موقفهم الدفاعى العادل ، سينظمون علاقاتهم السياسية والاقتصـــادية بالدول ، على أساس مواقفها من كفـــاح العـــرب المشروع ضد المطامع الصهيونية •

كذلك يؤمنون بعدالة الكفاح العربى وواجب تأييده ضد الاستعمار فى الجنوب اليمنى المحتل ، وعمان •••

ويرحب الملوك والرؤساء العرب بميثاق الوحدة الافريقية ·

ويؤكدون تصميمهم على تدعيم التعاون الاسيوى الافريقى الذى بدأ خاصة منذ مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ » ·

وقد لخصت نتائج مؤتمر القمة العربى الاول فى :

« أولا ــ الخروج بالسياسة العربية الخارجية الى مجالات الممارسة من مركز القوة ، والقوة العربية فى هذا النطاق تقوم على فاعلية الامكانات العربية فى التأثير ، سياسيا واقتصاديا ونفسيا على الدول الاخرى ، والامكانات العربية فى تلك المجالات بالغة التأثير ·

ثانيا ــ انشاء القوة العسكرية الضاربة ، القادرة على دعم التصرف السياسى من مركز القوة ، بالقوة الفعلية الضاربة ·

ثالثا ــ ابراز وحدة اللسان الناطق بالارادة العربية فى المجالات العالمية ، وذلك فى رحلات وزراء الخارجية العرب ، موفدين ممثلين للمجموع وليسوا سفراء لدول منفردة ·

رابعا ــ اسناد التصرف العربى السياسى الخارجى بثقل مؤثر من التصرف والسلوك الاقتصادى، وذلك بارداف النهج السياسى بتصرف اقتصادى داعم له ·

خامسا ــ وضع المنهاج العلمى للتخطيط للدعوة العربية الخارجية · »

كما أن اجتماع الملوك والرؤساء العرب « قد أحدث أثرا جماهيريا قوميا دفع بفكرة الوحدة العربية خطوات واسعة الى الأمام وكانت اتفاقية التنسيق السياسى الوحدوى بين الجمهورية العرقية وال ج·ع·م فى ٢٦ من مايو ١٩٦٤ مظهرا معبرا من مظاهر الدفاع الجماهيرى الوحدوى · (١)

« القيادة السياسية الموحدة » بين ال ج·ع·م والعراق ، ١٩٦٤

بعد الانقلاب العسكرى الذى وقع بالعراق فى فبراير ١٩٦٣ أبدت الحكومة السورية تعاطفا مع الفريق الجديد الذى تولى الحكم فى العراق وحاولت هذه الحكومة أن تحقق اتحادا بين سوريا والعراق من جانب وال ج · ع · م والجزائر واليمن من جانب آخر ·

(١) سيد نوفل : نفس المرجع ، ص ٣٧ ــ ٩ ·

وفى مايو ١٩٦٤ نص الدستور العراقى فى مقدمته على الاخـــوة العربية وعلى هدف تحقيق الوحدة العربية بدء بالاتحاد مع ال ج٠ع٠م ٠

وفى ٢٦ من مايو ١٩٤٦ أعلن الاتفاق الذى وقعه فى القاهرة رئيسا ال ج٠ع٠م والجمهورية العراقية والذى نصت مقدمته :

« ايمانا بوحدة الأمة العربية : وحدة نابعة من وحدة اللغة ، والتاريخ ووحدة النضال والمصير العربى ٠

وادراكا لزيف الفرقة المصطنعة التى تعكسها التقسيمات السياسية الحالية على الارض العربية والتى فرضها الاستعمار وفق مصالحـــه فى الاستغلال والسيطرة ٠

فان الأمة العربية تجد نفسها متمسكة بوحدتها مع واقع التاريخ والتجربة ٠ »

ونص الاتفاق على أن :

« يشكل مجلس رئاسة مشترك لكل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية من رئيس الجمهورية العربية المتحـــدة ، ورئيس الجمهورية العراقية وعدد من الاعضاء ٠

مقر مجلس الرئاسة المشترك مدينة القاهرة ويجـوز دعوة المجلس للانعقاد فى جهة أخرى بناء على اتفاق الرئيسين ٠

يختص مجلس الرئاسة المشترك بما يأتى :

(أ) دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقامة الوحدة بين البلدين ٠

(ب) تخطيط وتنسيق سياسة البلدين فى المجـالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وفى ميدان الاعلام ٠

(جـ) تحقيـق الوحـدة الفكرية بين شعبى الجمهـورية العربية المتحدة والجمهورية العـراقية عن طريق التنظيمين الشعبيين فى البداية والعمل على توحيد التنظيمين فى المستقبل ٠

وللمجلس أمانة عامة مقرها القاهرة » ٠

مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الافريقية : القاهرة ، يوليو ١٩٦٤ :

كان من نتائج مؤتمر القمة العربى الأول ابراز تكتل الدول العربية الست التى اشتركت فى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الافريقية الذى عقد بالقاهرة فى يوليو ١٩٦٤ وهذه الدول هى الـ ج٠ع٠م وتونس وليبيا والجزائر والسودان والصومال ٠

فقد أعلن رئيس الـ ج ٠ ع ٠ م أمام المؤتمر أن :

« هناك قضية تشغل بالنا ٠٠ نعتبرها قضية مصير ٠ نعنى بها هذا الجزء من الوطن العربى الذى اقتطع منه لتقوم عليه بالعدوان قاعدة للاستعمار فى اسرائيل ٠٠ هى جزء من مؤامرة نهب أراضى الشعوب بواسطة ما يسمونه بالاستيطان ، ذلك الذى تعرفون أمثلة له فى القارة الافريقية ، بل ويزيد عليه أن المستوطنين فى اسرائيل طردوا أصحاب البلد الأصليين وحولوا الأغلبية منهم الى لاجئين خارج حدود وطنهم ٠٠ لسنا فى حاجة الى قرار تتبنون به وجهة نظرنا ، لكننا ـ اخلاصا ـ نقول لكم أننا فى أشد الحاجة الى دراسة منكم تتبينون بها درجة الحقيقة » ٠٠

ولم تكن دول أفريقيا السوداء قد اتخذت حتى ذلك الوقت موقفا ايجابيا من قضايا العالم العربى ، رغم وجود ثمان دول عربية أفريقية : موريتانيا ، المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، السودان والصومال ، ورغم ما أبرزه كوامى نكروما رئيس غانا من أن : « مصر التى كانت مهد حضارة العالم سوف تهيىء جوا ملائما لخلاص قارتنا الافريقية ، ومن هنا ، فى هذه المدينة ، القاهرة ، التى تمثل مجد أفريقيا وقوتها فى الماضى ، سوف نشهد مولد أكثر آمالنا سموا وعظمة : وهى حكومة اتحاد الدول الأفريقية » ٠

والتزاما بالموقف العربى الموحد صرح رئيس تونس أمام هذا المؤتمر :

« ان أقطار الشرق الأوسط العربى ظفرت كلها باستقلالها ، سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو فى أعقابها ، وشذت فلسطين وحدها عن القاعدة ، فقد أقيمت بها دولة مصطنعة هى دولة اسرائيل التى أريد بها تجسيد فكرة الوطن القومى اليهودى ، وكان ذلك فى أفظع صورة وبسلسلة من المخادعات والألاعيب والتزوير ، أسفرت عن استعمار توطينى ٠٠٠

وتمت عملية الاغتصاب هذه فى عهد غير بعيد عنا ، اذ أقيمت دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ على أنقاض العدالة واحترام حقوق الانسان » •

وأعلن رئيس جمهورية الجزائر :

« فى الوقت الذى انشغلت فيه قارتنا فى معركتها ضد العنصرية فى أفريقيا نشاهد فى اسرائيل أبشع صور العنصرية ، ان اسرائيل تتبع نفس الوسائل ، •• ان اسرائيل تحل محل الامبريالية فى كل مكان ترحل عنه ، فتقرض رءوس أموالها ، أو بالأحرى رءوس أموال البنوك الأجنبية والفنيين الذين دربوا فى مصانعها وفى معاملها برءوس أموال أوروبية ، وأينما اضطرت الامبريالية الى التخلى عن مكانها ، تأتى اسرائيل لتعرض خدماتها ، ان من واجبنا أن نشجب هذا المشروع الخداع ، أنه ليس مشكلة عنصرية أو مشكلة عربية فحسب بل انها بالتأكيد مشكلة أفريقية » •

ولم يتردد رئيس وفد السودان فى أن يعلن أن :

« على مقربة منا شعب فلسطين ، الذى مزق وحدته حق فتح بريطانى مزعوم ، مهد الى حق قرصنة صهيونية واقعية حلت محل الشعب صاحب الحق الأول فى أراضيه ، ونحن اذن بالتزام الدفاع عن اللاجئين العرب هناك ، لسنا أنصار قضايا عنصرية أو مذاهب دينية لأن اليهود فى البلاد العربية يتمتعون بحق المواطن الأصيل » •

ومما يلفت النظر بصفة خاصة أن رئيس جمهورية الصومال ــ قبل قبول عضويتها فى الجامعة العربية بعشرة أعوام واصرارا منها على عروبتها وعلى تكتلها مع باقى الدول العربية فى مواقفها على المستوى الدولى ــ قد وجه الى المؤتمر رسالة ركز فيها على أن :

« قضية فلسطين لا تختلف فى جوهرها عن قضية انجولا وجنوب أفريقيا ، فهناك شعب قد طرد من دياره ، واغتصبت أملاكه ، واستوطنت أراضيه مئات الألوف من المهاجرين غير العرب الذين أتوا من جميع أرجاء العالم ، ولن يستقر سلام فى هذا العالم اذا ما ظلت مثل هذه القضايا قائمة •• فيجب ألا يحرم شعب فلسطين من الحقوق الأساسية الواردة فى اعلان حقوق الانسان العالمى والذى تعهدت جميع دول هذه المنظمة ــ أى منظمة الوحدة الافريقية ــ بتأييده ، والشعب الصومالى يؤيد بكل قوة شعب فلسطين العربى فى استرداد حقوقه الشرعية ، وحقه الثابت فى أن يعيش فى بلده فى ظل حكومة يختارها بنفسه » •

الاجتماع الثانى لملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : الاسكندرية ، سبتمبر ١٩٦٤ :

عاد الملوك والرؤساء العرب الى الاجتماع مرة قبل انقضاء عام ١٩٦٤ فكرروا فى البيان الذى أصدروه عن اجتماعهم بالاسكندرية فى الفترة بين ٥ ، ١١ من سبتمبر ١٩٦٤ اجماعهم على تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى ، وعلى « وجوب استخدام جميع امكانات العرب ، وحشد طاقاتهم لمواجهة تحدى الاستعمار والصهيونية » •

ومن أبرز نتائج هذا الاجتماع ترحيب المجلس :

« بقيام منظمة التحرير الفلسطينية ، دعما للكيان الفلسطينى ، وطليعة للنضال العربى الجماعى لتحرير فلسطين » واعتمد قرار المنظمة انشاء جيش التحرير الفلسطينى ، وعين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها فى ممارسة مهامها •

وأكد المجلس الارادة العربية فى مواجهة القوى المناوئة للعرب وفى مقدمتها بريطانيا•• وندد بأعمال الابادة فى الجنوب المحتل•• وقرر المجلس مكافحة الاستعمار البريطانى فى شبه جزيرة العرب ، وتقديم المساعدات لحركة التحرير فى الجنوب المحتل وعمان ، كما عنى المجلس بدعم العلاقات العربية الاخوية بامارات الخليج العربى كفالة للحرية العربية التى لا تتجزأ •

وقد أسفر هذا الاجتماع الثانى عن النتائج الآتية :

أولا : انعقاد المؤتمر دوريا كل عام •

ثانيا : مجلس تنفيذى من رؤساء الحكومات العربية لمتابعة تنفيذ قرارات مؤتمرات القمة •

ثالثا : لجنة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء العرب لمتابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن الملوك والرؤساء •

رابعا : القيادة العربية الموحدة ، وكانت قد أنشئت بمقتضى قرار مؤتمر القمة الأول ثم رصدت لها الدول العربية الاعتمادات المالية اللازمة •

خامسا : الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت قد انبثقت عن المؤتمر الفلسطينى الذى عقد فى ٢٨ من مايو ١٩٦٤ •

سادسا : هيئة استقلال مياه نهر الأردن وروافده .

سابعا : المجلس العلمى العربى المشترك للطاقة الذرية .

ثامنا : لجنة الخليج العربى (١) .

مؤتمر الدول غير المنحازة ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٦٤ :

كان عقد مؤتمر الدول غير المنحازة بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٦٤ متابعة لمؤتمر بلجراد . وفى مقابل ست دول عربية فقط اشتركت فى مؤتمر بلجراد وصل عدد الدول العربية التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة الى ثلاث عشرة دولة هى : ليبيا والمغرب وال ج . ع . م والسودان وتونس والأردن والعربية السعودية وسوريا ولبنان والكويت واليمن والعراق وموريتانيا وقد قرر هذا المؤتمر - بالنسبة لفلسطين - حق الشعب العربى الفلسطينى فى استعادة حقوقه كاملة على أرض وطنه وأعلن المؤتمر تأييده الكامل لشعب فلسطين العربى .

وفى ضوء اشتراك أربع دول عربية من دول شمال أفريقيا (ليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا) يتبين أنه :

« بعد انهيار الاستعمار أصبح طبيعيا أن تحج بلاد المغرب الى المنابع وأن تسعى الى الالتحام بالتقاليد العربية العظيمة .. وبذلك استعاد التطلع الى الوحدة العربية كل قوته الانفعالية ، والواقع أن تكوين أمة عربية موحدة وقوية يدعم ويضفى صلابة منيعة على برنامج الحياد الذى يرغب فى أن يؤدى دورا فعالا على المسرح الدولى ، والأمة العربية اذا استعادت كيانها الموحد قادرة على أن تضطلع ، فى أفريقيا على الأقل ، بقيادة الحياد وبمسئوليات ومهام دولة عظمى » (٢) .

الاجتماعان الثالث والرابع لملوك ورؤساء دول الجامعة العربية : الدار البيضاء ، سبتمبر ١٩٦٥ ، والخرطوم ، أغسطس ١٩٦٧ :

تضمن البيان الذى صدر عن الاجتماع الذى عقد بين ١٣ ، ١٧ من سبتمبر ١٩٦٥ عودة الى بحث موضوع التضامن العربى : « القاعدة

(١) سيد نوفل ، ص ٤٠ - ١ .

(٢) « فلورى » ، حياد دول شمال افريقيا ، ص ٨ .

الأساسية لوحدة العمل المشترك ، للتحرر من الاستعمار والصهيونية وجميع مظاهر السيطرة الأجنبية ، ودعم التقدم العربى » .

كما أقر المجلس – على هذا المستوى العالى – « الخطة العربية الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين فى الأمم المتحدة والمحافل الدولية ، ومقاومة المحاولات الرامية الى تصفية قضية اللاجئين » .

وأكد مجلس الملوك والرؤساء « مساندة النضال الوطنى فى الجنوب المحتل ، والتمسك بتحرير هذه المنطقة العربية .. كما أكد نضال الشعب العمانى من أجل الحرية ، ومساعدة الخليج العربى فى سعيه للتحرر والتقدم .. ودعم القيادة العربية الموحدة » .

وعقد الاجتماع الرابع بالخرطوم ، من ٢٩ من أغسطس الى أول سبتمبر ١٩٦٧ عقب هزيمة الجيوش العربية فعاد المؤتمر الى تأكيد «وحدة الصف العربى ، ووحدة العمل الجماعى ، وتنسيقه ، وتصفيته من جميع الشوائب والالتزام بميثاق التضامن العربى الذى وقع فى مؤتمر القمة العربى الثالث وتطبيقه » ، واتفق الملوك والرؤساء على « توحيد جهودهم فى العمل السياسى على الصعيد الدولى والدبلوماسى لازالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية من الأراضى المحتلة بعد عدوان ٥ من يونيو » .

وهو العدوان الذى اشتركت فى صده مع دول المواجهة : مصر وسوريا والأردن كل من الجزائر ، والمغرب ، والسودان ، والعراق ، والكويت ، والعربية السعودية ببعض قواتها التى تحركت الى الجبهتين المصرية والسورية للتعبير عن تضامنها .

وكان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب قد أوصى بامكان استخدام وقف ضخ البترول كسلاح فى المعركة ولكن مؤتمر القمة « رأى بعد دراسة الأمر مليا أن الضخ نفسه يمكن أن يستخدم كسلاح ايجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة . وقد أسهمت بالفعل الدول المنتجة للبترول فى تمكين الدول التى تأثرت بالعدوان من الصمود أمام أى ضغط اقتصادى .

وأقر المجتمعون المشروع الذى تقدمت به الكويت لانشاء « صندوق الانماء الاقتصادى والاجتماعى العربى » كما قرروا « ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الاعداد العسكرى لمواجهة كافة احتمالات الموقف » .

ولكن قرارات مجلس الملوك والرؤساء العرب فى الاجتماعين الثالث والرابع لم تشف غليل المتطلعين الى مزيد من العمل العربى المشترك • الايجابى • البناء • وخاصة الذين يضطلعون ـ بحكم وظائفهم فى الجامعة العربية ـ بمهام لها طابعها « الكونفيدرالى » فقرروا عن القرارات التى صدرت عن هذين الاجتماعين أن :

« الهمم لا تستنهضها القرارات ، بل الارادات » •• ووصفوا هذين المؤتمرين بأنهما « لم يتعرضا للسياسة العربية الموحدة المأمولة • ولم يرسما صورة العمل العربى المشترك المأمولة » (١) •

جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية : ديسمبر ١٩٦٧ :

الدولة الرابعة عشرة من دول الجامعة العربية جزء من الوطن العربى وشعبها جزء من الأمة العربية :

تمت تصفية الاستعمار البريطانى فيما أصبح يعرف الآن باسم « جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » فى الفترة بين عقد مؤتمر القمة العربى الرابع فى أغسطس ١٩٦٧ ومؤتمر القمة الخامس فى ديسمبر ١٩٦٩ ، وقبلت هذه الدولة العربية الجديدة فى ١٢ من ديسمبر ١٩٦٧ عضوا بجامعة الدول العربية واشتركت بهذه الصفة فى مؤتمر القمة الخامس فأصبح أعضاء مجلس الملوك والرؤساء العرب أربعة عشر ، ولكى نتبين دور القوى الاجتماعية ـ السياسية العربية فى تحرير هذه المنطقة العربية من الاستعمار يحسن أن نستعرض فى ايجاز تطور هذه القوى وتبلورها وما لقيته من عوائق وصعوبات •

ففى عام ١٨٣٩ غزا البريطانيون عدن ، فخضعت للسيطرة البريطانية وأصبحت تابعة لحكومة بومباى ، وكما يقرر المعهد الملكى بلندن فأن أحد الاسباب التى دعت الى ذلك الاحتلال البريطانى هو أن الجيش المصرى الذى كان قد انتصر على الوهابيين كان يتقدم نحو اليمن ويهدد باحتلاله ، وفى عام ١٩٣٧ أصبحت عدن محمية تابعة للتاج البريطانى وانفصلت عن حكومة الهند ، وفى نفس الوقت حصلت بريطانيا من شيوخ وسلاطين الجنوب العربى على معاهدات تخضع هذه الدويلات للحماية البريطانية ، وللتدليل على السياسة البريطانية التى كانت تهدف الى تمزيق الجنوب العربى تكفى الاشارة الى ما حدث لسلطنة لحج ،

---

(١) سيد نوفل ، ص ٤٤ ـ ٥ •

فنفوذ هذه السلطنة كان يتمثل عشرين امارة وشياخة وولاية قبل تمزيقها : الحواشب ، ويافع العليا ، والقطيبى ، ودثينة ، والعقارب ، وأهل فضل التى أصبحت محميات بريطانية فى عام ١٨٣٩ ، والعوالق العليا التى أصبحت محمية بريطانية فى عام ١٨٥٥ ، ويافع السفلى والعوالق السفلى اللتين أصبحتا محميتين فى عام ١٨٨٨ ، والعلوى التى أصبحت محمية بريطانية فى عام ١٨٩٥ ، وبيحان التى أصبحت محمية بريطانية فى عام ١٩٠٢ ، ونقابة الموسطة ، والمفالحة ، والضبى ، والحضرمى ، والابعوشى التى أصبحت محميات بريطانية فى عام ١٩٠٣ ، والضالع وردفان التى أصبحت محمية بريطانية فى عام ١٩٠٤ ، والسقالدة التى ارتبطت ببريطانيا بمعاهدة فى عام ١٩٠٥ ، والعوادل التى ارتبطت هى الأخرى ببريطانيا بمعاهدة مماثلة فى عام ١٩١٢ ٠

ولم تقف سياسة التمزيق البريطانية عند سلطنة لحج اذ أن « معاهدات » أخرى قد ربطت ـ أو بتعبير أدق اخضعت ـ الجنوب العربى ببريطانيا منها المعاهدات التى عقدت مع الشياخات والسلطنات التى عرفت فيما بعد باسم محمية عدن الشرقية ، ومن هذه السلطنات ـ الواحدى ، التى أصبحت محمية بريطانية فى عام ١٨٨٨ ٠

وكانت بريطانيا قد عقدت مع سلطنة القعيطى ـ فى حضرموت الساحل : جمهورية اليمن الديمقراطية الحالية وفيما عرف من قبل باسم محمية عدن الشرقية ـ معاهدات فى أعوام ١٨٨١ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٨ وقد أقرت سلطنة الكثيرى ـ حضرموت الداخل هذه المعاهدة ، كما كانت بريطانيا قد عقدت معاهدات مع سلطنة المهرة (قشن وسقطرة) فى عام ١٨٨٦ ، ومع شيخ عرقة وشيخ حورة وهما مشيختان لم يكن لهما أى كيان سياسى وانما كانتا مدينتين صغيرتين تقعان على المحيط الهندى تابعتين لسلطنة « الواحدى » ، ثم مع شيخ « بير على » وشيخ بلحاف وهما أيضا ناحيتان كانتا تابعتين لسلطنة الواحدى ٠ ولكن بريطانيا عقدت مع المشائخ الاربعة معاهدات فى عام ١٨٨٨ بعد أن فصلتها عن السلطنة الام الواحدى ٠

وفى ٧ من يناير عام ١٩٥٤ بدأت الحكومة البريطانية ـ تحت ضغط العوامل الاجتماعية السياسية فى العالم العربى ـ سياسة تجميع المحميات شرق عدن وغربها فى ظل «اتحاد فيديرالى» فتكون هذا «الاتحاد» عام ١٩٥٩ فى بادى الامر من ست دويلات مما كان يسمى محمية عدن الغربية ، وفى الفترة بين عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ انضمت الى « الاتحاد »

احدى عشرة دويلة أخرى فأصبح عدد دويلاته سبع عشرة دويلة ، ولكن ظلت ثلاث من أهم دويلات الجنوب العربى فى محمية عدن الشرقية : القعيطى ، والكثيرى ، والمهرة خارج الاتحاد .

ومنذ عام ١٩٥٠ ، وتحت تأثير مذهب العروبة المرتكز على تكتل الجماعات العربية ، طالبت « رابطة أبناء الجنوب » بوحدة هذا الجنوب وكانت قد انشقت عن هذه الرابطة هيئة أطلقت على نفسها اسم « الجبهة الوطنية المتحدة » ووضعت برنامجا يسارى النزعة يعنى بصفة خاصة بمشاكل الجنوب الاجتماعية ، وعلى أثر الأحداث التى وقعت فى الشرق العربى عامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ (تأميم قناة السويس ، حرب السويس ، وحرب الجزائر) تزايد نفوذ الجبهة على حساب الهيئات السياسية الأخرى التى تضم المعتدلين من سياسيى الجنوب العربى .

ونسقت الدول العربية جهودها لاستخدام القرار الذى كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرته بتشكيل « لجنة تصفية الاستعمار » وهى اللجنة التى كانت قد استمعت الى بيانات ممثل اليمن عن الاستعمار فى الجنوب العربى ، كما كان قد تقدم اليها ممثل الـ ج . ع . م بطلب اجراء تحقيق عن الحالة فى هذا الجنوب .

ففى ١٩ من سبتمبر ١٩٦٣ دعا مجلس الجامعة الدول الأعضاء الى تأييد اليمن فى موقفها من الكفاح فى سبيل وحدة الأراضى اليمنية .

وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب ذلك فى ١١ من ديسمبر ١٩٦٣ قرارا دعت فيه الى تأكيد حق شعب الجنوب العربى فى تقرير مصيره .

وفى ضوء هذا القرار منالجمعية العامة قررت لجنة تصفية الاستعمار تشكيل لجنة فرعية لتحقيق الأوضاع فى الجنوب العربى .

وكان مؤتمر القمة الأول للملوك والرؤساء العرب قد اجتمع فى ١٧ من يناير ١٩٦٤ وأصدر بيانا أعلن فيه عدالة الكفاح فى الجنوب العربى فسارع مجلس الجامعة الى الاجتماع فى ١٧ من مارس ١٩٦٤ وأصدر قرارا استند فيه الى هذا البيان والى معاهدة الدفاع العربى المشترك التى تنص على أن الدول العربية المتعاقدة تعتبر « كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها ، أو على قواتها ، اعتداء عليها جميعا » ولذلك فانها ، عملا بحق الدفاع الشرعى ـ الفردى والجماعى ـ عن كيانها ، تلتزم

بأن تبادر الى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها ·· وتستخدم جميع ما لديهـا من وسـائل بما فى ذلك اسـتخدام القوة المسلحة ، لرد الاعتداء ··· » ، وأكد المجلس أن الدول العربية تعتبر العـدوان على الأراضى العربية عدوانا عليها جميعا تتعاون فى العمل على صـده ، وأيد اليمن فى موقفها العـادل وأعلن مؤازرتها بشتى الوسـائل فى النطاق القومى ، وفى الأمم المتحدة ، وفى المحافل الدولية ، كما طالب المجلس بتصفية القواعد البريطانية فى المنطقة العربية ·

وعاد مجلس الجامعة الى الاجتماع فى ١٩ من مايو ١٩٦٤ وأصدر قرارا اعتبر فيه الحشـود العسكرية البريطانية فى عدن تهـديدا مباشرا لأمن وسلامة الدول العربية ، وسائر الدول الآسيوية والافريقية ، ودعا الدول الأعضاء الى تقديم كل عون ممكن فى أسرع وقت لتحرير الجنوب اليمنى المحتل ، كما دعاها الى أن تقوم باتصالات فورية مع جميع الدول ، وخاصة الدول الأفريقية والآسيوية للاسهام الايجابى فى دعم الثورة العادلة فى الجنوب اليمنى المحتل ماديا وأدبيا ، وأن تقوم الدول العربية بالضغط على بريطانيا حتى تلتزم بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بتصفية الاستعمار البريطانى وازالة قواعده فى الجنوب اليمنى ، وأن تقوم جميع أجهـزة الأعلام العربية بدورها فى اثارة الرأى العام العالمى فى هذا الشأن ·

وكانت نتيجة هذا التكتل العربى أن حضرت الى القاهرة فى يوليو ١٩٦٤ اللجنة الفرعية المنبثقة من لجنة تصـفية الاستعمار بالأمم المتحـدة وأصدرت ـ بعد جمع البيانات الضرورية ـ بيانا أعلنت فيه أن الوضع فى الجنوب العربى « يتنافى مع الاعلان الخـاص بمنح الاستقلال للشـعوب الخاضعة للاستعمار ، مما يشكل تهديدا للسلام والأمن فى المنطقة » ، وكان المؤتمر الثانى للملوك والرؤساء العرب قد عقد بالاسكندرية فى صيف ذلك العام ، ١٩٦٤ ، وطالب بتوحيد جهود المناضلين ضد الاستعمار فى الجنوب العربى ، فسارعت الجامعة العربية الى تأليف لجنة فى ٣٠ من سبتمبر عامئذ برئاسة الأمين العام تنفيذا لذلك القرار لوضع « خطة عربية موحدة لتأييد حركة التحرير الوطنى فى المنطقة ودعمها » ·

وعاد مجلس الجامعة الى الاجتماع فى ٢١ من مارس ١٩٦٥ ليندد بالعدوان البريطانى فى الجنوب العربى وليدعو حكومات الدول الأعضاء الى تقديم العون الى منكوبى هذا العدوان ·

وازاء ذلك ، وفى ضوء تكتل الدول العربية بالأمم المتحدة ، وتوصيات

لجنة تصفية الاستعمار الصـادرة فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، أصـدرت الجمعية العـامة للمنظمة الدولية قرارا فى ٥ من نوفمبر ١٩٦٥ بتنفيذ توصيات اللجنة المذكورة وبمنح الاستقلال للبلاد وللشعوب الخاضـعة للاسـتعمار فى منطقة عدن ، وبدعم وتأييد الدول العـربية أعضاء الأمم المتحدة جميعا كما دعت المنظمة الدولية جميع الدول الأعضاء الى عـدم الاعتراف بأى استقلال يمنح فى هذه المنطقة ولا يكون مرتكزا على ارادة شعبها ، وأعادت الجمعية العامة تأكيدها لحق شعب المنطقة المطلق فى تقرير مصيره وفى التحرر من السيطرة الاستعمارية •

وبناء على ذلك تشجعت حركات المقاومة الوطنية العلنية والسرية تدعمها وتساعدها القوى الاجتماعية ــ السياسية فى الدول العربية ، وخاصة مصر التى كانت اذاعة « صـوت العرب » فيهـا تثير حملة عنيفة ضد الاستعمار بصفة عامة ، والاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى وفى الخليج العربى بصـفة خاصة ، فأنشئت بالقـاهرة مكاتب للهيئات الوطنية فى الجنوب العربى ، وصدرت فى القاهرة وبغداد وبيروت مئات الكتب والنشرات والبيانات عن حركة التحرير فى هذا الجنوب (١) •

ولم تجد الحكومة البريطانية مناصا من أن تعهد الى لجنة باقتراح ما تراه لاصدار دستور للجنوب العربى ، وطبقا للتحقيق الذى أجرته هذه اللجنة اتضح ان الدستور المقترح يجب أن يترسم خطى الدساتير المعمول بها فى معظم البلاد العربية المجاورة •

وترقبا للجلاء عن الجنوب العربى ، طلبت الحكومة البريطانية من الأمم المتحدة فى مستهل عام ١٩٦٦ أن توفد خبيرا قانونيا لاقتراح الخطوط الرئيسية لتشريع صناعى وتجارى للمنطقة يحل محل التشريع البريطانى الذى كان معمولا به ، فعهدت الأمم المتحدة الى مؤلف هذا الكتاب بهذه المهمة ، وقد أوضحت الأمم المتحدة فى « وصف المهمة » أن الاقتراحات التى سوف تقدم الى حكومة اتحاد الجنوب العربى يجب أن تلتزم بأحكام الشريعة الاسلامية (٢) •

---

(١) محمود كامل : اليمن ، شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية ، بيروت، دار بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٧٧ ٢٨١ •

(٢) محمود كامل : تقرير عن الاقتراحات الخاصة بمشروع تشريع تجارى وباطار قانونى مناسب خاص بالتجارة والصناعة والاستثمار ، الأمم المتحـدة ، مهمة باتحـاد الجنوب العربى ، رقم ٤١ ــ أ ، ١٩٦٦ •

وفى ٢٠ من مارس ١٩٦٦ اجتمع قادة حركات التحرير فى الجنوب العربى بمقر الجامعة العربية فى القاهرة واتفقوا على دمج «الجبهة القومية» و «منظمة التحرير» فى تنظيم موحد باسم «جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل» وأعلنوا أنهم وحدوا القوى الوطنية المناضلة ضد الاستعمار البريطانى «تجاوبا مع توصيات ومقررات القمة العربية ومجلس جامعة الدول العربية» .

وفى أكتوبر من نفس العام، ١٩٦٦، أعلنت وفود الدول العربية فى الأمم المتحدة أن الموقف فى الجنوب المحتل يشكل تهديدا خطيرا للأمن والسلم العالميين، فسارعت لجنة الوصاية بالمنظمة الى ايفاد لجنة لتقصى الحقائق فى المنطقة، ولما منعت الحكومة البريطانية هذه اللجنة من الدخول الى المنطقة عقدت اجتماعاتها بمقر الجامعة العربية فى القاهرة وأصدرت توصيات كررت فيها تأييدها لحق شعب المنطقة المطلق فى الحرية والاستقلال واستنكرت اقامة نظام غير ممثل لارادة الشعب بالمخالفة لقرارات الجمعية العامة وأهابت بجميع الدول ألا تعترف بأى استقلال يرتكز على غير رغبات الشعب .

وفى أول ديسمبر ١٩٦٧ أعلن استقلال «جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية» التى قبلت عضوا بالجامعة العربية فى ١٢ من نفس الشهر كما سبق ذكرنا كما قبلت عضوا بالأمم المتحدة فى ١٤ من نفس الشهر .

وقد ركز ممثل هذه الدولة العربية أمام الجمعية العامة للمنظمة الدولية على أن حكومته تؤكد للشعب الفلسطينى تأييدها الكامل والتزامها بأن تقدم لهذا الشعب كل ما يحتاجه من عون لتمكينه من استعادة حقوقه المشروعة، كما أعلن التزام بلاده بأن تقدم الى الشعب العربى كل عون يحتاجه فى أى مكان اذا كان لا يزال خاضعا لسيطرة أجنبية، وأكد على أن الجمهورية الفتية جزء من «الأمة العربية» ومن «الوطن العربى» وعلى ذلك فان بلاده ستعمل دائبة على الاسهام فى تحقيق الأمل العربى الكبير فى «الوحدة العربية» الشاملة، ولتحقيق هذه الوحدة العربية، فان بلاده ستعمل جاهدة على تحقيق وحدة اليمن : شماله وجنوبه .

فلما عقد مؤتمر القمة العربى الخامس بالرباط فى ديسمبر ١٩٦٩، وكانت اليمن الديموقراطية الشعبية قد أصبحت عضوا فى الجامعة العربية وارتفع عدد دول الجامعة بانضمامها الى أربع عشرة دولة، ركزت قرارات هذا المؤتمر فى مجملها على القرارات السابقة بشأن التضامن العربى،

ووحدة الصف العربي • ودعم القضايا العربية ، وأبرز ملك المغرب فى ختام هذا المؤتمر ما أبداه المجتمعون « بالنسبة للقضية العربية وخصوصا بالنسبة لقضية فلسطين من تتبع للدرس ، ومن تشبث بالمبادىء ، ومن مدافعة عن الحق العربى • ومن ايمان صادق بمستقبل فلسطين وتحرير شعبها ، وما موقفنا ومشاعرنا الا مشاعر كل عربى ، وموقف كل عربى •

بيان طرابلس لرؤساء ال ج • ع • م (مصر)
والسودان وليبيا ، ديسمبر ١٩٦٩ : تحقيق
الوحدة العربية لعل امتنا المناضلة

كان اندماج مصر وسوريا فى دولة « ال ج • ع • م » فى عام ١٩٥٨ قد انفض فى عام ١٩٦١ ، وكانت « الدول العربية المتحدة » وهو الاتحاد « الكونفيديرالى » الذى انشىء عام ١٩٥٨ وضم مصر وسوريا واليمن قد انفض هو الآخر فى عام ١٩٦١ ، كما كان « الاتحاد » « الفيديرالى » بين العراق والأردن الذى أنشىء فى عام ١٩٥٨ قد انفض هو أيضا فى عام ١٩٦١ ، كما أن الاتحاد « الفيديرالى » الذى أنشىء فى عام ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق قد انفض فى نفس العام ، ومع ذلك فلن الشعب العربى ، رغم خيبة آماله فى قيام هذه « الاتحادات » ، لم يفقد عزمه على متابعة جهوده فى سبيل اعادة اقامتها ، بل ، على العكس ، فان أخطاء الماضى قد دفعت القوى الاجتماعية ـ السياسية التى توجه الرأى العام العربى الى أن تحاول من جديد ـ ولو على نطاق محدود ـ تحقيق الوحدة العربية مع الانتباه الى تلافى الأخطاء التى تسببت فى خيبة المحاولات السابقة •

فقد اجتمع رؤساء ال ج•ع•م والسودان وليبيا بطرابلس ، ليبيا ، فى الفترة بين ٢٥ ، ٢٧ من ديسمبر ١٩٦٩ « لتحقيق الوحدة العربية أمل أمتنا المناضلة » وأصدروا بيانا جاء فيه أن القادة العرب الثلاثة يؤكدون اهمية العمل الموحد بينهم تحقيقا لأهدافهم المشتركة بما يعود بالرفاهية والمنفعة المتبادلة على شعوب البلدان الثلاثة وعلى الأمة العربية جمعاء » •

بيان القاهرة عن اجتماع رؤساء دول ميثاق
طرابلس : قيادة موحدة ، نوفمبر ١٩٧٠ :

وفى الفترة بين ٤ ، ٨ من نوفمبر ١٩٧٠ اجتمع رؤساء دول ميثاق طرابلس الثلاثة بالقاهرة • بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس محمد أنور السادات رئاسة جمهورية مصر العربية وأصدروا

بيانا أشـــاروا فيه الى أنهـم كانوا « على اقتنـــاع كامل بأن عملهم من أجـل الوحـــدة العربية بكل كماله وجلاله لابد أن يكون عمـــلا ايجابيا ومبادأة خلاقة تتقدم به الأمة العربية خطوة الى الأمام » وتضمن هذا البيان أنهم قرروا تشكيل « قيادة موحدة من الرؤساء الثلاثة تعمل للاسراع بتدعيم وتطوير التكامل والترابط بين الدول الثلاث ، وانشـاء لجنة تخطيط عليا ، وانشاء مجلس للأمن القومى ، وانشاء لجنة متابعة ، وانشاء لجان فرعية تتصل بقطاعات العمل المختلفة » ٠

وفى ٢٨ من نوفمبر ١٩٧٠ ، وبعد اجتماع بالقاهرة ضـم رئيس الجمهورية العربية السورية مع رؤساء دول ميثاق طرابلس ، صدر بيان أعلن فيه أن الرؤساء الأربعة « توصلوا الى أهمية الدور الذى يمكن أن يضطلع به شعب وحكومة الجمهورية العربية السورية فى تأكيد الحقيقة الكبرى للمصير العربى الواحد » ٠

وبذلك أصبحت القيادة الثلاثية الموحدة بين السودان وليبيا وال ج ٠ ع ٠ م قيادة رباعية بانضمام سوريا الى ميثاق القاهرة ٠

اعلان بنغازى : « اتحاد الجمهوريات العربية » ، ابريل ١٩٧١
الشـــعب فى الاتحـــاد جـــزء من الأمـــة العربيـــة

وقد أصدر رؤساء مصر ، وليبيا ، وسوريا فى ١٧ من ابريل ١٩٧١، بعد اجتماعهم فى بنغازى وفى غياب رئيس السـودان ، اعلانا باقامة « اتحاد الجمهوريات العربية » جاء فى مقدمته أنه : « انطلاقا من الحقيقة الكبرى التى عبر عنها التاريخ الطويل ٠ وهى أن وحدة الوطن العربى ، بما تتيحـه من امكانيات وبما توفره من طاقات سياسية وعسـكرية واقتصادية هى الرد الحاسم على تحديات الاستعمار والصهيونية ٠ وهى السبيل الى ٠٠٠ الاجهاز على كل صور الاستعمار والاستغلال والتخلف فى وطننا العربى ، وتصميما على بناء الوطن العربى المتحرر « فقد قرر الرؤساء الثلاثة اقامة اتحاد « الجمهوريات العربية من منطلقات تشكل حجر الأساس فى بناء دولة الاتحاد وهى :

أولا : أن تكون هذه الدولة النواة التى تستقطب نضال الجماهير العربية الوحدوى ، وبالتالى تكون نواة لوحدة عربية أشمل ٠

ثانيا : أن تكون سبيل الجماهير العربية لتحقيق هدفها فى اقامة المجتمع العربى الاشتراكى الموحد ٠

ثالثا : أن تكون هذه الدولة هى الأداة الرئيسية للأمة العربية فى معركة التحرير » ٠

وأعلنت الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية وجاء في مقدمتها أن الهدف من قيام الاتحاد هو العمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وحماية الوطن العربي ، وأن الشعب في هذا الاتحاد جزء من الأمة العربية ، وأنه مفتوح لجميع الدول العربية الأخرى التي تؤمن بالوحدة العربية ، كما أعلن عن تحديد يوم أول سبتمبر ١٩٧١ موعدا لاجراء الاستفتاء الشعبي على هذه الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية الثلاث .

اعلان دمشق : دستور اتحاد الجمهوريات العربية : أغسطس ١٩٧١
القومية العربية طريق العرب الى الوحدة الشاملة

واجتمع رؤساء مصر وليبيا وسوريا بدمشق في الفترة بين ١٨ ، ٢٠ من أغسطس ١٩٧١ وأصدروا بيانا قرروا فيه أنهم عبروا « عن اهتمام الشعب العربي بالوحدة العربية عن وعي وفهم لحقيقة التاريخ العربي ولحقيقة الصراع العربي مع أعداء الانسان العربي على امتداد التاريخ كله أنهم يضعون هذا الاتحاد النواة الصلبة للأمل الكبير الذي يختلج في وجدان الشعب العربي . أمل الوحدة العربية الشاملة »

وطرح مشروع دستور اتحاد الجمهوريات العربية للاستفتاء الشعبي مع الأحكام الأساسية للجمهوريات الثلاث في أول سبتمبر ١٩٧١ — وقد تضمنت مقدمة هذا الدستور أن الشعب العربي في الجمهوريات الثلاث « جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ،وأن الجمهوريات الثلاث تؤمن بالمصير العربي الواحد وأن القومية العربية هي دعوة تحرير وبناء وعدل وسلام، وأنها طريق العرب الى الوحدة الشاملة » .

وركزت مقدمة الدستور على أن الشعب العربي في الجمهوريات الثلاث قد أقر قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية « استجابة منه لنداء الوحدة العربية التي تحتل مكان الصدارة في الوجدان العربي ... وثقة منه بأن جميع الانجازات التي حققها ويمكن أن يحققها أي قطر .... تظل قاصرة عن بلوغ كامل أبعادها . ومعرضة للتشوه والانتكاس ما لم تعززها وتصونها الوحدة العربية »

ثم نص الدستور على أن « الشعب في اتحاد الجمهوريات العربية جزء من الأمة العربية »

وتوالى ابتداء من ٦ أكتوبر ١٩٧١ صدور قرارات مجلس الرئاسة في اتحاد الجمهوريات العربية المؤلف من رؤساء الجمهوريات الثلاث ،

فصدر قرار بتحديد القاهرة عاصمة للاتحاد ، وبانشاء جريدة رسمية للاتحاد ، وشعار الاتحاد ، وبانشاء مجلس الأمة الاتحادى ، من عشرين عضوا عن كل جمهورية ، وبتشكيل المجلس الوزارى للاتحاد ، وبانشاء المجلس الاتحادى للتخطيط والشئون الاقتصادية والاجتماعية ٠

البحرين : الدولة الخامسة عشرة من
دول الجامعة العربية : سبتمبر ١٩٧١
شعب البحرين جزء من الأمة العربية

فى القرن الثامن عشر استولت ايران على البحرين ولكنها جلت عنها فى عام ١٧٣٨ ، وفى عام ١٨٠٦ استولى الوهابيون عليها ، فتصدى لهم البريطانيون الذين كانوا قد بدأوا يتسللون الى المنطقة ولما وصل المصريون الى منطقة الخليج أثناء حربهم مع الوهابيين فى عام ١٨١٨ طلبت شركة الهند الشرقية الانجليزية من ابراهيم باشا قائد الجيش المصرى الجلاء عن منطقة الاحساء متذرعة ببعض الادعاءات ، فلما رفض ابراهيم هذه الادعاءات ، أرسلت الحكومة البريطانية سفنها الحربية الى المنطقة ، وأحرقت أسطول شيوخ الخليج حلفاء الوهابيين ، وفى ٨ من يناير عام ١٨٢٠ أرغمت شيخ البحرين على توقيع معاهدة مع شيوخ المنطقة سميت معاهدة صداقة بينما الواقع انها وضعت المنطقة تحت النفوذ البريطانى ٠ (١)

وفى ٣١ من مارس ١٨٩٢ وقع شيخ البحرين اتفاقا مع الحكومة البريطانية جاء فيه أنه يتعهد عن نفسه وعن ورثته وخلفائه بألا يرتبط لأى سبب ، بأية اتفاقات ولا أن يتبادل أية مراسلات مع أية حكومة أخرى غير الحكومة البريطانية ، وبأنه لن يسمح لممثل أية حكومة أخرى بالعمل فى أراضيه دون موافقة الحكومة البريطانية ، وبأنه لأى سبب كان لن يتنازل أو يبيع أو يرهن أو يسمح باحتلال أى جزء من أراضيه الا للحكومة البريطانية ٠

وفى ٢٩ من يوليو ١٩١٣ وقعت بريطانيا وتركيا اتفاقا خاصا بمنطقة الخليج جاء فيه : « أن حكومة الامبراطورية العثمانية تتنازل عن كل مطالبها فى البحرين وتعترف باستقلال البلاد ، كما تعلن الحكومة البريطانية من جانبها بأنها لا تنوى ضم جزر البحرين الى أراضيها » ٠

---

(١) ف٠ت٠ لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ؛ ترجمة عفيفة البستانى ، أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفييتى ، بيروت ؛ دار الفارابى ، ١٩٧١ ؛ ص ١١١ ٠ و « هيورتيز ؛ ج ١ ؛ ص ٨٨ ـ ٩٠

وقد قرر المؤرخون البريطانيون أن بريطانيا ظلت تعمل بثبات على تدعيم سيطرتها على الشياخات العربية فى الخليج العربى ، فبدأت بتقديم نصائحها بزعم مقاومة القرصنة والنخاسة ثم انتقلت الى احالة الخلافات بين الشيوخ الى المقيم البريطانى فى « بشير » الذى أصبح بذلك حاكما فعليا للخليج العربى ، وأخيرا فى عام ١٨٦٩ أغرت شيوخ المنطقة الواقعة على الخليج العـــربى والتى عرفت باســـم « ســـاحل المهـــادنة » على التعهـــد بألا يتنازلوا عن أية أراض وألا يتعاقدوا مع أية حكومة أخرى غير الحكومة البريطانية ، وبعد توتر العلاقات مع روسيا عام ١٨٧٨ اتسع نطاق تلك الاتفاقات بين الحكومة البريطانية وشيوخ الخليج فانضم اليها شيخ البحرين عندما جددت المعاهدات معهم عام ١٨٨٠ وأضيف اليهـــا تعهدهم بألا يقبلوا أى ممثلين دبلوماسيين أو قنصـــليين الا بموافقـــة بريطانيا بمقضى معاهدة موقعـــة فى ٢٢ من ديســـمبر ١٨٨٠ (١) وفى عام ١٨٨٥ ــ بعد أن ضـــمت روســـيا اليها منطقة فى حـــدود أفغانستان ــ أصبحت الحرب متوقعة بين الدول العظمى ، وزادت مخاوف بريطانيا ، وصرخ كيرزون عام ١٨٩٢ عندما كان وكيلا لوزارة الهند « يجب أن أعد تنازل أية دولة عن ميناء على الخليج الفارسى (العربى) لروسيا ــ الحلم العزيز الذى يداعب الكثيرين من الوطنيين الذين يعيشون فى وادى نيفا أو الفولجا ــ اهانة متعمدة لبريطانيا واخلالا بالحالة الراهنة وتحريضا دوليا على الحرب ، ويجب أن أتهم الوزير البريطانى الذى يسـلم بذلك بخيانة وطنه ، وفى نفس الوقت أثنى كيرزون على اجراء بريطانيا الخاص بمنع سلطان عمان من التنازل عن أية قطعة من أراضيه أو تأجيرها فقال « اننا نعين حاكمها ونملى سياسته ولذلك يجب ألا نسمح بأى نفـــوذ منافس » (٢) ٠

واذا استثنينا عمان فان وضع باقى ولايات الخليج العربية يشبه الوضع فى محمية عدن ، ولو ان الصلات السياسية التى تربط هـــذه الولايات ببريطانيا قد تكون أضـــعف فيما يختص بعـــدم ادعاء الحـــكومة البريطانية فيهـــا لحق التشريع وبعـــدم بســـط كامل مظاهر « الحماية » عليها ٠

والعلاقات بين بريطانيا وبين هذه الولايات التى تحددت مع البحرين فى عام ١٩١٣ ، ومع قطر فى عام ١٩٢٦ ومع الكويت فى عام ١٩٣٥ ، ومع مسقط فى عام ١٩٣٥ لا تكاد تختلف الا فى بعض التفاصيل ٠

---

(١) « هورروتيز » ، ج ١ ، ص ١٩٤

(٢) « كيرك » ص ٨٨ ــ ٨٩ ٠

والمعاهدات التى عقدتها ، أو فرضتها ، بريطانيا مع مختلف أمراء الخليج الفارسى (العربى) خلال القرن التاسع عشر يمكن تسميتها بأنها « أبدية وتقصر التعاقد على بريطانيا دون غيرها » ، وكلها تتضمن النص على حظر مفروض على (الأمير) المتعاقد بألا يتنازل ، أو يؤجر ، أو يقرض بأى شكل ولأى سبب أى جزء من أراضيه بدون اذن صريح من الحكومة البريطانية التى تعد ، فى مقابل ذلك ، بحمايته ، وهذه الاتفاقات لم تحدد مدة معينة ينتهى بعدها العمل بهما ولذلك يمكن أن تسمى « أبدية » ، وقد سمحت هاتان السمتان الشاذتان ، الأبدية والاستئثار ، لممثلى الحكومة البريطانية فى المنطقة بالتدخل للحصول لبلادهم على خير نصيب من ثروات الخليج العربية • (١)

البترول : ١٩١٤ وزخم القومية العربية

وأهم حدث فى تاريخ علاقات البحرين الدولية ، بل علاقات منطقة الخليج كلها ، هو اكتشاف البترول ، فعلى أثر ذلك وجه شيخ البحرين رسالة فى ١٤ من مايو ١٩١٤ الى المعتمد السياسى فى البحرين جاء فيها :

استلمت كتابكم الكريم ، ١٤ من مايو ١٩١٤ م حول موضوع امكانية الحصول على زيت النفط فى البحرين ، وكما أبلغت سعادتكم بأنه عندما يحين الوقت للحصول على ذلك ، فأستشير بالتأكيد المعتمد السياسى، انى بهذا أكرر لكم اذا كان ثم أمل فى الحصول على زيت النفط فى بلادى البحرين فلن أباشر استغلاله بنفسى ، ولن أقبل طلبات أى جهة بخصوص النفط بدون استشارة المعتمد السياسى فى البحرين وبدون موافقة الحكومة السامية ، (البريطانية) •

وقد منح أول امتياز للبحث عن الزيت فى الجانب العربى للخليج فى ديسمبر١٩٢٥ الى هيئة بريطانية تولت البحث عن ذلك الزيت فى البحرين، وفى عام ١٩٢٧ حصلت شركة أمريكية على تنازل الهيئة البريطانية ولكنها لم تستطع أن ترضخ للشروط التى أملتها شركة بترول العراق(I. P. C.) فباعت التنازل الصادر لها الى شركة « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » ، وبعد مفاوضات اشتركت فيها الحكومة البريطانية ووزارة الخارجية الأمريكية منح الامتياز لشركة « بترول البحرين » وهى فرع مسجل فى كندا من شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » واشترطت الحكومة البريطانية

---

(٢) « بيربى » : الخليج الفارسى ، ص ٤٢ •

استخدام عدد معين من الموظفين البريطانيين ، وفى عام ١٩٣٦ حصلت شركة « تكساس أويل » على خمسين فى المائة من الأسهم ، وهذا هو الذى يفسر جنسية الشركة الكندية وادارتها فى الولايات المتحدة مع أن نسبة كبيرة من موظفيها بريطانيون ، وواضح مما سبق أن الشركتين اللتين تتمتعان بالامتياز فى البحرين تشتركان فى شركة « ارامكو » فى العربية السعودية • (١)

أما بشأن التحرر من النفوذ الأجنبى فان المعقبين الأمريكيين قد قرروا عقب الحرب العالمية الثانية أن الحركات نحو استرداد العرب لاستقلالهم تمتد سريعا ، والأراء العتيقة المستندة على الضرورات العملية التى كانت ذريعة الادارة الاستعمارية تتلاشى ، أمام الأراء الغربية الحديثة والتكتل الاقليمى الضخم ، وهذه المنطقة ، من وجهة نظر القانون الدولى ، تعد من أهم مناطق العالم • (٢)

وفكرة الوحدة العربية : من المحيط الأطلسى الى الخليج الفارسى ــ العربى أصبحت أهم فكرة سائدة فى شبه الجزيرة العربية ، وتمتزج بهذه الفكرة تطلعات الى حمياة ديمراطية تحقق المساواة ، والحذر من الأجنبى يمكن ادراك الباعث عليه لأن منبع القومية الداعية الى الوحدة العربية والقوة المحركة لها انما هما تطلعان عظيمان الى العزة والكرامة ، فالمعارضة الشافعية فى اليمن للزيود الشيعة ، وتيارات الانفصال المحلية ، والخلافات بين الأسر المالكة ، والمنافسات القبلية ، والمنازعات على الحدود ، كل ذلك يذوب ويتلاشى فى البوتقة الشعبية، بوتقة الوحدة العربية ، أو على الأصح، كل ذلك ينصهر فى هذه البوتقة فاذا بها تضفى عليه لونها • وتكسبه سمتها : الوحدة ، والدعوة الى الوحدة الاسلامية ، التى انطلقت منها أساسا الدعوة الى الوحدة العربية ، أصبحت دورا مساعدا • (٣)

والمثقفون العرب الذين يتمتعون بمكانة مرموقة ، يغذون البحرين ، كما يغذون غيرها من البلاد العربية ، بطبقة الأساتذة والمدرسين ولذلك يمكن أن يسموا « رسل القومية العربية » ، وقد تحولت الاضطرابات التى اعتادت البحرين أن تشهدها فى الماضى بين الشيعة والسنيين الى شعور بالقومية العربية ضد الأجانب وخاصة البريطانيين ، والبحرين هى

(١) المعهد الملكى ، طبعة ثانية ، ص ١٣٠ ــ ١ •

(٢) القاهرة ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٤٧ ، ص ٣٦
J. Brinton : The Arabian Peninsula.

(٣) « بيربى » ، شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٣١ ــ ٣ ، ٢٥٣ •

أكثر امارات الخليج انفعالا ، وقد مهدت الانطلاقات المتعاقبة لصناعة البترول السبيل لنمو فكرة الوحدة العربية • (١)

وفى نهاية عام ١٩٥٤ طالبت لجنة بحرانية مؤلفة من ثمانية أعضاء سميت « اللجنة التنفيذية العليا » بانشاء نقابة للعمال وباحلال تشريع عصرى محل العرف الذى كانت تطبقه الأسرة المالكة ومستشارهـــا البريطانى • (٢)

وتحت ضغط القوى الاجتماعية ــ السياسية للعروبة اضطــرت انجلترا أن تعلن استقلال البحرين ، وقبلت هذه الدولة العربية عضوا فى الجامعة العربية فى ١١ من سبتمبر عام ١٩٧١ فاصبحت الدولة الخامسة عشرة من دول الجامعة ، وفى ٢١ من سبتمبر عامئذ أصـبحت عضوا فى الأمم المتحدة •

وقد أعلن ممثل « البحرين » أمام الجمعية العامة للأمم المتحـــدة أن شعبه جزء لا ينفصل عن الأمة العربية ، وأنه نظرا للصلات التاريخيــة والثقـــافية التى تربط البحرين ببقية العالم العربى فانها ستسخر كل جهودها لتنمية ودعــم العلاقات السياسية والثقـــافية وللتعـــاون مع شقيقاتها الدول العربية على أسس ميثاق الجامعة العربية •

قطر : الدولة السادسة عشرة من دول الجامعة العربية ، سبتمبر ١٩٧١
شعب قطر يشترك مع الأشقاء العرب فى كل المسئوليات والمصالح

يعود أول تسلل بريطانى الى قطر الى عام ١٨٥٩ عندما اســـتولى الوهابيون على قطر فتدخل الأسطول البريطانى لصدهم ، وقد استندت الحكومة البريطانية فى منع الوهابيين من توســـيع نفوذهم فى الخليج الى معاهدة كانت عقدتها فى ٢١ من ابريل ١٨٦٦ مع عبد الله بن فيصل آل سعود حاكم نجد على عدم التعرض للمصـــالح البريطانية فى الشياخات العربية بالخليج وخاصة سلطنة مسقط • (٣)

وفى عام ١٨٦٨ أقامت بريطانيا علاقات مع قطر الا أنها اضطرت بعد ثلاثة أعوام الى التنازل عن هذه المنطقة الى تركيا •

وأخيرا ، فى عام ١٨٨٢ ، استولى البريطانيون على شبه جزيرة قطر وألزموا شيخها أن يوقع « معاهدة تحالف » وبذلك خضعت قطر لسيطرة بريطانيا • (٤)

---

(١) « هورويتز » ، الدبلوماسية ، ج ١ ، ص ٢٧١ ــ ٢ •
(٢) المعهد الملكى ، الطبعة الثالثة ، ص ١٣٣ ــ ٤ •
(٣) « هورويتز » ، ج ١ ، ص ١٧٢
(٤) « لوتسكى » ؛ ص ١٨٠ ــ ١ ، ٤٢٠ •

بأراضى الخليج العربى الذى سبقت الاشارة اليه عند الكلام عن البحرين فى الفقرة السابقة ، وقد جاء فيه بشـــأن قطر انه « لما كانت حكومة الامبراطورية العثمانية قد تنازلت عن كل مطالبها فى شبه جزيرة قطـــر فقد تفاهمت الحكومتان على أن شبه الجزيرة سوف يحكمها ، كما حكمها فى الماضى ، الشيخ ٠٠٠٠ وخلفاؤه ، وتعلن الحكومة البريطانية بأنها لن تسمح لشيخ البحرين بأن يتدخل فى شئون قطر الداخلية ولا أن يهدد استقلال هذه المنطقة أو ضمها اليه » (١).

وكان واضـــحا فى الفترة بين عامى ١٩١١ و ١٩١٣ أن ألمانيـــا والامبراطورية العثمانية عملتا على التغلب على الدبلوماســـية البريطانية ومعوقاتها قبل أن تبدأ الدولتان تنفيذ مشروع سكة حديد بغداد ٠ وهى الدبلوماسية التى أوضحها وزير الخارجية البريطانى سير ادوارد جراى فى مايو ١٩١١ أمام لجنة الدفاع الامبراطورى بقوله : « ان لنا هـــدفين بازاء سكة حديد بغداد ، أولهما أن نضمن اذا مدت هذه السكة الا تصـــاب تجارتنا بسوء والآخر ألا يتغير الوضع فى الخليج الفارسى بحيث يعصف بموقفنا الاستراتيجى » وكانت قطر حتى ذلك الوقت جزءا من سنجق نجد العثمانى ، فأوضحت معاهدة ٢٩ يوليو ١٩١٣ الحدود بين نجد وشـــبه جزيرة قطر ٠

وفى ٣ من نوفمبر ١٩١٦ عقدت معاهدة بين قطر وبريطانيا على نسق المعاهدات المعقودة مع شياخات ساحل المهادنة : أبو ظبى ودبى والشارقة وعجمان ورأس الخيمة وأم القيوين تضـــمنت أيضا نصا يلزم قطر بالتعاون مع الحكومة البريطانية والتعهد بعـــدم انشاء أية علاقات أو التخابر مع أية دولة أخرى أو استقبال ممثل لأية دولة أخرى بدون موافقة الحكومة البريطانية وبعدم التنازل لأية دولة أخرى أو لرعاياها عن أية أرض ولا تأجيرها ولا بيعها ولا نقلها ولا هبتها ٠

كما تلزم هذه المعاهدة قطر بعدم اعطاء امتياز صـــيد اللؤلؤ أو أية امتيازات احتكارية أخرى الى أى شخص بدون موافقة الحكومة البريطانية ونصت على تعهد بريطانيا بحماية قطر من أى اعتداء (٢) ٠

امتياز البترول : ١٩٣٥

وكانت شركة « قطر بتروليم ديفيلوبمنت » قد حصلت فى ١٧ من مايو ١٩٣٥ على امتياز البحث عن الزيت ٠ وهى شركة بريطانية تابعة لشركة

(١) « هورويتز » ، ج ١ ، ص ٢٧١ ٠

(٢) « هورويتز » ، ١ ، ص ٢٢ — ٢٣ ٠

« بتروليم كونسشن » وقد حفر أول بئر عام ١٩٣٧ وبدأ الانتاج عـــام ١٩٤٩ ٠

وقد ترتب على اعلان استقلال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بجهود « منظمة التحرير » و « الجبهة القومية » التى تولت الحكم بدعم من الدول العربية ، فى عام ١٩٦٧ ـ ترتبت على ذلك آثار مباشرة فى كل الجنوب العربى ، فعملت القوى الاجتماعية السياسية العربية على تكتل حركات التحرر من السيطرة الأجنبية ، واضطرت الحكومة البريطانيـة الى أن تعلن قرارها الخاص بالجلاء عن منطقة الخليج فى عام ١٩٧١ بعد أن بقى النفوذ البريطانى فيه نحو قرنين ، وحفز هذا القرار شيوخ الخليج على التفكير جديا فى مصـــير شـــعوبهم فى مواجهة المســتقبل المجهول للمنطقة بعد جلاء البريطانيين ، فتبينوا بالغريزة أن التعاون فيما بينهـــم لا غنى عنه رغم الخلافات والحساسيات والحدود المفتعلة لدويلاتهم ٠

وقد عنيت الكويت ، بصفة خاصة ، بتشجيع فكرة التعـــاون بين امارات الخليج تحت أى شكل من أشكال التعاون ، ففى يناير عام ١٩٦٨ زار وزير خارجية الكويت جميع الامارات بغرض بحث موضوع دعم وتنسيق التعاون بين الكويت وامارات الخليج وتأكيد العلاقات الاخوية القائمـــة على أساس الصداقة والاحترام المتبادل (١) ، وقد ســـبقت زيارة الوزير الكويتى تصريحات مختلفة خاصة بانشاء حلف دفاعى يجمع امارات الخليج والعربية السعودية ، ورأت ال ج٠ع٠م أن العربية السعودية بصفـــة خاصة ، تتحمل مسئولية قومية فى شبه الجزيرة العربية وأن جميـــع الدول العربية على استعداد لتأييد العربية السعودية تأييدا كاملا فى أى موقف تتخذه للدفاع عن منطقة الخليج وعن عروبته ٠ (٢)

وكان أول مظهر من مظاهر التقارب بين امارات الخليج هو البيان الذى أعلنه شيخ أبو ظبى وشيخ دبى فى ١٩ من فبراير ١٩٦٨ بشـــأن انشاء اتحاد « فيديرالى » بين الامارتين ، وقد دعا الشيخان الشـــيوخ الخمسة الآخرين فى خليج عمان وشيخى البحرين وقطر الى التشـــاور فى مستقبل المنطقة والى اتخاذ اجراء موحد يضمن مستقبلها ، فقوبلت هذه الدعوة التى وجهها شيخا أبو ظبى ودبى بترحيب من شيخى البحـــرين وقطر وفى هذا الجو من التعاون والنية الطيبة عقد مؤتمر ضم جميع شيوخ الامارات التسع فى المدة من ٢٥ الى ٢٧ من فبراير ١٩٦٨ بدبى ، وأسفر

---

(١) « الرأى العام » ، الكويت ، ١٨ من يناير ١٩٦٨ ٠

(٢) « الاهرام » ، القاهرة ، ٣ من فبراير ١٩٦٨ ٠

هذا المؤتمر عن اصدار بيان يعلن انشاء دولة « الامارات العربية المتحدة » وعن توقيع اتفاق بين الامارات التسع ، وقد حدد هذا الاتفاق السلطات الرئيسية للاتحاد الفيديرالي » : « المجلس الأعلى » المكون من الشيوخ التسعة لتقرير السياسة العليا للاتحاد والقوانين الاتحادية ، و « مجلس الاتحاد » الذى يتولى الاختصاصات التنفيذية و « محكمة عليا اتحادية »٠

وقد رحبت معظم الدول العربية باتفاق ٢٧ من فبراير ١٩٦٨ المعقود بدبى ، فباركت العربية السعودية والكويت ، هذا الحدث التاريخى الهام فى المنطقة » ، كما أعلنت الاردن والعراق وال ج٠ع٠م ترحيبها وتأييدها ودعمها للاتحاد الجديد ٠ (١)

قطر فى رئاسة المجلس الاتحادى المؤقت

واجتمع « المجلس الاعلى » للاتحاد عدة مرات ، وقد أقر هذا المجلس عند اجتماعه بأبو ظبى فى يوليو ١٩٦٨ انشاء « المجلس الاتحادى المؤقت » ، ومنذ انشاء هذا المجلس حتى اجتماعه الأخير بقطر فى يونيو ١٩٦٩ أصبح ، برئاسة شيخ قطر ، أهم جهاز نشط من أجهزة الاتحاد ٠

ومن بين توصيات المجلس الاتحادى المؤقت التوصية الخاصة بتوحيد العملة ،والبريد ، وعلم الاتحاد وصحيفة الاتحاد الرسمية ، كما أصدر المجلس توصيات أخرى خاصة بتشكيل لجان مختلفة لتنظيم عمل الاتحاد : لجنة التعليم وجعل مقرها فى قطر ، ولجنة تشريعات العمل والتأمينات الاجتماعية والملكية العقارية وجعل مقرها فى البحرين ولجنة التجارة وجعل مقرها فى دبى ، ولجنة المواصلات وجعل مقرها فى البحرين ، ولجنة التجارة وجعل مقرها فى دبى ، ولجنة المواصلات فى أبوظبى ، كما أوصى المجلس المؤقت بتعيين خبير اقتصادى ذى مستوى فنى عال لدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الامارات ولاقتراح خطة اقتصادية شاملة يمكن تنفيذها فى مدة محددة ، وناقش المجلس أيضا تنظيم الدفاع الجماعى عن الاتحاد وعن الامارات ٠

وقد اجتمع « المجلس الأعلى » للاتحاد بقطر فى المدة بين ٢٠ ، ٢٢ من أكتوبر ١٩٦٨ بحضور جميع رؤساء الامارات التسع ، وأقر المجلس الأعلى توصيات المجلس المؤقت وأصدر قرارات اتحادية بذلك ، أما

---

(١)وحيد رافت : اتحاد امارات الخليج العربى ،، المجلة المصرية للقانون الدولى، القاهرة ، ١٩٧٠ ،، ص ٢ — ١١ ٠

بشأن دستور الاتحاد فقد قرر المجلس تكليف خبير دستورى مصــــــرى باقتراح مشروع كامل لميثاق الاتحاد ، واستشارته فى جميع المسائل ذات الصبغة القانونية التى تعرض على المجلس فى حالة ما اذا رأى المجلس حاجة الى هذه الاستشارة ، كما كلف خبير قانونى سودانى بمساعدة الخبير المصرى ·

وأثناء الدورة الثالثة لاجتماعات المجلس الاعلى للاتحاد بقطر فى مايو ١٩٦٩ ، ورغم النتائج السلبية بشأن مسائل عديدة خاصة بسير عمل الاتحاد ، فان المجلس أصدر القرارات الآتية :

ــ يكون للاتحاد رئيس ونائب للرئيس ينتخبهما المجلس الأعلى ، وقد حــــدد اختصاصاتهمــا القرار الاتحـــادى رقم ٢ لســـنة ١٩٦٩
ــ مجلس وزراء من ثلاثة عشر وزيرا يحل محل المجلس المؤقت للاتحاد وقد حدد اختصاصاته القرار الاتحادى رقم ٣ لسنة ١٩٦٩ ·

ــ يكون للاتحاد علم واحد فى الخارج ، وتحتفظ كل امارة بعلمها الخاص فى أراضيها ·

ــ تشكيل لجنة من المستشارين القانونيين لاقتراح مشروع الدستور فى ظرف شهرين ، على أن يعرض هذا المشروع على خبير دستورى عــربى لدراسته وابداء توصياته ·

ــ تشكيل لجنة يكون مقرها أم القيوين لدراسة موضوع الهجرة ، والجنسية ، وتوحيد جوازات السفر فى الاتحاد ·

ــ تشكيل لجنة يكون مقرها فى أبو ظبى لدراسة التنســـيق بين أجهزة الاعلام وتوحيدها ·

وأثناء الدورة الرابعة لاجتماعات المجلس الاعلى للاتحاد بأبو ظبى فى أكتوبر ١٩٦٩ تكشفت الصعوبات التى تعوق تحقيق الاتحاد المنشود ، اذ بدت الخلافات حول دستور الاتحاد ، ومقر عاصمته ، وتكوين مجلس الوزراء الاتحادى ·

وقد اعلن استقلال قطر فى سبتمبر ١٩٧١ وقبلت على اثر ذلك عضوا فى الجامعة العربية ، فأصبحت الدولة السادسة عشرة من دول الجامعة ، كما أصبحت فى ١١ من سبتمبر ١٩٧١ عضوا فى الأمم المتحدة وقد أعلنت فى الجمعية العامة أنها دولة عربية تشترك ــ طبعــا ــ مع شقيقاتها العربية فى المسئوليات والمصالح ، كما تشترك فى مصير هذه

الدول العربية وندعم قضـــاياها ، وأكدت على أنه من البديهى أن التوتر في الشرق الأوسط يعود الى سببين أولهما هو الاعتداء المستمر على حقوق شعب فلسطين العربى ، والثانى هو رفض المعتدى الامتثال لقرارات هــذه المنظمة الدولية ٠

سلطنة عمان (مسقط وعمان) : الدولة السابعة عشرة من دول الجامعة العربية سبتمبر ١٩٧١

ظلت عمان ، وأواسط شبه الجزيرة العربية ، فى المشرق العربى بمنأى عن السيطرة العثمانية ، كما ظلت مراكش فى المغرب العربى بمنأى عن هذه السيطرة التى بسطت على سائر الاقطار العربية الاخرى طيلة أربعة قرون بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ٠

فى عام ١٥٠٨ استولت البرتغال على موانىء عمان ولكن فى عام ١٦٩٨ لم يبق تحت الاحتلال البرتغالى الا مسقط ومطرح ، وفى الفترة بين ١٧١١ و ١٧٤٢ انتهزت ايران اضطراب الاحوال فى عمان فاحتلتها بين عامى ١٧٣٧ و ١٧٤١ ، وفى هذه الفترة بزغ نجم أسرة ســعيد التى لاتزال تحكم السلطنة الى اليوم ، — وفى عام ١٧٩٨ وقعت أول معاهدة بين عمان وبريطانيا ٠ وفى نفس هــــذه الفترة كانت عمان تدفع جزية للوهابيين ٠ وفقدت عمان بمقتضى هذه المعاهدة بعض اســـتقلالها فقد استهدفت بريطانيا من عقدها وقف تسلل نفوذ فرنسا النابوليونية الى الجنوب العربى والتصدى للهولنديين الذين كانوا قد زاد تغلغلهم فى هذا الجنوب (١) ٠

وفى عام ١٨١٨ وصل المصريون فى حملتهم على الوهابيين الىشاطىء عمان من جهة البر ، ولكن البريطانيين تنبهوا الى مشروع الدولة العربيــة الكبرى التى كانت مصر تعمل على انشائها والتى كانت تضم شبه الجزيرة العربية فسارعوا الى ارساء سفنهم الى غرب عمـــان ، وفى ٨ من يناير ١٨٢٠ أرغموا شيوخ الولايات السبع التى عرفت باسم « شاطىء الهدنة» المجاورة لعمان على توقيع ما سمى بمعاهدة الصلح مع شركة الهندالشرقية الانجليزية ، وبدأ النفوذ الانجليزى يستقر على شاطىء عمان أى ما يعرف الآن باسم « سلطنة عمان » وعلى ما أصبح يعرف باســم « دولة الامارات العربية المتحدة » ٠

---

(١) « هورويتز » ، ج ١ ؛ ص ٦٤ ، وقد عقدت هذه المعاهدة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وامام مسقط فى ١٢ من اكتوبر ١٧٩٨ ٠

ودعمت بريطانيا نفوذها بمعاهدة مع سلطان مسقط فى ١٤ من يوليو ١٨٥٤ تنازل بمقتضاها عن جزيرة كوريا موريا الى التاج البريطانى !

وكانت فرنسا ، من قبل ، قد عقدت مع سلطان مسقط معاهدة في ١٧ من نوفمبر ١٨٤٤ نصت على أن يمنح رعايا السلطان الذين يعملون فى المؤسسات الفرنسية نفس الحقوق الممنوحة للرعايا الفرنسيين (١) ، ولما تزايد التنافس الانجليزى ـ الفرنسى فى مسقط أصدرت الدولتان تصريحا مشتركا فى عام ١٨٦٢ أعلنتا فيه احترام استقلال مسقط ، الا أن هذا التصريح المشترك لم يكف لتلافى المنازعات بين الدولتين بسبب ما كانت تزعمه فرنسا من حقوق لرعاياها أو لسفنها فى الموانى العمانية استنادا الى المعاهدة الفرنسية ـ المسقطية المعقودة فى عام ١٨٤٤ وما كانت تزعمه بريطانيا من حقوق استنادا الى التصريح الفرنسى ـ البريطانى الصادر فى ١٠ من مارس ١٨٦٢ بضمان استقلال مسقط وزنجبار (٢) والى الاتفاق اللاحق الذى عقد بين سلطان مسقط والمقيم السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى فى ٢٠ من مارس ١٨٩١ (٣) والذى تعهد بمقتضاه السلطان عن نفسه وعن ورثته وخلفائه بألا يتنازل أو يرهن أو يسمح باحتلال أرض مسقط وعمان أو أية أراض تابعة لها الا للحكومة البريطانية .

وفى عام ١٨٧١ نشبت ثورة شعبية ضد الوجود البريطانى فى عمان استمرت نحو عشر سنوات قابلتها القوات البريطانية بالقمع واستشهد فيها زعيم الحركة عزان بن قيس واحتل البريطانيون مسقط وأجلسوا على عرش السلطنة أحد عملائهم السلطان تركى الذى حكم عمان من ١٨٧١ الى ١٨٨٨ فعمل على التنكيل بالثوار العمانيين الذين كانوا قد قاموا بحركتهم للتخلص من الاستعمار البريطانى .

ولكن فرنسا لم تسلم بسهولة بالوجود البريطانى فى عمان فظهرت السفن الحربية الفرنسية فى مياه عمان عام ١٨٩٣، كما ظهر فيها عامئذ طراد روسى ، وفى العام التالى بدأت فرنسا تمد العثمانيين بالاسلحة ، ولما كانت بريطانيا قد عقدت مع سلطان عمان فيصل (١٨٨٨/١٩١٣) معاهدة صداقة وتجارة وملاحة فى عام ١٨٩١ فقد زعمت أن السلطان خرق هذه المعاهدة ووجه الأسطول البريطانى مدافعه الى مقر السلطان فى مسقط ، الا أن ذلك لم يثن فرنسا وروسيا عن تمسكهما بمنافسة بريطانيا فى

---

(١) « هورويتز » ، ج ١ ؛ ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) المرجع السابق ؛ ص ٢٠٨ .

مسقط فعادت السفن الحربية الفرنسية والروسية الى الظهور فى مياه مسقط فى عام ١٩٠٠ كما عادت السفن الفرنسية مرة أخرى فى عام ١٩٠٣ ، ومثلما حدث فى فاشوده بالسودان من قبل بين فرنسا وانجلترا اضطرت فرنسا الى التراجع اذ كان الوضع ينذر بخطر وقوع اصطدام مسلح ، وقدم النزاع الى محكمة لاهاى ، وفى عام ١٩٠٤ عقد « الاتفاق الودى » بين فرنسا وانجلترا ، ففقد النزاع حدته وأهمل ... وتنازلت فرنسا عن مطالبها فى عمان ... وأثار خضوع السلطان أمام الانجليز موجة استياء واسعة فى البلاد .. وقام العمانيون بانتفاضة عام ١٩١٣ .. واختار الثوار سالم بن راشد الخروصى اماما لهم وألفوا دولة مستقلة واتخذوا نزوى عاصمة ، وفى مدة قصيرة حرر الثوار جميع أراضى عمان باستثناء مدينة مسقط والمناطق الساحلية التى كانت تحت حماية الأسطول البريطانى ، وتابعوا كفاحهم العنيد الطويل ضد السيطرة الانجليزية وسلطان مسقط ، الى أن اضطر السلطان فى عام ١٩٢٠ الى توقيع معاهدة صلح واعتراف باستقلال « امامة عمان » (١)

وتابعت فرنسا محاولاتها لبسط نفوذها فى مسقط ، وحصلت على موافقة السلطان على رفع العلم الفرنسى على السفن التابعة لرعاياه فلما احتجت بريطانيا على ذلك ورفض السلطان احتجاجها استنادا الى التصريح الفرنسى ـ البريطانى المشترك الذى صدر فى ١٠ من مارس ١٨٦٢ وسبقت الاشارة اليه تحرك الأسطول البريطانى فى المحيط الهندى الى مياه مسقط واستدعى الادميرال البريطانى السلطان ليمثل بين يديه على ظهر احدى السفن الحربية ، وقد امتثل السلطان لذلك وأعلن « ولاءه » وتخليه عن الاتفاق السرى مع فرنسا .

ولم تيأس فرنسا من متابعة محاولاتها ، « فلم تدخر وسعا فى استغلال الشعور العربى العدائى للانجليز فى منطقة الخليج العربى ، وكانت الحكومة الفرنسية تطبع صحيفة عربية فى باريس باسم « فتح البصائر » وتوزعها فى عدن وحضرموت ومسقط والبحرين ، وقد ذكرت هذه الصحيفة فى أحد اعدادها بأن مهمتها هى توفير العدل لجميع المسلمين دون تمييز وتخليصهم من الاستعمار البريطانى ، وقد اهتمت الصحيفة بشئون المسلمين فى الهند ومصر والسودان وبورما ودعتهم الى الثورة ضد الانجليز ، وقد أصدرت سنة ١٩٠٢ عددا خاصا ـ وباللغة

(١) ف.ب. لوتسكى : ص ٤١٧ ـ ٩ .

العربية - عن المسلمين فى الهند وايران وأفغانستان والصين ، وكان هدفها الواضح هو اثارة المسلمين والوحدة الاسلامية ضد المصالح البريطانية الاقتصادية والسياسية فى البلاد الاسلامية » (١)

وكانت المعاهدات الابدية التى تنص على قصر التعاقد على بريطانيا وحدها دون غيرها . والتى عقدتها بريطانيا مع سلطنات وشياخات الخليج العربى قد استكملت برسائل وجهها حكام تلك السلطنات والشياخات الى « صاحب الجلالة البريطانية » تعهدوا فيها بألا يمنحوا أى امتياز خاص بصيد اللؤلؤ دون اذن الحكومة البريطانية . ولكن سرعان ما تبينت بريطانيا أن ثروة تلك المنطقة العظمى ليس مصدرها اللؤلؤ ولذلك حملت كل أمير من أمراء المنطقة على أن يوجه رسالة أخرى يتعهد فيها بأن يعطى بريطانيا - دون غيرها - الحق المطلق فى أى امتياز للتنقيب عن البترول أو فى استغلاله . (٢)

وفى عام ١٩٥٥ نشبت ثورة بقيادة امام عمان (الولاية الداخلية للسلطنة) ضد سلطان مسقط وحلفائه الانجليز ، وقدم امام عمان طلبا بالانضمام الى الجامعة العربية ، وفى نفس العام أى عام ١٩٥٥ ، وافق مجلس الجامعة على توصية اللجنة السياسية الخاصة بطلب امامة عمان الانضمام الى عضوية الجامعة وكانت هذه التوصية تنص على أنه طبقا لسياسة الجامعة الخاصة بتشجيع قبول كل الدول العربية كأعضاء فى الجامعة فان المجلس يدعو الدول الاعضاء التى لم تكن قد أبدت بعد آراءها فى هذا الشأن أن تبدى آراءها حتى يمكن عرض الموضوع على المجلس فى اجتماع لاحق ، ولما كان ميثاق الجامعة ينص على أن القرارات التى تصدر بالاجماع هى الملزمة لجميع الاعضاء وأن التى تصدر بالاغلبية لا تلزم الا من قبلها فان طلب عمان لم يقبل فى عام ١٩٥٥ ، واستمرت ثورة امام عمان ضد سلطان مسقط ، وفى عام ١٩٥٧ تدخلت القوات البريطانية مع القوات المحلية التى كان يقودها ضباط بريطانيون كما تدخل سلاح الجو البريطانى لدعم سلطة سلطان مسقط على عمان الثائرة .

وفى ٦ من أغسطس ١٩٥٧ اهتمت الادارة السياسية بالجامعة العربية باتجاهات الصحف الاوروبية بشأن حركة التحرر فى عمان .

---

(١) م . ع . الداود : الخليج العربى والعلاقات الدولية : القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ١٠٣ - ٤ .

(٢) ج . ج . بيربى : الخليج الفارسى ، ص ٣٧ - ٤٣ .

فوزعت هذه الادارة — مثلا — تلخيصا لتعليقات الصحف الفرنسية جاء فيه ان هذه الصحف ترى :

١ — اعتبار النزاع أحد فصول الصراع حول الثروة البترولية فى هذه المنطقة •

٢ — ان هذا النزاع فى الواقع بين شركات البترول الانجليزية والشركات الأمريكية •

٣ — تدخل بريطانيا أملته ضرورة المحافظة على نفوذها فى الخليج الفارسى ، والامارات الواقعة على شاطىء المحيط الهندى •

٤ — يخشى أن تفشل حملة بريطانيا ، كما فشلت حملة السويس ، اذا ما أبدت واشنطن بعض التحفظ تجاه التدخل البريطانى •

٥ — ضرورة تفاهم بريطانيا والولايات المتحدة بشأن اتباع سياسة موحدة فى هذه المنطقة تصون مصالح الطرفين •

٦ — اعتبار النزاع فرصة سانحة للنداء العربى بالتخلص من شركات البترول الاستعمارية •

٧ — نجاح الثورة سيكون دافعا لامارات الجزيرة العربية على مناهضة النفوذ الغربى واشتعال الثورة التحررية فى المنطقة بأسرها ، وانتصار القومية العربية • »

وفى ١٢ من أغسطس ١٩٥٧ قرر مجلس الجامعة العربية :

أولا — أن تدخل القوات البريطانية المسلحة فى عمان ، هو اعتداء صارخ على استقلالها وسيادتها وسلامة أراضيها •

ثانيا — قيام الدول الأعضاء بعمل جماعى مشترك ، وذلك بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن فى هذه القضية ، ووقف تدخل القوات العسكرية البريطانية ضد عمان بوصفه مهددا للسلم والأمن فى الشرق الأوسط ، ومخالفا لأحكام القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة •

ثالثا — بذل المساعى العاجلة من قبل الدول العربية لدى أعضاء الأمم المتحدة لتأييد عمان فى قضيتها العادلة •

وقامت الدول العربية بدعوة مجلس الأمن لمناقشة الاعتداء البريطانى على استقلال امامة عمان وسيادتها ووحدة أراضيها ، فأنكر ممثل بريطانيا عند عرض الموضوع على الأمم المتحدة وجود دولة مستقلة

باسم عمان ولم يفز مشروع القرار العربى بالأصوات الضرورية لكى يصدر مجلس الامن قرارا ٠

ولكن ، على أثر انقلاب قاده ابن سلطان مسقط فى عام ١٩٧١ ضد أبيه وتوليه السلطة ، بادر بادخال عدة اصلاحات على نظام الحكم فى البلاد ودعى العمانيون فى المنفى للعودة الى بلادهم وخدمتها ، وبدأت الحكومة الجديدة فى انشاء علاقات أخوية مع الدول العربية بعد أن كانت فى العهد السابق بمعزل عن العالم العربى ، وبذلك قبلت عمان (ومعها مسقط) عضوا فى الجامعة العربية فى ٢٩ من سبتمبر ١٩٧١ ، فاصبحت الدولة السابعة عشرة من دول الجامعة ٠ وانضمت عمان ، أقدم قطر تسلل اليه الوجود البريطانى فى العالم العربى ، انضماما كاملا الى الكتلة العربية ٠

دولة الامارات العربية المتحدة :

الدولة الثامنة عشرة من دول الجامعة العربية ، ديسمبر ١٩٧١
جزء من الوطن العربى الكبير ، وشعبها جزء من الأمة العربية :

يضم الشاطىء الغربى للخليج العربى (الفارسى) الممتد من شرق قطر الى مدخل الخليج سبع شياخات : أبوظبى ، ودبى ، والشارقة وكلبة ، ورأس الخيمة ، وأم القيوين ، وعجمان ، والفجيرة ، وتكمن أهمية هذه المنطقة ، من وجهة النظر الدولية ، فى اكتشاف البترول بأراضيها ٠

معاهدة الهدنة البحرية مع انجلترا : ١٨٥٣

عندما بسط الوهابيون نفوذهم على جميع الخليج العربى فى عام ١٨٠٣ واحتلوا البحرين والكويت ، انضم اليهم شيوخ ما عرف فيما بعد باسم « شاطىء الهدنة » وما أصبح يعرف الآن باسم « دولة الامارات العربية المتحدة » ، ولكن الحكومة البريطانية تصدت — كما سبق أن ذكرنا عند الكلام على البحرين — للوهابيين فى عام ١٨٠٦ وأبعدتهم عن المنطقة ،وان بقى لهم وجود على ساحله الغربى ، وظل الاسطول البريطانى منذ ذلك الوقت مرابطا فى مياه الخليج ، فلما وصل المصريون الى منطقة الخليج برا فى عام ١٨١٨ سارع هذا الأسطول ، كما سبق أن ذكرنا قبلا ، الى المنطقة التى كانت لا تزال بين أيدى الوهابيين وحلفائهم على الشاطىء الغربى للخليج كما تصدى للقوات المصرية ، وفى ٨ من يناير عام ١٨٢٠ أرغمت الحكومة البريطانية شيوخ المنطقة على توقيع معاهدات التزموا فيها بعدم التعرض لسفن شركة الهند الشرقية الانجليزية ،

ولذلك عرفت هذه المنطقة باسم « ساحل الهدنة البحرية » . (١)

أ ـ أبو ظبي :

في يناير عام ١٨٢٠ وقعت هذه الشياخة مع بريطانيا نفس المعاهدة التي وقعتها البحرين عامئذ والتي سبقت الاشارة اليها . وفي عام ١٨٣٥ حملت بريطانيا هذه الشياخة على قبول « صلح بحري » مع باقي شياخات الخليج لمدة ستة أشهر ظل يتجدد الى ٤ من مايو ١٨٥٣ عندما وقعت معاهدة لغرض صلح بحري دائم مع شياخات رأس الخيمة ودبي وعجمان وأم القيوين .

وفي عام ١٨٩٢ وقعت « أبو ظبي » معاهدة بمفردها مع بريطانيا ذكر بها ـ على نسق غيرها من المعاهدات المماثلة ـ أنها مستقلة تحت الحماية البريطانية .

وفي ٣ من مايو عام ١٩٢٢ حصلت انجلترا من أبي ظبي على امتياز للتنقيب عن البترول .

وفي عام ١٩٣٩ أعطت أبو ظبي لشركة « بتروليم ديفيلوبمنت : ساحل الهدنة » المشتركة مع شركة بترول العراق امتيازا مدته خمسة وسبعون عاما للتنقيب عن البترول ، كما أعطت امتياز التنقيب تحت سطح الماء عن هذا البترول الى شركة مكونة بحصة الثلثين لشركة البترول البريطانية والثلث للشركة الفرنسية للبترول . (٢)

ب ـ دبي

تقع هذه الشياخة في جنوبي شرق الخليج العربي بين شياختي « أبوظبي » و « الشارقة » وقد وقعت دبي في يناير ١٨٢٠ مع بريطانيا نفس المعاهدة التي وقعتها البحرين ووقعتها أبو ظبي في نفس العام تحت ستار محاربة القرصنة والنخاسة ، ثم اشتركت مع باقي شياخات الخليج في الصلح البحري الذي فرضته بريطانيا عام ١٩٥٣ كما وقعت معاهدة مع بريطانيا يمثلها المقيم السياسي بالخليج العربي في ٢ من مايو ١٩٢٢ تعهد فيها الشيخ العربي بما يأتي :

« لا يخفى عليكم أننا نوافق ـ اذا وجد الزيت في بلدنا ـ على ألا

---

(١) « هورويتز » ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٩٠.

(٢) « بيربي » شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٤٥ .

نمنح أى امتياز بشأنه لأى شخص الا اذا عينته الحكومة البريطانية السامية » •

وهذه الشياخة هى أكبر شياخات ساحل الهدنة وكان فيها مقر المعتمد البريطاني للساحل قبل اعلان الاستقلال وجلاء البريطانيين•

وامتياز التنقيب عن البترول تحت سطح الماء ممنوح لشركة مكونة بحصة الثلثين لشركة البترول البريطانية والثلث للشركة الفرنسية للبترول •

ج - الشارقة وكلبة

تقع هذه الشياخة فى أقصى جنوبى شرق الخليج العربى ،ويتبعها خورفكان وكلبة على خليج عمان ، وقد وقعت فى يناير ١٨٢٠ مع بريطانيا نفس المعاهدة التى وقعتها البحرين وأبو ظبى ودبى عامئذ لمحاربة القرصنة والنخاسة ، كما وقعت معاهدة مع بريطانيا فى ١٧ من فبراير ١٩٢٢ تعهد فيها الشيخ العربى بما يأتى :

« غرضى من كتابة خطاب الصداقة هذا اليكم هو ازجاء تحياتى اليكم والسؤال عن صحتكم وثانيا لا يخفى عليكم اننى أكتب هذا الخطاب اليكم بارادتى الحرة وأعطى التعهد لجنابكم بأنه - اذا اكتشف منجم زيت فى أرضى - فاننى لن أعطى أى امتياز بشأنه لأجانب الا للشخص الذى تعينه الحكومة البريطانية السامية » (١)

د - رأس الخيمة :

وقعت مع بريطانيا فى يناير ١٨٢٠ نفس المعاهدة التى وقعتها البحرين وأبو ظبى ودبى والشارقة واشتركت مع غيرها من شياخات الخليج فى الصلح البحرى الذى فرضته بريطانيا عام ١٨٣٥ لمدة ستة أشهر بادىء الأمر ثم ظل يتجدد حتى أصبح صلحا بحريا دائما بمقتضى المعاهدة المعقودة فى ٤ من مايو ١٨٥٣ •

ووقعت مع بريطانيا فى ٢٢ من فبراير ١٩٢٢ معاهدة مماثلة للمعاهدة المعقودة مع « الشارقة » (٢) •

---

(١) L.M. Fanning : Foreign Oil and the Free World. ١٩٥٤ ، ص ٢٧٠
(٢) المرجع السابق •

هـ ـ ام القيوين

وقعت فى ٤ من مايو ١٨٥٣ مع بريطانيا معاهدة الصلح البحرى الدائم التى سبقت الاشارة اليها ٠

ووقعت هذه الشياخة مع بريطانيا فى ٨ من مايو ١٩٢٢ معاهدة مماثلة للمعاهدة المعقودة مع « أبو ظبى » و « دبى » بشأن الالتزام بعدم منح امتياز التنقيب عن البترول الا لبريطانيا ٠

و ـ عجمان

وقعت فى ٤ من مايو ١٨٥٣ معاهدة الصلح البحرى الدائم مع بريطانيا ٠

ووقعت معاهدة مع بريطانيا فى ٤ من مايو ١٩٢٢ مماثلة للمعاهدة المعقودة مع « أبو ظبى » و « دبى » و « أم القيوين » بشأن البترول ٠

ز ـ الفجيرة

مرتبط مع بريطانيا بمعاهدات مماثلة للمعاهدات التى تربط باقى شياخات ساحل المهادنة

القومية العربية ودور القوى الاجتماعية ـ السياسية فى الخليج :

وكانت المحاولات الخفية التى قامت بها السلطات البريطانية منـــذ عام ١٩٤٥ وطعمت بها هـــذه السلطات نظام الادارة فى هـــذه المنطقة والتى استهدفت بها تكتيل شيوخ الخليج فى هيئة واحدة لتيسير توجيههم الى ما فيه مصلحتها وتمخضت عن أول اجتماع لهؤلاء الشيوخ فى البريمى ـ قد تطورت فتكررت اجتماعاتهم وأصبحت تعقد دوريا كل ستة أشهر تقريبا ، وتكون منهم مجلس للشيوخ كان يراقبه ويشرف عليه الممثـــل السياسى البريطانى ٠

وفى عام ١٩٥٢ أنشىء مجلس جديد أطلق عليه اسم « مجلس ساحل الهدنة » ضم أمراء هذا الساحل ، وكان هذا المجلس يناقش المسائل التى تمس المصلحة المشتركة للشياخات ٠ (١)

وقد لاحظ المؤرخون الاوروبيون المحدثون الذين اهتموا بأثر القوى الاجتماعية ـ السياسية فى هذه الدويلات العربية بالخليج ، منـــذ أكثر

(١) المعهد الملكى ، الطبعة الثالثة ، ص ١٤٠ ٠

من خمسة عشر عاما ، أن « الغالبية العظمى من هيئة التدريس فى جميع المدارس التى افتتحت حديثا بهذه المنطقة ، وفريق متغير من الموظفين الذين يعملون فى الادارات الحكومية بهـــذه الشـــياخات كل هؤلاء من حملة الشهادات الذين ينتمون الى الدول العربية الاخرى الاكثر تقدما والذين تغريهم المرتبات المرتفعة على القدوم ، وهؤلاء هم رسل للقومية العربيـــة تطوعوا للدعوة لها • ودعمها ، والقوى الاجتماعية والسياسية ، الخفية أو المعلنة ، المحلية أو الدولية ، التى تتصارع فى امارات البترول بالخليج انما هى حقول لا نظير لها لدراسات اجتماعية ــ سياسية للشرق المعاصر ، لا تذكر بجانبها حتى المنافسات الاقتصادية والبترولية • (١)

وعقب الاعلان البريطانى فى عام ١٩٦٧ بالانسحاب من الخليج فى نهاية عام ١٩٧١ ، بدأ شيوخ هذه المنطقة حركة تقارب بهدف تحقيق نوع من الوحدة •

وقد سبق أن أشرنا ، فى الفقرة الخاصة بقطر ، الى الخطـــوات المختلفة التى اتخذت فى مشروع الاتحاد « الفيدرالى » الذى كان يستهدف جمع الشياخات التسع فى الخليج ، أى البحرين وقطر مع شـــياخات ساحل الهدنة السبع ، وكان الرأى العام العربى يتطلع الى هذا « الاتحاد» فقد تابعت الصحف العربية فى كل مكان أنباء اجتماعات الشيوخ باهتمام كبير ، فالشعب العربى ، المتأثر دائما بالعوامل الاجتماعية ــ السياسية العربية ، رغب فى أن يعيش الوحدة العربية كامل مشرق يخلصـــه تحقيقه مما عاناه من هزيمة يونيو ١٩٦٧ •

ولكن ، نظرا للخلافات بين شيوخ الخليج التسعة ، كما سبق أن أشرنا فى هذا الفصل ، فضلت البحرين وقطر اعلان استقلالهما مع التأكيد على أنهمـــا جزءان من الأمة العربية ، ووقع ستة من شيوخ ســـاحل الهدنة السبع فى ٢ من ديسمبر ١٩٧١ ميثاق « دولة الامارات العربية المتحدة » وهذه الامارات المتحدة هى : أبو ظبى ، ودبى ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، والفجيرة ، ولم تقبـــل رأس الخيمة فى بادىء الأمر الانضمام الى الاتحاد •

وقد قبلت هذه الدولة العربية الجديدة عضوا بجامعة الدول العربية فى ٦ من ديسمبر ١٩٧١ فارتفع بذلك عدد أعضاء الجامعة الى ثمانيـــة عشر عضوا •

---

(١) « بيرى » : الخليج الفارسى ، ص ١١٧ ــ ٨ •

وأمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى قبلت هذه الدولةالعربية فى عضويتها فى ١٠ من ديســـمبر ١٩٧١ أعلن ممثل « الامارات العربية المتحدة » أن بلاده هى آخر جزء من « الأمة العربية » يتحرر منالوصاية الأجنبية ويسترد سيادته واستقلاله ، وأضاف أن الشعب العربى ، على امتداد العالم العربى ، باستثناء قرر أنه سيعود اليه ، أصبح حرا حرية كاملة فى ادارة شئونه وفى الاسهام فى الجهود الجماعية التى تبذلهـا الامم المتحدة لحفظ السلم العالمى وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وقد أوضح أن الاستثناء الذى أشار اليه ، بداهة ، خاص بفلسطين وانتهز فرصة تحدثه الى الأمم المتحدة فأعلن ممثل « الامارات العربيـــة المتحدة » تأييد الدولة الجديدة لكفاح شعب فلسطين فى سبيل استرداد حقوقه على أرض أجداده ، كما أعلن أن بلاده كجزء لا ينفصل عن الأمة العربية ، تؤكد تضامنها المطلق مع باقى البلاد العربية فى دعم حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره .

وقد نص دستور دولة الامارات العربية المتحدة فى مادته الاولى على أنه :

« يجوز لأى قطر عربى مستقل أنينضم الى الاتحاد متى وافقالمجلس الأعلى على ذلك باجماع الآراء » ، ونص فى مادته السادسة على أن :

« الاتحاد جزء من الوطن العربى الكبير ، تربطه به روابط الدين واللغة والتاريخ والمصير المشترك » .

وشعب الاتحاد شعب واحد ، وهو جزء من الأمة العربية . »

كما نصت المادة السابعة على أن :

« الاسلام هو الدين الرسمى للاتحاد ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع فيه ، ولغة الاتحاد الرسمية هى اللغة العربية » .

وقد ذللت فى هذا الدستور احدى العقبات التى اعترضت قيـــام اتحاد الشياخات التسع وهى الخاصة بالتصويت فى المجلس الاعـــلى للاتحاد ، فنص فى المادة التاسعة على أن قرارات هذا المجلس تصـــدر بأغلبية خمسة أعضاء من أعضائه الستة ، على أن تشمل هذه الاغلبية صوت امارتى أبو ظبى ودبى ، أما قرارات المجلس فى المسائل الاجرائية فتصدر بأغلبية الأصوات .

وفى ١٠ من فبراير ١٩٧٢ انضمت شياخة رأس الخيمة الى دولة الامارات العربية المتحدة ، فأصبح عدد الامارات المتحدة سبعا .

وفى نفس الوقت الذى كانت تتحقق فيه هذه الانجازات العربية الضخمة فى منطقة الخليج العربى كانت هناك انجازات عربية أخرى لاتقل عنها أهمية تؤتى ثمارها المجزية ، اذ أن مطلع عام ١٩٧٢ قد شهد بدء انشاء « اتحاد الجمهوريات العربية » ، وفى ١٣ من يناير ١٩٧٢ اجتمعت فى « بنغازى » لجنة تحرير افريقيا لدراسة الخطط الخاصة بدعم حركات التحرير الافريقية ، وفى ١٨ من يناير وقع اتفاق مع الصومال - التى كانت تلح فى قبول طلب انضمامها الى الجامعة العربية - لتحديد السياسة التى يجب اتباعها لمواجهة الاستعمار والصهيونية ، وفى ٤ من مايو اشترك الرئيسان السادات والقذافى فى زيارة الجزائر ، وفى ٢١ من يونيو اجتمع مجلس الرئاسة الخاص باتحاد الجمهوريات العربية فى مرسى مطروح .

الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا : أغسطس ١٩٧٢

أعلنت وحدة اندماجية بين مصر وليبيا فى ٢ من أغسطس ١٩٧٢ وقد تضمن الاعلان عن هذه الوحدة الذى أصدره رئيسا الدولتين التركيز على أن الشعبين ، المصرى والليبى توحدهما روابط عديدة جغرافية وتاريخية واقتصادية وانسانية وثقافية وانهما لذلك يتحملان أمام الامة العربية مسئوليات والتزامات تقتضى منهما الاسراع ببذل جهد مشترك لتحقيق آمال الأمة العربية فى تحقيق وحدتها . وقد اتخذ الرئيسان القرارات الآتية :

- انشاء قيادة سياسية موحدة من الرئيسين .

- تضع القيادة السياسية الموحدة ، فى أقرب وقت ممكن ، الآسس المقترحة لوحدة اندماجية بين الجمهوريتين وتشرف على تنفيذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق هذه الوحدة .

- تقوم القيادة السياسية الموحدة بتشكيل لجان مشتركة من الجمهوريتين لدراسة انشاء المؤسسات التى تقوم الوحدة بين الجمهوريتين على أساسها فى المسائل الدستورية ، والسياسية ، والدفاع والأمن القومى والمسائل الاقتصادية والتشريع والقضاء ، والنظم الادارية والمالية ،والتعليم والعلوم والثقافة والاعلام .

وقد ختم الرئيسان بيانهما الذى وجهــاه الى شعبهما والى الأمة العربية بأن هذه الأمة العربية تبدأ ــ بقيام هذه الوحدة ــ خطوة مفعمة بالأمل ٠ (١)

الوحدة الاندماجية بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطيـــة : نوفمبر ١٩٧٢

أعلنت الوحدة الاندماجية بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية بعد أن اجتمع رئيسا الدولتين بطرابلس ، ليبيا ، فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٧٢ ، فقد وقع الرئيسان اتفاقا بشــــأن هذه الوحدة على أساس أن تكون للدولة الجديدة عاصمة واحدة ، وعلم واحد ، وتنظيم سياسى واحد ، وعلى أن الاسلام دين الدولة وأن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، وأن اللغة العربية هى اللغـــة الرسمية للدولة ، وأن الدولة الجديدة سوف يطلق عليها اسم «الجمهورية اليمنية » وعاصمتها صنعاء ، عاصمة الجمهورية العربية اليمنية الحالية ، وقد ركز الاتفاق على مسئولية الرئيسين التاريخية أمام الأمة العربية ، وتضمن النص على تشكيل اللجان الخاصة باقتراح الاجراءات الكفيلة باتمام تحقيق هذه الوحدة الاندماجية ٠

بعض ثمار العمل العربى المشترك

وقد بدت عقب هذه الخطوات المتلاحقة من العمل العربى المشترك بعض ثمار واضحة مجزية نذكر منها على سبيل المثال اجتماع طرابلس فى ٢٩ من ينـاير ١٩٧٣ بين رئيسى وزارتى تونس وليبيـا طبقا للاتفاقيـة الثنائية المعقـودة بين البلدين ، واجتماع القـاهرة فى ٦ من فبراير بين رؤساء اتحاد الجمهوريات العربية ، ومشاورات قسطنطينة فى ١٧ من فبراير بين رئيسى الجزائر وليبيا التى انتهت بتشكيل لجنة من الجانبين كلفت بدراسة مسائل الطاقة والصناعات والشركات الجزائرية ــ الليبية ، واتفاق رئيسى مصر وليبيا فى ١٠ من يوليو على طرح مبادىء وأسس الوحدة الاندماجية للاستفتاء فى أول سبتمبر ١٩٧٣ وطرح دستور الدولة الجديدة

---

(١) أعلن الرئيس السورى أن سوريا تابعت باهتمام ورضى المشاورات الخاصـة بالوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا وان كل قرار يتخذ بهدف دعم اتحاد الجمهوريات العربية : مصر وسوريا وليبيا ، يعبر عن ارادة الشعب السورى كما يحقق الآمال للامة العربية كلها ٠

للاستفتاء فى أول سبتمبر ١٩٧٤ ، واجتماع الجزائر فى ٥ من سبتمبر ١٩٧٣ للدول غير المنحازة وهو الاجتماع الذى أسفر عن قرارات حاسمة مؤيدة للقضايا العربية ، ولعل أبرز مظاهر التعاون الأفريقى ـ العربى هو موقف الدول الأفريقية من اسرائيل ، فحتى أوائل عام ١٩٧٢ كانت الدول الأفريقية تتبادل علاقات دبلوماسية مع اسرائيل الا غينيا التى قطعت هذه العلاقات فى ٥ من يونيو ١٩٦٢ ، ولكن تلتها أوغندا فى مارس ١٩٧٢ ، فتشاد فى نوفمبر ١٩٧٢ فالكونغو برازافيل فى ديسمبر ١٩٧٢ ، فالينجر ومالى فى يناير ١٩٧٣ ، فبوروندى فى مايو ١٩٧٣ فتوجو فى سبتمبر ١٩٧٣ فزائير فى ٤ من أكتوبر ١٩٧٣ ، أى قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة ، وبذلك لم يزد عدد الدول الأفريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل عن تسع دول ، ولكن الانجازات الرائعة التى حققتها الجيوش المصرية والسورية فى ٦ من أكتوبر ١٩٧٣ والأيام التالية ، والتأييد الاجماعى الذى دعمت به الدول العربية هذه الجيوش كان عاملا فعالا فى موقف الدول الأفريقية الذى تحول الى تأييد تام للموقف العربى ، ففى الفترة بين ٩ من أكتوبر و ١١ من نوفمبر ١٩٧٣ سارعت عشرون دولة أفريقية أخرى الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وبذلك بلغ مجموع الدول الأفريقية التى قطعت هذه العلاقات تسعا وعشرين دولة بحيث لم يبق من الدول الافريقية التى تحتفظ بهذه العلاقات معها الا خمس دول فى جميع القارة الافريقية ، ثم اجتماع أديس أبابا لوزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية فى ٢١ من نوفمبر ١٩٧٣ الذى أسفر عن مطالبة جميع البلاد الافريقية بعدم اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل الا بعد انسحابها من جميع الأراضى العربية المحتلة ، واجتماع الكويت للدول العربية المنتجة للبترول فى ١٦ من أكتوبر ١٩٧٣ الذى تقرر فيه استخدام البترول كسلاح سياسى حتى يتم جلاء اسرائيل عن جميع الأراضى العربية المحتلة ، واجتماع الدول بالكويت فى ٤ من نوفمبر الذى تقرر فيه خفض انتاج البترول بنسبة ٢٥ فى المائة .

الاجتماع السادس للملوك والرؤساء العرب :
الجزائر ، نوفمبر ١٩٧٣ : موريتانيا ، الدولة
التاسعة عشرة من دول الجامعة العربية :

بعد أن حقق الجيشان المصرى والسورى ما حققاه من انجازات تاريخية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بدأت تبدو فى الأفق الدولى الأهمية الخاصة لاجتماعات مجلس الملوك والرؤساء العرب ، وقد تبلور هذا المجلس ،

فاستكمل سمته كجهاز يعلو مستوى الدول العربية منفردة • لما يتخذه من قرارات ، فالقارىء المحلل لقرارات مؤتمر الجزائر ، الذى عقد من ٢٦ الى ٢٨ من توفمبر ١٩٧٣ ، ليستشف نبرة « فيديرالية » فى الصياغة والمضمون ، فمقدمة البيان الخاص بقرارات هذا المؤتمر لا تشير الى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين مصر وسوريا والاردن من جهة واسرائيل من جهة أخرى على أنها حرب دول عربية ثلاث من دول الجامعة – وقد سبق أن ذكرنا أن المغرب ، والجزائر ، والسودان ، والعراق ، والكويت ، والعربية السعودية قد اشتركت ببعض قواتها فى القتال على الجبهتين المصرية والسورية لرد عدوان ١٩٦٧ ونضيف الآن أنها عادت الى الاشتراك فى القتال فى أكتوبر عام ١٩٧٣ كما اشتركت اليمن الجنوبية الديموقراطية بنصيب فى هذا القتال فيما اتخذ من اجراء حربى – بحرى – فى باب المندب – بل ان البيان يقرر أن الملوك والرؤساء « قد تدارسوا الموقف العربى الدولى » وأن « العالم العربى » يمر بفترة حاسمة فى تاريخه » وقد أضافت مقدمة البيان وهى تتابع عد حرب أكتوبر حربا عربية عامة وشاملة لا حرب ثلاث دول عربية فحسب اذ تصف هذه الحرب بأنها « أبرزت تصميم الأمة العربية على تحـــرير أراضيها المحتلة ، فان وقف اطلاق النار لا يعنى اطلاقا أن الكفاح قد توقف أو أن البلدان العربية يمكن أن يفرض عليها حل لا يحقق أهدافها العادلة » وعاد البيان التاريخى فأكد النبرة « الفيديرالية » اذ قرر « أن الأمة العربية لم تتخل أبدا عن أهدافها الوطنية ، ولم تتراجع أمام متطلبات الـكفاح ، ولم تســتطع النكبات والمحن أن تنـال من ارادتهـا الوطنية •• » وعاد الى وصف حرب أكتوبر ١٩٧٣ بأنها من خلالها « تعاظم وعى الأمة العربية وحكوماتها بمسئولياتها وامكانياتها المادية والبشرية ، وقد تجسد هذا الوعى فى تضامن عملى أكد فاعليته ، وأعطى بعدا جديدا لحركة تسعة عشر عضوا •

وبعد أن أشار البيان الى التغيرات التى طرأت على الرأى العام العالمى الذى بدأ يدرك نوايا اسرائيل العدوانية استطرد فقرر أن هذه التغييرات « تشكل مكاسب هامة للقضية العربية ، ينبغى تطويرها وتوطيدها من أجل التوصل الى حل يكفل الحقوق الوطنية العربية •

وأضاف البيان أن السـلام يستلزم توفر عدة شروط فى مقـدمتها شرطان أساسيان ثابتان ، هما : انسـحاب اسرائيـل من جميع الأراضى العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس ، واستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية الثابتة •

وانتهى البيان الى أن « البلدان العربية لن تقبل بأى حـال رهن مستقبلها بوعود غامضة ٠٠ ويجب ألا يتطرق أدنى شك لدى الرأى العام العالمى ٠٠ حول ارادة الأمة العربية وتصميمها على استرجاع حقوقها ٠٠ واذا ما اصطدمت الجهود العربية من أجـل السـلام بالرفض من قبل اسرائيل وحلفائها فان الدول العربية تجد نفسها مضطرة الى استخلاص النتائج الطبيعية والى مواصلة معركتها التحريرية ٠٠ ان الأمـة العربية المصممة على أداء واجبها ، مستعدة للمزيد من النضال ٠٠ وعلى العالم كله أن يحمل مسئوليته فى التصدى للعدوان ، ودعم النضـال العـربى العـادل » ٠

وقد وجه مجلس الملوك والرؤساء بيانا الى دول أوروبا الغربية أشار فيه الى أن أوروبا الغربية تتصل بالشعوب العربية بصلات حضارية متينة متداخلة لا يمـكن أن تنمـو الا فى اطار تعاون تسـوده الثقة والمصالح المتبادلة ، وهى لهذا جديرة باتخاذ موقف واضح منصف ازاء قضيتنا العادلة ٠٠ وأن العرب حريصون على صداقة جميع الشعوب » ٠

كما وجه المجلس بيانا ثالثا الى الدول الافريقية أشاد فيه بتزايد حركة التضامن التى عبرت عنها البلدان الافريقية الشقيقة لصالح القضية العربية العادلة والكفاح من أجل تحرير الأراضى العربية المحتلة واستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية ، ورحب بقرار مجلس وزراء منطقة الوحدة الافريقية بتأليف لجنة من سبع دول لتنظيم التعاون الافريقى ــ العربى ، وأعلن مجلس الملوك والرؤساء أنه قرر ، لتعزيز هذا التعاون ودعمه ، تعزيز التمثيل الدبلوماسى العربى فى أفريقيا ، وقطع جميع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والثقافية وغيرها مع جنوب أفريقيا وروديسيا من قبل الدول العربية التى لم تقم بذلك بعد ، وتطبيق حظر تام لتصـدير البترول العربى الى هـذه البلدان الثلاثة ، واتخـاذ اجراءات خاصة لمواصلة التموين الطبيعى للبـلدان الافريقية الشـقيقة بالبترول العربى ودعم وتوسيع التعاون الاقتصادى والمـالى والثقافى مع هذه البلدان الشقيقة ومضاعفة التأييد على الصـعيد الدبلوماسى والمـادى لكفاح منظمات التحرير الافريقية ٠

ووجه المجلس أيضا بيانا الى الدول الاشتراكية اعتز فيه بدعمهـا العسكرى وتعاونها الاقتصادى مع الدول العربية ووقوفها الى جانب النضال العربى العادل ، كما سجل بالتقدير تأييد الصين الشعبية المتصل لكفاح الأمة العربية ، وختمه بأن الملوك والرؤساء العـرب على ثقة أن تضـامن

الدول الاشتراكية مع النضال العربى سيزداد قوة ، وفى هذا المؤتمر السادس للقمة العربية تقرر قبول موريتانيا عضوا فى الجامعة العربية ، بعد أن تمت تصفية الخلاف بينها وبين المغرب ، وهو الخلاف الذى عاق انضمامها الى الجامعة سنوات عديدة ، كما عاق اشتراك المغرب فى اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية ، وبذلك بلغ عدد أعضاء « الجامعة » تسعة عشر عضوا ٠

وفى هذا المؤتمر كرر الرؤساء العرب اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ٠

الاجتماع السابع لملوك ورؤساء عشرين دولة عربية : الرباط ، اكتوبر ١٩٧٤ الصومال : الدول العشرون من دول الجامعة العربية :

تصاعد العمل العربى المشترك ، وعلت النبرة « الفيديرالية » قبل انقضاء عام واحد على عقد الاجتماع السادس ، وكان حجم جامعة الدول العربية قد تجاوز ثلاثة أمثال الحجم الذى بدأت به فى عام ١٩٤٥ بارتفع عدد أعضائها الى عشرين دولة بانضمام الصومال اليها فى ١٤ من فبراير ١٩٧٤ بعد ان انضمت الى الجامعة سبع دول أخرى فى أقل من سبع سنوات ، أى بين ديسمبر ١٩٦٧ وفبراير ١٩٧٤ ، فقد تقرر فى الاجتماع الذى عقد بالرباط فى أكتوبر ١٩٧٤ ــ بعد التأكيد على ما سبق أن صدر من قرارات فى الاجتماع السادس بشأن الهدف المرحلى للأمة العربية ، وبعد ابراز أن « قضية فلسطين هى قضية العرب جميعا ولا يجوز لأى طرف عربى التنازل عن هذا الالتزام » ــ وضع « الأسس التى يقوم عليها العمل العربى المشترك » على الوجه الآتى :

ــ تعزيز القوى الذاتية للدول العربية : عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، ومتابعة بناء القوى العسكرية لدول المجابهة وتوفير متطلبات هذا البناء ٠

ــ تحقيق تنسيق سياسى وعسكرى واقتصادى عربى فعال بما يؤدى الى تحقيق تكامل عربى فى مختلف المجالات ٠

ــ عدم قبول أى محاولة لتحقيق أى تسويات سياسية جزئية انطلاقا من قومية القضية ووحدتها ٠

ـ التزام الدول العربية كلها بتحرير جميع الأراضى العربية المحتلة، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى •

ـ ممارسة سياسات تؤدى الى عزل اسرائيل سياسيا واقتصاديا ، والى وقف الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادى والبشرى الذى تتلقاد من أى مصدر فى العالم •

ـ تجنب المعارك والخلافات الهامشية العربية بما يؤدى الى تركيز الجهود ضد العدو الصهيونى •

وقد أثبت «مجلس الملوك والرؤساء العرب» فاعليته ، كجهاز يعلو مستوى حكومات الدول العربية منفردة ، فى عدد من القرارات التى أصدرها فى هذا الاجتماع • منها هذا القرار الخاص بالأسس التى يقوم عليها « العمل العربى المشترك » ومنها تصفية الخلاف الذى استعصت تصفيته على الجهود الثنائية العربية ، أو الجهود التى أسهمت فيها أكثر من دولة عربية ، أو جهود جامعة الدول العربية ، وهو الخـــلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فقرر :

ـ تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى العـــودة الى وطنه وتقرير مصـــيره •

ـ تأكيد حـق الشـعب الفلسطينى فى اقامة السـلطة الوطنيـة المستقلة بقيادة منظمة التحـرير الفلسطينية ، بوصـفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، على أية أرض فلسطينية يتم تحـــريرها ، وتقـوم الدول العربية بمســاندة هذه الســلطة عند قيامها ، فى جميع المجالات ، وعلى جميع المستويات •

ـ دعم منظمة التحـرير الفلسطينية فى ممارســة مسئولياتها على الصعيدين القومى والدولى فى اطار الالتزام العربى •

والى جانب هــذين القرارين اللذين صـعدا النبرة « الفيديرالية » المنبثقة من جهاز « مجلس الملوك والرؤساء العرب » أصدر هذا المجلس فى اجتماعه السابع عدة قرارات أخـرى خاصة بمجـال عمل الكتلة العربية داخل الأمم المتحدة ، وبالتعاون مع مجموعة عدم الانحياز ، وبمتابعة العمل لدعم التعاون العربى مع الحكومات والشعوب الاسلامية ، وتعزيز التعاون بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية •

أما بشأن عرض قضية فلسطين بندا مستقلا فى الدورة ٢٩ للجمعية

العامة للأمم المتحدة فقد اتخذ مجلس الملوك والرؤساء العرب فى اجتماعه السابع قرارا من أخطر القرارات التاريخية العربية · وأكثرها حسما ، وأشدها فاعلية ، وهو القرار الخاص بأن يجرى بحث قضية فلسطين فى الجمعية العامة فى شهر نوفمبر ١٩٧٤ « على أن يقوم الأمين العام بابلاغ القرار الى رئيس الجمعية العامة والأمين العام للأمم المتحدة » ، وبأن يحضر رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس مجلس جامعة الدول العربية فى دورته الحالية وذلك تأكيدا للتضامن العربى فى قضية فلسطين ·

وقد أثمر هذا القرار ثمرته العظيمة بموافقة الجمعية العامة فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٧٤ بأغلبية ساحقة (١٠١ صوتا) على قبول اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مناقشات الأمم المتحدة كمراقب ، وعلى السماح لرئيس المنظمة بالتحدث الى الجمعية العامة على مستوى رؤساء وفود الدول الأعضاء ، مما عد تحولا ضخما فى موقف الأسرة الدولية من الكتلة العربية بصفة عامة ، ومن القضية الفلسطينية بصفة خاصة ·

والى جانب هذه القرارات اتخذ المجلس فى هذا الاجتماع بضعة قرارات تتسم كلها بالطابع « الفيديرالى » المتصاعد ، وبتأكيد وضع مجلس الملوك والرؤساء العرب كجهاز يعلو حكومات الدول منفردة · ويمارس سلطات « فيديرالية » أو شبه « فيدرالية » مستقلة عن سلطات جامعة الدول العربية « الكونفيديرالية » ·

وبين هذه القرارات القرار الخاص بعقد مؤتمر قمة عربى أفريقى ، وبانشاء المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ، وبالصندوق العربى لتقديم القروض للدول الافريقية ، وبالصندوق العربى للمعونة الفنية للدول الافريقية والعربية ، وبالحوار العربى الأوروبى وبانشاء صندوق خاص للاعلام العربى ·

وكما وفق المجلس فى تصفية الخلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية فقد وفق أيضا ، وفى نفس هذا الاجتماع السابع ، فى تصفية الخلاف بين المغرب وموريتانيا بشأن مستقبل الصحراء الغربية التى تحتلها اسبانيا ، وقرر المجلس فى هذا الشأن أن « الدول العربية تعتبر قضية الصحراء الغربية وتصفية الاستعمار منها قضية تهم جميع الدول العربية » (١) ·

---

(١) ذهب البعض الى ان اجتماعات مجلس الملوك والرؤساء العرب انما هى اجتماعات « لمجلس دول الجامعة العربية » وذلك استنادا الى نص المادة الثالثة من =

وكان من آثار التكتل العربي في مؤتمر القمة السابع أن أصدرت الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٧٥ قرارا بتشكيل لجنة تكون مهمتها وضع برنامج عمل لتمكين الفلسطينيين من ممارسة حقهم في تقرير مصيرهم ، وحقهم في الاستقلال الوطني والسيادة ، وقد حصل هذا القرار على ٩٣ صوتا ، فشكلت هذه اللجنة في ١٧ من ديسمبر ١٩٧٥ من عشرين دولة ، ووالت اجتماعاتها من فبراير حتى مايو ١٩٧٦ وانتهت بوضع تقرير قدمته الى مجلس الامن سجل حق الفلسطينيين في تقرير المصير على أن يتم ذلك باشتراك منظمة التحرير مع كافة الأطراف في جهود السلام ، وأبرز تقرير اللجنة عدم شرعية الاستيلاء على أراض بالقوة ووجوب الانسحاب الكامل من كافة الأراضي المحتلة ، كما أبرز حق عودة الفلسطينيين اللاجئين بعد حرب يونيو ١٩٦٧ فورا بلا شرط ولا قيد ، أما بالنسبة للاجئين من ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ فقد اقترحت لجنة العشرين أن تقوم الأمم المتحدة بوضع الترتيبات — بالاتصال بالأطراف المعنية ومنها منظمة التحرير — لتمكين من يريد العودة أو بتعويض من لايرغب في هذه العودة ، ووضعت لجنة العشرين جدولا زمنيا للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة على أن يتم هذا الانسحاب في أول يونيو ١٩٧٧ ، وبذلك دفع تقرير لجنة العشرين مشكلة فلسطين الى مرحلة جديدة بعد قبول مبادرة الرئيس أنور السادات الخاصة بطلب اشتراك منظمة التحرير في مباحثات السلام ٠

وكان من آثار قرار مؤتمر القمة السابع وما تبعه من قبول اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشات الأمم المتحدة كمراقب ومن

= ميثاق الجامعة، كما انه ليست لهذه الاجتماعات من أغراض وأهداف الا تحقيق الأغراض التى من أجلها أنشئت جامعة الدول العربية ، وهى أغراض غير واردة حصرا .. ويضاف الى ذلك أن هذه الاجتماعات تعقد بين الدول الاطراف فى ميثاق الجامعة وبدعوة من الجامعة ، وفى كنفها ، ولا يغير من ذلك ان يحضرها رؤساء (جرجس يعقوب، « أهم المعاهدات فى نطاق الجامعة العربية » ، دراسات فى القانون الدولى ، القاهرة ، الجمعية المصرية للقانون الدولى ، المجلد الثانى ١٩٧٠ ، ص ٢٣١) ، ولكننا نعتقد — كما سبق أن أوضحنا — ان هذا الراى انما ابدى قبل ان يستكمل جهاز « مجلس الملوك والرؤساء » مقوماته كجهاز يعلو حكومات الدول منفردة وقبل أن تتبلور ممارسته سلطات « فيدرالية » مستقلة من سلطات الجامعة ، وقبل أن يتكامل عدد أعضاء هذا المجلس فيرتفع من أربعة عشر عضوا عند نشر هذا الرأى الى تسعة عشر عضوا عند عقد الاجتماع السادس والى عشرين عضوا عند عقد الاجتماع السابع واتخاذ القرارات التى ما كان يمكن أن تتخذها الجامعة العربية أو حكومات الدول الأعضاء ، بل التى حاولت الجامعة وهذه الحكومات جاهدة اتخاذها فلم توفق .

السماح لرئيس المنظمة بالتحدث الى الأمم المتحدة على مستوى رؤساء وفود الدول الأعضاء أن وجه وزير الخارجية المصرى فى شهر مايو ١٩٧٦ خطابا الى أمين عام « الجامعة العربية » أشار فيه الى ذلك القرار وآثاره بالنسبة « للأوضاع القانونية والسياسية فى الأمم المتحدة بكافة فروعها وفى مقدمتها مجلس الأمن والجمعيات العامة وفى المنظمات الاقليمية والوكالات والمحافل والمؤتمرات الدولية » ثم عقب على ذلك بأن طالب باسم الحكومة المصرية بتصحيح الوضع القائم فى الجامعة العربية بالنسبة للعضوية غير الكاملة لفلسطين فيها ، وذلك بقبول فلسطين ــ وتمثلها منظمة التحرير الفلسطينية ــ عضوا كامل العضوية فى جامعة الدول العربية على قدم المساواة مع الدول العربية الأعضاء بكل ما يترتب على ذلك من حقوق وأوضاع » .

وقد أرفق وزير الخارجية المصرى بهذا الخطاب مذكرة أشار فيها الى قرار مؤتمر القمة السادس والسابع اللذين اعتبرا منظمة التحرير الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ، والى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٧٤ ــ بمساندة الدول العربية ــ باعطاء منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب ، والى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر فى ١٠ من نوفمبر ١٩٧٥ ــ بمساندة الدول العربية ــ بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فى كافة الجهود والمداولات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط التى تعقد تحت اشراف الأمم المتحدة ، وبتكليف الأمين العام للأمم المتحدة باتخاذ الخطوات اللازمة لدعوة منظمة التحرير للاشتراك فى أعمال مؤتمر الأمم المتحدة للسلام فى الشرق الأوسط ،

الخلاصة :

يتضح من دراسة تطور التأثير الضخم لمذهب الوحدة العربية على العلاقات الدولية العربية أن مصدر هذا المذهب ، تاريخيا ، يكمن فى المبدأ الاسلامى الخاص بالتضامن الذى يربط كل مسلم ــ أيا كان جنسه أو لغته أو المنطقة الجغرافية التى يعيش فيها ــ بكل مسلم آخر ، وهذا التضامن ــ بتعبير آخر ــ هو الشعور بالوحدة والاخوة التى تجمع كافة المسلمين .

وقد تبلور هذا التضامن ، أثناء عصور مجد الخلفاء على مستوى العالم الاسلامى ، فى الارتباط بالخلافة كرمز لذلك المجد ، وكان ذلك

الارتباط يمثل نوعا من الجنسية الروحية وولاء للخلافة التى كانت بدورها جهازا فوق مستوى البلاد الاسلامية ، ولكن الخلافة ، فى الحق ، ليست من قواعد الدين الاسلامى ، فالتاريخ الاسلامى قد أثبت أن وحدة الخلافة المفروضة ــ فى رأى المنادين بها ــ لم تتحقق الا فى فترة قصيرة من فجر ذلك التاريخ ، ولم يلبث ولاء المسلمين أن تقاسمه الخلفـــاء الأمويون ، والخــوارج ، والشــيعة ، والعباســيون ، وأمويو الاندلس ، وفاطميــو شمال أفريقيا ٠

ولقد تبين ابن تيمية ، منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، أن التضامن الاسلامى ليس تضامنا آليا مستندا الى الاشتراك فى الأرض والعقيدة واللغة فحسب وانما هو أيضا تضامن عضوى أساسى يفترض وجود مقصد أو هــدف مشترك واســهام كــل فرد فى تحقيق هذا المقصــد ، والجمــاعة الاسلامية ــ كما يفهمها هذا العالم الاجتماعى السياسى الاسلامى ــ لا يمكن تصورها ، قانونا ، بالمفهوم العصرى الا فى شكل اتحاد « كونفيديرالى » طبيعى بين البلاد الاسلامية ٠

ومنذ بداية القرن الســادس عشر خضعت كل البــلاد العربية ــ الاسلامية تقريبا للسيطرة العثمانية (ماعدا مراكش فى أقصى شمال غرب أفريقيا وعمان فى أقصى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية) وانتقلت الخلافة الاسلامية الى خليفة غير عربى : السلطان العثمانى ، كما انتقل مقر الخلافة الى أرض غير عربية : القسطنطينية ٠

وقد تمت السيطرة العثمانية على البلاد العربية ــ الاسلامية فى نفس الوقت الذى بدأ فيه التسلل الأوروبى الى البلاد الاســـلامية فى أفريقيا وآسيا ومعه ــ أو فى أعقابه ــ البعثات التبشــــيرية المسيحية الأوروبية ، وخلال تلك الفترة من انحــلال وضعف البلاد الاســلامية عانى المسلمون العرب من البدع التى أدخلت على دينهم ، ومن استفحال تقديس الأولياء ، فبدأ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ــ ١٧٩٢) حركة تطهير واصلاح وأرسى قواعد دولة عربية ــ اسلامية كان أساسها ــ فى بادىء الأمر ــ الدعوة الى تكتل العرب ، كمجموعة عرقية ، فى ظل وحدة عربية كبرى ، ولكن هذه الدعوة العرقية تطورت فيما بعد فاتسعت وامتد نطاقها حتى أصبحت دعوة الى تضامن اسلامى على مستوى العالم الاسلامى كله ، وكانت هذه الدعوة الاصلاحية الوهابية ، طليعة مذهب الوحدة الاسلامية والميدان

الذى شهد أولى جولاته ، كرد فعل جماعى ضد الاستعمار الأوروبى للشرق (الهند وأفغانستان) ٠

وكانت المرحلة الثانية لمسيرة مذهب الوحدة الاسلامية هى السنوسية التى كان ــ مؤسسها محمد بن على السنوسى (١٧٨٧ ــ ١٨٥٩) ــ كما كان مؤسس الوهابية ــ عربيا مسلما ، كما كانت هذه الحركة المنظمة ، أيضا ، كرد فعل جماعى ضد غزو الايطاليين لليبيا ، والى جانب اهتمام السنوسيين بنهضة العالم الاسلامى فانهم عملوا على ارساء قواعد امارة عربية تعنى بالنهضة الاسلامية فى أقطار أفريقيا العربية ــ الاسلامية ٠

وظلت فكرة التضامن الاسلامى محتفظة ببريقها عبر حركات الدعوة الى الوحدة الاسلامية المتعاقبة : الأفغانى والكواكبى وجمعيات الاخاء العربى ــ العثمانى ، ولكن ارتباط المسلمين بالخلافة ــ كجهاز فوق مستوى البلاد الاسلامية ــ برابطة ولاء مستند الى جنسية روحية فقد بالتدريج مبرراته، فالامبراطورية العثمانية ، مقر الخلافة طيلة أربعة قرون سيطرت فيها على كل البلاد العربية ــ الاسلامية تقريبا ، حرصت ــ الى جانب حكم هذه البلاد حكما استبداديا ــ على أن يبدو الأتراك فى مستوى عرقى اسمى من المستوى العربى ، وهو ما حرص العرب ــ من جانبهم ــ على أن ينكروه ٠ ويسخطوا عليه ، وكانت نقطة التحول قيام حركة الوحدة الطورانية أو الوحدة التركية فى تركيا الداعية الى تكتل عرقى طورانى بمناى عن العرب ، فكان رد الفعل الجماعى المباشر الدعوة الى « العروبة » والى تكتل العرب حولها فى حركة وطنية عمل فيها منذ فجرها العرب المسيحيون في سوريا (سوريا ولبنان وفلسطين) فى منتصف القرن التاسع عشر ، على قدم المساواة مع العرب المسلمين ٠

والعروبة ، كمذهب تحرير وتقدم ، قد انفصلت عن مذهب الوحدة الاسلامية ، وأصبحت حركة مستقلة تتعاون مع حركة الوحدة الاسلامية ، وحركة الوحدة الشرقية ، وحركة الافرو ــ آسيوية وانما يتم هذا التعاون مع احتفاظ العروبة بالعوامل والبواعث والعناصر الخاصة بها كظاهرة اجتماعية ــ سياسية ٠

فالوحدة الاسلامية قد أرسيت قواعدها على أساس مبدأ التضامن الاسلامى وهو مبدأ دينى ، وفى مواجهة الاستعمار الأوروبى وجهود البعثات التبشيرية المسيحية فى البلاد الاسلامية كان رد الفعل الجماعى لهذه البلاد يتمثل فى حركة تقارب وتعاون سياسى بين شعوبها الاسلامية بهدف

العمل المشترك لتحريرها ولتنظيمها فى المستقبل ، ولكن الداعين الى الوحدة الاسلامية لم يحددوا الشكل الذى يمكن أن تتخذه هذه البلاد الاسلامية بعد تحريرها . أهو اتحاد «كونفيديرالى» يضم البلاد الاسلامية؟ أهى امبراطورية يرأسها خليفة ؟ أيبدأ بالتحرير قبل التنظيم السياسى أم يجب البدء بتنظيم البلاد الاسلامية التى تم تحريرها وتقرير الشكل السياسى الملائم لها قبل السير قدما فى حركات تحرير بقية البلاد الاسلامية ؟

أما العروبة فانها تعبير . سحرى . صوفى . انه رمز ينبىء عن الانتماء الى الأمة العربية ، عن النطق بالعربية ، عن الميلاد فى أرض عربية، عن وراثة الثقافة العربية ومجد المسلمين الماضى ..

فالوحدة العربية . هى هدف جميع العرب . أيا كان اتجاههم (١) .

وموضوع الوحدة بالنسبة للشعوب العربية التى تدرك تخلفها وتصبو الى مستقبل أفضل يثير اهتماما عظيما فى حياتها السياسية ، فهذه الوحدة عند هذه الشعوب مقياس يحدد مدى اخلاص قادتهم لقضاياها ومدى اضطلاع هؤلاء القادة بمسئولياتهم السياسية ، ومن اليسير جدا أن ندرك من تحليل أسباب جميع الانقلابات وجميع الثورات بل حتى التغييرات والتعديلات فى مختلف البلاد العربية أنها فى الغالب قد حدثت لتحقيق ذلك الهدف ذى السمة شبه المقدسة لدى هذه الشعوب : الوحدة ، ولذلك تحرص الأحزاب السياسية العربية على أن تضع فى رأس برامجها اعادة تكوين « الأمة العربية الواحدة » (٢) .

فالعروبة ، منفصلة عن فكرة الوحدة الاسلامية ، مذهب اجتماعى سياسى يمكن تحديد معالمه وسماته بدقة . العروبة هى أساس حركة جماعية تستهدف تحقيق وحدة بارساء قواعد علاقات بين الدول العربية تصفى فيها الخلافات بين هذه الدول ، وتنسق سياساتها فى الأسرة الدولية ، وتوحد كلمتها ، وتوجه مواردها لتحقيق مصالحها المشتركة وتبدو كتلة عربية متماسكة فى هذه الأسرة تحت ظل تنظيم «كونفيديرالى» شامل لجميع الدول العربية (جامعة الدول العربية) ، أو اتحادات « كونفيديرالية » بين عدد من الدول ترتبط بعلاقات أكثر توثقا ، أو اتحاد « فيديرالى » أو وحدة اندماجية بين دولتين أو أكثر .

---

(١) « فلورى » و « ماتتران » ، ص ٢٩٣ .

(٢) ساطع أ . آقا : نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

المراجع العربية

« أ »

ــ ابراهيم طرخان : دولة مالى الاسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

ــ أبو خلدون (ساطع الحصرى) : آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية القاهرة ، ١٩٥١

: العروبة بين دعاتها ومعارضيها ، طبعة ثانية ، القاهرة ، ١٩٥٤

ــ أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٤٩

ــ أحمد طربين : الوحدة العربية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٧

ــ أكرم زعتر : القضية الفلسطينية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥

ــ أنيس الخورى المقدسى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠

« ح »

ــ حازم زكى نسيبه : القومية العربية ، فكرتها ، تطورها ، نشأتهـــا ، بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٩

ــ حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٥٦

ــ حيدر بامات : مجالى الاسلام ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦

(س)

– سارتون ، جورج : حضانة الشرق الأوسط للثقافة الغربية ، ترجمة عمر فروخ ، ١٩٥٣

– سيد نوفل : العمل العربى المشترك فى المجال الدولى ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١

(ع)

– عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤

– عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، القاهرة ١٩٢٩

– عبد الرحمن بدوى : الخوارج والشيعة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ (ترجمة عن فلهوزن)

– عبد الرحمن زكى : بعض المدن العربية على ساحل افريقيا الشرقى فى العصور الوسطى ، القاهرة ، الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٦٤

: المراجع العربية للتاريخ الاسلامى فى غرب أفريقيا ، القاهرة الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٨

– عبد العزيز الدورى : الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠

– عبد الله عبد الدايم : التربية القومية ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٠

– على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٢٩ .

(ل)

– لوتسكى ، ف . ب . : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، بيروت ، دار الفارابى ، ١٩٧١

(م)

– مالك بن نبى : فكرة الافرو آسيوية فى ضوء مؤتمر باندونج بالقاهرة ، دار العروبة ، ١٩٥٦

- محمد أنيس : المؤتمر الاسيوى الافريقى ، القاهرة ، ١٩٥٧
- محمد بديع شريف : الصراع بين الموالى والعرب ، القاهرة ، ١٩٥٤
- محمد حافظ غانم : محاضرات عن جامعة الدول العربيه ، القاهرة ، معهد الدراسات العربيه العالية ، ١٩٦٠

: المجتمعات الدولية الاقليمية

- محمد صبرى : مصر فى أفريقيا الشرقية ، هرر وزيلع وبربرة ،القاهرة مطبعة مصر ، ١٩٣٩
- محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية فى الاسلام ،القاهرة مكتبة الانجلو ، ١٩٦٠
- محمد عزة دروزة : الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٥٧
- محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، القاهرة ، ١٩٤٨
- محمود الخفيف : أحمد عرابى · الزعيم المفترى عليه ، القاهرة ، ١٩٤٧
- محمود الداود : الخليج العربى والعلاقات الدولية ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦١
- محمود كامل : الدولة العربية الكبرى (طبعة ثانية) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦

: القانون الدولى العربى ، بيروت ، دار العلم للملايين ،١٩٦٦
: العمل لمصر بعث دولة واحياء مجد ، القاهرة ، ١٩٤٤

: اليمن شماله وجنوبه · تاريخه وعلاقاته الدولية ، بيروت ، دار بيروت ، ١٩٦٨

(ن)

- نجيب الارمنازى : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٣

(و)

- وحيد رأفت : اتحاد امارات الخليج العربى · القاهرة ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، ١٩٧٠

— A —

— Abd-ul-Aziz, M. : The Origin and Birth of the Arab League, Cairo, Rev. Egypt. de Droit International, 1955.

— Abcarius ,M. : Palestine through the fog of propaganda, Hatchinson and Co., 1946.

— Adam, Juliette : L'Angleterre en Egypte, Paris, 1922.

— Agha, S. Ismail : Etude analytique de l'expérience arabe d'union économique, Le Caire, Rev. Egypt. de Droit International, 1971.

— Alvarez, Alejandro : Le Droit International Nouveau, Paris, Pédone, 1959.

— Antonius, George : The Arab Awakening, New York, Putnam's Sons, 1946.

— Azoury, N. : Le Réveil de la Nation Arabe, Paris, Plon, 1905.

— B —

— Barbour, Nevil : Nisi Dominus ; a survey of the Palestine controversy, London, G. Harrap and Co., 1946.

— Benyousef, A. : Recherches des fondements économiques de l'intégration au Maghreb, Paris, C.N.R.S., 1972.

— Berque, Jacques : Les Arabes d'hier à demain, Paris, Editions du Seuil, 1960.

— Berreby, B.B. : Le Golfe Persique, Paris, Payot, 1959.

———— : La Péninsule Arabique, Paris, Payot, 1958.

— Blunt, W.S. : Secret History of the English Occupation of Egypt, London, T. Fisher Unwin, 1895.

— Brinton, J. : The Arabian Peninsula, Le Caire, Rev. Egypt. de Droit International, 1947.

— Broadley, A.M. : How we defended Orabi, London, Chapman and Hall, 1884.

— Brockelmann, Carl : Histoire des peuples et des Etats Islamiques, Paris, Payot, 1949.

— C —

— Cadalvène, E. de et Barreault : Histoire de la guerre de Méhémet Ali contre la Porte Ottomane en Syrie et en Asie Mineure, 1831-1833, Paris, 1937.

— Colombe, Marcel : L'Evolution de l'Egypte (1924-1935), Paris, Maisonneuve, 1951.

— Cuvillier, Armand : Manuel de Sociologie, t. 2 (Sociologie Politique), Paris, Presses Universitaires, 1968.

— D —

— Davis, Hellen M. : Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East, Durham, Duke University, 1953.

— Douin, George : La mission du Baron de Boislecomte, L'Egypte et la Syrie en 1933.

— Duveyrier, H. : Exploration du Sahara, les Touâreg du Nord, Paris, 1864.

— E —

— Etienne, Bruno : L'Unité Maghrébine à l'épreuve des politiques étrangères, Paris, C.N.R.S., 1972.

— F —

— Flory et Mantran : Les Régimes Politiques des Pays Arabes, Paris, Presses Universitaires, 1968.

— Flory, M. : Les Conférences Islamiques, Paris, Annuaire Français de Droit International, C.N.R.S., 1970.

——— : Problématiques institutionnelles de l'unité maghrébine, Paris, C.N.R.S., 1972.

——— : Le Neutralisme des Etats d'Afrique du Nord, Gogliari, 1965.

— Foda, Ezzedine : The Projected Arab Court of Justice, The Hague, Nijhoff, 1957.

— Freycinet, de : La Question d'Egypte, Paris, Calman-Lévy, 1904.

— G —

— Gardet, Louis : La Cité Musulmane, Paris, Vrin, 1969.

— Ghali, B. Boutros : Contribution à l'étude des Ententes Régionales, Paris, Pédone, 1949.

— The Arab League, Le Caire, Rev. Egypt. de Droit International.

— Guggenheim, P. : Léon Duguit et le Droit International, Paris, Revue Gén. de Droit International Public, Pédone, 1959.

— Guittard, Odette : Bandung et le réveil des anciens peuples colonisés, Paris, Presses Universitaires, 1961.

— H —

— Hardy, Gathorne : A Short History of International Affairs, London, Oxford University Press, 1938.

— Hauriou, André : Cours de vie politique en France et à l'étranger, Paris, Les Cours de Droit, 1958-9.

— Hitti, Philip : A Short History of the Arabs, London, Macmillan, 1953.

— Huillier (F. L') : Fondements historiques des problèmes du Moyen-Orient, Paris, Sirey, 1958.

— Hurewitz, S.C. : Diplomacy in the Near and Middle East, Princeton, 1956.

— I —

— Issawi, Charles : The Bases of Arab Unity, Le Caire, L'Egypte Contemporaine, 1958.

— J —

— Jung, Eugène : Les Puissances devant la Révolte Arabe, Paris, Hachette, 1906.

— K —

— Khadduri, Majid : Islam and the Modern Law of Nations, Washington, Journal of International Law, 1945.

— Khairallah, K.T. : Le Problème du Levant, les régions arabes libérées, Paris, 1919.

— Kirk, George E. : A Short History of the Middle East, Methuen 1952.

— Kohn, Hans : Western Civilisation in the Near East, 1936.

———— : A History of Nationalism in the East, New York, Harcourt, Brace and Co., 1929.

— L —

— Laoust, Henri : Essai sur les Doctrines Sociales et Politiques de Takei-d-dîn Ahmed b. Taimiya, Le Caire, Institut Français d'Archéologie Orientale, 1939.

———— : Le Traité de Droit Public d'ibn Taimiya, Beyrouth, Institut Français de Damas, 1948.

———— : Le Réformisme Musulman dans la Littérature Arabe Contemporaine, Paris, Rev. Orient, 1959.

— Lugol, Jean : Le Panarabisme, Le Caire, Le Scribe Egyptien, 1946.

— M —

— Massignon, L. : Situation de l'Islam, Paris, Geuthner, 1939.

———— : Eléments Arabes et Foyers d'Arabisation, Paris, Revue du Monde Musulman, 1924.

— Montagne, Robert : La Civilisation du Désert, Paris, Hachette, 1927.

— Moussa, Farag : Le Service Diplomatique des Etats Arabes, Genève, Institut Universitaire des Hautes Etudes Internationales, 1960.

— Mouskeli, M. : La Ligue des Etats Arabes, Paris, Rev. Gén. de Droit International, Pédone, 1958.

— N —

— Nassif, Albert : Traités et Accords de Fraternité entre les Pays Arabes, Le Caire, Revue Egyptienne de Droit International, 1949.

— Nuseibeh, Hazen H. : The Ideas of Arab Nationalism, Ihaca, N.Y., Cornell University Press, 1956.

— P —

— Puig, G. Carlos : Les Principes du Droit International Public Américain, Paris, Pédone, 1954.

— R —

— Rabbat, E. : Pour une Théorie de Droit International Musulman, Le Caire, Rev. Egypt. de Droit International, 1950.

— Rawlinson, G. : The History of Herodotus, London, 1947.

— Reiff, H. : Agreement of the Principles and Immunities of the League of Arab States, Le Caire, Rev. Egypt. de Droit International, 1955.

— Roling, B.V.A. : International Law in an Expanding World, Amsterdam, Djambatan, 1960.

— Rondot, Pierre : Destin du Proche-Orient, Paris, Centurion, 1959.

— S —

— Saab, Hassan : The Arab Federalists of the Ottoman Empire, Amsterdam, Djambatan, 1958.

— Sanhoury, A. Al. : Le Califat, son évolution vers une Société des Nations Orientales, Paris, Geuthner, 1926.

— Santucci, J.C. : L'Unification maghrébine, réalisations institutionnelles et obstacles politiques, Paris, C.N.R.S., 1972.

— Savelberg, M.N.L. : Le Problème du Droit International Américain, Gravenhague, Stols, 1940.

— Scelle, Georges : Le Droit Constitutionnel International, Mélanges, R. Carré de Malberg, Paris, 1933.

——— : Cours de Droit International Public, Paris, 1948.

——— : Précis de Droit des Gens, Paris, Sirey, 1932.

— Skinner, Elliot : A Glorious Age of Africa, New York, Doubleday, 1965.

— Sraieb, Nourriddine : Politiques culturelles nationales et unité maghrébine, Paris, C.N.R.S., 1972.

— Stoddard, L. : Le Nouveau Monde de l'Islam, Paris, Payot, 1923.

— T —

— Thomas, Bertrand : Les Arabes, Paris, Payot, 1946.

— Touchard, Bodin, Jeanin, Laveau et Sirinelli : Histoire des Idées Politiques, Paris, Presses Universitaires, 1959.

— Tourneau, R. Le : Tendances unitaires du Maghreb jusqu'en 1962, Paris, C.N.R.S., 1972.

— V —

— Vaux, Baron Carra de : Les Penseurs de l'Islam, Paris, Geuthner, 1926.

— W —

— Wolf, Jean : La Résurrection du Monde Arabe, Bruxelles, 1959.

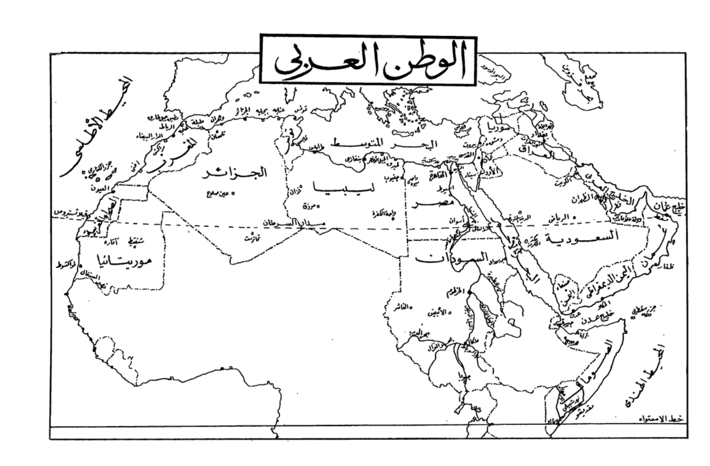
— Wright, Quincy : Conditions making for instability in the Middle East, Washington, The Middle East Institute, 1959.

— Y —

— Yepes, M. : Introduction à l'Etude de Droit International Américain, Paris, Rev. Générale de Droit International, 1952.

— Zeine, M. Zeine : Arab-Turkish Relations and the Emergency of Arab Nationalism, Beirut, Khayyat, 1958.

— Zikria, Niaz Ahmed : Les Principes de l'Islam et la Démocratie, Paris, Nouvelles Editions Latines, 1958.



الوطن العربى
المحيط الأطلسى
البحر المتوسط
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
السودان
السعودية
سوريا
العراق
الأردن
الخليج العربى
عمان
اليمن الديمقراطى
الصومال
موريتانيا
المحيط الهندى
خليج عدن
خليج عمان
البحر الأحمر
القاهرة
بيروت
دمشق
بغداد
الرياض
الخرطوم
طرابلس
بنغازى
تونس
الجزائر
وهران
الرباط
الدار البيضاء
أسوان
أسيوط
مكة المكرمة
صنعاء
عدن
مقديشو
نواكشوط
عين صالح
مرزق
فزان
الأبيض
الفاشر
خط الاستواء

فهرس الاعلام

أ

آدم ، جوليت : ٢٠١
آدمز : ٧٤
آل سعود : ٥٣
آل المكرمي : ٥٢
ابراهيم باشا : ١١١ ، ١٢٣ ، ٤٠٤
ابراهيم طرخان : ٣٢٦
ابراهيم هنانو : ١٥٥ ، ٢١١
ابراهيم اليازجي : ١٣٥ ، ١٣٦
ابن بطوطه : ٣٧٢
ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس : ٣٩ ، ٤٢ ـ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ٤٣٤
ابن حجر : ٣٢٦
ابن حوقل : ٣٢٥
ابـن خـلدون : ٧٥ ، ٨٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٤٢
ابن رشيد : ٥٢
ابن سبأ : ٤٢
ابن سعود : ١٨٥ ، ١٩٢
ابن طولون : ٣٦٥
ابن عبد الوهاب : ٥٤ ، ٧١
ابن القيم الجوزيه : ٤٨
ابن يوسف : ٣٠٦
أبو بكر الصـــديق : ٨٨ ، ١٢٧ ، ١٢٩
أبو العلاء المعرى : ٢٤٢
أحمد أمين : ٧٥ ، ٧٧
أحمد راتب : ١٤٠
أحمد زكي : ١٧٤
أحمد الشريف السنوسي : ٦٢ ـ ٦٤
أحمد الشنتناوى : ١١٩
أحمد طربين : ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣
أحمد عثمان : ٣٦٢
أحمد عرابى : ١٣٨ ـ ١٤٢
أحمد قدرى : ١٥٣
أحمد المريض : ٦٥
ادجار فور : ٣١٢
ادمون ، شارل جوزيف : ١١٢
الارمنازى : ٢٠٧ ، ٢٠٩
أرنو : ١٠٩
أسد رستم : ١١٤ ، ١١٧
أسعد داغر : ٣٤٩
اسماعيل الأزهرى : ٣٤٧
اسماعيل أغا : ٣٦٢
اسماعيل باشا : ١٤١
اسماعيل صدقى : ١٩٩
الاسكندر : ١١١
الأفغانى = جمال الدين الأفغانى
اقبال : ٩٦
أكرم زعيتر : ٢٢٦ ، ٣٥٠
البيرنصيف : ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
السيد محمد على : ٧٧

الفاريز ، أ : ٢٧ ، ٣١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٤ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
اميل اده : ٢١٥
أمين الريحانى : ٢٠٧
أنطون سعاده : ٢٤٤
انطونيوس ، جورج : ٧٩ ، ١٣٦ ، ١٥١ ـ ١٥٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ـ ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤
أنيس الخورى المقدسى : ٧٨ ، ١٤٣
اوليرى : ٣٦٥
ايتين ، برونو : ٢٤٠
ايدن ، انتونى : ٢٥٢
أبكاريوس : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١

ب

باتون : ١١٦
باربر ، نيفيل : ٢٤٧ ، ٢٤٨
بارتون : ١٢٢
بارو : ١١١ ، ١١٢
باسيت (الكولونيل) : ٢٢١
بركو ، جاكس : ١٥٩
برنتون : ٣٢٣
برتستون : ٢٠
بروجلى ، ده (الدوق) : ١١٢
برودلى ، أ ٠ م : ١٤١ ، ٣١٨
بروكلمان : ٢٣٥ ، ٢٣٦
البزاز : ١٩٨
بشارة الخورى : ٢١٤
بطرس ب ٠ غالى : ٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤
بطرس البستانى : ١٣٤ ، ١٣٥
بطليموس بن بطليموس : ١٦
بلجريف : ١٢١
بلفور ، آرثر جيمس : ٢٢٠
بلنت : ١٣٩
بلنتشلى : ٢٤٤
بنو خالد : ٥٢
بوزنارد ، ما جالى : ٤١
بوكنان ، جورج : ٢١٨
بوليتشكا : ١٢٤
بولز ، لويس : ٢٢٣
بوليتيس : ٣٠٨
بولين ، جاك : ١٨٦
بومبى : ١٢٤
بونابارت : ١١١
بونيل : ٣٢٣
بوون : ٢٦
بويج : ٨١ ، ٢٦٣
بيربى ، ج ٠ ج : ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٢
بيرتون : ١٠٩
بيرك : ١٧٧ ، ٢٦٤ ، ٣٧٨
بيشون : ١٦٩
بيكر ، صويل : ١٠٩
بيكو : ١٨٠

ت

تاپان : ٨٣
تركى : ٥٢
تشرشل : ١٩٨
التكرورى ، ابو محمد يوسف ابن عبد الله : ٣٢٧
توب (البارون) : ٩٤
تورنيو : ١٦٢ ، ٢٤١
توشارد : ٢٦
توفيق (الخديوى) : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
توفيق السويدى : ١٥٤
توفيق الناطورى : ١٥٣ ، ١٥٤
توكسى ، برسى : ١٨٤
توماس : ٣٢٣
توينبى : ١٦٧ ، ٢٠٠
تيبو : ١٠٩
تير : ١١٦ ، ١١٧

ج

جمال ٠ م ٠ بدر : ٣٥٦
جاثورن ــ هاردى : ٢٠٥
جارديه : ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ ، ٣٣٣
جاملان : ٢١٠
جانو : ٢٤٢
جرانفيل ، (لورد) : ٣١٨
جراى ، ادوارد : ٢١٨ ، ٤٠٩
جلادستون : ٤٨
جمال باشا : ١٦٤ ، ٢٢١
جمال الدين الأفغانى : ١٨ ، ٦٧ ــ ٧٤ ، ٧٧ ــ ٨٠ ، ١٤٣ ، ٢٠٤ ، ٤٣٥
جمال الدين الشيال : ١١٩
جمال عبد الناصر (الرئيس) : ٧٧ ، ٣٣٨ ، ٤٠١
جميل المدفعى : ١٩٨
جميل مردم : ١٥٣
جوان : ٣١٢
جوبير : ١١٨
جوجنهايم : ٢٦١ ، ٢٦٢
جورج سمنه : ٢٤٤
جورج ، لويد : ١٦٩ ، ٢٠٦
جورو : ٢٠٨ ، ٢١٣
جوزيف كى : ٣٢٤
جوليان ، أندريه : ٣١٧
جوليشون : ٦٩
جومار : ١١٨
جونج ، أوجين : ٥٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠
الجوينى : ٤٥
جويوم : ٢١٤
جيب : ٧٤ ، ١٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩
جيتارد ، أوديت : ١٠٣
جيرلاند : ١٢١
جيفريس ، ج ٠ م ٠ : ٢١٩
جيمس : ١٢٤

ح

حازم زكى نسيبه : ٧٠ ، ٧٤ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٧٣
حافظ وهبه : ٢٠٦ ، ٢٥٠
الحجاج : ١٢٢
حسن حماده : ٢٢١
الحسن السبط : ٥٧
حسن الشريعى : ١٣٨
حسن صــــعب : ٣٢ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨
حسين بن على : ١٩
حسين (الملك) : ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٤
الحصرى : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧
حليم بن محمد على : ١٤١
حمدى الباججى : ١٥٧
حيدر بامات : ٥٨ ، ١٣٢

خ

خالد الحكيم : ٢٢١
خليل ثابت : ٢٤٦ ، ٣٤٧
خليل حماده : ١٥٢
الخوارزمى : ٣٣٣
الخورى : ١٥٣
خير الله : ١٣٧ ، ١٦١
خيرت سعيد : ٢٤

د

دافز ، هيلين : ١٩١
ددويل ، هنري : ١١٨
دروزه : ١٩٧ ، ٢٤٥
درويش باشا : ١٤١
دوجي ، ليون : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
دولافوس : ٣٢٥
دوين ، جورج : ١١٢
ديرهام : ١٩١
ديفري ، جهان : ٢٠٠
ديفيز : ١٧١

ر

رايت ، كنسي : ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٤٩
رباط : ٩٥
رضا الركابي : ١٥٥
رضا الصلح : ١٥٥
رفاعة الطهطاوي : ١١٨ ، ١١٩
رفيق التميمي : ١٥٣
رفيق سلوم : ١٥٢
رفيق العظم : ٢٠٤ ، ٢٢١
رمضان شلاش : ١٩٨
روتشيلد (لورد) : ٢٢٠
رودس ، سيسيل : ١١٠
رودكي ، فريدريك : ١١٦
روزفلت ، ثيودور : ٣٠٩
روسو : ٧٥
رولات ، ماري : ١٤١
رولنج ، ب ، ف : ٣٤
رولينسون ، ج : ١٦
روندو ، بيير : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧
رياض الصلح : ١٥٥ ، ٢١٤
ريف ، هـ : ٢٧٨
ريفوار ، دوني ده : ٢٤٨
ريمون ، جان : ٥٣
رينان : ٣٥٠

ز

زعيتر : ٢٢٩ ، ٢٣٢
زيد بن علي (الامام) : ١٢٢ ، ١٢٨
زين م ٠ زين : ٧٤ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٨

س

ساباتييه : ١٠٩
سارتون ، جورج : ١٧
سازونوف : ١٨٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٠
ساطع أ ٠ أغا : ٤٣٦
ساطع الحصري : ٢٠٢ ، ٢٣٨ ، ٣٤٦، ٣٤٩
سالسبوري (لورد) : ٦٨
سالم بن راشد الخروصي : ٤١٥
سانتوسي ، ج ٠ س : ٢٣٩
ساندرز ، ليمان فون : ١٦٧
سايكس : ١٨٠
سبرنجلنج ، مارتن : ١٥
سبيك : ١٠٩
ستودارد : ٣١ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ٢٠٠
ستورس ، رونالد : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ١٦٣
ستون ، بالمر : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧
سراي : ٢٠٩
سسل ، جورج : ١٥٨
سعد زغلول : ١٩٩
سعود : ٥٣ ، ٥٤
سعيد : ١٢٢
سفوروزا ، (الكونت) : ٢٤٩

سكينر ، اليوت : ٣٢٤
سيلبير : ٣٣
سلطان الأطرش : ٢١٠
سليم الأول (السلطان) : ٢٠١
سليم الجزيرى : ١٥٢
سليم قبطان : ١٠٩
سليمان أباظه : ١٣٨
سليمان البارونى : ٦٤
سليمان كاشف : ١٠٩
سميث ، ايليت : ٣٥٠
سميث ، روبنسون : ١٢٢
سنديانا : ٢٦ ، ٣٢٥
سول (المارشال) : ١١٧
سيد نوفل : ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥
سيرجى : ٣٥٠
سيفينينى : ٢٠٠
سيكره : ٣٢٦
سيل ، جورج : ٢٤ ، ٢٧ ، ١٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥
سيميو ، برنارد : ١١٧ ، ٢٣٨
سيميونسكو : ١٤٣
سينكفيز : ١٤٠

ش

شارل عيسوى : ٢٤٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
الشافعى : ١٣٣
الشريف حسين : ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣١
شكرى غانم : ٢٤٤
شكرى القوتلى (الرئيس) : ١٥٤
شكيب ارسلان : ٢٤١ ، ٢٤٦
شلمنصر الثالث : ١٦
شومان : ٣٠٨
شيمول ، موريس : ١١٩

ص

صامويل ، هربرت : ٢٢٥

ط

طه حسين : ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦

ظ

الظاهر بيبرس (السلطان) : ٣٢٦

ع

عادل أرسلان : ١٥٦
عبد الرزاق السنهورى : ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ــ ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٤٦ ، ١٤٨
عبد الله الحسين (الأمير) : ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
عبد الله الراسبى : ١٢٧
عبد اللهبن الزبير : ١٢٧ ، ١٢٨
عبد الله عبد الدايم : ١٧٢
عبد الله بن فيصل آل سعود : ٤٠٨
عبد الله بن ياسين : ٣٢٥
عبد الحميد (السلطان) : ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١
عبد الحميد خالد : ٣٠٧
عبد الحميد الزهراوى : ١٥٢
عبد الرحمن بدوى : ١٢٩
عبد الرحمن الجيلانى : ١٩٨
عبد الرحمن الرافعى : ١١١ ، ١١٣
عبد الرحمن زكي : ١٢٣ ، ٣٣٢
عبد الرحمن شهبندر : ٢٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
عبد الرحمن بن عبد الله السعدى : ٣٣١

عبد الرحمن عزام : ٤٢ ، ٢٣٨
عبد الرحمن الكواكبى : ١٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ـ ٨٠ ، ١٣٥ ، ٤٣٥
عبد الصبور شاهين : ١٠٢
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: ٥٢ ، ٧٧ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧
عبد العزيز الدورى : ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٠٣
عبد الغنى العريسى : ١٥٣
عبد القادر الجزائرى : ٥٥
عبد اللطيف شراره : ٧٠
عبد المجيد (الخليفه) : ١٨٦
عبد الملك بن مروان : ١٢٢
عبد الوهاب خلاف : ٩٤
عثمان بن عفان : ١٢٧ ، ١٢٩
عز الدين فوده : ٨٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٥٧
عزان بن قيس : ٤١٤
عزيز خانكى : ١١٣ ، ١١٦
العزيز الفاطمى (الخليفه) : ٣٢٧
عزيز على المصرى : ٦٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٣
عفيفه البستانى : ٤٠٤
العقاد : ٢٠٤
على (الملك) : ١٨٦ ، ١٨٧
على بن أبى طالب : ٨٤ ، ١٢٢ ، ١٢٧، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٨
على أفندى : ٢١٦
على أيوب : ٣٤٧
على بن الشريف حسين : ٢١٦
على دينار : ٦٠
على عبد الرازق : ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٨٢
على يوسف (الشيخ) ٦١
عمر بن الخطاب : ٤٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩
عمر المختار : ٦٤
عمر مكرم : ١٠٨
عونى عبد الهادى : ١٥٣

غ

الغزالى : ٤٦

ف

الفارابى : ٤٥
فانdue ، ل . م : ٤٢٠
فخر الدين الرازى : ٤٦
فرج موسى : ٢٧٩ ، ٣٢١
فريسينيه ، ده : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٠
فلورى ، م : ٢٦ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ، ٤٣٦
فؤاد أباظه : ٢٥٢
فؤاد حمزه : ٢٥١
فورستر : ٢٤٢
فوزى البكرى : ٢٢١
فوزى القاوقجى : ٢٢٩
فوش : ٨١
فولتير : ٧٥
فيجان (الجنرال) : ١١٥
فيدال : ٣٢٦
فيران ، جبرييل : ١٢٤
فيرن : ١٠٩
فيصل : ٥٢
فيصل (سلطان عمان) : ٤١٤
فيصل بن الحسين : ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٥٤ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨
فيل ، فلوران : ١٠٠
فيليب حتى : ١٦ ، ١٠٧ ، ٣٦٥

ق

القاسم الراسى : ١٩٤
قمبيز : ١١١

ك

كاترين (الأميرة) : ٣٢٩
كاتيلانى : ٨١
كادالفين ده ، أ : ١١١ ، ١١٢
كاراده فو (البارون) : ٩١ ، ٩٢
كارنيه ، ده : ١١٥
كامل القصاب : ٢٢١
كتشنر (لورد) : ١٦٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨
الكثيرى (السلطان) : ١٩٧
كرابتيس ، بير : ١١١
كرزون (اللورد) : ٢٢٧
كريمنز ، تشارلز : ٣٨٣
كرين ، تشارلز : ١٧٠ ، ٢٢٤
كلوت بك : ١١١
كليتون ، جلبرت : ١٦٣ ، ١٨٩
كنج ، هنرى : ١٧٠ ، ٢٢٤
الكواكبى = عبد الرحمن الكواكبى
كوفيلييه : ٣٥٠ ، ٣٨٥
كولومب ، مارسيل : ١٧٥
كـون ، هانز : ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٧٨ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦
كوهين ، بنيامين : ٢٧٧
كيرزون : ١٧١ ، ٤٠٥
كيرك : ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٤٠٥
كين : ٣٢٣

لا

لاأوست ، هنرى : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ١٠٠
لابراديل ، ده : ٣٥١
لاتور ، بوييه ده : ٣١٢
لامارتين : ٤٦
لامبير : ٩١

ل

اللنبى (الجنرال) : ٢٢١ ، ٢٢٢
لوبون ، جوستاف : ٤٤
لوتسكى ، ف . ت : ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٥
لوجول : ١٣٦ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ٢٥٢
لودفيج ، اميل : ١٠٨ ، ١١٠
لوشاتلييه : ٤١
لوكونت (البارون دوبوا) : ١١٢
لويلييـه : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣
ليتمان : ٢٤٢ ، ٣٢٨
ليوتى : ٣٠٨ ، ٣١٧

م

ماسينيون ، ل : ٩٢ ، ١٣٠
ماكماهون ، هنرى : ١٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣١
مالسبورى (لورد) : ٦٨
مالك بن نبى : ١٠٢ ، ١٠٣
مانتران : ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٨٣ ، ٤٣٦
مانى : ٤٢
ماهر حسين فهمى : ٢٠٤
الماوردى : ٧٣
متران ، فرانسوا : ٣١٢
مجيد خدورى : ١٨٣ ، ٢٨٥
محمد ادريس السنوسى : ٦٤ ــ ٦٦
محمد ارسلان الدرزى : ١٣٦ ، ١٥١

محمد أنور السادات (الرئيس) : ٧٧ ، ٣٣٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢
محمد أنيس : ٣٧٠
محمد بدران : ١١١
محمد بديع شريف : ٤٣ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ١٤٧
محمد حافظ غانم : ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
محمد حسن العشماوى : ٣٢
محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب: ١٢٨
محمد رستم حيدر : ١٥٣
محمد رشاد : ١٥١
محمد بن الرشيد : ١٨٥
محمد رشيد رضا : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٥٢
محمد زكي علي : ٣٤٧
محمد بن سعود : ٤٩ ، ٥٢
محمد سلطان : ١٣٨
محمد سلام مدكور : ٧٠
محمد الشافعي اللبان : ٣٤٧
محمد صبرى : ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤
محمد ضياء الدين الريس : ٨٩ ، ١٢٨
محمد بن عبد الله (الملا) : ٣٧٥ ، ٣٧٦
محمد عبد العزيز : ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٥٠ ، ٢٧٣
محمد بن عبد الوهاب : ١٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٤٣٤
محمد عبده : ١٨ ، ٦٧ — ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٤١
محمد علي باشا : ٥٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٦٠
محمد بن علي الأدريسى : ١٨٣
محمد بن علي السنوسى : ١٨ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٣٣٦ ، ٤٣٤
محمد علي علوبه : ٣٤٦ ، ٣٤٧
محمد فؤاد جلال : ٣٥٥
محمد فؤاد شكرى : ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٣٦ ، ٦٥
محمد كرد علي : ١١٤ ، ٢٠٤
محمد بن الكندوز : ٥٨ ، ٥٩
محمد المحمصانى : ١٥٣
محمد محمود : ١٩٩
محمد مصطفى المراغى : ٢٦٧
محمد المهدى السنوسى (السيد) : ٥٩ ، ٦٠ ، ١٤١
محمد باش همبا التونسى : ١٦٢
محمود الداود : ٤١٦
محمود الخفيف : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
محمـــود سامى البارودى : ١١٤ ، ١٣٨
محمود شوكت : ١٥١
محمود فتحى : ٩١
محمود كامل : ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٧٧ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥ ، ٣٢٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٩٩
محمود كعت : ٣٢٤
المختار الثقفى : ١٢٧ ، ١٢٨
مختار العلج : ٢٢١
مختار ولد داده : ٣٣٢
مزدك : ٤٣
المستعصم (الخليفة) : ٨٤
المستنصر : ٨٤
المستورد بن علقة : ١٢٧
مصطفى عبد الرازق : ٦٩
مصطفى كامل : ١٤٥
مصطفى كمال : ٦٢ ، ١٨٢
معاويه : ٨٤ ، ١٣٠
معروف الرصافى : ٢٠٤
المعز لدين الله الفاطمى : ٢٠١
معمر القذافى (الرئيس) : ٤٢٤
مكدونالد : ٢٢٧
مكرم عبيد : ١٧٩ ، ٢٤٨
منتسكيو : ٧٥
منسى علي : ٣٣٦ .

موسى ، مارسيل : ٣٥١
موسكيلى : ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢
موسى بن نصير : ٣٢٨
موسى التكرورى (السلطان) : ٣٢٦
مونتاجو ، ادوار : ٢٢٣
مونتانى ، روبير : ١٩ ، ٥٣
مونى ، رايموند : ٣٢٣ ، ٣٢٥
ميخائيل مشاقه : ١١٦
ميزير : ٣٢٣
ميشو : ٢٠٩
ميشيه : ٦٩
ميلر ، ديفيد هنتر : ١٦٩

ن

نابوليون : ١٠٨
الناصر بن قلاوون : ٣٢٦
ناظم القدسى : ٣٥٤
نجدة بن عامر : ١٢٧ ، ١٢٨
نجيب الأرمنازى : ٢٠٥
نجيب عازورى : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨
ندره مطران : ١٧٣
نكروما ، كوامى : ٣٩٠
نور الدين سرايب : ١٦٣
نيازى أحمد زكريا : ٨٣ ، ٩٤ ، ٩٦
نيبير : ١١٧
نيجيل : ٣٠٩

هـ

هابسبرج : ١٥٣
هاراب ، جورج : ١١٧
هاكسلى : ٣٣٤
هاليفى : ٣٢٨
هامفريز ، فرنسيس : ١٨٩
هانوتو ، جابرييل : ٦٦
هشام (الخليفة الأموى) : ١٢٨
هلبراند : ١٢٥
هلتون ، هارولد : ٣٧٠
هوجارت (الكوماندور) : ١٩ ، ١٦٦ ، ٢٢١
هورويتز : ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩
هوريو ، أ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٨٥
هيرودتس : ١٦ ، ٢٤٢
هيكل : ٢٠٤
هيلير ، بارتيلمى سان : ١٤٠

و

الواثق بالله : ١٠٧
والروند : ٢٢١
وايزمان : ٢٢٣ ، ٢٢٧
وحيد رأفت : ٤١١
ولسن ، وودرو : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٤
ونجت (الجنرال) : ٢٢١
وولف ، جان : ٢٥ ، ١٧٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨
ويفيل ، لورد : ١٦٥

ى

يحيى بن ابراهيم : ٣٢٥
يحيى (الامام) : ١٨٣
يحيى بن محمد حميد الدين : ١٩٤ ، ١٩٦
يس الهاشمى : ١٥٤
يوسف شلاله : ٢٣٣
يوسف العظمة : ٢٠٨
يوسف هيكل : ٢٤٨
ييب ، م : ٣٠ ، ٨٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٣٨٨٧

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ١١٨ ٢

